دور القصر

فى الحياة السياسية فى مصر

[١٩٣٧ - ١٩٥٢]

دكتور سامى أبو النور





مكتبة مدبولى

دور القصر

فى الحياة السياسية فى مصر

[١٩٣٧ - ١٩٥٢]

دكتور سامى أبو النور

مكتبة مدبولى

الإهـداء

إلى ابني / أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تعالج هذه الدراسة الدور الذى لعبه القصر فى السياسة المصرية خلال الفترة من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٥٢ ، وذلك فى اطار علاقاته - كمؤسسة للحكم - بقوى التأثير السياسى فى البلاد ، ومحاولة تقويم هذا الدور بجوانبه الايجابية والسلبية من خلال التصدى بالبحث والتحليل العلمى للبواعث الحقيقية لحركة القصر واتجاهاته السياسية ، دون اغفال تلك الجهود التى بذلها فؤاد سلطانا ثم ملكا لتوطيد دعائم لحكم القصر .

والواقع أن ثمة محاذير قد صادفت الباحث كان عليه دائما أن يتحسب الزلل اليها وهو بصدد هذه الدراسة ، فمن هذه المحاذير محاولة تقويم مرحلة سابقة بمعايير لاحقة ، فذلك أبعد ما يكون عن جادة البحث العلمى ، اذ كان يتعين على الباحث تحليل موقف القصر - وهو موضوع دراستنا - وفهمه فى اطار الظروف السياسية القائمة فى كل مرحلة وعلاقته بقوى التأثير السياسى الأخرى ، دون اغفال الأوضاع الداخلية بالقصر ذاته والتى أثرت وبشكل مباشر فى مواقفه وتوجهاته .

ومن هذه المحاذير أيضا ذلك الركام الضخم للمادة العلمية التى توافرت للباحث من ثنايا المصادر والدراسات ، وما غصت به من آراء

متعارضة واتجاهات متباينة. كان الانسياق وراءها ينطوى على مخاطر الوقوع فى أخطاء التحليل العلمى ويحول دون الوصول الى الحقيقة التاريخية المجردة وهى الغاية الأساسية لكل باحث. ومن ثم فان المعالجة التاريخية كانت تقتضى الحيدة التامة وعدم تبنى آراء أو أفكار اخرى سابقة الا بالقدر الذى يتصل بيقين الباحث ويطمئن اليه من خلال ما يتوصل اليه من نتائج .

ومن هذه المحاذير اخيرا ما يتصل بموضوع الدراسة ذاته ، فالدور الذى لعبه القصر انما كان جزءا متمما للحركة السياسية فى مصر فى تلك الفترة ، وطالما أن عملية التأريخ لتلك الحركة تخرج عن نطاق دراستنا ، فمن ثم يغدو الهدف الأساسى لهذه الدراسة متمثلا فى اعادة تقويم أحداث تلك الفترة وأزماتها من زاوية القصر وبقدر مشاركته فيها وصولا الى أبعاد الدور الذى لعبه فى السياسة المصرية .

وهناك جملة أسباب موضوعية قد حدت بالباحث الى تناول موضوع هذه الدراسة . أولها : أنها تجىء استكمالا لدراسة قام بها الباحث لنيل درجة الماجستير عن دور القصر فى الحياة السياسية فى مصر خلال الفترة من ١٩٢٢ - ١٩٣٦ . ومن ثم فان المتابعة التاريخية للموضوع كانت تحتم استكمال تلك الدراسة من خلال تناول دور القصر فى المرحلة التالية التى امتدت من عام ١٩٣٧ وحتى عام ١٩٥٢ وهى الفترة التى تولى فيها فاروق الحكم . ثانيا : أن كافة الدراسات والبحوث التى تناولت أحداث تلك الفترة أو القوى التى شاركت فى صنعها ، قد تناولت دور القصر فى سياق المعالجة دون أن تحاول سبر أغوار ذلك الدور وصولا الى اتجاهات القصر الحقيقية وبواعث حركته والعوامل التى أثرت فيها ، رغم أن الدور السياسى الذى لعبه القصر كان عملا يشكل جانبا حيويا وهاما من تاريخ البلاد على امتداد المسطح الزمنى لتلك الفترة .

ثالثا : تمايز السمات الأساسية لتلك المرحلة من تاريخ البلاد عما عداها ، فهى تبدأ باعلان معاهدة ١٩٣٦ وما ترتب عليها من تغييرات أصابت أوضاع قوى التأثير السياسى فى البلاد ، وتنتهى بثورة قوضت نظام حكم القصر بمؤسساته ، وبين بداية المرحلة ونهايتها كانت هناك قوى أخرى - ونعنى بها القوى الأيديولوجية - راحت تشق طريقها الى الساحة مما كان ينبىء عن أن ثمة تغييرا قد أصاب الخريطة السياسية للبلاد ، وكان القصر أكثر القوى تأثرا وتأثيرا فى اطار تلك التغييرات ٠

اما عن منهج المعالجة التاريخية لهذه الدراسة فقد توخيت فيه المزج بين التقسيم الزمنى والتقسيم الموضوعى ، باعتبار ان اتباع التقسيم الزمنى وحده قد يخرج بالدراسة من اطار التحليل والنقد العلمى الى عملية السرد التاريخى المجرد ، فضلا عن ان الاقتصار على التقسيم الموضوعى قد يفقد المعالجة نواصاها التاريخى ومضمونها ويحول دون اقرار نتائج علمية محددة ولقد جرى التمهيد لهذه الدراسة بعرض للتطور السياسي لدور القصر منذ اعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ من خلال تحليل علاقته بقوى التأثير السياسى فى اطار التجربة الدستورية ، والصراع الذى خاضه القصر بصدد توطيد مكانته السياسية فى مواجهة القوى السياسية الأخرى وفى مقدمتها الوفد باعتباره رمز الحركة الوطنية ورافدها الرئيسى ٠ ثم تلك الصراعات التى دارت حول مجلس الوصاية والتى كشفت بشكل واضح عن تعارض اتجاهات الوفد ومرامى السياسية البريطانية ، ففى وجه محاولات الوفد للاستيلاء على القصر والتمهيد لفرض الوصاية عليه ، كانت السياسة البريطانية تتجه الى المحافظة على العرش قويا تحت وصايتها بحسبان استخدامه كمعامل معادل للوفد ، مع استعراض محاولات القصر فى تلك الفترة للخروج من دائرة الوصاية البريطانية ٠

كما عنيت في التمهيد بابراز تلك التغيرات التى طرأت على سلطة «القرار السياسى » فى القصر ، وكيف انفرد بها فؤاد على امتداد سنى حكمه ، لكى تنتقل بعد ذلك فى عهد فاروق - الى « الديوان الملكى » ، الى ان استقرت عملا فى أيدى الحاشية فى أواخر عهده ، مع بيان الأسباب والبواعث التى أدت الى تلك التغيرات ، يضاف الى ذلك ما كان من جنوح القصر الى اصطناع تنظيمات ارهابية مثل « البوليس الخاص » ومن بعده « الحرس الحديدى » وكيف استخدم القصر التنظيم الأخير بوجه خاص كأداة لترويع خصومه السياسيين وارهابهم .

بالاضافة الى ذلك فقد احتوت الدراسة على ستة أطر موضوعية وهى :

الأول : القصر بين السلطتين التنفيذية والتشريعية :

ويتناول علاقة القصر بالوزارة فى اطار تجربة دستور ١٩٢٣ ، وأثر البرلمان - كمؤسسة تشريعية - على تلك العلاقة مما ظهر واضحا خلال عهود الحكم الوفدى ، على نحو بدت معه أولى ضروريات انفراد القصر بالسلطة تتمثل دائما فى التخلص من البرلمان الوفدى القائم ، مع بيان بواعث ذلك الصدام المتواتر بين القصر والحكم الوفدى وأثر التدخل البريطانى على نتائجه وكيف ترددت سياسة القصر بين التشييع لفكرة « الوزارة الائتلافية ومحاولات « الوزارة القومية » « كبديل حتمى كان يفرض نفسه كلما لاحت فى الأفق السياسى احتمالات عودة الوفد للحكم . كما عنيت فى هذا الفصل أيضا بتحليل علاقة القصر بوزارات الائتلاف اللاوفدى التى تعاقبت على الحكم ، وكيف نجح القصر من خلالها فى الانفراد بمقاليد السلطة زهاء عشر سنوات من حكم فاروق .

الثانى : القصر والأحزاب السياسية :

ويتعرض بالتحليل لعلاقة القصر بالأحزاب السياسية على اختلاف

مشاربها واتجاهاتها دون اغفال تلك التغييرات التيواكبت اعتلاء فاروقعرش البلاد وكيف أثرت على علاقته بكافة الأحزاب السياسية ، فضلا عن تحليل تجربة أحزاب القصر وعوامل فشلها على نحو بدا القصر معه راغبا فى التخلص من ذلك « الارث الحزبى » الذى خلفه عهد فؤاد وبعد أن أصبحت أحزاب الأقلية تؤدى دورها فى اطار حكم القصر • كما عنيت بابراز أزمة الكتاب الأسود فى سياق تحليل العلاقة بين القصر ومكرم عبيد وكتلته ، وذلك بالنظر الى ذلك الدور البارز الذى لعبه القصر فى صنع أحداث الأزمة والتمهيد لها ، وكيف استغل أبعادها فى الاساءة للحكم الوفدى وكشف مثالبه على نحو أسهم فى تهيئة الظروف المناسبة للقصر لانهاء الوجود الوفدى فى الحكم •

الثالث : القصر والجماعات الأيديولوجية :

ويلقى الضوء على الظروف السياسية التى أدت الى ظهور القوى الأيديولوجية على الساحة ، مع الاشارة الى منابعها الفكرية وطبيعة علاقاتها بالقصر والدور الذى لعبته فى سياسته ، وكيف استطاع أن يستخدم فريقا منها كالاخوان المسلمين ومصر الفتاة ، فى بعض مراحل صراعه فى مواجهة خصومه السياسيين ، ثم تحليل الظروف التى أدت الى انقلاب تلك العلاقة بين القصر من جانب والاخوان ومصر الفتاة من جانب آخر على نحو أصبحت معه تلك القوى مستهدفة لهجمات ضارية من القصر اثر انقلابه عليها ، دون اغفال ذلك الخط العدائى الواضح للقوى الشيوعية قبل القصر ومحاولاته لتوطيد صلاته بالجانب البريطانى بدعوى المخاطر الشيوعية التى تهدد العرش والوجود البريطانى فى مصر على السواء •

الرابع : القصر بين الاتجاهات الاسلامية والعربية :

ويتناول بالتحليل الظروف التى قيضت للتيار الاسلامى أن يحتل

مكانته فى سياسة القصر ، على نحو جاء متسقا وتوجهاته الاسلامية والتى أسهم الأزهر — كمؤسسة دينية — بدور بارز فى صياغتها فى محاولته لاضفاء الطابع الدينى على حكم القصر على نحو يعضد من مكانته السياسية ٠ وكذا الظروف التى أدت الى تبنى القصر للفكرة العربية، ثم الجهود التى بذلها القصر فى انشاء الجامعة العربية بصدد سعيه نحو زعامة عربية مع ابراز اهتمامات القصر بالمشكلة الفلسطينية وبواعثه الحقيقية فى هذا المجال ، دون اغفال الاثار التى ترتبت على توجهات القصر العربية بصدد القضية المصرية ، على نحو كادت معه أن تخرج من اطارها الاقليمى الى دائرة الاهتمامات العربية ومساعى بريطانيا لاحباط جهود القصر فى هذا الصدد ٠

الخامس : الصدام بين القصر والانجليز :

ويوضح طبيعة التغيرات التى طرأت على علاقة القصر بالجانب البريطانى فى اطار معاهدة ١٩٣٦ ، وكيف سعى القصر بصدد تأكيد استقلاله بالسلطة على البلاد ، الى منازعة الوجود البريطانى نفوذه من خلال محاولات التفاهم مع قوى المحور وتشجيع دعايتها فى مصر ، على نحو أفضى فى النهاية الى صدامات حادة بين الجانب البريطانى والقصر ، مما حدا بالأخير الى التراجع عن سياسته وممالأة الجانب البريطانى ٠ وأود أن أشير الى أن تصنيف حادث ٤ فبراير ليكون فى هذا الفصل فمرده الى قناعة الباحث بأن مقدمات الحادث ونتائجه انما جاءت أساسا فى اطار ثنائية العلاقة بين القصر والانجليز دون أن يكون للوفد فى ذلك كله سوى دور هامشى تمثل أساسا فى نتائج الحادث وليس فى أسبابه ، عندما تولى الحكم عشية ٤ فبراير ٠ ومن ثم فان تحليل الأزمة فى سياق العلاقة بين القصر والوزارة النحاسية الخامسة أمر يجانبه الصواب اذ أن تلك الوزارة كانت عملا منبتة الصلة بالجذور الأصلية للأزمة بالاضافة الى ذلك فقد عنيت باستعراض الظروف السياسية التى أدت

الى تراجع التدخل البريطانى فى مجريات السياسة المصرية فى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وأثر ذلك على الدور الذى لعبه القصر فى تلك الفترة ·

السادس : انهيار النظام السياسى ونهاية حكم القصر :

ويتناول بالتحليل الأسباب التى أدت الى تدهور الأوضاع الداخلية فى البلاد على نحو كان معه حريق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ، دالة على فساد أداة الحكم واضطرابها ، وكيف انعكس عبث القصر وتلاعبه بمقدرات البلاد السياسية ؛ على علاقته بالجيش باعتباره كان أكثر مؤسسات النظام ولاء للقصر وخضوعا له ، على نحو بدا معه صراع تحتى بينهما كان من نتيجته أن خرج الجيش عن طاعة العرش لكى يقوض الكيان السياسى القائم وقتذاك بكل قواه ومؤسساته ويؤرخ نهاية لحكم القصر ، وكيف سعت السياسة الأمريكية للاستفادة من ابعاد الصراع القائم بين القصر والجيش ، لكى تفسح المجال لنفوذها فى محاولة لمنازعة النفوذ البريطانى مكانته فى مصر ·

الخاتمة :

وتضم ما انتهى اليه الباحث من نتائج عن أبعاد الدور الذى لعبه القصر ـ كمؤسسة للحكم ـ فى السياسة المصرية على امتداد عهد فاروق ، مع تقويم شامل للجوانب الايجابية والسلبية لهذا الدور ·

ومما يجدر ذكره أن هذا البحث قد اعتمد على طائفة كبيرة من المصادر والدراسات يمكن تقسيمها بصورة أساسية الى :

اولا : المصادر الاصلية والمراجع المعاصرة :

وتضم مجموعة المصادر الوثائقية الأجنبية والعربية ، سواء المنشور منها أو غير المنشور وتعتبر مضابط مجلسى الشيوخ والنواب من أهم المصادر

العربية اذ أعانت الباحث على متابعة الأزمات السياسية والدستورية التى كانت تعكس علاقة الأحزاب السياسية وصراعاتها داخل البرلمان وخارجه ، وتردد هذه الأحزاب على اختلاف نزعاتها ، بين العداء للقصر حينا وممالأته أحيانا كثيرة · كما أفادت الباحث بشكل خاص بصدد متابعة قضية الأسلحة الفاسدة ، فهى لم تلق الضوء على جوانب تلك القضية فحسب ، بل ونلمس أيضا بوضوح ذلك الانقلاب الحادث فى العلاقة بين القصر والوزارة النحاسية الأخيرة ، فيما أظهرته تلك المساجلات التى غصت بها تلك المضابط ، من محاولات الوزارة النحاسية الأخيرة لدفع الاتهامات الموجهة للقصر ورجاله وتفنيدها · وقد أتيحت للباحث الاطلاع على تلك المضابط كاملة بمكتبة مجلس الشعب ·

ولقد عثر الباحث على نسخة أصلية من « الكتاب الأسود » لدى السيد / على رمضان — ابن شقيقة أحمد حسنين — مودعة بمكتبة أحمد حسنين وتحمل اهداء مكرم عبيد اليه · ورغم ان التفاصيل التى احتوى عليها الكتاب تخرج عن نطاق تلك الدراسة الا أن الأزمة التى فجرها قد كشفت بجلاء عن أن العداء للوفد داخل الحكم وخارجه كان بمثابة نقطة تجمع والتقاء للقصر وأحزاب الأقلية ·

أما وثائق وزارة الخارجية البريطانية فتأتى على رأس قائمة المصادر الأجنبية التى اعتمد عليها الباحث وتغطى الفترة موضوع الدراسة · فهى قد أثرت — بحق — هذا البحث بما كشفت عنه من أسرار وخبايا السياسة البريطانية فى مصر ، ووجهة النظر البريطانية المعلنة وغير المعلنة من الصراع السياسى القائم وأطرافه فى كافة مراحله ، فضلا عما احتوت عليه من تفصيلات وافية لعلاقات القوى السياسية المختلفة بالسفارة البريطانية والجوانب الخفية منها ، فالى جانب التقارير المعتادة التى كانت ترسلها السفارة

البريطانية الى حكومتها ، كانت هناك أيضا التقارير الدورية التى كانت تتضمن تقويما شاملا للأوضاع السياسية فى مصر وهى على جانب كبير من الأهمية • كما أزاحت تلك الوثائق الستار عن صلات القصر بقوى المحور وأعانت الباحث على التحقق من قيام هذه الصلات أصلا والدوافع والأسباب التى حركت القصر لاقامة هذه الصلات ووسائله فيها • يضاف الى ذلك أن هناك تقريرا وافيا أعدته اللجنة التى شكلها السفير البريطانى غداة حادث حريق القاهرة للوقوف على أسبابه ودوافعه ، وهو تقرير تكمن أهميته فيما تناوله من تحليل لمواقف القوى السياسية المختلفة من الحادث • وبرغم ذلك الغرم فى الجهد والوقت الذى تكبده الباحث فى دراسة تلك الوثائق ، كان الغنم عظيما بما توافر لديه من مادة وفيرة أعانته على استكمال البحث • ولا شك أن الوثائق البريطانية بما احتوت عليه من مادة تاريخية جيدة تجعل لها مكانتها المتميزة بين المصادر الأصلية التى تناولت تاريخ مصر فى تلك الفترة على نحو يمكن معه القول بأن أى دراسة تتصدى للبحث فى تاريخ البلاد فى تلك الفترة دون الرجوع الى الوثائق البريطانية ، هى باليقين منتقصة الأطراف •

ولا يفوتنى فى هذا المجال أن أذكر بالعرفان والفضل أستاذى المشرف الدكتور رؤوف عباس ، فلولا تعضيده ومساندته لما تمكن الباحث من الاطلاع على تلك الوثائق واستخلاص ما فى ثناياها من مادة تاريخية هائلة •

اما المذكرات الشخصية فقد كانت من المصادر الهامة والأساسية لهذا البحث ولقد عثر الباحث على مجموعة من الأوراق الخاصة بأحمد حسنين مودعة لدى ابن شقيقته السيد / على الدين رمضان - ومن بين تلك الأوراق كانت أصول التقارير الخاصة بروايات شهود العيان من أفراد الحرس الملكى

والياوران عن أحداث ليلة ٤ فبراير ، وهذه الأصـول تنشر لأول مرة ونظرا لأهميتها ولمـا احتوت عليها من تفاصـيل فقد تم اعداد ملحق لها فى هذه الدراسـة • ومن ضمن تلك الأوراق أيضا عثرت على مجموعة من الخطابات التى انهالت تحمل التبرعات لأحمـد حسنين أثر قيام الحكومة النحاسـية السادسة بشن حملة ضارية إستهدفت النيل منه لمماطلته فى سـداد قيمة أثاثات قام بشرائها ولم يسدد أثمانها لوزارة المعارف ، وتكمن أهمية تلك الرسائل فى انها عكست تعاطف الرأى العام مع أحمـد حسنين اذ أظهرت نزاهته وأمـانته ، وكانت نتائج الحملة على عـكس ما كانت تأمل الحكومة النحاسية •

اما كتاب جلال الحمامصى بعنوان « معركة نزاهة الحكـم ، ٤ فبراير ١٩٤٣ — ١٩٥٢ » لم تكن قيمتـه فى أن كاتبه قد شـارك فى اعـداد « الـكتاب الأسـود » وطبعه وتوزيعه فحسب ، بل فيما كشف عنه من دور القصر فى صنع الأزمة التى فجرها الكتاب •

وفيما يتعلق بمذكرات النقراشى التى نشرتها جريدة أخبار اليوم فى عدديها ٢٦١ ، ٢٦٢ يومى ١٩٤٩/١١/٥ ، ١٩٤٩/١١/١٢ وتوقف استكمال نشرها بعد ذلك بسبب تدخل السفير البريطـانى لدى حسين سرى ومطالبته بايقاف نشرها ، اذ تضمنت فحوى الاتصالات السرية التى جرت بين النقراشى — فى عهد وزارته الثانية — والسفير البريطـانى بشأن اعادة النظر فى المعاهدة ومسـألة السـودان • وتكمن الأهمية الحقيقية فى الجزء المنشـور من تلك المذكرات فى أنه قد كشف عن خبايا السياسة البريطانية واتجاهاتها لمساومة النقراشى على مسألة السـودان مقابل الجـلاء عن مصر ، الأمر الذى رفضه النقراشى وأيـده القصر فى موقفه تحسبا للمخاطر المتوقعة من وراء الموافقة على وجهات النظر البريطـانية •

وهناك أيضـا مذكرات الدكتور هيـكل وتقع فى ثلاثة أجزاء ، وهى بدورها من المصادر الرئيسية التى أفادت البـاحث بما تعكسه من مواقف أحزاب الأقلية وصراعاتها فيما بينها ، فضلا عن علاقتها بالقصر · ورغم ذلك فيمكن القول بأن الدكتور هيـكل الذى تولى زعامة حزب الأحرار لم يستطع أن يتخلص من حزبيته مما نلمسه فى غير موضع من مذكراته وخاصة بصدد ابراز الاتجاهات العدائية للوفـد بشكل أساسى ·

الى جـانب ذلك فكانت هناك أيضـا مذكرات محمـد نجيب بعنوان « كلمتى للتـاريخ » وقد أفادت البـاحث الى حـد كبير بصدد رصـد نشأة تنظيم الضـباط الأحرار وتطور علاقته بالقصر والعوامل التى أدت الى خروج الجيش عن ولائه للقصر · فضلا عن ذلك فهناك أيضا طائفة من المذكرات التى أعانت البـاحث فى هذا المجال أيضا منها مذكرات أنور السادات عن « أسرار الثورة المصرية » ومذكرات عبد اللطيف بغدادى « الجزء الأول » وكذا مذكرات كمال رفعت التى أعدها مصطفى طيبة بعنوان « حرب التحرير الوطنية » ، وكذا مذكرات حسن عزت بعنوان « أسرار معركة الحرية » · أما مذكرات **جمـال عبد النـاصر** عن حرب ١٩٤٨ ، والمنشورة بمجلة آخر ساعة ، فقد كشف فيها عن تدهور أوضاع الجيش المصرى أثناء حرب فلسطين وفسـاد قيادته واضطرابها مما انعكس أثره واضحا على سير العمليات الحربية هناك وأفضى فى النهاية الى هزيمة الجيش المصرى ·

كما استعان البـاحث بطائفة من الصحف والمجلات التى كانت تعبر عن اتجاهات كافة قوى التأثير السياسى فى البلاد ، اذ ألقت الضـوء على علاقات تلك القوى ببعضها البعض واتجاهاتها السياسية ، ومكنت الباحث من معايشة أحداث تلك الفترة وازماتها وكشفت عن جوانب هامة منها ، فعلى سبيل المثال فان قضية الأسلحة الفاسـدة التى تورط فيها القصر ورجاله

لم يكن ليقيض لها أن تخرج الى الرأى العام الا عندما توفر الأستاذ احسان عبد القدوس على كشف جوانبها الخفية على صفحات مجلة « روز اليوسف » بعد أن أمده بعض الضباط بما لديهم من مستندات ومعلومات عن الواقعة ٠

ثانيا : البحوث والدراسات والمؤلفات :

تقتضى المعالجة للبحث ضرورة الاطلاع على النتائج والآراء التى تضمنتها البحوث والدراسات والمؤلفات السابقة والتى تناولت عملية التأريخ لقوى التأثير السياسى فى مصر وتقييم حركتها وتحليل مواقفها واتجاهاتها بجوانبها الايجابية والسلبية ، وذلك حتى يتسنى للباحث البدء فى موضوع دراسته ولديه الخلفية التاريخية المتكاملة عن القوى السياسية الأخرى وعلاقاتها بالقصر - كمؤسسة للحكم - للتعرف على اتجاهاته الحقيقية والعوامل التى أثرت فى مواقفه من القضايا والأزمات المختلفة ٠

وقد لا يتسع المجال للاشارة الى جميع البحوث والدراسات الهامة التى تمت الاستعانة بها فى هذا البحث ومن ثم فاننا سوف نكتفى بالاشارة الى أبرزها ٠ وتعتبر مجموعة مؤلفات الرافعى بعنوان «فى أعقاب الثورة المصرية» والتى تقع فى ثلاثة أجزاء ، فضلا عن مؤلفه بعنوان « مقدمات ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ » ، من أهم المؤلفات التى تناولت الفترة موضوع هذه الدراسة بما احتوت عليه من مادة تاريخية عن القوى والأزمات التى صنعت تاريخ تلك الفترة ، ولا يحد من قيمتها ما كان يلمسه الباحث فى غير موضع منها من مجافاة المؤلف للنظرة التاريخية المجردة ٠

وهناك أيضا دراسة الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى بعنوان « العلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦ - ١٩٥٦ » وتعد بدورها من أفضل الدراسات التى تناولت أطوار هذه العلاقة ، فضلا عما أبرزته من تباين لاتجاهات القوى السياسية فى مصر بصدد مسألة اعلان الحرب ٠ وتكمل هذه

الدراسة ، دراسة أخرى هامة للدكتور عاصم الدسوقى بعنوان « مصر والحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ » بما أعطته من تصوير واضح لأوضاع هذه القوى عشـية اندلاع الحرب وتفسير البواعث الحقيقية لحركتها ، فضلا عما تضمنته من عرض رائع للاتجاهات الفكرية والسياسية التى كانت تموج بها البـلاد فى تلك الفترة ، دون اغفـال تأثير الحرب على الأوضـاع الاقتصـادية والاجتماعية فى البلاد ٠

ومن أهم الدراسـات التى أفادت البـاحث أيضا ما كتبه الدكتور يونان لبيب رزق فى بحثه عن (تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ ـ ١٩٥٣) كنموذج رائـد فى البحث العلمى ، فهو بلا شك يعد من أفضـل الدراسـات التى أضاءت جوانب العلاقة بين الوزارة ـ كشريك فى السلطة ـ والقصر والانجليز بشكل أساسى ، كما تناولت الدراسـة بالتحليل تلك التغيرات السـياسية والاجتماعية التى تعرضت لها البـلاد وآثارها ليس فحسب على مسيرة الوزارة فى السـلطة ، بل وعلى علاقتها بقوى التأثير السياسى الأخرى ، على نحو بدت معه « الوزارة » تمثل دائما انعكاسا مرحليا ومباشرا لأوضاع القوى السياسية فى البلاد ٠ وكذا دراسـته عن الأحزاب المصرية قبل عام ١٩٥٢ ، والتى عرضت الى أصول نشـأة هذه الأحزاب والقوى التى كانت تمثلها فضلا عن اتجاهاتها السياسية ٠

اما دراسـة الأستاذ طارق البشرى عن « الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ » فتعد من الدراسات الهامة التى تناولت بالتحليل الأطوار المختلفة للحركة الوطنية ، مع القاء الضـوء على الروافد الجديدة لهذه الحركة والتى تمثلت فى القوى الأيديولوجية ، كما عمدت الدراسة الى التركيز على الدور الذى لعبته تلك القوى فى اطار الحركة الوطنية من خلال تحليل علاقاتها بقوى التأثير السياسى من الأحزاب السياسية والقصر والانجليز ٠ والدراسة

بهذا المفاد تصبح مدخلا أساسيا وضروريا لفهم أبعاد الصراع القائم فى تلك الفترة واتجاهات القوى التى شاركت فيه ٠

الى جانب ذلك فقد استعان الباحث بطائفة من البحوث والدراسات والتراجم الأجنبية ومنها دراسة فاتيكيوتيس عن « تاريخ مصر الحديث » والتى تناولت فى عرض جيد العوامل التى أدت الى عجز قوى التأثير السياسى فى مصر وتفككها فى مواجهة الوجود البريطانى والآثار التى ترتبت على ذلك ، مما مهد لقيام ثورة ١٩٥٢ ، كما تناولت بالتحليل موقف القوى الأيديولوجية فى مصر وكيف توجهت تلك القوى نحو العصيان والثورة فى محاولة للتغلب على التناقضات السياسية والاجتماعية فى البلاد ٠

ومن أهم تلك الدراسات ما كتبه مايلز كوبلاند فى كتابه بعنوان « لعبة الأمم » أو « اللاأخلاقية فى السياسة الأمريكية » والذى ألقى فيه الضوء على الدور الذى لعبته الولايات المتحدة فى مصر ، كما أشار الى ذلك التناقض الحاد فى سياستها من انها بدأت ذلك الدور فى محاولة لأحداث ما أسماه « بالثورة السلمية » فى ظل حكم القصر ، وكيف انتهى ذلك الدور الى تأييد حركة الضباط الأحرار ، مع الاشارة الى دور الوساطة الذى لعبته السفارة الأمريكية بين الضباط الأحرار من جانب والقصر والسفارة البريطانية من جانب آخر أثناء أحداث الثورة ٠

وهناك أيضا دراسة جون مارلو عن العلاقات المصرية - البريطانية (١٨٠٠ - ١٩٥٣) والتى تناولت الظروف السياسية التى أدت الى ابرام المعاهدة وآثارها على العلاقة بين البلدين ، فضلا عن دور مصر فى اقامة الجامعة العربية وأثر ذلك على علاقتها مع بريطانيا وان كان قد أخطأ فى استنتاج بعض ما توصل اليه من نتائج فى سياق دراسته ، فعلى سبيل المثال عرض فى (ص ٣١٨) من كتابه الى الحاح السفير البريطانى على فاروق فى طلب

اقالة وزارة حسين سرى واستدعاء النحاس لتشكيل الوزارة الا انه بالرجوع للمصادر المختلفة بما فيها الوثائق البريطانية تبين ان السفير البريطانى لم يتقدم بمثل هذا الطلب للملك ، بل ان محور الخلاف قبل الحادث تمثل فى رغبة السفير البريطانى فى استبقاء وزارة سرى خلافا لرغبة الملك ، وهذا ما يجعلنا نشير الى خطورة التسليم بما تحتويه تلك الدراسات دون اخضاعها للنقد والتحليل العلمى وصولا للحقيقة التاريخية ٠

كما أتيح للباحث الاطلاع على مذكرات لورد كيلرن « سير مايلز لامبسون » السفير البريطانى فى مصر خلال الفترة من يناير سنة ١٩٣٤ ـ ٩ مارس سنة ١٩٤٦ والذى اقترن اسمه بالعديد من الأزمات التى شهدتها العلاقة بين القصر والجانب البريطانى بوجه خاص ٠ ولقد أعد هذه المذكرات « تريفور ايفانز » والذى عمل سكرتيرا خاصا للورد كيلرن فى مصر طوال سنوات الحرب ، ثم عمل كمستشار شرقى للسفارة البريطانية فى مصر منذ يوليو ١٩٥٢ حتى أزمة السويس فى عام ١٩٥٦ ، وساعده فى جمع مادتها لورد كيلرن « الابن » ، وتكمن أهمية تلك المذكرات فيما تضمنته من آراء وانطباعات لورد كيلرن الخاصة بصدد العديد من المسائل والقضايا التى كانت تمس العلاقات المصرية ـ البريطانية ، والتى أشرت اليها فى أكثر من موضع فى هذه الدراسة ٠

وأخيرا يطيب لى أن أتقدم بوافر الشكر وأطيب الثناء لأستاذى الدكتور رؤوف عباس أستاذ ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، فالكلمات تقصر وان عظمت معانيها عن أن توفيه حقه علما واقتدارا وفضلا على البحث والباحث ، فعلى امتداد ما يربو على سنوات تسع استغرقتها فى اعداد بحثى للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراة تحت اشرافه ، أحاطنى فيها بكريم رعايته وتوجيهه ، وما أبداه من ملاحظات سديدة على

هذا البحث قد أسهمت فى توجيه الباحث نحو جادة البحث العلمى الصحيح، واليه يرجع كل الفضل فيما ضمته ثنايا تلك الدراسة من جوانب إيجابية ، وعلى الباحث وحده تقع تبعات القصور ٠

كما أتوجه بخالص الشكر والعرفان الى الأستاذ الدكتور يونان لبيب أستاذ ورئيس قسم التاريخ الحديث بكلية البنات بجامعة عين شمس والأستاذة الدكتورة لطيفة سالم أستاذ ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة بنها عضوا لجنة المناقشة على ما تجشماه من جهد وعناء فى فحص هذه الدراسة وابداء الملاحظات عليها واجازتها بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى فى ٢٥ يونية سنة ١٩٨٧ ٠

وعلى الله قصد السبيل ؟

سامى ابو النور

تمهيد

- تطور دور القصر كمؤسسة سياسية منذ اعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ .
- مجلس الوصاية بين صراعات قوى التأثير السياسى « تطور مسالة الوصاية » .
- التنظيم الداخلى للقصر وأثره على دوره فى الحكم .
- فاروق الأول .

التمهيـــــد

تطور دور القصر كمؤسســة سـياسية منذ اعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ٠

تبلور دور القصر كمؤسسة للحـكم منذ عهـد فؤاد ، واحتـل مكانة بارزة كقوة مؤثرة وفعالة فى السياسة المصرية ، دون أن يتخلى - القصر - فى ذلك عن المفهوم الأوتوقراطى لممارسة سلطاته ٠ ولعل استعراض التغيرات السياسية والتشريعية التى مرت بها البلاد على امتـداد سنى حـكم فؤاد ، قد أكدت على محاولاته للاسـتفادة من تلك التغيرات ليس فى توطيد دعائم العرش باعتباره بنية القصر الأساسية فحسب ، بل وفى تأصيل المضمون الأوتوقراطى لحكمه أيضا ٠

وينبغى الاشـارة الى أن مظاهر خضوع القصر للوصـاية البريطـانية قد أستمرت قائمة ، حتى أن ولاية فؤاد للحـكم فى أكتوبر سنة ١٩١٧ كانت اثر تبليغ بريطـانى ، مما كان يعنى من الناحية العملية أن بريطـانيا قد جعلت من نفسـها مصدرا لولاية العرش ، وقد ظهرت اسـتجابة فؤاد لتلك الوصـاية فيما تضمنه كتابه الى حسين رشدى بصدد تكليفه بتشكيل الوزارة من أنه « قد تولى عرش السلطنة المصرية بالاتفاق مع الدولة الحامية »(١) ٠

حقيقة أن الظروف السياسية السـائدة فى مرحلة ما قبل التصريح لم تكن لتوفر المناخ المناسب لقيام ديكتاتورية القصر أو تعزز جنوحه نحـو

---

(١) فؤاد كرم : الوزارات والنظارات المصرية : القاهرة ١٩٦٩ ، ص ١٩٣ ٠

الحكم المطلق ، فمن جهة كان الاحتلال البريطاني هو مصدر السلطة الأساسية في البلاد ومن جهة أخرى تزايد المد الوطني وبلغ ذراه أثناء ثورة ١٩١٩ فى محاولة الحصول على استقلال البلاد ٠ فى تلك الظروف بدا موقف القصر بالغ الحرج فلم يكن بمقدور فؤاد أن يسفر عن عدائه للقوى الوطنية لئلا يتهدد عرشه ولما تتوطد دعائمه بعد ، وان كان بادى الانحياز الى الجانب البريطانى أملا فى أن يحظى بتأييده ٠

وبالفعل جاءت النتائج متفقة وآمال فؤاد ، فيما كان من اعتراف بريطانيا فى ١٥ ابريل سنة ١٩٢٠ بإبنه فاروق وبأعقابه من الذكور كورثة للعرش(٢) ٠ تلك الخطوة كانت تعكس من جانب آخر حرص بريطانيا على استقرار عرش مصر تحت وصايتها ٠ وعلى الرغم من تعاطف القصر وانحيازه للجانب البريطانى الا أنه ينبغى الاشارة الى أن فؤاد قد أدرك أن خضوعه لأى من الوجود البريطانى أو الحركة الوطنية من شأنه أن يحول بينه وبين غاياته وأهدافه فى الحكم ومن ثم تعين على فؤاد أن يعمل على توطيد دعائم العرش كمقدمة لاستقلاله بالسلطة ، وفى اطار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ اعترفت به بريطانيا ملكا على « مصر المستقلة » واستغل فؤاد تلك السانحة فمن خلال طائفة من التشريعات سعى الى تنظيم ولاية العرش تحسبا لاحتمالات الصراع عليه واخضاع الأسرة العلوية لنفوذه باعتبارها المصدر الرئيسى لتهديد العرش(٣) ٠

---

(٢) أحمد شفيق : حوليات مصر السياسية : الجزء الثالث من التمهيد ، مطبعة شفيق ـ القاهرة ١٩٢٨ ـ ص ١٧٨ ٠

(٣) وبصدد تنظيم ولاية العرش أصدر فؤاد أمرا كريما رقم ٢٥ فى ١٣ ابريل سنة١٩٢٢ حدد فيه نظام ولاية العرش فجعلها لأكبر أبنائه ثم أكبر أبناء ذلك الابن ، وراح بعد ذلك يحدد اجراءات تشكيل هيئة الوصاية والطبقات التى تختار منها ٠ وجعل موافقة البرلمان رهنا لنفاذ ذلك الاختيار ، وتلا ذلك أن أصدر القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٢ بوضع نظام الأسرة المالكة حدد فيه من ينحصر فيهم لقب الامارة ونظام توارث اللقب ٠ وأعطى الملك الحق فى توزيع =

وبعبـارة أخرى فقد أصاب العرش استقرار حقيقى فى ظل التصريح ، مما كان ينبىء عن أن فؤاد كان بصدد اعداد القصر لدور سياسى جديد ٠ وعلى الرغم من أن تقييم تصريح ٢٨ فبراير يخرج عن نطاق تلك الدراسة ، الا أنه يعنينا بالضرورة تحليل النتائج التى ترتبت عليه فيما يتصل بتطور دور القصر وعلاقاته بقوى التأثير السياسى فى مصر وقتذاك٠ فمن هذه النتائج بروز زعامة القصر كقوة سياسية وبخاصة فى مواجهة القوى الوطنية التى كانت تشكل أداة الخطر الحقيقى الذى يهدد كيانه كمؤسسة للحـكم ٠

ومن هذه النتائج أيضا تراجع الدور البريطـانى من خلال محاولة تجنب المواجهة السـافرة مع القوى الوطنية كيما يضطلع القصر بتلك المهمة بعد أن أصبح التدخل البريطـانى قاصرا على المسـائل التى تمس وبشكل جوهرى تصريح ٢٨ فبراير بتحفظاته الأربعة ٠ ومنها أخيرا أنه قد بات مقدرا على القوى الوطنية أن تخوض صراعا من أجل الدسـتور ، الى جانب صراعها من أجل الاستقلال ٠ ذلك أنه بصدور دستور سنة ١٩٢٣ ، قام صراع آخر دستورى الصـبغة فى مواجهة أوتوقراطيـة القصر ٠ ومن ذينك الصراعين ـ الصراع من أجل الدسـتور والصراع من أجل الاسـتقلال ـ تشـكل المجرى الرئيسى للحركة الوطنية فى مواجهة الوجود الإحتلالى والقصر على السـواء ٠

وكان الظن بأن وضع دستور للبلاد سوف يكفل ارساء قواعد الحـكم الديموقراطى ، ويحد بالضرورة من أطماع القصر فى مواجهة القوى الوطنية

= المبلغ المخصص فى ميزانية الحكومة على اعضاء الأسرة المـالكة وكذا تعديل أو قطع تلك المخصصات عن مستحقيها ٠ كما تضمن القانون تشكيل مجلس الوصاية واختصاصاته وصلاحياته٠ انظر المملكة المصرية ، مجموعة الاوامر الملـكية ١٩٢٢ ، امر كريم رقم ٢٥ لسـنة ١٩٢٢ » صادر فى ١٣ ابريل لسنة ١٩٢٢ ٠ كذلك مجموعة القوانين والمراسم الملكية : قانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٢ بوضع نظام الأسرة المالـكة ٠

على نحو تتفرغ معه الأخيرة لتحمل عبء النضال ضد الوجود الاحتلالى · الا أنه من الناحية العملية كانت الفكرة تتعارض تماما مع اتجاهات فؤاد فى الحكم ورغبته فى الاستئثار بمقاليد السلطة · ومن ثم فقد سعى القصر الى محاصرة عملية صياغة الدستور والقائمين عليها ·وكانت وزارة ثروت الأولى قد بادرت عقب توليها مقاليد السلطة الى اتخاذ الاجراءات اللازمة لصياغة الدستور الجديد · وبالفعل تألفت فى ٣ أبريل سنة ١٩٢٢ « لجنة الثلاثين » لوضع مشروع الدستور وقانون الانتخاب · وعلى الرغم من محاولات عبد الخالق ثروت لتوفير الصفة التمثيلية للجنة بأ نتضم ممثلين من طوائف الأمة المختلفة الى جانب عدد من أعضاء الجمعية التشريعية القديمة بأعتبارها لا زالت قائمة قانونا ، اذ لم يكن قد صدر حتى ذلك الوقت مرسوم بحلها ، الا أن ذلك لم يحل دون مقاطعتها من جانب الحزب الوطنى الذى اعتبرها « لجنة حكومية » أما الوفد بزعامة سعد زغلول فقد بدا هجومه عليها أكثر حدة بووصفها « بلجنة الأشقياء » وكان الرأى أن تسند عملية صياغة الدستور الى لجنة تأسيسية منتخبة وليست معينة من قبل الحكومة(٤) ·

ولا شك فى أن غياب العناصر الوطنية بما فيها الوفد بشكل أساسى عن اللجنة لم يفقد عملها المضمون الديموقراطى فحسب ، بل وأغرى القصر على التدخل فى أعمالها ، ولقد كان تأثيره واضحا فبدا اتجاها قويا داخل اللجنة لتركيز السلطات فى يد الملك بدعوى أن ما تضعه اللجنة لا يزيد عن أنه مشروع للدستور يجب أن يوقعه صاحب العرش لامكان تنفيذه فاذا سلب هذا المشروع منه كل سلطة خيف على المشروع نفسه أن يعدل

---

(٤) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٤٧ ـ ص ٦٢ : ٦٣ ·

من أساسه(٥) • ومن جانب آخر سوغت استقالة ثروت للقصر متسعا من الوقت لتعديل مشروع الدستور على نحو يكفل له تركيز مقاليد السلطة فى يده • وبالفعل أدخلت على المشروع بعض التعديلات والتغييرات فى عهد وزارة توفيق نسيم الثانية ، أصبح الدستور بمقتضاها منحة من الملك وليس حقا مقررا للأمة • ولقد تأكد المضمون الأوتوقراطى للدستور فى اطلاقه سلطة الملك فى حل مجلسى البرلمان دون ضوابط ، فضلا عما تقرر للملك من حق اصدار مراسيم لها قوة القانون أثناء انعقاد البرلمان • وهذا كان يعنى أن الملك قد جمع بين السلطتين التنفيذية والتشريعية • ولقد أمتد هذا التعديل لكى يؤصل ولاية الملك على المعاهد الدينية ويؤكد على تبعيتها للعرش • أما عن النصوص الخاصة بالسودان ، فلقد أظهرت الوزارة النسيمية تخاذلا فيها ازاء التهديد البريطانى ، فيما اتصل بتعديل لقب الملك لكى يكون « ملك مصر » فقط وأن يقتصر سريان أحكام الدستور على مصر دون الاخلال بحقوقها فى السودان(٦) •

بهذا المفاد صدر دستور ١٩٢٣ وقد حاد عن جادة النموذج النيابى الصحيح الذى يفترض أن الملك يملك ولا يحكم • فالسلطات التى خولها للجالس على العرش قد جعلته يملك ويحكم فى آن واحد • ورغم تعدد مثالب الدستور الجديد ، فأنه كان خطوة لا بأس بها على طريق اقرار الحقوق الديموقراطية والنيابية فى البلاد فهو وان كان من الناحية الشكلية منحة الا أنه من الناحية الموضوعية كان تعبيرا عن التطورات والتغيرات التى كان يشهدها المجتمع المصرى وقتذاك من تنام للروح الوطنية والوعى السياسى

---

(٥) أنظر محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية : الجزء الأول – القاهرة ١٩٥١ – ص ١٣٦ : ١٣٨ •

(٦) لمزيد من التفاصيل عن تعديلات الدستور ، أنظر عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ص ٩٠ وما بعدها •

وتكوين الأحزاب والرغبة فى المشاركة فى السلطة(٧) ٠

ولعل ممارسة القصر لسلطاته فى اطار تجربة دستور ١٩٢٣ قد أكدت على نزعاته الاستبدادية ورفضه للمفهوم الديموقراطى للحكم : مما أفضى الى صراعات بينه وبين الوفد - حزب الأغلبية - تركزت أساسا حول تصحيح ممارسة الملك لسلطاته الدستورية ٠ ولقد تمكن فؤاد من أن يحسم تلك الصراعات المتجددة لصالحه من خلال انقلابات دستورية ثلاثة أيدته فيها أحزاب الأقلية التى تولت الحكم على أنقاض الدستور ٠ ومما زاد الأمر سوءا ما كان من الغاء دستور سنة ١٩٢٣ واستبداله بآخر سنة ١٩٣٠ كان على الاجمال افتئاتا على حقوق البلاد لصالح حكم القصر(٨) ٠

ومسيرة القصر على هذا النحو لم تكن لتعطى الدلالات على امتهانه لفكرة الحكم الديموقراطى فحسب بل وكانت تحقيقا لأهدافه فى ابعاد القوى الوطنية عن الحكم ٠ يضاف الى ذلك فلقد أصطنع فؤاد لنفسه حزبى الاتحاد والشعب ودفعهما الى معترك الصراع الحزبى ، واقترن توليهما للسلطة بالانقلابات الدستورية اذ وجدا فى أحزاب الأقلية الأخرى عونا لهما فى الحكم باسم القصر ٠ بالاضافة الى ذلك فلقد عمل القصر على اجتذاب التجمعات غير البرلمانية مثل الاخوان ومصر الفتاة ، هذه القوى الناشئة وقتذاك وقد التقت بحكم أيديولوجيتها مع القصر حول العداء لفكرة الحكم الديموقراطى ٠

---

(٧) على الدين هلال : السياسة والحكم فى مصر (العهد البرلمانى ١٩٢٣ - ١٩٥٢) مكتبة نهضة الشرق - القاهرة ١٩٧٧ - ص ١٠٣ ٠

(٨) حدث الانقلاب الدستورى الأول فى العهد الزيورى « ١٩٢٥ - ١٩٢٦ » ، والثانى فى عهد وزارة محمد محمود الأولى « ١٩٢٨ - ١٩٢٩ » ٠ أما الانقلاب الثالث فقد جرى فى عهد وزارة صدقى الأولى عام ١٩٣٠ ٠

أما النفوذ البريطـانى فقد كان يشكل عقبة حقيقية أمام حـكم القصر ، الا أن فؤاد اسـتطاع بحس سـياسى ماهر أن يضع يـده على نقاط التغير والانقلاب فى السياسة البريطـانية فى مواجهة القوى الوطنية كيما يستفيد منها لصالح حـكمه • وعلى الرغم من تعارض ميوله واتجاهاته فى الحـكم مع أطماع دار المندوب السـامي ، الا أن فؤاد أظهر دائما اسـتعداده لاحتواء الخلاف معها ، فذاكرته كانت تعى دائما ما حل بأبيه اسماعيل وابن أخيه عباس حلمى ، كأثر لاصـطدامهما بالوجود الاحتلالى • وبعبارة أخرى فقد ظل للجانب البريطـانى أهميته المحسوبة فى سياسة القصر •

الا أن ذلك التفاهم البريطانى مع القصر لم يحل دون تبنى الأخير لمواقف المعارضـة لأى محاولة لتسـوية القضية الوطنية • ولقد وضـح هذا الموقف جليا من خلال كافة أطوار المفاوضات التى شـهدتها البلاد بـدءا من مفاوضات عدلى ـ كيرون سنة ١٩٢١ وحتى مفاوضات صدقى ـ سيمون التى جرت سنة ١٩٣٢ • هذا الاتجاه من جانب القصر لم يكن موجها بطبيعة الحال الى الجانب البريطـانى ، بقدر ما كان مسـتهدفا القوى الوطنية مما كانت تمليه مصلحة العرش • فقد كان من المحقق أن أية تسـوية قد تلحق بالقضـية الوطنية سوف تؤدى إلى انقلاب ميزان القوى فى غير صالح القصر • ذلك أن أى اتفاق ناجح لن تتوافر له أداة تنفيذه ما لم يوقعه الوفـد ، والاتفاق بهذا المفاد سوف يقوى من شـوكته على حساب القصر ليغدو الوفـد خصـما شـديد المراس تصعب منازلته • وثمة نتيجة أخرى سوف تترتب على هذا الاتفاق تتصل باحتمالات تراجع التأثير البريطـانى فى مواجهة القوى الوطنية ، وهو الذي أمـكنه الحد من فاعليتها الى حـد كبير فى فترات توليها مقـاليد السلطة • وكانت النتائج فى غالبيتها محسوبة لصالح حـكم القصر •

بيد أن اتجاهات القصر نحو معارضـته لأى محاولات لتسوية قضـية

العلاقات المصرية البريطانية لم يقيض لها الاستمرار ، اذ أن غياب فؤاد عن الساحة بوفاته وابرام معاهدة ١٩٣٦ ، قد جعلا من المحتم على القصر أن يعيد تقديراته على ضوء التغيرات التى طرأت على الموقف الداخلى ، ليس بصدد علاقاته بقوى التأثير السياسى فحسب ، بل وعلى ضوء المتغيرات التى أصابت علاقة تلك القوى ببعضها البعض ٠

مجلس الوصاية بين صراعات قوى التأثير السياسى :

لا ريب فى أن التغيرات التى طرأت على أوضاع قوى التأثير السياسى عشية ابرام المعاهدة ، قد أسهمت الى حد كبير فى صياغة أبعاد الصراع بين هذه القوى بغية السيطرة على مجلس الوصاية ، فمن ناحية فقد الوفد كحزب جماهيرى الأداة الرئيسية لحركته السياسية والتى تمثلت فى المطالبة بالاستقلال ، بعد أن جرى حسم مسألة العلاقات المصرية ـ البريطانية بمقتضى المعاهدة ٠ وكان من الطبيعى أن يعمل الوفد على استدامة تأثيره الشعبى والمحافظة على مكانته السياسية على الساحة ، وكان القصر هو أحد السبل الرئيسية للوفد فى هذا المجال ، خاصة وأن التغيرات التى طرأت على القصر قد أغرت الوفد على محاولة الاستيلاء عليه كيما يتجنب مغبة الصدام معه مستقبلا ، ولكى ينفرد بالسلطة دونه من جانب آخر ٠ وبطبيعة الحال كان فرض الهيمنة الوفدية على مجلس الوصاية بمثابة مقدمة للاستيلاء على القصر ٠

هذا الاتجاه من جانب الوفد قد جاء متعارضا مع مقتضيات السياسة البريطانية وحدود تدخلها ، خاصة وأن بريطانيا بدا حرصها واضحا على أن تنتهج خطا توفيقيا بين الاحتفاظ بثقلها السياسى على الساحة المصرية ، وبين الحد من دواعى تدخلها فى الشئون الداخلية لمصر ، وتلك كانت الأزمة الحقيقية للسياسة البريطانية فى مصر بعد ابرام المعاهدة ٠

على هذا النحو بدت مسألة الوصاية على العرش بمثابة أول (اختبار للنوايا البريطانية) فى اطار المعاهدة · حقيقة أن فؤاد كان قد اهتم بمسألة تنظيم الوصاية على العرش فى مستهل حكمه — على نحو ما مر بنا — الا أن المسألة قد تفجرت للمرة الأولى أبان مرض فؤاد فى منتصف عام ١٩٣٤ ، وما ظهر من احتمالات غيابه عن الساحة ، وكان الجانب البريطانى أكثر القوى اهتماما بمستقبل القصر ليس باعتباره طرفا أصيلا فى الصراع فحسب بل وفى أنه كان أداته لاحداث التوازن السياسى فى مواجهة القوى الوطنية على نحو يتفق واتجاهات السياسة البريطانية · ومما ساعد على تزايد اهتمام الجانب البريطانى بمسألة الوصاية أيضا ما ظهر من تفاقم النفوذ الايطالى بالقصر مما جعل دار المندوب السامى تعترض على وجود بعض الموظفين الايطاليين داخل القصر بدعوى أنهم يعملون لحساب دولتهم(٩) ·

كان من الطبيعى أن تكون تلك المخاوف من الجانب البريطانى باعثا له كيما يتعرف على اتجاهات فؤاد لاختيار الأوصياء على العرش ، الا أنه كان يحد من مسعى الجانب البريطانى الظن بتدخله فى شئون البلاد الداخلية خاصة وأن الدستور قد حسم المسألة(١٠) ، مما يتوقع معه أن تتخذ الصحف والقوى المعارضة بالبلاد من المسألة مادة للهجوم على الجانب البريطانى بغرض تأليب الرأى العام(١١) · أما حكومة لندن فقد كان لها رأى آخر

---

(٩) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ، الجزء الثانى — الطبعة الأولى — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٤٩ — ص ١٨٩ ·

(١٠) سبق أن أشرنا الى أن فؤاد قد أصدر الأمر الكريم رقم ٢٥ فى ١٣ ابريل سنة ١٩٢٢ متضمنا اجراءات تشكيل هيئة الوصاية والطبقات التى تختار منها · وقد صدر أيضا دستور سنة١٩٢٣ حيث نصت المادة ٥١ منه على أن لا يتولى الأوصياء على العرش عملهم الا بعد أن يؤدوا لدى مجلس البرلمان اليمين الدستورية مضافا اليها وأن تكون مخلصين للملك · أنظر دستور الدولة المصرية صادر بالمرسوم الملكى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣ ·

(١١) Fo : 407/217 (IV) : No. : 6 : Lampson to simon, Aug, 4, 1934 Tel. No : 705

فى ظل احتمــالات وفاة فؤاد بشكل مفــاجىء وما قد يترتب عــلى ذلك من فتح المجال لمزيد من مناورات حاشــية القصر من المقربين للملك على نحو قد يستغلون معه وفاته لخدمة أغراضهم ، ومن ثم كانت التعليمات لدار المندوب الســامى تقضى بتصعيد مسألة الوصــاية محاولة استقراء ما يدور بفكر الملك فى هذا الشأن(١٢) • نخلص من هذا الى اختلاف دوائر لندن مع المندوب الســامى على ضرورة معرفة نوايا الملك بشأن الأوصــياء على الرغم مما سبق أن أبداه لامبسون من تحفظات • ولقد بدت النوايا البريطــانية واضحة نحو احتمالات الضــغط على الملك لاختيار أوصــياء بعينهم ، وبالفعل وقع اختيار المندوب الســامى على أوصــياء ثلاثة هم الأمير محمد على وتوفيق نســيم والشيخ المراغى • ولقد تعددت دوافع هذا الاختيار فالأول كان يمثل السلالة الحاكمة ، فضلا عن شــعبيته وولائه للانجليز ، أما الثانى فكان يحظى بقبول من الوفــد ويعد من أفضل الشخصيات التى يمكن للمندوب الســامى أن يتعامل معها ، والثالث يحظى بتأييد واسع من الأحرار الدستوريين(١٣) • وعلى هذا النحو ظهر واضحا أن دار المندوب الســامى بهذا الاختيار قد راعت ترضية كافة قوى التأثير الســياسى فضلا عن صالح السياسة البريطــانية نفســها •

بيــد أن دوائر لنــدن راحت تتراجع عن موقفها الســابق على ضــوء التحسن الذى طرأ على صــحة الملك فؤاد وعودته لممارسة مهامه بشكل طبيعى، الا أنها وضعت فى الحســبان اجراء استعراض للقوات البريطــانية للمحافظة على الأمن فى حالة تزايد احتمالات وفاة الملك ، على أن يكون المبرر لذلك هو من قبيل مسـئوليات بريطــانيا بمقتضى التحفظات الأربعة الواردة فى تصريح

---

(١٢) Ibid : No. 8 : vansitart to Peterson, Sept, II, 1934, No. 189

(١٣) Ibid : No. 10 Peterson to simon, Sept, 13, 1934 No. 220

٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢(١٤) • يفهم من هذا أن مسألة الوصاية على العرش ابتعدت بشكل مؤقت عن دائرة اهتمامات السياسة البريطانية دون أن تفقد أهميتها الحيوية •

ولقد اختار الملك فؤاد بالفعل الأوصياء الثلاثة قبل وفاته وهم عدلى يكن وتوفيق نسيم ومحمود فخرى وأودع أسماءهم فى وثيقتين حفظت احداهما فى رئاسة مجلس الوزراء والأخرى فى الديوان الملكى(١٥) ؛ وأثر وفاة فؤاد نودى بفاروق ملكا على البلاد فى ٢٩ ابريل سنة ١٩٣٦ ؛ وتقرر أن تتولى الوزارة السلطات الدستورية لحين نقلها الى مجلس الوصاية •

ومهما يكن من أمر فأنه برحيل فؤاد عن الساحة تفجرت مسألة الوصاية ، وغدا العرش نهبا للمناورات ليس من جانب القوى السياسية فحسب بل ، وشاركت فيها عناصر من السلالة الحاكمة أيضا راودتها آمال اعتلاء العرش • فلقد سعى الخديو عباس حلمى للعودة الى مصر أثر وفاة فؤاد ، وأدركت الخارجية البريطانية أن تلك العودة من شأنها أن تزيد من الموقف الداخلى تعقيدا ، خاصة وأن الأمير محمد على كان يرحب بعودة أخيه ؛ ومن ثم فقد كانت التعليمات للمندوب السامى تقضى باتخاذ موقف قوى فى مواجهة الأمير محمد على أو أى طرف آخر ، وتفويضه لاتخاذ ما يراه مناسبا من اجراءات حال تصاعد المسألة(١٦) • وبالفعل أوضح لامبسون للأمير محمد على معارضته لأى محاولة من جانب الخديو السابق لكى يلعب أى دور

---

(١٤) Ibid : No. 35 : Simon to Peterson, Oct, 17, 1934, No. : 227

(١٥) محمد حسين هيكل : المصدر السابق : ص ٤٠٥ ــ ٤٠٦ •

(١٦) Fo : 407/219 (II) : No : 123 : Eden To Lampsan, July, 15, 1936, No : 544.

فى شـئون مصر الداخلية · وازاء التحذير البريطـانى تراجع الأمير محمد على عن موقفه وأظهر عدم تعاطفه مع اتجاهات الخديو السابق ، وامعانا فى اظهار حسـن النوايا نصـح الأمير محمـد على لامبسـون بأن يوضـح للنحـاس السلطات التى فوضتها له - أى للامبسـون - الحكومة البريطـانية للتصرف فى هذا الشأن(١٧) ·

أما عن النحـاس فلم يكن ليغامر بعلاقاته الطيبة مع الجانب البريطـانى ومن ثم فقد أوضح للامبسـون رفضه وحكومته لأى محاولات للتدخل من جانب الخديو السـابق(١٨) · بيـد أن ذلك لم يكن ليبـدد مخاوف الجانب البريطـانى من موقف النحـاس ·

فلقد جرت اتصالات بالفعل بين النحـاس أثناء وجوده فى «كارلسباد» بألمـانيا والخديو السابق عبـاس حلمى ، وأن الأخير قد لقى من النحـاس تشجيعا لفكرة عودته الى مصر · هذا بدوره كان باعثا على اعتقاد دوائر لندن بأن الخديو لن يتورع حال نجـاحه فى العودة الى مصر ، عن التـآمر ضد الحكومة البريطـانية ، وضد فاروق أيضا · وعلى ضـوء ما ظهر للجانب البريطـانى من حقيقة موقف النحـاس غير المعلن وتشجيعه للخديو السابق ، فقد كانت التعليمات للامبسـون تقضى بمصارحة النحاس بأن عودة الخديو عباس الى مصر لن تكون موضع رضاء الحكومة البريطانية أو تأييدها(١٩) ·

وفى محاولة من جانب النحـاس لتبديد المخاوف البريطـانية ، أبلغ لامبسون بأن مقابلاته مـع الخديو كانت بنـاء على طلب الأخـير لاستشارته

---

(١٧) Ibid : No 124 : Lampson to Eden, Aug, 4, 1936, No 78.

(١٨) Ibid : No 125 : Same to same, Aug, 13, 1936, No 83.

(١٩) Ibid : No. 126 : same to same, Nov., 4, 1936, Tel. No 847

بشأن رعاية مصالحه بمصر(٢٠) ٠

والواقع أن عباسا كانت تراوده بالفعل آمال العودة الى عرش مصر ، وعلى الرغم من أنه ليس هناك ما يوضح فحوى الاتصالات التى جرت بين الخديو عباس حلمى والنحاس أو أهدافها ٠ الا أنه ليس من المستبعد أنها استهدفت الترتيب لعودة الخديو لمصر ، خاصة وأنه فى حالة حدوث هذا ، فأن النحاس يكون قد وضع العرش تحت وصاية الوفد تماما وهو اتجاهه الأصيل فى ذلك الوقت ٠ الا أن هذا الاتجاه بدوره كان يتعارض تماما مع وجهة النظر البريطانية ، فمن جهة كان الخديو السابق قد أقام بالفعل علاقات مع قوى المحور ، ثم أن بريطانيا هى التى تولت عزله عن عرش مصر سنة ١٩١٤ بأعلان الحماية ، ومن ثم فأن عودته الى مصر سوف تنال حتما من مكانة الوجود البريطاني وهيبته بل وتشكل تحديا له يتهدد وجوده ، مما جعل السفير البريطانى يكرر على مسامع النحاس رفض حكومته الحاسم لفكرة عودة الخديو ، فى وقت لم يكن بمقدور النحاس الاقدام على مغامرة غير محسوبة النتائج من شأنها أن تفقده ثقة حلفائه الجدد من الانجليز أو تأييدهم ٠

ولقد وضح عزم بريطانيا على مناوأة عودة الخديو والقضاء على محاولاته فى هذا الصدد ، وتأكد ذلك بالفعل عندما أثيرت احتمالات اجراء مقابلة بين فاروق قبل توليه العرش ، والخديو عباس فى أوروبا ٠ واقترح الأمير محمد على على لامبسون أن يرسل الى أحمد حسنين يطلب منه ألا تتم المقابلة(٢١) ٠ واتفقت حكومة لندن مع ما ذهب اليه الأمير محمد على ، وفوضت لامبسون لاتخاذ ما يراه مناسبا من اجراءات للقضاء على مناورات

---

(٢٠) Ibid : No. : 127 : Same to same, Nov., 9, 1936, Tel., No. 109

(٢١) Fo : 407/221 : No : 8 : Lampson to Halifax, Feb, 20, 1937, 121

الخديو السابق(٢٢) ٠

على الجانب الآخر دار الصراع حول مجلس الوصاية ، فعلى الرغم من أن فؤادا قد حدد أسماء الأوصياء قبل وفاته - على نحو ما مر بنا - الا أنه كانت للسياسة موجبات قد تستبعد هذه الأسماء جميعا ، على حد تعبير هيكل(٢٣) ٠ وبالفعل ظهر اتجاه بين الأحزاب لدعوة برلمان ١٩٣٠ للانعقاد لاختيار الأوصياء(٢٤) ٠ أما المبرر لذلك فكان باعتبار أن هذا البرلمان هو آخر البرلمانات التى انعقدت على أساس دستور ١٩٢٣ وهو الدستور القائم ٠ الا أن الوفد نجح فى ترجيح فكرة انتظار تشكيل البرلمان الجديد الذى كانت انتخاباته تجرى وقتذاك(٢٥) ٠ فى نفس الوقت بادر المندوب السامى بالتحرك لاجراء المشاورات ، وكان ذلك يصدر عن قناعته بضرورة السيطرة على الموقف حتى لا تستأثر الأحزاب بالأمر كله ، وبدأ بالفعل فى مقابلة زعماء الأحزاب منفردين بغرض التعرف على اتجاهاتهم بالنسبة لمسألة الوصاية ، وقد رشح محمد محمود كل من الأمير محمد على ، عزيز عزت ، وأحمد زيور ، الا أنه قرر بأن الوفد قد لا يوافق على الأخير ، كما أنه يتفق مع الوفد على استبعاد توفيق نسيم من الترشيح ٠ أما النحاس وصدقى فقد اتفقا مع المندوب السامى على أن يكون الأمير محمد على على رأس قائمة المرشحين فى نفس الوقت أظهر النحاس قناعته بتوفيق نسيم ليكون ضمن الأوصياء ، خلافا لما ذكره محمد محمود(٢٦) ٠

---

(٢٢) Ibid : No 9 : Eden to Lampson, Feb, 25, 1937, No : 102

(٢٣) محمد حسين هيكل : المصدر السابق : ص ٤٠٧ ٠

(٢٤) Fo : 407/219 (I) : No : 66 : Lampson to Eden, April, 29, 1936, No. 360.

(٢٥) يونان لبيب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية (١٨٧٨ - ١٩٥٣) ، مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام - القاهرة ١٩٧٥ - ص ٣٨٣ ٠

(٢٦) Fo : 407/219 (I) : No. 70, Lampson to Eden, May, 2, 1936, Tel., No. 370.

ولا ريب أن تلك الترشيحات من جانب زعماء البلاد قد أعطت دلالات واضحة على رغبتهم فى أن يتوافر لهم قدر من السيطرة على المجلس . فقد كان من المعلوم أن الأمير محمد على يلقى تأييدا من الجانب البريطانى على ضوء علاقتهما الوطيدة ، ومن ثم فأن وجوده بالمجلس من شأنه أن يحظى بقبول المندوب السامى ، وهذا لم يكن بغائب عن تقديرات الزعماء السياسيين . أما عن ترشيح محمد محمود لأحمد زيور فكان راجعا الى توطد صلاته بالأحرار ابان مشاركتهم الحكم فى عهد وزارة زيور الأولى ، وعلى الرغم من أنه قد جرى اخراجهم من الحكم أثر الأزمة التى آثارها كتاب « الاسلام وأصول الحكم » ، الا أنه كان واضحا أن ذلك قد تم بناء على رغبة القصر دون أن يكون لزيور دور فى الأمر .

ثم أن تعمد محمد محمود الايحاء للامبسون بأن ترشيح توفيق نسيم لن يلقى تأييدا من الوفد ، كان محض مناورة مكشوفة استهدف من ورائها زعيم الأحرار الدستوريين تفويت الفرصة على النحاس فى الاختيار(٢٧) . ومما يجب ذكره أن الصلات بين الوفد وتوفيق نسيم قد توثقت أثناء وزارته الثالثة كأثر لجهوده نحو اعادة العمل بدستور ١٩٢٣ .

وأوضح النحاس للامبسون أنه من المشكوك فيه أن يوافق البرلمان على ترشيح زيور لمواقفه السابقة من البرلمان والدستور(٢٨) .

أما الجانب البريطانى قد ثارت مخاوفه من احتمالات تعيين النحاس ذاته ضمن الأوصياء على العرش ، اذ أنه لن يكون بمقدوره أن يرأس وفد المفاوضات المصرى ، فضلا عما سوف يترتب على ذلك من امكانية تولى أحمد

---

(٢٧) Ibid, No. : 70, same to same, May, 2, 1936, No. 370

(٢٨) Ibid, No. : 77, same to same, May, 5, 1936, No. 388

ماهر أو النقراشي رئاسة وفد المفاوضات مما قد يهدد بقيام أزمة فى لندن كأثر لذلك(٢٩) . والواقع أنه لم تكن هناك ثمة مبررات حقيقية للمخاوف البريطانية ، فمن الناحية العملية كانت هناك عدة اعتبارات تحد من اشتراك النحاس في هيئة الوصاية ، منها أولا أن النحاس قد أكد للامبسون أنه لن يقبل أن يكون ضمن الأوصياء(٣٠) . ومن هذه الاعتبارات أيضا أن وجود النحاس ضمن مجلس الوصاية لن يؤدى الى أحكام قبضته عليه ، خاصة وأن مهمة المجلس ذات صفة مؤقتة تزول بتولى فاروق سلطاته الدستورية ، فضلا عن قناعة النحاس بأن السيطرة على المجلس تأتى من خارجه وليست من داخله . يضاف الى ذلك فأن اشتراك النحاس فى الوصاية على العرش سوف يحول بينه وبين رئاسة الوزارة الوفدية القادمة وهو أمر لم يدرج عليه عرف الوفد ، اذ جرى العمل على أن يرأس زعيم الوفد الوزارة . ومن تلك الاعتبارات أيضا أنه بافتراض اقدام النحاس على المشاركة في مجلس الوصايه ، فأنه لن يكون بمقدوره تولى رئاسة هيئة المفاوضات لما يتوقع من وراء ذلك من اثارة جدل فقهى ، مؤداه أن هيئة الوصاية تقوم مقام الملك فى الحكم ، وبهذا المفاد فهى تملك ولا تحكم ومن ثم لا يكون من حق النحاس أو سائر أعضاء المجلس الاشتراك فى المفاوضات . ومنها أخيرا ما سوف يترتب على ذلك من احتمالات تولى النقراشى أو أحمد ماهر رئاسة هيئة المفاوضات ، مما قد يفتح المجال أمام مطالبة الأحرار بأن تكون لهم الرئاسة ، وهو أمر لم يكن غائبا - فى تقديرى - عن زعامة الوفد تداركه .

على كل حال تمخضت المشاورات عن اختيار الأمير محمد على وعبد العزيز

---

(٢٩) Ibid, No. : 71, Eden to Lampson, May, 2, 1936, No : 227

(٣٠) Ibid, No: 70, Lampson to Eden May, 2, 1936, No 370.

عزت وشريف صبرى - خال فاروق - ليكونوا أوصياء على العرش ، ووافق البرلمان الوفدى على هذا الاختيار وانعقد على هيئة مؤتمر بمجلسيه فى ٨ مايو سنة ١٩٣٦ حيث قام الأوصياء بأداء اليمين الدستورية أمامه(٣١) • الا أن ذلك لم يكن حسما للصراع حول العرش ، فالوفد لم يكن قد تراجع عن نواياه فى الاستيلاء على السلطة داخل القصر • وعلى الجانب الآخر ظلت للقصر أهميته الحيوية فى تقديرات الجانب البريطانى والذى بدا حرصه واضحا على مقاومة اتجاهات الوفد للنيل من مكانة القصر ونفوذه •

ولقد استهدفت السياسة البريطانية احتواء القصر والابقاء عليه قويا تحت وصايتها مما ظهر واضحا عندما أثيرت مسألة « وزارة القصر » • واتخذت تلك السياسة مفهوما عمليا عندما أعلن النحاس فى خطاب العرش بعد تشكيله لوزارته عن اعتزامه انشاء وزارة جديدة باسم « وزارة القصر » ، بمعنى أن تناط الشئون السياسية للقصر بواحد من أعضاء وزارته • وغنى عن البيان ما كان يكفله هذا الوضع من هيمنة للوزارة على القصر ، وفقدان استقلاله التنظيمى بين مؤسسات الدولة ، وباختصار فان الفكرة قد استهدفت منصب رئيس الديوان من خلال تعيين وزير يكون مسئولا عن شئون القصر أمام البرلمان(٣٢) •

سارع لامبسون بالايعاز للأوصياء برفض الفكرة تحسبا للنتائج المتوقعة من ورائها ، ومن جهة أخرى راح يضغط على النحاس - من خلال أمين عثمان - كيما يطرح الفكرة جانبا وكادت تحدث أزمة بين الطرفين ،

---

(٣١) أنظر مضابط مجلس الشيوخ والنواب ، انعقاد فى هيئة مؤتمر لوفاة الملك فؤاد بتاريخ ٨ مايو ١٩٣٦ •

(٣٢) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٠ - ص ٥٥٦ •

مما دعا النحاس الى ارجاء التفكير فيها الى ما بعد الانتهاء من المفاوضات(٣٣) ·
وعلى هذا النحو تراجعت الوزارة النحاسية عن موقفها ازاء الجانب البريطانى واكتفت بأن أستصدرت مرسوما من هيئة الوصاية بتعيين النائب الوفدى عبد الفتاح الطويل وكيل وزارة برلمانى لشئون القصر ، على أن يلتحق برئاسة مجلس الوزراء ويكون له فيما يتعلق بالشئون الادارية بين القصر الملكى والوزارات ما لغيره من وكلاء الوزارات البرلمانيين من اختصاصات(٣٤)· يفهم من هذا أن الجانب البريطانى بوقوفه فى وجه محاولات الوفد لتقوية مكانته على حساب القصر ، كان يضع سياسته موضع التنفيذ ·

وبصدد تلك السياسة أيضا لم يتغافل السفير البريطانى عن احتواء القصر ، فراح يوضح للأوصياء على العرش أبعاد التدخل البريطانى بعد المعاهدة من أنه « لا يمكن أن تكون هناك أية حكومة مصرية تهمل فى الاستماع لمشورتنا ، ثم تأمل فى البقاء طويلا فى الحكم »(٣٥) ·

وبطبيعة الحال لم يكن المغزى من وراء ذلك سوى التلويح باستمرار النفوذ البريطانى ليس على القصر فحسب بل وعلى الوزارة أيضا ، وأن المعاهدة لم تغير بحال من جوهره · كما كان من مقتضيات السياسة البريطانية أيضا تقوية موقف فاروق نفسه فى اطار « النصائح الودية » فيطلب من لامبسون ألا يقدم على أى اجراء قد يجلب عليه النقد ويظهره بعدم الاكتراث واللامبالاة(٣٦) · كما راح يكرر على مسامع على ماهر ما سبق أن أكده على

---

(٣٣) حسن يوسف : مذكرات ، دور القصر فى السياسة المصرية (١٩٢٢ - ١٩٥٢) مطابع الأهرام - القاهرة ١٩٨٢ - ص ٩٠ ·

(٣٤) مضابط مجلس النواب ، دور الانعقاد الأول ، الجلسة السادسة فى ١٩٣٦/٦/٢٢ ·

(٣٥) Fo : 407/219 (II) : No 40, Lampson to Eden, Nov., 6, 1936, No. 108

(٣٦) Ibid : No. 7 : same tosame,Aug, 8, 1936, No. 80

فاروق ، من أنه يتعين على « الملك الشـاب » اتباع الوسائل الدسـتورية عند توليه الحـكم · وبالفعل أظهر على ماهر تفهما لذلك ، الا أنه أبدى تخوفه من تنكب النحـاس وزملائه الطريق الدستورية فى الحـكم(٣٧) ·

أراد على ماهر بذلك أن يهيىء الفرصة للقصر كيما يتحرك ضد الحكومة النحاسـية اذا ما حاولت مستقبلا الافتئات على حقوقه · ومن الناحية العملية فأنه لم يكن بمقدور على ماهر حتى ذلك الوقت القيام بدور ظاهر يجلب عليه عـداء الوفـد وهجومه ، وآثر أن ينفى عن نفسه كل مظنة فى هذا الصدد كيما يبقى منصب رئيس الديوان الملـكى شاغرا ريثما تنتهى فترة الوصـاية ويتولى فاروق سلطاته الدسـتورية · وعلى الرغم من ذلك فقد كان على ماهر وراء تدبير زيارة فاروق لبعض المحافظـات بغية تدعيم شـعبيته قبل توليه السلطة ، ونجحت الخطة بالفعل ، وبدأ اتجاها قويا بين أوساط طلبة المدارس والجامعات للخروج لاستقباله ، عند عودته للعاصمة ، مما أثار قلق الحـكومة ودعا النحـاس الى مراجعة الأمير محمـد على لتدارك الأمر ، الا أن الأخير نعى على الحـكومة تجاهلها لمجلس الوصـاية ، وفشلت بالفعل محاولات الحـكومة لوقف ترتيبات الاستقبال(٣٨) ·

وبالفعـل أثارت الشـعبية التى قوبل بها فاروق عند عودته ، غيرة النحـاس بما كشفت عنه من تأييد البـلاد له قبل أن يتولى عرشه ، وسرعان ما جاء رد الفعل الوفـدى اذ انتزع النحـاس من مجلس الوصـاية الموافقة على منح ٨٥٠ من الرتب والنياشين لمؤيدى الوفـد وأعوانه ، وهذا بدوره كان يغرى آخرين على تأييد الوفـد(٣٩) · وعلى الرغم من ذلك فأنه يمكن

---

(٣٧) Fo : 407/221, No. : 16, Sa me to Same, Mar, 2, 1937, No. 31

(٣٨) Ibid : No. 3 : Same to Same, Dec. 29, 1936, No. 133

(٣٩) Ibid : Same, to same Feb., I, 1937, No. 209

القول بأن مسلك الوفد على هذا النحو لم يكن سوى رد فعل لمناورات القصر . ومن الناحية العملية كانت اعتبارات السياسة البريطانية تحد بدورها من اتجاهات الوفد العدائية للقصر . ثم أن الانقسامات الداخلية التى ظهرت بوادرها داخل الوفد بين جناحى النحاس ومكرم من جانب والنقراشي وأحمد ماهر من جانب آخر ، هذه بدورها قد أثرت بشكل واضح على تماسكه فى مواجهة القصر ، كما ظهرت آثارها واضحة لدى قيام النحاس بتشكيل وزارته الرابعة .

وخلاصة القول فلقد تمكن الجانب البريطانى من حسم الصراعات التى دارت حول مجلس الوصاية ، بغرض تجنيبه عواقب السياسة الوفدية واتجاهاتها . ولم يكن الباعث على ذلك هو تقوية لشوكة القصر على حساب الوفد ، بقدر ما جاء فى اطار تحقيق التوازن بينهما وهو أحد الأهداف الرئيسية للسياسة البريطانية فى مرحلة ما بعد المعاهدة .

التنظيم الداخلى للقصر وأثره على دوره فى الحكم :

سعى فؤاد منذ بداية حكمه الى استكمال بناء الهيكل الداخلى للقصر وتنظيمه لكى يتمكن من ممارسة دوره كطرف أصيل فى الصراع على السلطة . ولقد قيض لهذا التنظيم البيروقراطى الذى كان « رئيس الديوان الملكى » على قمته(٤٠) ، أن يلعب دوره البارز فى تنفيذ سياسة القصر وأدارة الصراع فى مواجهة خصومه السياسيين .

---

(٤٠) وكان رئيس الديوان يختار من بين رؤساء الوزراء أو الوزراء السابقين . وكان يتبع الديوان الملكى ست ادارات هى الادارة العربية والادارة الأفرنجية وادارة الأوسمة وادارة التوقيع وادارة الحسابات والمستخدمين وادارة المحفوظات والالتماسات . الى جانب ذلك فقد كانت هناك ثلاثة دواوين هى ديوان كبير الأمناء وديوان كبير الياوران « الحاشية العسكرية » ، وكذا ديوان الخاصة الملكية والأوقاف الخصوصية ، بالاضافة الى مجلس البلاط - لمزيد من التفاصيل انظر : مجموعة الأوامر الملكية أعوام ١٩٢٢ ، ١٩٢٤ ، ١٩٢٧ ، حسن يوسف ، المصدر السابق ، ص ١٤ - ١٧ ، كريم ثابت ، الملك فؤاد ملك النهضة - القاهرة ١٩٤٤ - ص ١٢٤ وما بعدها .

ولقد استمد منصب رئيس الديوان الملكى اهميته ليس من وجوده على رأس التنظيم الادارى للقصر ، أو من كونه أداة الاتصال التقليدية بين الملك والوزارة فحسب ، بقدر ما كانت أهميته الحقيقية نابعة من الدور الذى لعبه من تعاقبوا عليه ، على نحو خرج به عن طابعه « الادارى » لكى يصبح ذا طابع « سياسى » بحت . على هذا النحو لم يكن الديوان الملكى بمناى عن صراعات قوى التأثير السياسى ، بل وكان محورا لهذه الصراعات فى كثير من الأحيان مما نلمسه فى الأزمة التى أثارها تعيين الملك فؤاد لحسن نشأت وكيلا للديوان الملكى فى عهد وزارة الشعب ، دون الرجوع للوزارة . وثار وقتها جدل فقهى واسع اتصل بمفهوم ممارسة الملك لسلطاته بواسطة وزرائه على مقتضى الدستور ، وهل ينفرد الملك بتعيين كبار موظفى القصر بما فيهم رئيس الديوان الملكى ووكيله ؟ ، واتخذت مسألة تعيين حسن نشأت شكل أزمة حادة بين القصر والوزارة أضطر فؤاد معها الى تعديل الأمر الملكى الخاص بهذا التعيين بعد أن وقع عليه سعد زغلول رئيس الوزراء .

ولقد دخل الجانب البريطانى كطرف ثالث فى مسألة تعيينات القصر ، تارة لاقصاء حسن نشأت وكيل الديوان الملكى بدعوى أن وجوده بالقصر كان يشكل تهديدا للسياسة البريطانية ، وأخرى تدخل ليفرض أحمد زيور رئيسا للديوان عام ١٩٣٤ . على هذا النحو أسهمت الأزمات التى نشبت حول تعيينات الديوان الملكى فى صبغه بصبغة سياسية .

ولقد تأصل المفهوم السياسى لمنصب رئيس الديوان فى عهد فاروق وتزايدت مكانته وأهميته ، ويرجع ذلك الى أن دور رئيس الديوان لم يقف عند حد تنفيذ القرار السياسى للقصر والمشاركة فيه على النحو الحادث فى عهد فؤاد ، بل تعدى حدود المشاركة الى الانفراد بصنع القرار للقصر وتنفيذه . وترجع تلك التغيرات الى اعتبارين أولهما أنه قد تعاقب على ذلك

المنصب شخصيات عرف عنها شدة مراسها وحنكتها السياسية فضلا عن ولائها للعرش · ثانيهما اختلاف شخصية الجالس على العرش · فبقدر ما كان فؤاد سياسيا مقتدرا وذكيا ، كان ابنه فاروق على النقيض تماما · وبعبارة أخرى ففى ظل ضعف فاروق وانعدام خبرته السياسية ، انتقل أمر القرار السياسى تدريجيا وبشكل تلقائى الى الديوان الملكى ·

واذا انتقلنا الى تعريف « الهوية السياسية » للشخصيات التى تعاقبت على منصب رئيس الديوان ، فيمكن القول بأن فريقا منهم قد شارك فى الحركة الوطنية من خلال حزب الوفد عند نشأته ، ثم انفصلوا عنه الى صفوف المستقلين وارتبطوا بالقصر بروابط الولاء مثل على ماهر وحافظ عفيفى وابراهيم عبد الهادى وان كان الأخير زعيما للحزب السعدى ·

أما الفريق الثانى فلم تكن له ثمة انتماءات حزبية ، ولم يشارك فى الحركة الوطنية بأى قدر وكان القصر محور توجهاته مثل أحمد حسنين وحسين سرى ·

عند هذا الحد يتعين أن نستعرض الدور الذى لعبه الديوان الملكى وأثره على سياسة القصر فى عهد فاروق · فلقد استشعرت الوزارة النحاسية الرابعة الخطر الحقيقى للدور الذى كان يلعبه على ماهر بالقصر قبل تعيينه رئيسا للديوان ، وفى مناورة سياسية اقترحت الحكومة تعيين عبد الفتاح الطويل رئيسا للديوان الملكى باعتباره أنه قد سبق توليه منصب الوكيل البرلمانى لشئون القصر · وكان من الطبيعى أن يعترض فاروق على مبدأ تعيين رئيس ديوان « حزبى » على أساس أن وظيفته تقوم على تسوية أى خلافات تنشأ بين القصر والوزارة ، ومن ثم فان ولاء رئيس الديوان سوف يغدو مقسما بين القصر والوزارة · وعاودت الوزارة الكرة بترشيح حافظ عفيفى ، الأمر الذى رفضه الملك بدعوى أنه قد سبق له العيب

فى الذات الملكية ، وأخيرا اقترحت الوزارة تعيين الهلالى أو محمد أمين يوسف ، ألا أن القصر رفض أيضـا كلا من المرشحين(٤١) ٠

وبصدد حسـم الخلاف القائم حول منصب رئيس الديوان ، أصـدر فاروق فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٣٧ مرسـوما بتعيين على ماهر رئيسا للديوان دون الرجوع للوزارة وأرسل على ماهر بدوره كتابا الى مجلس النواب لابلاغه بهـذا التعيين(٤٢) ٠ ومن جهة آخرى آبلغ المـلك النحـاس ـ من خـلال سعيد ذو الفقار كبير الأمناء ـ بقرار تعيين على ماهر قبل اعلانه وبدت فى الأفق نذر أزمة حادة بين الطرفين(٤٣) ٠

ومن الغريب أن الدكتور هيـكل ـ قطب الأحرار الدستوريين ـ أخذ

---

(٤١) محمد التابعى : من أسرار السياسة والسياسيين « مصر ما قبل الثورة » مطابع دار القلم د ٠ ت ، ص ١٥٧ وما بعدها : أنظر كذلك
Vatikiotis, P.J., The Modern History of Egypt, p : 288

(٤٢) ولد على ماهر فى القاهرة عام ١٨٨٣ ، وهو ابن محمد ماهر باشا وكيل وزارة الحربية وأحد أبطال أزمة الحدود الشهيرة التى نشبت فى عهد الخديو عباس حلمى الثانى ٠ وقد حصل على ماهر على الدكتوراة من فرنسا فى القانون واصبح من رجال الصناعة ، ولقد لعب دورا ملموسا فى الوفـد الا أنه انفصل عنه وشارك فى وضع دستور ١٩٢٣ ٠ وقد عينه فؤاد وكيلا لوزارة المعارف ٠ وكان على ماهر يفضل العمل على المسرح السياسى مستقلا ، وعرف عنه العداء للحـكم النيابى وقد أفتى بحل مجلس النواب سنة١٩٢٤ وبامكان حله مرة أخرى بعد ذلك ، ولقد انضم الى حزب الاتحاد عند تأسيسه عام ١٩٢٥ وتقلد عددا من المناصب الوزارية ٠ وبناء على رغبـة فؤاد شغل على ماهر وظيفة رئيس الديوان الملـكى فى أوائل يولية ١٩٣٥ ، الا أنه رفض الالتحاق بالقصر الا بعد ابعاد الابراشى عنه ، وترك منصبه كرئيس للديوان فى يناير سنة ١٩٣٦ لكى يشكل وزارته الأولى فى مايو سنة ١٩٣٦ واستقالت وزارته بعد أن أجرت انتخابات محايدة تولى الوفـد على أثرها مقاليد السلطة ٠ أنظر سيرانيان ، مصر ونضالها من أجل الاستقلال ، ترجمة عاطف عبد الهادى ، أكاديمية العلوم السوفيتية ، معهد الاستشراق ، القاهرة ١٩٨٤ ـ ص ٦٢ ، كذلك محمد شوكت التونى ، أحزاب وزعماء ـ مطبعة الـدار المصرية ، الـقاهرة ١٩٨٠ ـ ص ٣٤ ـ ٣٥ ٠

(٤٣) Fo : 407/221 : (II) No : 23, Kelly to Eden, Aug, 28, 1937, No. 483

يسوق الأسـانيد على أن حق الملك فى تعيين رئيس الديوان هو حق دستورى طبيعى[٤٤] ٠

ورغم ذلك فان مناط الأزمة ـ فى تقديرى ـ لم يكن يتصل بدسـتورية التعيين على نحو ما ذهب اليه الدكتور هيكل ، بقدر ما كان قائما على اعتراض الوفـد على اختيار شخص على ماهر بشكل أساسى ٠

ولقد كان الوفـد محقا فى مخاوفه من هذا التعيين ، ذلك أن الماضى السـياسى لعلى ماهر لم يكن ليشجع الوفـد على تأييده ٠ فعلى الرغم من أن على ماهر أثناء وزارته الأولى قد هيـأ الظروف المناسبة لاجراء انتخابات نظيفة تولى الوفـد الحـكم على أثرها ، الا أن ذلك لم يكن يعـكس بصدق مفهـوم على ماهر أو موقفه من النظم الدسـتورية والحـكم النيابى ، ذلك أن اشتراكه فى الانقلابات الدسـتورية ، فضلا عن سيطرته الواضحة على العرش كانت كلها أمور من شأنها أن تثير مخاوف الوفـد ، وتحمل نذر صدام محقق مع القصر ٠

ولا شـك أن اقدام فاروق على تعيين على ماهر للديوان جاء كرد فعل مباشر للخصومة والخلاف مع الوفـد ، وتبقى الأسباب الموضوعية التى كانت وراء ذلـك التعيين ، فمنها أولا أن الملـك قد أراد أن يؤكد على حقوقه التى انتحلها لنفسـه وتتصل بتعيين موظفى القصر بما فيهم رئيس الديوان دون تدخل الوزارة ، رغم مخالفة ذلك للسوابق الدسـتورية ٠ ثانيا أن على ماهر كان بكل المعايير « رجل القصر » بالنظر الى ماضيه فى خدمة العرش فضلا عن أنه كان يحظى بثقـة فاروق فى قدرته على مقاومة نزعات الوفـد واتجاهه للانفراد بالحـكم[٤٥] ٠ ثالثا أن تعيين على ماهر رئيسا للديوان كان يلقى

---

(٤٤) البلاغ : ١٩٣٧/١٠/٢٥ ٠

(٤٥) محمد التابعى : المصدر السابق ، ص ١٥٢ ٠

تأييد الجانب البريطـانى بما أظهره من استجابة لرغباته ، فضلا عما أبداه من نشاط ملحوظ أثناء وزارته الأولى ، قد حـدا بالسفير البريطـاني الى الاعتقاد بأنه لن تتوافر لديه وسيلة للضغط على القصر سوى على ماهر(٤٦) ٠ ولا يحد من ذلك ضغط السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية على أحمد حسنين لتأجيل اعـلان تعيين على ماهر رئيسـا للديوان قبل الحصـول على موافقة النحـاس ، اذ كان ذلك تحسبا من الجانب البريطـانى لأزمة قد تحدث بين القصر والوزارة كأثر لهذا التعيين(٤٧) ٠

وتصور الوثائق البريطـانية رد الفعل لهذا التعيين على النحـاس بأنه كان « هيستيريا تماما » ودعا النحـاس على الفور الى اجتماع مجلس الوزراء وقرر بأن السـياسة التى تتبع فى هذا الشأن هى رفض التصديق على تعيين على ماهر ، وعرض المسألة على البرلـمان ٠

كما أعتزم أن يتقدم للملك بمطالب أهمها تعيين وزير للقصر مقابل الموافقة على تعيين على ماهر وذلك فى محاولة لاحتواء نفوذه وتجنب المزيد من مـكائد القصر(٤٨) ٠ على هذا النحو بدت الحكومة النحاسية وكأنها تساوم القصر على الثمن لقاء الموافقة على تعيين على ماهر ٠ وغدا واضحا أنها لم تكن لتعول كثيرا على تجاوز الملك سلطاته الدسـتورية فى هذا التعيين ، بقدر ما كان يعنيها احتواء نفوذ على ماهر داخل القصر أو موازنته على أقل تقدير من خلال انشـاء منصب « وزير القصر » الذى اقترحته ٠ وبدا واضـحا أن القصر قد أدرك أبعاد المناورة الوفدية ، ومن ثم فقد سـار فى طريقه لا ينوى

---

(٤٦) محمد جمال الدين المسدى وآخرون ، مصر والحرب العالمية الثانية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ١٩٧٨ ص ١١١ - ١١٢ ٠

(٤٧) Fo : 407/221/No. 40 : Kelly to Eden, Oct., 20, 1937, No. 580

(٤٨) Ibid : No. 41 : same to same, Oct, 22, 1937, No. 583

على شيء من مطالب الوفـد خاصة أن هيئة المستشارين الملكية قد أفتت بحق الملك فى تعيين موظفى القصر دون تدخل من الحكومة(٤٩) .

على الجانب الآخر راح على ماهر يسعى لاحتواء الأزمة الناتجة عن تعيينه، فيعمد الى ترتيب مقابلة للملك مع النحـاس يوم ٢٦ أكتوبر ، حيث أكد له الملك أن تعيين على ماهر لم يكن اجراء موجها للوفـد ، وأنه - أى الملك - وعلى ماهر سوف يظلان دائما فوق الأحزاب وسوف يتعاونان مع الحـكومة كما طلب على ماهر من أمين عثمان أن يبذل جهوده للتقريب بينه وبين السفير البريطـانى قاصدا بذلك تدعيم الثقة بينهما(٥٠) . وبطبيعة الحال لم يكن على ماهر مخلصـا فى نواياه بصدد احداث التقارب بين الملك والنحاس بوجه خاص ، ولسوف نرى كيف أسـهم على ماهر فى افسـاد العلاقة بين القصر والوفـد وسعى للوقيعة بينهما ، فكانت اقالة الوزارة النحاسـية الرابعة هى أول عمل سـياسى له بعد توليه رئاسة الديوان .

أما عن جوهر سـياسة على ماهر ، فقد كان واضـحا منها أنه يعمد لتقوية سـلطة القصر ليحـكم هو بأسمه وكان يبرر هذا السعى للوصول الى الحـكم ، بأن له برنامجا محددا يريد أن ينفذه(٥١) . وظهر هذا الاتجاه من جانب رئيس الديوان فى سـياسته نحو حـكومة محمد محمود أيضا التى تولت الحـكم عقب أقالة الوزارة النحاسـية .

فعلى الرغم من أن الوزارة كانت موضع تأييد الجانب البريطـانى ،

---

(٤٩) أمين سعيد : تاريخ مصر السياسى (من الحملة سنة ١٧٩٨ الى انهيار الملـكية سنة ١٩٥٢) مطبعة عيسى البابى - القاهرة ١٩٥٩ - ص ٢٥١ ، أنظر كذلك أحمد توفيق ، فاروق الأول ، الجزء الأول ، ص ٨٠ - ٨٢ .

(٥٠) Fo : 407/221 : No. 40 : Kelly to Eden, Oct., 20, 1937, tel, No. 580.

(٥١) فاطمة اليوسف : ذكريات ، الطبعة الثانية : دار روز اليوسف - ص ٢٠٩ .

الا أن علي ماهر نجح الى حد بعيد في أن يتدخل في شئونها ويحد من رغبات محمد محمود في أن ينفرد الأحرار بالحكم دون أحزاب الأقلية الأخرى قاصدا بذلك أن يلمح لكافة قوى التأثير السياسي بنفوذه على القصر والوزارة على السواء ، وعلى الاجمال فلقد تمكن علي ماهر من اضعاف حكومة محمد محمود بدرجة كافية ، هيأت للقصر الاطاحة بها خارج الحكم ودفعها للاستقالة في ١٢ أغسطس سنة ١٩٣٩ ٠

أما عن العلاقة مع الجانب البريطاني ، فكانت الركيزة الأساسية في سياسة القصر التي صاغ علي ماهر أطارها ، ولم يكن بدوره ليتغافل عن اكتساب ثقة الجانب البريطاني من خلال اقتناعه بالجهود التي يبذلها لكي يجعل الملك يحكم من خلال الطريق الدستوري ، ولقد نجح علي ماهر في هذا الى حد بعيد ٠

وقد يبدو أن انتقال علي ماهر من رئاسة الديوان الى رئاسة الوزارة التي ألفها في أغسطس سنة ١٩٣٩ ، كان بمثابة تتويج لجهوده السياسية ومكافأة له من القصر ، الا أنه في الحقيقة كان دلالة واضحة على تراجع اثرته وتأثيره على الملك ٠ ولا يحد ذلك من أهمية الدور البارز الذي لعبه علي ماهر في توجيه سياسة القصر ، فلقد نجح في أدارة دفة الصراع بمهارة سياسية محسوبة لصالح القصر ولصالحه أيضا ، على نحو ذهب معه البعض الى القول بأن التاريخ السياسي للبلاد خلال الفترة ما بين عامي ١٩٣٦ ، ١٩٤٠ كان جزءا لا يتجزأ من نشاط علي ماهر « رجل مصر القوى »(٥٢) ٠

ومع تسليمنا باهمية الدور الذي لعبه علي ماهر خاصة أثناء رئاسة الديوان الملكي ، الا أنه لا يعد من قبيل المبالغة القول بأن ذلك الدور لم يكن

---

(٥٢) سيرانيان : المصدر السابق ص ٦٢ ٠

سوى جزء من مخطط أحمد حسنين الذى خلفه فى رئاسة الديوان(٥٣) . ويذهب محمد التابعى الى أن أحمد حسنين كان وراء ترشيح على ماهر لرئاسة الديوان لكى يكشفه أمام الملك ، خاصة وأن الملك لم تكن له حتى ذلك الوقت ثقة كبيرة بأحمد حسنين كسياسى مناور(٥٤) . يضاف الى ذلك أنه لم تكن من مصلحة الأخير تولى منصب رئيس الديوان فى وقت يبدا فيه الصدام حتما بين الوفد والقصر ، ومن ثم كان من المتعين على رئيس الديوان – بغض النظر عن شخصه – أن يساق أو ينساق الى هذا الصدام . ثم أن وجود الوفد فى الحكم كان اشارة كافية لاحتمالات تزايد هذا الصدام حدة فى أولى جولاته . ولا ريب فى أن تلك الاعتبارات قد جعلت أحمد حسنين يفسح المجال لعلى ماهر لكى يتولى رئاسة الديوان كخطوة أساسية للقضاء عليه .

على كل حال فقد تم تعيين أحمد حسنين رئيسا للديوان فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٤٠ بعد أن ظل هذا المنصب شاغرا منذ أن تركه على ماهر الى رئاسة الوزارة حتى استقال منها فى ٢٣ يونية سنة ١٩٤٠ . ويبدو أن على ماهر قد أراد أن يترك منصبه فى الديوان شاغرا لكى يعود اليه اذا اضطرته

---

(٥٣) ولد أحمد حسنين فى ٣١ أكتوبر سنة ١٨٨٩ وتلقى علومه فى المدرسة الخديوية ثم التحق بجامعة أكسفورد وتخرج منها فى عام ١٩١٤ ، وعين سكرتيرا خاصا للجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية فى مصر أثناء الحرب العالمية الأولى ، ثم عمل بعد ذلك مفتشا فى الداخلية . وفى عام ١٩٢٢ عين سكرتير أول مفوض فى واشنطن ، وفى عام ١٩٢٥ عين أمين ثان للملك فؤاد ولبث فى هذا المنصب خمسة عشر سنة الى أن تولى رئاسة الديوان الملكى فى عام ١٩٤٠ . ولقد اختاره الملك فؤاد ليكون رائدا للأمير فاروق « ولى العهد عندما أرسله الى انجلترا لتلقى علومه هناك . أنظر محمد أنيس ، صفحات مجهولة من تاريخ مصر « سنوات الصراع بين عباس وفؤاد » كتاب روز اليوسف العدد الثانى القاهرة ١٩٧٣ ص ١٧٤ ، جريدة الدستور ١٩٤٠/٧/٢٣ وانظر كذلك :

Fo : 407/221 : Enc in No. 25, Leading Pessonalities in Egypt, April, 16, 1937.

(٥٤) محمد التابعى : المصدر السابق ص ١٥٢ – ١٥٣ .

الظروف لترك منصب الوزارة ، بيد أن آماله ما لبثت أن تهاوت ازاء معارضة السفير البريطـانى لفكرة عودته الى القصر ، دون انكار لذلك الدور الذى لعبه أحمـد حسنين فى اذكاء الخصومة بين على ماهر ـ رئيس الديوان والسفير البريطانى ، أملا فى اكتسـاب ثقة الجانب البريطـانى وتأييده(٥٥) ٠ يضاف الى ذلك فأن تعيين أحمـد حسنين فى منصبه بالقصر ، كان من أبرز الدلالات على أن القصر قد خرج من دائرة نفوذ على ماهر أو أن القصر قد أخرجه من حساباته(٥٦) ٠

كانت الظروف السـياسية السائدة وقتذاك جد مواتية لأحمـد حسنين لكى يخطو خطوته التالية نحو الديوان فالجانب البريطـانى قد ثارت مخاوفه من تزايد الاتجاهات العدائية لبريطانيا ، فضلا عن تزايد دعاية المحور كأثر لنشاط العناصر الموالية له داخل القصر وتجاوب فاروق معها(٥٧) ٠ ومما زاد مخاوف لامبسـون أيضا احتمالات عودة التحالف بين الملك وعلى ماهر مما كان ينذر بمزيد من تدهور العلاقة مع القصر(٥٨) ٠ ومن ناحية أخرى لم يكن بمقـدور السفير البريطـانى أن يمـارس الضـغوط على الملـك من خـلال حسن صبرى رئيس الوزراء الذى كان بدوره يعانى الكثير من المصاعب بصدد علاقته بالملك أيضا(٥٩) ٠ وبايعاز من لامبسون طلب حسن صبرى من الملك ـ من خلال أحمـد حسنين ـ اقصاء عبد الوهاب طلعت وكيل الديوان الملكى

---

(٥٥) Fo : 407 : 219 (II) : No. 45 : Lampson to Eden, Nov. 14, 1936, No. 118

(٥٦) محمد زكى عبد القادر : محنة الدستور (١٩٢٣ ـ ١٩٥٢) ، الطبعة الثانية ، مكتبة مدبولى ـ القاهرة ١٩٧٣ ص ١٢٠ ـ ١٢٢ ٠

(٥٧) Fo : 407/224 : No. 86 : Lampson to Halifax, July, 9, 1940. No. 689

(٥٨) Ibid : No. 88 : same to same, July, 19, 1940, No. 758

(٥٩) Ibid : No. 87 ; same to same July, 17, 1940, No. 745.

وتعيين حلمى عيسى أو أحمد حسنين رئيسا للديوان(٦٠) مما كان يحمل ضمنا رضاء الجانب البريطانى على حسنين • وينبغى الاشارة الى أنه على الرغم من أن موقف الخارجية البريطانية جاء متفقا مع اتجاهات لامبسون بصدد خطواته للتخلص من بقايا نفوذ على ماهر والعناصر الموالية له بالقصر الا أنها اختلفت مع لامبسون فى أسلوب التعامل مع القصر ، اذ كانت تبغى المزيد من التشدد فى التعامل مع القصر ، خاصة فى مثل تلك الأمور الحيوية(٦١) •

على هذا النحو كان الاطار العام للسياسة البريطانية بصدد التخلص من نفوذ على ماهر ورجاله بالقصر ، يخدم وبشكل مباشر موقف أحمد حسنين اذ ما تولى رئاسة الديوان الملكى • أما عن موقف القوى السياسية من ترشيح أحمد حسنين ، فينبغى الاشارة الى أن الأمر كان موضع تأييد الجانب البريطانى - على نحو ما مر بنا - يضاف الى ذلك ما كان من صلات وثيقة بين حسن صبرى رئيس الوزراء وأحمد حسنين ، حيث لعب الأخير دورا بارزا فى اقناع الملك والانجليز على السواء بكفاءة حسن صبرى وصلاحيته لتولى الوزارة(٦٢) •

أما عن الأحزاب السياسية ، فلقد حظى ترشيح أحمد حسنين لرئاسة الديوان بتأييد كل من الأحرار الدستوريين والحزب الوطنى ، فضلا عن السعديين رغم صلاتهم بعلى ماهر • أما الوفد فقد أبدى تحفظا على الترشيح دون أن يمتد ذلك الى حد المعارضة على نحو ما حدث مع على ماهر(٦٣) • على هذا النحو تولى حسنين رئاسة الديوان الملكى فى ظل موافقة غالبية قوى التأثير السياسى •

---

(٦٠) Ibid : No. 96 : same to same, July, 21, 1940, No. 771.
(٦١) Ibid : No. 92 : same to same, July, 21, 1940, No. 666
(٦٢) محمد التابعى : المصدر السابق ص ١٨٦ - ١٨٧ •
(٦٣) المصور ، ١٩٤٠/٨/٩ •

ولقد اتبع أحمد حسنين فى ذلك الوقت سياسة ظهر فى جانبها الأول اقتناعه بأن دوره السياسى يكون من داخل القصر وليس من خارجه . تأيد ذلك بما كان من رفضه لتولى الوزارة بعد وفاة حسن صبرى عندما عرضها عليه فاروق - بايعاز من على ماهر - وكان ذلك انما يصدر عن قناعة أحمد حسنين بأن توليه الوزارة سوف يكون خاتمة نشاطه السياسى . أما الجانب الثانى لهذه السياسة فقد ظهر من تبنيه لفكرة التمهيد لعودة الوفد الى الحكم - خلافا لاتجاهات على ماهر - باعتباره صاحب الأغلبية الحقيقية مع وجود معارضة صالحة تحد من طغيان الأغلبية - على حد تعبير التابعى - دون أن يكون فى ذلك افتئاتا على حقوق العرش وسلطاته(٦٤) . هذا الاتجاه من جانب أحمد حسنين لم يكن فى الواقع ينبىء عن ثمة تغير جوهرى للمضمون الأوتوقراطى لممارسات القصر فى السلطة بقدر ما كان تجنبا لمغبة الصدام مع الوفد ، باعتبار أن المعارضة القوية سوف تكون عاملا أساسيا لتقليم أظافره لصالح القصر . وبعبارة أخرى فقد استهدف أحمد حسنين اضفاء الشرعية الدستورية على حكم القصر الأوتوقراطى .

وبالفعل سعى رئيس الديوان للتوفيق بين القصر والوفد واصلاح العلاقة بينهما ، ونجح فى ذلك الى حد بعيد(٦٥) . ومن ناحية أخرى لم يتغافل عن علاقته بالسفير البريطانى مما يفسر حرصه على استشارته بصدد تعيين حسين سرى رئيسا للوزراء خلفا لحسن صبرى ، وذلك من خلال سلسلة الاتصالات التى تمت بين أحمد حسنين ولامبسون على نحو ما أشارت اليه الوثائق البريطانية فى غير موضع . وبدا أن تولى حسين سرى لرئاسة الوزارة كان بمثابة تتويج للجهود التى بذلها أحمد حسنين لاحداث التقارب.

---

(٦٤) محمد التابعى : المصدر السابق ص ١٩٢ ، ١٩٦ .

(٦٥) المصدر السابق ص ١٩٨ .

بين القصر والانجليز(٦٦) ٠

وعلى الرغم من النقد المرير الذى تعرضت له سياسة أحمد حسنين ، على نحو جعله موضع اتهام البعض ، بأن سياسته هذه قد افضت الى التدخل البريطانى ضد القصر فيما عرف بحادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ لفرض الحكم الوفدى(٦٧) ، بيد أن هذا الاتجاه بدوره لا يخلو من أوجه عديدة للنقد ٠ ذلك أن تولى الوفد للحكم والتقارب مع الانجليز كان هو الاطار الذى تحرك فيه أحمد حسنين منذ توليه منصب رئيس الديوان وحتى أوائل عام ١٩٤٢ ٠ وكان مفهوما أن يكون تولى الوفد مقاليد السلطة بارادة القصر وبتفاهم مع الانجليز ٠ والتدخل البريطانى الحادث فى ٤ فبراير ضد القصر لم يكن راجعا لسياسة أحمد حسنين ، بقدر ما كان راجعا الى اعتبارات موضوعية يتعين الاشارة اليها وتتصل بالقصر ، فمنها ما كان من أمر صلات فاروق بقوى المحور حتى قبل تولى أحمد حسنين منصبه ، وهذه الصلات كانت عملا انعكاسا مباشرا لعداء فاروق للوجود البريطانى ٠ ومنها أيضا ما كان راجعا الى وجود عناصر ايطالية بالقصر مؤيدة للمحور وثيقة الصلة بفاروق ٠ ومنها أخيرا أن القصر لم يكن حتى ذلك الوقت قد تخلص من بقايا نفوذ على ماهر ورجاله بميولهم المحورية وعدائهم للانجليز ٠

كان من الواضح أن تلك الأوضاع قد ترسخت بالقصر ، وكانت بدورها خارج نطاق سيطرة أحمد حسنين ونفوذه ، رغم أنها كانت تحمل تأثيرا معاكسا لاتجاهاته وجوهر سياسته التى توفر على تنفيذها على نحو ما أشرنا اليه ، الا أن عجز رئيس الديوان عن احتوائها أو السيطرة عليها

(٦٦) Fo : 407/224 : No/155 : Lampson to Halifax, Nov. 15, 1940 : Nos 1526, 1530

(٦٧) فاطمة اليوسف : المصدر السابق ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ٠

قد جعل القصر فى التحليل الأخير مجالا حيويا للدعاية المحورية والاتجاهات المعادية لبريطانيا على نحو سوغ لها التدخل ضد القصر فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢(٦٨) ٠

والواقع أن حادث ٤ فبراير قد أحدث انقلابا حادا فى فكر واتجاهات أحمد حسنين خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين القصر من جانب والوفد والانجليز من جانب آخر ٠

ولسوف نرى كيف تخلى أحمد حسنين عن فكرة تأييد حكم الوفد ، بل وتحول الى السعى لاسقاطه مما تمخض عنه اقالة الوزارة النحاسية فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ ٠ الا أن الأمر كان جد مختلفا بالنسبة للجانب البريطانى فعلى الرغم من نجاح مساعى فاروق وأحمد حسنين فى ابعاد السفير البريطانى لورد كيللرن « مايلز لامبسون » عن مصر فى ٩ مارس سنة ١٩٤٦(٦٩) ٠ الا أن ذلك لم يكن يؤثر بحال على علاقة القصر بالجانب البريطانى والسعى للتقارب معه بعد الحادث(٧٠) ٠

كان من أثر ذلك أن سمح حسنين لبعض العناصر المتمصرة والمعروفة بصلاتها الوثيقة بالانجليز ، بأن تتوغل داخل القصر وتقترب من الملك ٠ ولقد أراد حسنين أن يستخدم تلك العناصر لحسابه لملء الفراغ الناجم عن رحيل رجال على ماهر بنفوذهم عن القصر ، فضلا عن استخدامهم كعامل معادل للنفوذ الذى تمتعت به العناصر الايطالية على الملك والذى لم يكن حسنين قد تمكن

---

(٦٨) لمزيد من التفاصيل عن توجهات القصر المحورية ، أنظر الفصل الخامس : الصدام بين القصر والانجليز ٠

(٦٩) The Killearn Diaries, p : 390

(٧٠) Fo : 371/35529, No : 9 : Weekly Political and Economic Report, Feb. 5, 1943

من القضاء عليه تماما حتى ذلك الوقت ٠

ولا ريب فى أن حسنين قد ارتكب خطأ فادحا باقدامه على تلك الخطوة. فعلى الرغم من أن تلك العناصر المتمصرة ، قد ساعدت على تدعيم جسور التفاهم مع الجانب البريطانى ، وهو اتجاه حسنين الأصيل ، الا أنها من جانب آخر سعت للسيطرة على الملك واستفحل نفوذها بشكل واضح خاصة بعد وفاة أحمد حسنين(٧١) ٠ ويؤرخ غياب أحمد حسنين تراجعا لدور « الديوان الملكى » بعد أن كان المعقل الرئيسى الذى خاض منه القصر — كمؤسسة سياسية — صراعاته ضد خصومه السياسيين ، اذ تعاقب على رئاسة الديوان شخصيات افتقرت الى المهارة السياسية على نحو ما توافر لعلى ماهر وأحمد حسنين(٧٢) ٠

كان من الطبيعى أن تسعى الحاشية — بما فيها تلك العناصر المتمصرة — لاستلاب ميراث السلطة بالقصر مستغلة فى ذلك صلاتها الوثيقة بالملك ٠ وكانت أولى الدلالات على ذلك أن استحدثت على تنظيم القصر وظيفتان من الوظائف الدخيلة هما وظيفة المستشار الصحفى لديوان الملك والتى شغلها كريم ثابت فى مايو سنة ١٩٤٦ ، ووظيفة المستشار الاقتصادى للخاصة الملكية والتى شغلها الياس أندراوس فى صيف سنة ١٩٥٠ دون أن يكون لهما اختصاصات محددة(٧٣) ٠

---

(٧١) توفى أحمد حسنين يوم ١٩ فبراير سنة ١٩٤٦ اثر حادث تصادم مع احدى شاحنات الجيش الانجليزى على كوبرى قصر النيل ٠ أنظر محمد التابعى ، المصدر السابق ص ٣٣٢ — ٣٣٣ ٠

(٧٢) تولى ابراهيم عبد الهادى منصب رئيس الديوان (فبراير ١٩٤٧ — ديسمبر ١٩٤٨) ، حسين سرى (يناير ١٩٥٠ — ابريل ١٩٥٠) ، ثم حافظ عفيفى (ديسمبر ١٩٥١ — يولية ١٩٥٢) ٠

(٧٣) وكان كريم ثابت محررا بجريدة المقطم « لسان حال المندوب السامى البريطانى » أما الياس اندراوس فقد بدأ حياته سكرتيرا للمستر كين بويد وكان محسوبا كعميل للانجليز =

ومن الناحية العملية انتقلت مقاليد السلطة فى القصر الى الحاشية وصارت المرجع الرئيسى فى التعيينات ، فكانت كافة ترشيحات الوظائف الهامة تعرض على القصر(٧٤) . واستفحل نفوذ الحاشية بحكم صلاتها بالملك، حتى أن كريم ثابت قد أصبح مقصدا للوزراء اقتناعا منهم بأن صلاته بالملك تكفل لهم رضاء الملك عليهم . ولقد تمكن كريم ثابت بالفعل من تحقيق ثروة طائلة حصل عليها من اليهود الذين جرى اعتقالهم أو وضعت أموالهم تحت الحراسة فى عهد وزارة ابراهيم عبد الهادى ، وذلك مقابل الافراج عنهم أو رفع الحراسة عن أموالهم . يضاف الى ذلك فقد كانت قرارات الحكومة لا تبلغ الى الملك الا من خلال وسطاء القصر أمثال أندراوس وثابت وأدمون جهلان بالاضافة الى بعض خدم الملك(٧٥) . وأكثر من ذلك يعترف كريم ثابت فى مذكراته بأن رئيس الديوان لم يكن فى كثير من الأحيان يستطيع مقابلة الملك الذى طلب منه أن يكون هو — أى كريم ثابت — وسيلة الاتصال مع ابراهيم عبد الهادى رئيس الديوان(٧٦) . ولقد وصل الأمر أن المذكرات عند اعادتها من عند الملك كانت تحمل تأشيراته بخط خلصائه من رجال الحاشية ، ولسوف نرى كيف اقترن اسم فاروق وحاشيته بالعديد من الفضائح المالية مما كان عاملا حيويا للقضاء على سمعة القصر

= فى القصر . الى جانب ذلك فقد كان هناك فريقا آخر من الحاشية المقربة للملك أيضا مثل محمد حسن « الشماشرجى » ، فاروق عبد العزيز « رئيس الخدم » وحلمى حسين «السائق» وقد شغل الأخير وظيفة مدير الجراجات الملكية ومنحه فاروق رتبة « القائمقام » . انظر احمد بهاء الدين . فاروق ملكا — القاهرة ١٩٥٢ ص ٥١ وما بعدها ، جلال الحمامصى ، معركة نزاهة الحكم » ٤ فبراير — يولية ١٩٥٢ ص ١٠٤ — ١٠٥ ، حسن يوسف ، مذكرات ص ١٧ انظر كذلك :
Vatikiotis, P. J. : the Egyptian Army in Politics, p. 34.

(٧٤) كريم ثابت : مذكرات جريدة الجمهورية ١٩٥٥/٦/١٣ .

(٧٥) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٣ ، دار المعارف — القاهرة ١٩٧٧ ص ٣٠٩ ، انظر كذلك : جورج فوشييه ، جمال عبد الناصر وصحبه ، الجزء الأول ، دار المعارف — القاهرة ١٩٦٠ ص ٢٨٢ .

(٧٦) مذكرات كريم ثابت : الجمهورية ١٩٥٥/٦/١٨ .

ونفوذه(٧٧) ·

ومن الغريب أن الملك راح يعضد مسيرته الأوتوقراطية فى الحكم من خلال تبنى فكرة تنظيم « قوة خاصة مسلحة » تكون تابعة له · ولا شك فى أن تلك التنظيمات التى أنشأها الملك سواء « البوليس الخاص » أو « الحرس الحديدى » قد تباينت فى طابعها السرى أو العلنى ، كما تباينت فى طبيعة نشاطها وأهدافها ، الا أنه يمكن القول بأن كليهما كان يمثل انعكاسا مرحليا لتوجهات القصر وسياسته ·

وفيما يتعلق بنشأة « البوليس الخاص » فقد جاءت فى وقت تزايدت فيه الدعاية المحورية بالبلاد وغدت اتجاهات القصر المحورية ظاهرة ، مما دعا فاروق الى انشاء قوة خاصة يضمن ولاءها ومساعدتها تكون تابعة له بشكل مباشر وتتولى حمايته ، دون أن تكون تابعة للجيش أو البوليس · وكانت وجهة نظر فاروق هى امكان استخدام « البوليس الخاص » كعامل معادل لنشاط البوليس السياسى(٧٨) · وبالفعل عهد الملك الى على ماهر — أثناء وزارته الثانية — بانشاء قوة « البوليس الخاص » بقيادة محمد طاهر باشا ويساعده النبيل سليمان داوود كقائد ثان وابراهيم شاهين المحامى مستشارا قضائيا وعمر راتب مفتشا للقوة · وقد بلغ عدد المتطوعين بها ٩٠٠ متطوع تم تقسيمهم الى أربع فرق ميكانيكية جيدة التسليح تحتوى على

---

(٧٧) المصدر السابق : ١٦/٦/١٩٥٥ ·

(٧٨) كان البوليس السياسى التابع لوزارة الداخلية خاضعا لهيمنة الانجليز · وازاء تزايد الدعاية المحورية فى البلاد ، تكونت لجنة مشتركة من وكيل وزارة الداخلية لشئون الأمن العام ورئيس القلم المخصوص ومثل الجانب البريطانى فيها مدير المخابرات والمستشار الشرقى للسفارة البريطانية ومندوب قيادة الحلفاء· وانيط بهذه اللجنة بحث نشاط المحور والعناصر الموالية له فى القصر · انظر جمال سليم ، البوليس السياسى يحكم مصر — القاهرة للثقافة العربية ١٩٧٥ ص ١٥٨ ·

٦٠ سيارة ، وقد تولى قيادة تلك الفرق النبيل عمرو ابراهيم ومحمد عزت وحسين فريد ووحيد يسرى • ومن الملاحظ أن عناصر القيادة كانت فى جملتها ذات ميول محورية ، ثم أن انتسابها فى غالبيتها للعائلة المالكة كان ضمانا لولائها للقصر • أما عن الحجة الظاهرة لانشاء « البوليس الخاص » فكانت مساعدة رجال البوليس النظامى أثناء حالات الطوارىء • وفى المقابل عمد الجانب البريطانى الى تكوين قوة مماثلة من الانجليز والمالطيين مهمتها مساعدة البوليس النظامى ألا أنه كان من الواضح أن هدفها الأصيل هو شل حركة البوليس الخاص فى الوقت المناسب • ويتضح الجانب العلنى لنشاط قوة البوليس الخاص فيما طلبه محمد باشا طاهر — قائد القوة — من التصريح لها بحمل السيف فى الحفلات الرسمية والمناسبات العامة ، وأن يكون لها علم خاص بها • وفيما يتعلق بميزانية تلك القوة ، فقد كانت مخصصاتها تدخل فى اطار ميزانية القصر(٧٩) •

والحقيقة أن وجود تلك القوة بتسليحها فى يد الملك كان من شأنه أن يثير مخاوف الحكومة النحاسية الخامسة • وبصدد تقليم أظافر القصر طلب النحاس من الملك الموافقة على حل « البوليس الخاص » الذى يقوده محمد طاهر • وألمح للملك بأن حسم المسألة يدخل فى اختصاص الوزارة الا أنه يترك للملك أمر معالجتها بالنظر الى الصلات العائلية التى تربطه بقيادات « البوليس الخاص » • وعلى الرغم من أن النحاس قد أوضح أن استبقاء تلك القوة لن يكون موضع رضاء الانجليز الذين سوف يعتبرونها مثل القمصان الزرقاء • الا أن فاروق رفض تماما فكرة حل البوليس

---

(٧٩) جمال سليم : قراءة جديدة لحادث ٤ فبراير ، دار الشعب — القاهرة ١٩٧٥ ص ٢ — ٢٨ •

انظر كذلك :

Vatikiotis P.J. Modern History of Egypt, p. 345

الخاص(٨٠) ·

ولا ريب فى أن النحـاس كان يعبر فى ذلك الوقت عن مخاوفه الخاصة من امكان اسـتخدام القصر لتلك القوة فى مواجهته · وطبقـا لانطبـاعات النحـاس عن المقابلة فأن الملك كان يتحين الفرصة لاثارة المتاعب فى وجه الحـكومة · وينبغى الاشارة الى أن النحـاس لم يكن راغبا فى تصعيد المسألة مع الملك وقتذاك ، اذ كان بصدد مسـاومته على منح رتبة « الباشوية » لبعض أعضاء وزارته ، مما ألجأه الى مهادنته مؤقتا(٨١) ·

انتهز النحـاس الفرصـة للضغط على الملك من جـديد ازاء اصرار الجـانب البريطـانى على اقصـاء العنـاصر الايطـالية والموالية للمحور من القصر(٨٢) · وأصدر النحـاس بالفعل أوامره باعتقال على ماهر والنبيل عباس حليم ومحمد طاهر قائد البوليس الخاص » بمعتقل السرو ، وتلا ذلك أن أقدمت الحـكومة على حل « البوليس الخاص » وضم قواته الى البوليس النظامى وحسمت المسألة بذلك مع الملك(٨٣) · وينبغى الاشارة الى أن اقدام النحاس على تلك الخطوة ، ، جاء متزامنا مع الضغط البريطـانى على الملك لابعاد « محمد طاهر » المعروف بتعاطفه مع قوى المحور(٨٤) ·

ولعل تراجع فاروق عن موقفه السـابق ازاء مطالب النحـاس يمكن تفسيره بأن آثار حادث ٤ فبراير كانت لا تزال تلقى بظلالها الكثيفة على

---

(٨٠) Fo : 407/31570 : Lampson to Fo, Mar, 25, 1942,
(٨١) Ibid
(٨٢) Fo : 371/31569 : Lampson to Eden, Mar, 6, 1942, No. 719.
(٨٣) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ، ج ٢ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، محمد صبيح — من العلمين الى سجن الأجانب « صفحات من الحرب العالمية الثانية » ص ٤٤ وما بعدها ·
(٨٤) Fo : 371/45930 : Weekly Political and economic report; Jan, 4, 1945 No. 110.

سياسة القصر • وبدأ فاروق راغبا وقتذاك فى تجنب المزيد من أسباب الصدام مع الانجليز ويكون الوفد محركها الأساسى خاصة وأن الاحتفاظ بتلك القوات كان من شأنه تقوية شكوك بريطانيا فى نوايا الملك وتوجهاته المحورية •

واذا كان « البوليس الخاص » انعكاسا لمرحلة سياسية للقصر ، كانت توجهاته المحورية أبرز سماتها ، فان انشاء «الحرس الحديدى» كان انعكاسا لمرحلة سياسية أخرى انفرد فيها القصر بمقاليد السلطة وصار له القدح المعلى عمليا فى الحكم • وكان من الواضح أن فاروق قد استوعب الدروس المستفادة من تجربة « البوليس الخاص » ومن ثم كانت تجربة الحرس الحديدى مغايرة تماما لسابقتها من حيث طبيعة العمل السرى لتلك القوة وتنظيمها ، فضلا عن أهدافها • وفيما يتعلق « بالحرس الحديدى » فقد نشأ فى اطار تبنى القصر لفكرة الاغتيالات السياسية كوسيلة لارهاب خصومه السياسيين وتصفيتهم أملا فى أن يتحقق له ما فشلت سياسته فى تحقيقه من انقاذ لهيبته المتداعية فى وقت غدت فيه سياسته تتخبط وبشكل عشوائى ، وفقا لأطماع الملك ومنفعة حاشيته •

عند هذا الحد يتعين أن نلقى الضوء على ظروف انشاء « الحرس الحديدى » وطبيعة نشاطه • فلقد حدث فى عام ١٩٤٧ أن حاول الرائد رشاد مهنا ومعه ستة عشر ضابطا التخلص من اللواء ابراهيم عطا الله رئيس أركان حرب الجيش ، والذى كان موضع كراهية ضباط الجيش الى حد كبير • الا أنه تم القبض على هؤلاء الضباط فيما عرف بقضية « الاتفاق الجنائى لضباط الجيش » ، وما لبث أن أفرج عنهم بعد عدة أيام تحت ضغط الرأى العام فى صفوف الجيش ، وأحيل اللواء عطا الله الى المعاش •

وقد أحاطت الشبهات بعدد من الضباط المفرج عنهم ، واستطاعت السراى أن تستقطبهم بالفعل تحت عوامل الاغراء والارهاب لكى تشكل منهم ما سمي «بالحرس الحديدى» تحت رئاسة الطبيب البحرى يوسف رشاد ياور الملك . وكان يساند هذا التنظيم محمد حيدر وزير الحربية واسماعيل شيرين مدير ادارة شئون فلسطين وزوج الأميرة فوزية(٨٥) .

على هذا النحو كانت المفارقة كبيرة بين الظروف التى تحرك فيها هؤلاء الضباط مع زملائهم للتعبير عن سخط الجيش وغضبه ، وما انتهى اليه أمرهم فى أن أصبحوا أداة فى يد القصر . وينبغى الاشارة الى أن تنظيم « الحرس الحديدى » لم يكن خاضعا للحرس الملكى أو الجيش وانما كان تنظيما سريا مسلحا ارتبط بشخص الملك عن طريق يوسف رشاد وضم بالاضافة الى مصطفى كمال صدقى – الضابط بالمخابرات الحربية – عددا آخر من ضباط الجيش مثل أحمد يوسف حبيب وسيد جاد وعبد الرؤوف نور الدين وخالد فوزى وحسن فهمى عبد الحميد ، وهؤلاء الضباط كانوا موزعين على سلاح الفرسان والحرس الملكى والمخابرات الحربية(٨٦) ، وعندما خرج أنور السادات من الجيش انضم الى الحرس الحديدى . ولم يقف الأمر عند هذا الحد فلقد حاول أعضاء التنظيم أن يصطنعوا له قاعدة عريضة فى الجيش ، فيشير محمد نجيب الى أن بعض رجال الحرس الحديدى قد حاولوا ضمه اليهم ، الا أنه رفض وهدد بالابلاغ عنهم فأتهموه لدى يوسف رشاد بأنه يسعى للقيام بانقلاب بمساعدة السيد طه قائد اللواء

---

(٨٥) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ، مطبعة الكتاب الجامعى ، القاهرة ، ص ١٦ وكذلك جمال حماد ٢٢ يوليو أطول يوم فى تاريخ مصر ، كتاب الهلال ، ابريل ١٩٨٣ ، ص ١٤٧ ، أحمد حمروش قصة ثورة ٢٣ يوليو ، الجزء الأول – القاهرة – دار الموقف العربى ص ١٠٧ .

(٨٦) أحمد حمروش : المصدر السابق ، ص ١٠٧ ، أحمد مرتضى المراغى ، مذكرات ، مجلة أكتوبر ، العدد ٤٩٢ يوم ١٩٨٦/٣/٣٠ .

الأول • الا أن محمد نجيب قابل يوسف رشاد وفند له تلك التهم وكذبها(٨٧) •

يضاف الى ذلك فلقد جرت محاولات أخرى من جانب مصطفى كمال صدقي لدمج تنظيم الضباط الأخرار مع الحرس الحديدى بغرض توحيد الجهود • الا أن جمال عبد الناصر قد استطاع - بصدد التمويه - أن يقنع مصطفى كمال صدقى بأنه بعيد عن كل نشاط وأنه ليس هناك أصلا تنظيم بالجيش يضم الضباط الأحرار(٨٨) •

كان اغتيال أمين عثمان هو أول العمليات التى نفذها رجال الحرس الحديدى فى اطار مخطط القصر • وغنى عن البيان ذلك الدور الذى لعبه أمين عثمان على نحو ما سيرد ذكره - فى حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، فضلا عن كراهية الملك له باعتباره كان دائما بمثابة جسر العلاقات بين الوفد والسفارة البريطانية(٨٩) • وبتشجيع من الملك أوغل الحرس الحديدى فى الاغتيالات السياسية ففى ١٥ ابريل سنة ١٩٤٨ جرت محاولة اغتيال مصطفى النحاس بواسطة عبد الرؤوف نور الدين الا أنها فشلت ، وفى ٢٥ ابريل جرت محاولة أخرى بواسطة مصطفى صدقى وعبد الرؤوف نور الدين لنسف منزل النحاس بسيارة ملغومة ، الا أنه نجا من تلك المحاولة أيضا • بالاضافة الى ذلك فقد امتدت موجة الاغتيالات الى عناصر غير سياسية قامت

---

(٨٧) محمد نجيب : كنت رئيسا لمصر ، المكتب المصرى الحديث - القاهرة ١٩٨٤ ص ٦٩ - ٧٠ •

(٨٨) أنور السادات : أسرار الثورة المصرية ، كتاب الهلال ، يولية ١٩٥٧ ص ٢١٣ •

(٨٩) وكان يوسف رشاد قد عرض على كمال صدقي ومجموعة من الحرس الحديدى اغتيال أمين عثمان ودفع الملك الى يوسف رشاد مبلغا من المال كبيرا لشراء ثلاث سيارات بأسماء مستعارة وبلوحات معدنية مزيفة وكذا الأسلحة والقنابل اللازمة لتنفيذ العملية والتى تمت بنجاح •

انظر أحمد مرتضى المراغى : المصدر السابق ، نفس المكان •

بينها وبين الملك خصومات لأسباب خاصة(٩٠) • وبطبيعة الحال فان جنوح القصر للاغتيالات السياسية والقتل لم يكن دلالة على سوء التقدير وافلاس سياسته فحسب ، بل وجعله بؤرة الارهاب السياسى والفوضى فى البلاد ، وهذه لم تكن بحال لتحمى فاروق وعرشه بقدر ما كانت تتهدد نظام سياسى كامل كان القصر على قمته •

أما عن التغيرات التى طرأت على سلطة « القرار السياسى » داخل القصر فيمكن القول بأن فؤاد قد استأثر بها على امتداد عهده ، حقيقة أنه كان هناك ما يمكن تسميته « بادارة القصر » ، اذ أسهم رجال الملك مثل حسن نشأت والابراشى فى تنفيذ القرار دون أن يتعدى دورهم الى المشاركة فى صنعه • الا أنه فى عهد فاروق تبلور دور « ادارة القصر » فى صنع القرار ، اذ تعدى دورها الى المشاركة فيه من خلال على ماهر وأحمد حسنين من بعده • ولا ريب فى أن هذا التغير الحادث فى سلطة القرار كان راجعا فى جانب كبير منه الى اختلاف شخصية فاروق عن أبيه • يضاف الى ذلك فان غياب « الرجل القوى » عن رئاسة الديوان الملكى كان ايذانا بانتقال سلطة القرار الى أيدى رجال الحاشية من خاصاء الملك • وكان ذلك أشد وطأة على القصر والبلاد فى آن واحد • ومما زاد الأمر سوءا ما كان من جنوح القصر الى الاغتيالات السياسية لتصفية خصومه وترويعهم ، وعلى الاجمال فان فساد القصر كان بمثابة جرثومة فناء النظام السياسى بأكمله •

---

(٩٠) أرشيف الأهرام ، ملف بعنوان « حوادث حريق القاهرة » جريدة الوفد - مقال بعنوان « حريق القاهرة أبشع جريمة فى تاريخ مصر » ، منشور فى ١٩٨٥/٢/١٤ • كذلك جمال حماد ، المصدر السابق ١٤٧ - ١٤٨ ، طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر « ١٩٤٥ - ١٩٥٢ » كذلك محمد شوكت التونى ، المصدر السابق ص ٩٧ •

فاروق الأول :

هو ابن الملك فؤاد وحفيد الخديو اسماعيل ، وقد ولد فى القاهرة فى ١١ فبراير سنة ١٩٢٠ ٠ وفى ١٣ ابريل سنة ١٩٢٢ صدر أمر كريم باستحقاقه ولاية العهد ، وبدأ فاروق تعليمه على أيد معلمين خصوصيين بمدرسته الخاصة بقصر القبة(٩١) ٠

ولقد تزايدت مخاوف الجانب البريطانى من أن يتعهد فؤاد ولى عهده بنشأة ايطالية مثله على نحو قد يؤدى الى تقوية النفوذ الايطالى داخل القصر ، خاصة وأن الجانب البريطانى كان يضغط وقتذاك على الملك فؤاد بالحاح لتطهير القصر من الحاشية الايطالية ٠ وكان من الطبيعى أن تستأثر مسألة تعليم فاروق باهتمام الدوائر البريطانية لما سوف يترتب عليها من تحديد لمستقبل العلاقة مع القصر ٠ وكان اتجاه بريطانيا الأصيل أن يتلقى فاروق تعليمه هناك لكى ينشأ متأثرا بالثقافة الانجليزية كيما يكون أكثر تجاوبا مع سياستها اذا ما تولى الحكم ٠ وبالفعل اجتمع مجلس الجيش البريطانى بالقاهرة فى أغسطس سنة ١٩٣٤ وكان من ضمن قراراته ادخال فاروق مدرسة « وولتش العسكرية » وقام نائب المندوب السامى البريطانى بابلاغ فؤاد قرار المجلس فى هذا الصدد(٩٢) ٠

على هذا النحو بدت مسألة تعليم فاروق بمثابة « اختبار للنوايا » من جانب بريطانيا لفؤاد الذى أظهر استجابته للمطلب البريطانى ، وسافر فاروق بالفعل الى انجلترا فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٣٥ حيث أقام هناك فى

---

(٩١) أرشيف الأهرام ملف رقم ١٣٩ ج ١ بعنوان « فاروق الأول » ٠ انظر كذلك طاهر الطناحى ، فاروق الاول ، دار الهلال — القاهرة ١٩٣٦ ، ص ١٣٨ ٠

(٩٢) Fo : 407/217 (IV) No. 15, Peterson to Simon, Sept, 15, 1934, No. 811.

قصر « كنرى هاوس » ورافقته بعثة تألفت من خمسة أعضاء هم أحمد حسنين رائدا للأمير . وعزيز المصرى نائبا للرائد والدكتور عباس الكفراوى الطبيب الخاص وعمر فتحى ياورا للأمير والأستاذ صالح هاشم مدرسا للغة العربية(٩٣) . وكان فؤاد قد أصدر أوامره بألا يصطحب أحد من الحاشية أسرته معه الى انجلترا . وبدا أن المقصود بذلك هو أحمد حسنين(٩٤) .

وخلال اقامته القصيرة فى انجلترا وقع فاروق تحت تأثير اتجاهين ، أولها كان يمثله عزيز المصرى الثائر القديم المتعصب لدينه والمعروف بعدائه الشديد للانجليز ورغبته فى تنشئة ولى العهد نشأة عسكرية صارمة . أما الاتجاه الثانى فكان يمثله أحمد حسنين بطموحه وذكائه حيث عمل بدوره على استرضاء فاروق كيما يستحوذ على ثقته ورضائه . وبالفعل كانت الغلبة للاتجاه الآخير ، اذ قام فؤاد باستدعاء عزيز المصرى الى مصر وعين ضابطا آخر بدلا منه لمرافقة فاروق(٩٥) .

لم يتم فاروق تعليمه الذى بدأه فى لندن اذ عاد الى مصر اثر وفاة أبيه ونودى به ملكا على البلاد فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦ على أن يتولى مجلس الوصاية سلطات الملك الدستورية لحين بلوغه سن الرشد . ورغبة فى

---

(٩٣) طاهر الطناحى : المصدر السابق : ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٩٤) ومما يجدر ذكره أن أحمد حسنين كان متزوجا من الأميرة لطيفة ابنة الأميرة شويكار من زوجها سيف الله يسرى . وكانت الأميرة شويكار هى الزوجة السابقة لفؤاد ، قد قام بطلاقها قبل زواجه من نازلى . فحقدت عليه ووجدت ضالتها فى مناصرة الخديوى عباس خصم فؤاد اللدود . وكان فؤاد يخشى بدوره من وجود الأميرة لطيفة مع زوجها أحمد حسنين فى انجلترا برفقة فاروق ، مما قد يؤدى الى تردد الأميرة شويكار على ابنتها على نحو تزداد معه المخاطر على ولى العهد من قبل الخديو عباس . مقابلة مع الأستاذ على الدين رمضان ابن شقيقة أحمد حسنين بمنزله يوم ١٠/١٠/١٩٨٥ .

(٩٥) أحمد بهاء الدين : فاروق ملكا - القاهرة ١٩٥٢ ص ٢٣ ، كذلك أحمد وفيق : المصدر السابق ص ٣٩ . أنظر كذلك :
Hurani, A, Edited by : Middle Eastern Affairs, p. 159.

كسب مزيد من الشعبية لفاروق غداة المناداة به ملكا على البلاد ، قام علي ماهر بحركة مسرحية أعلن فيها تنازل فاروق عن مبلغ خمسين ألف جنيه من مرتبه السنوى ليصبح مائة ألف جنيه(٩٦) ٠

والحقيقة أن مظاهر الضعف البادية على العرش وقتذاك قد أغرت قوى التأثير السياسى فى البلاد على محاولات النيل منه واخضاعه لوصايتها ٠ فكما كان مجلس الوصاية محورا لصراعات تلك القوى - على نحو ما مر بنا - كان العرش ذاته مجالا جديدا لمناوراتها وتتضح تلك الحقيقة من خلال رصد تحركات تلك القوى وتحليلها ٠

فلقد اتفقت الخارجية البريطانية مع ما ذهب اليه لامبسون - المندوب السامى البريطانى - من أنه يتعين على فاروق أن يبقى فى مصر بضعة أشهر يسافر بعدها الى لندن لكى يستكمل دراسته هناك ، وكان أحمد حسنين يرى ذلك أيضا ٠ كان من الواضح ان بريطانيا تأمل الكثير من وراء تشبع فاروق بالثقافة البريطانية على نحو يؤثر ايجابيا على علاقتهما المستقبلية ، فضلا عن ابعاده عن القصر ريثما يتم لها اقصاء العناصر الايطالية بنفوذها عن القصر(٩٧) ٠

أما الأمير محمد على فقد اقترح رفع سن الرشد للملك الى ٢٥ سنة على أن يعود الى انجلترا لاستكمال دراسته ٠ وكان من الجلى أن الأمير الوصى قد راودته آمال ارتقاء العرش بدلا من فاروق ، باعتبار أن صلاته الوثيقة بالسفارة البريطانية ودوائر لندن سوف تكون سندا له فى هذا المسعى ٠

---

(٩٦) عصام محمد سليمان : أزمة الحكم فى مصر (١٩١٩ - ١٩٥٢) مطبعة دار الفكرة ، القاهرة دت٠ ص ٧٥ ٠

(٩٧) Fo : 407/219 (I) : No. 110 : Eden to Lampson, May, 23, 1936, No. 277.

ولسوف نرى كيف أن تلك الصلات قد رشحته بالفعل لارتقاء العرش أثناء أزمة ٤ فبراير سـنة ١٩٤٢ ، عندما أصبحت مسألة عزل فاروق واردة وبشكل أكثر الحاحا فى تقديرات السياسة البريطانية(٩٨) ٠

أما الحكومة النحاسية فقد عارضت بدورها الاتجاه الخاص برفع سن الرشد للملك وأيدت ما اقترحه على ماهر بتولى فاروق سلطاته الدستورية حال بلوغه سن الثامنة عشر هلالية ٠ ورغم ذلك فيمكن القول بتباين مقاصد كل من على ماهر والحكومة النحاسية ٠ ذلك أن اتجاه الحكومة كان انعكاسا لرغبة زعماء الوفد فى احتواء الملك الشاب واحكام قبضتهم عليه(٩٩) ٠ بينما استهدف على ماهر الامساك بمقاليد السلطة فى البلاد من وراء ملك ضعيف عديم الخبرة ، وبغض النظر عن النوايا فقد قيض لهذا الاتجاه النجاح ، وتولى فاروق سلطاته الدستورية فى ٢٩ يوليه سنة ١٩٣٧ ، مما كان يعنى فى التحليل الأخير انتصارا لسياسة على ماهر ٠

أما عن ثروة فاروق فينبغى الاشارة الى أنه عندما تنازل عن العرش فى يوليو سنة ١٩٥٢ بلغت رقعة أملاك الخاصة الملكية ١٠٠٫٠٠٠ فدان بخلاف وقف قولة الذى بلغت مساحته ٢٣٠٠٠ فدان(١٠٠) ٠

---

(٩٨) محمد التابعى : المصدر السابق ص ٢٧ ٠

(٩٩) راشد البراوى : حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر — مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٥٣ ص ٢٧ ، وأنظر كذلك محمد التابعى : المصدر السابق نفس الصفحة ٠

(١٠٠) ورث فاروق عن أبيه تفتيش أدفينا وتبلغ مساحته ١٥٥٨٢ فدان وتفتيش مريوط ١٢٧٣٤ فدان . تفتيش الزعفران ومساحته ٥٠٢٧ فدان ، وتفتيش الاسماعيلية ومساحته ٤٢٥٨ فدان ٠ وقد قام بضم وقف حليم ومساحته ١٩٠٠٠ فدان الى الخاصة الملكية ٠ كما استولى على وقف شاوا وتفتيش الوادى وكانت مساحة كلا منهما ٢٢٠٠٠ فدان ٠ أنظر عبد الرحمن الرافعى مقدمات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٩٦ — ١٩٩ ٠

أنظر كذلك الفصل السادس انهيار النظام السياسى ونهاية حكم القصر ٠

وعلى شاكلة أبيه انطلقت شهوة فاروق للمال من عقالها فاقترن اسمه بالعديد من الفضائح المالية ونهب ثروات البلاد ممـــا نال من مكانة حكم القصر بشكل ملحوظ وأظهر فساد أحواله ·

ولا شك في أن نشأة فاروق والظروف السياسية التى واكبت اعتلائه العرش قد أثرت على مفهومه للحكم وممارساته لاسلطة · فمنذ بداية عهده بالحكم تنازعه عداء موروث للحركة الوطنية والحكم الدستورى ، فضـلا عن الرغبة فى التحرر من اسار الوصاية البريطانية ، فى الوقت نفسه لم تتوافر له مقومات العمل السياسى ، فهو من ناحية كان محدود الثقافة والتعليم ومن ناحية أخرى افتقـد لأى قدر من الخبرة أو الوعى السـياسى يجعله طرفا محسوب الجانب على ساحة الصراع · وانعكس ذلك بصـورة واضحة عـلى مسيرته فى الحكم فأسلم أمور القصر وسياسته - فى أغلب سنى حكمـه - لعناصر غير مسئولة من رجال الحاشية أسهمت بدورها فى ابعاد القصر عن قواعد التأييد الجماهيرى كما انحرفت به عن السعى نحـو مصلحة البـلاد الحقيقية ·

وعلى الرغم من أن القصر - عـلى امتداد عهد فاروق لم يفقـد سمته التقليدية كمؤسسة للاستبداد ، الا أن ذلك لم يكن لينبىء عن تنامى قوة القصر ، بقدر ما كان راجعا لتفكك القوى الوطنيـة وانقسامها ، فضـلا عن التراجع المحسوب للسياسة البريطانية كأثر لمعاهدة ١٩٣٦ ·

الفصل الأول

القصر بين السلطتين التنفيذية والتشريعية

- الصراع بين القصر والوزارة النحاسية الرابعة
- العلاقة بين القصر ووزارات الائتلاف اللاوفدية
- عودة الحكم الوفدى وتجدد الصراع مع القصر
- مساعى القصر نحو الوزارة القومية

القصر بين السلطتين التنفيذية والتشريعية

لم تكن العلاقة بين القصر « كمؤسسة للحكم » والوزارة بمنأى عن التغيرات السياسية والتشريعية التى مرت بها البلاد منذ أوائل حكم فؤاد . فاذا كان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ قد أكد فى مضمونه على الطابع السياسى للوزارة باعتبارها طرفا أصيلا لأية مفاوضات قادمة تتصل بقضية العلاقات المصرية البريطانية ، فانه بصدور دستور ١٩٢٣ تحددت أسس العلاقة بين القصر والوزارة باعتبارها شريك أساسى فى سلطة القرار . وكان الظن باستقرار تلك العلاقة على هدى قواعد الدستور وأحكامه . بيد أنه من الناحية العملية خاض القصر صراعا حادا فى مواجهة الوزارة بهدف الافتئات على حقوقها أو تقليص دورها فى السلطة مما تفسره الأزمات المتتالية بين الطرفين والتى حفل بها عهد فؤاد فى فترات الحكم الوفدى منفردا أو مؤتلفا مع غيره من الأحزاب .

ولقد كان مفهوم ممارسة القصر لسلطاته وحدوده الدستورية ، هو محور الأزمات التى دارت بينه وبين الوزارة فى اطار تجربة دستور ١٩٢٣ والتى بدت أكثر حدة فى عهد الحكم الوفدى . والصراع بهذا المفاد كان نتيجة حتمية للتناقض الحاد بين اتجاهات القصر نحو الحكم المطلق والرغبة فى الانفراد بكل السلطة دون الوزارة التى كانت تحاول بدورها الخروج من دائرة التبعية للعرش والتمسك بالحقوق التى كفلها الدستور لها . ولا شك أن اللون السياسى للوزارة كان يحدد دائما حجم تدخل القصر فى شئون الحكم ، وتبدوا المفارقة كبيرة بين تمسك سعد زغلول - فى عهد وزارة الشعب - بحق الوزارة فى تعيين خمسى أعضاء مجلس الشيوخ استنادا الى

الرأى الدستورى السليم وهو أن الملك لا يباشر سلطاته الا بواسطة الوزراء، فى مواجهة رغبة القصر فى الانفراد بتلك التعيينات مما أفضى الى أزمة حادة حسمها لصالح سعد تحكيم البارون « فان دن بوش » الشهير بعد أن كان الصدام بين الطرفين قد وصل مداه ۰ ويختلف الأمر تماما فى عهـد وزارة زيور الثانية بصبغتها الملكية الخالصة اذ سعت الى تركيز السـلطة فى يد القصر فاستغل نفوذه وصار مرجعا للتعيينات فى جميع دوائر الحكومة وظهر واضحا أن الوزارة قد وقعت تحت تأثير القصر المطلق(١) ۰

وفى اطار تجربة دستور ١٩٢٣ أيضـا دخل البرلمـان كعامل مؤثر وأساسى فى العلاقة بين القصر والوزارة فلقد خاضت وزارة الشعب الصراع ضد الملك مستندة فى ذلك الى رصيد جماهيرى ، وبرلمـان ذى أغلبية وفدية عضد مسعاها فى محاولاتها لتقليص النفوذ الملكى ۰ وعلى الرغم من الطابع الائتلافى لوزارة ثروت الثانية ، الا أن البرلمـان الوفدى كان له أيضا دوره البارز فى تعضيد موقفها فى مواجهـة القصر ، فمن مظاهر ذلك التـأييد ما كان من احجام المجلس عن اقرار الاعتمادات اللازمة لنفقات سفر فؤاد الى أوروبا وجعلها رهنا باصطحابه لرئيس الوزراء مما دفعـه الى الاذعان لرأى المجلس(٢) ۰ كما أثار البرلمـان أيضـا مسألة مخصصات الملك ، حيث بدرت اقتراحات جريئة منها الغاء ما يراه المجلس غير متفق مع الحاجة وآخر يطالب بمراعاة الاقتصاد فى النفقات فى العام القادم(٣) ۰

ويتضح ادراك القصر لأهمية البرلمـان كمسـند للوزارة فى الحـكم ، فيما كان من قيامه بانقلابات دستورية ثلاث استهدفت البرلمـان والحيـاة

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ١ ص ٢١٧ - ٢٢٢ ۰

(٢) عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ص ٢٧٦ ۰

(٣) مضابط مجلس الشيوخ : يوم ١٩٢٧/٥/٢٣ ۰

النيابية فى البلاد ، ويلاحظ أنها قد جرت فى أعقاب حكم الوفد منفردا أو مؤتلفا مع غيره من الأحزاب الأخرى ، ليتأكد بذلك عداء القصر لفكرة الحكم الديمقراطى ، وما لبث أن أجهز على دستور ١٩٢٣ واستبدله بآخر سنة ١٩٣٠ م كان على الاجمال تكريسا لحكم القصر(٤) ٠

بالاضافة الى ذلك فان السياسة البريطانية على امتداد المسطح الزمنى منذ صدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وحتى ابرام معاهدة ١٩٣٦ ، قد حملت بدورها تأثيرا مباشرا على العلاقة بين القصر والوزارة ٠ فلقد انتحلت بريطانيا لنفسها حق التدخل فى السياسة المصرية بدعوى المحافظة على مصالحها الحيوية التى كفلها التصريح وتحفظاته الأربعة ٠ وكان من الطبيعى أن تكون الوزارة هى المجال الحيوى لهذا التدخل ، مما ظهر أثره واضحا فى عهد وزارة الشعب ، اذ أدى التدخل البريطانى الى احراج موقف الوزارة ودفعها الى الاستقالة ، واتخذ هذا التدخل شكلا آخر فيما كان من رفض الجانب البريطانى تولى سعد زغلول الوزارة مرة أخرى ، أو تولى الوفد الحكم منفردا ، واستمر هذا الاتجاه قائما حتى عام ١٩٣٠ عندما شكل النحاس وزارته الثانية ٠

حتى الحياد البريطانى كان فى واقع الأمر يمثل موقفا مؤثرا على العلاقة بين طرفى السلطة اثر فشل مفاوضات محمد محمود — هندرسن ، تراجع التأييد البريطانى للوزارة ، وظهر حياده ازاء الصدام بين الوزارة والقصر ، مما سوغ للأخير أن يدفعها للاستقالة ٠ ولقد أسهم الحياد البريطانى أيضا

---

(٤) حدث الانقلاب الدستورى الأول فى عهد وزارة زيور الأولى التى تولت الحكم عقب استقالة وزارة الشعب فى أواخر سنة ١٩٢٤ ٠ أما الانقلاب الثانى فقد جرى فى عهد وزارة محمد محمود الأولى التى تولت الحكم عقب اقالة وزارة النحاس الائتلافية الأولى فى ٢٥ يونية سنة ١٩٢٧ ٠ أما الانقلاب الثالث حين تولى صدقى الحكم وقام بحل البرلمان والغاء العمل الدستورى سنة ١٩٢٣ واستبداله بدستور سنة ١٩٣٠ ٠

اثر فشل مفاوضات النحاس - هندرسن ، فى تهيئة الظروف المناسبة لفؤاد لكى يعرقل مسيرة الوزارة فى الحكم مما دفعها الى الاستقالة .

وبابرام معاهدة ١٩٣٦ لم يتغير عمـــلا مضمون العــلاقة بين القصر والوزارة اذ كانت امتدادا للفترة السابقة ، واستمرت عوامل التأثير على تلك العلاقة قائمة ، الا أنه يمكن القول بوجود جانبين للتمـــايز فى تلك المرحلة يتعين الاشارة اليهما أولهما : تراجع التـــدخل البريطانى وتأثيره بشـــكل واضح ، اذ تخلت السياسة البريطانية عن أساليب « الانذارات » وان عولت بشدة على التمسك بالنصائح الملزمة ، فلا نكاد نرصد أثرا ملموسا لتدخل بريطاني سافر الا لاسقاط وزارة على ماهر الثانية فى يونية سنة ١٩٤٠ ، أو لفرض الوفد على الحكم فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ . ثانيا : أن التدخـل البريطانى - باختلاف صوره فى مرحلة ما قبل المعاهدة كان يتم أساسا فى مواجهة الوزارة ، وغالبا ما كانت نتائجه تتفق واتجاهات القصر نحو الحكم المطلق . أما فى مرحلة ما بعد المعاهدة فالملاحظ أن هذا التدخل كان يتم فى مواجهة القصر أساسا كأثر لوقوع الوزارة تحت سيطرته فى غالبية الفترة على امتداد عهد فاروق .

الصراع بين القصر والوزارة النحاسية الرابعة :

يؤرخ تولى الوزارة النحاسية الرابعـــة للحكم بداية لمرحلة سياسية جديدة ، حقيقة أنها كانت فى جانب العلاقة بين القصر والوفد امتدادا للعداء التقليدى بينهما ، الا أنه لا يمكن انكار أن هناك تغيرات قد طرأت على أوضاع قوى التأثير السياسى على الساحة ، قد أثرت ولا شك على حركتها وحددت بالتالى حجم تأثيرها السياسى .

فالقصر قد بدأ يستعيد وبشكل أكثر فاعلية مكانته السياسية بعـــد انتهاء أعمال مجلس الوصاية على العرش وتولى فاروق سلطاته الدستورية

فى ٢٩ يولية سنة ١٩٣٧ . وكأثر لدعاية على ماهر والمراغى للملك من خلال اظهار مناقبه ومظاهر تمسكه بالاسلام ، مما قيض له رصيد جماهيرى عريض لم تفلح مناورات الوفد المتكررة من النيل منه . وبعبارة أخرى فقد تأصلت القواعد الشـــعبية للقصر دون أن يغير ذلك عمـــلا من سماته الأساسية كمؤسسة للاستبداد ، على نحو بات معه من المقـــدر على الوفد أن يخوض صراعا ضاريا فى مواجهته ، فى وقت كان يعانى فيه من محن الانقسام كأثر للخلافات التى دارت بين قياداته مما ظهر أثره واضحا فى استبعاد النحاس لمحمود فهمى النقراشى وعددا من زعماء الوفد عند تأليف وزارته الجديدة(٥) . وبطبيعة الحال فان التصدع الحادث داخل الكيان الوفدى قد انعكست آثاره على الوزارة النحاسية فغدت أكثر ضـــعفا فى مواجهة القوى المعارضـــة من القصر وأحزاب الأقلية(٦) .

أما التدخل البريطانى فى السياسة المصرية ، فقد أصبح قاصرا على حالات تجاهل المعاهدة ونقض نصوصها أو الالتفات عن المطالب الدفاعيـــة البريطانية أو تدهور الأمن الداخلى على نحو تتهدد معـــه أرواح وممتلكات الأجانب فى البلاد(٧) .

ولقد تبلور الموقف البريطانى من خلال محاولات الاحتفـــاظ بالتوازن بين القصر والوزارة النحاسية وكان المبرر لذلك أن التدخل لصالح أى من طرفى الصراع سوف يفسر بأنه تدخل فى شئون البلاد الداخليـــة يناقض

---

(٥) لمزيد من التفاصيل عن الخلاف الداخلى فى الوزارة النحاسية . أنظر محمد حسين هيكل مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٣٥ - ٣٦ .

(٦) Fo. 407 : 221. No. II. Bennett to Halifax Aug. 4. 1937, Tel. No. 447

(٧) Fo. 407/222, No. 14, Eden to Lampson, Feb. 10. 1638, Tel. No. 166

أحكام المعاهدة وأسسها • على هذا يمكن القول بأن الجانب البريطانى قد اتخذ موقفا حياديا ازاء الطرفين ، هذا الموقف من الناحية العملية كان يخدم القصر دون الوفد فالقصر لم يكن ليطمع فى تأييد بريطانيا له فى مواجهة الوفد خصمه العنيد ، بقدر ما كان يعنيه حجب ذلك التأييد عن الوفد بشكل أساسى •

فى ٣١ يولية سنة ١٩٣٧ رفع النحاس استقالته للملك ، وباعتباره صاحب الأغلبية فى مجلس النواب عهد اليه الملك بتاليف الوزارة الجديدة ، وبدأت بالفعل أولى الأزمات مع القصر اذ رشح النحاس يوسف الجندى لمنصب وزير المعارف ، الا أن الملك - بايعاز من على ماهر - رفض هذا الترشيح بدعوى أن نزاهة يوسف الجندى لم تكن فوق مستوى الشبهات ابان وكالته البرلمانية لوزارة الداخلية • بينما ذهب فريق آخر الى أن اعتراض القصر على المرشح كان راجعا الى أنه تزعم ثورة ١٩١٩ فى بلدته وتجاسر فأعلن استقلالها(٨) • فى ظل تلك الظروف الحرجة لم يكن بمقدور النحاس اظهار التشدد فى مواجهة اصرار القصر ، ومن ثم نزل على رغبة الملك وأبعد اسم يوسف الجندى من الوزارة عند تشكيلها وصدر المرسوم الملكى بتأليف الوزارة النحاسية الرابعة فى ٣ أغسطس سنة ١٩٣٧(٩) •

وتبدو المفارقة كبيرة بين رضوخ النحاس لرغبة الملك وتنازله طواعية عن تقليد دستورى سبق لسعد زغلول أن أرساه ابان تشكيله لوزارته عام ١٩٢٤ اذ تمسك بحقه فى اختيار وزرائه فى مواجهة فؤاد • على انه ما أن تولت الوزارة النحاسية مقاليد السلطة حتى كشفت دوائر الوفد وصحفه عن سخطها على موقف القصر بصدد تعيين يوسف الجندى ، وألمحت الى أن

---

(٨) أحمد بهاء الدين : المصدر السابق ص ٣١ - ٣٣ •

(٩) مضابط مجلس النواب - الجلسة الأولى لدور الاجتماع غير العادى ١٩٣٧/١٠/٢٣ •

الملك قد تجاوز سلطاته الدستورية(١٠) . وكان من الطبيعى أن ينتهز القصر وأحزاب الأقلية المعارضة لحكم الوفد الفرصة لبدء الهجوم على الوزارة فى محاولة لتأصيل حقوق دستورية انتحلها القصر لنفسه ، فراحت صحافة القصر تتحدث عن حقوق الملك الدستورية فى تعيين الوزراء وذهبت الى أن الملك باعتراضه على ترشيح يوسف الجندى قد مارس حقا دستوريا أصيلا مقررا له(١١) . وراحت المعارضة تلمح الى تخاذل النحاس فى مواجهة القصر بسبب تكالبه على السلطة ، ويذهب الدكتور هيكل الى أنه لم يكن للنحاس أن يثير أية ثائرة بسبب هذا الحادث ، وان توقيع مرسوم التأليف يعنى اقتناعه بحجة الملك ، والا كان على النحاس أن يتمسك بحكم الدستور وأن يرفض تأليف الوزارة ويتمسك بقائمته(١٢) .

ومن الخطأ تحليل أبعاد تلك الأزمة فى اطارها الدستورى واغفال الظروف الأخرى التى أحاطت بها ، فلا شك أن هناك اعتبارات موضوعية ينبغى الاشارة اليها قد حددت بدورها حركة زعامة الوفد فى التعامل مع الأزمة وكانت تحد بالضرورة من الرأى الذى ذهب اليه الدكتور هيكل أيضا . فمن هذه الاعتبارات أولا أن الصراع الداخلى فى الوفد بين النحاس ومكرم من جانب والنقراشى من جانب آخر كان يضعف موقف القيادة الوفدية فى مواجهة القصر الى حد بعيد ، ومنها ثانيا : أن النحاس كان قد قدم استقالته ووزارته الثالثة بالفعل الى الملك ، وتشدده فى التمسك بقائمة مرشيحه للوزارة كان من الممكن أن يسوغ للقصر الفرصة للتخلص منه بتصعيد الأزمة على نحو يحول بينه وبين تشكيل الوزارة الجديدة ، ثم انه لم

---

(١٠) المصرى : ١٩٣٧/٨/٦ .

(١١) البلاغ : ١٩٣٧/٨/١٠ .

(١٢) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٣ ص ٣٣ — ٣٤ .

يكن غائبا بحال عن تقديرات النحاس ذلك التأييد الشعبى الذى كان يستند اليه القصر وقتذاك • ومنها ثالثا : أن النحاس كان لا يزال يراوده الأمل فى أن يتراجع الملك عن اعتراضه على يوسف الجندى ، ممـــا دعاه الى أن يترك منصب وزير المعارف شاغرا وأسند الى عبد السلام فهمى جمعة الاشراف على وزارة المعارف الى جانب عمله وزيرا للتجارة والصناعة(١٣) •

ومن تلك الاعتبارات أخـــيرا كان الموقف البريطانى ، فمع الاعتراف بدور الوفد فى ابرام معاهدة ١٩٣٦ الا أنه لم يكن بمقدور السفير البريطانى التدخل فى الأزمة باعتبارها من أخص شئون البـلاد الداخلية ، وبعبـارة أخرى فان التدخل البريطانى فى الأزمة بأى شكل سوف يجعل من السفارة البريطانية هدفا لهجوم القصر ومن والاه من آحزاب الأقليـة المناوئة لحـكم الوفد •

على كل حال كان تراجع الحكومة النحاسية باعثا لاغراء القصر بالهجوم عليها ، وبايعاز من على ماهر عاودت صـــحافة القصر حملتها على الحـكومة ورئيسها وراحت تطعن فى نزاهته ، فأشارت البـــلاغ الى أن النحاس قد نجح فى زيادة أجر نظارته على وقف البـــدراوى بما قيمته ١٠٤٠ جنيهـا سنويا — وهو أحد الأوقاف الخمسة التى تنظر عليها النحاس بعد رئاسته للوزارة(١٤) • وراح العقاد بدوره يهـــاجم الوزارة وينعى عليهـــا تفشى المحسوبية والوساطة فى التعيينات والمخالفـــات الخاصة بمســـألة خزان أسوان(١٥) • وامتدت الحملة الى نقد تصرفات النحاس ومكرم فى مواجهـة الملك فنشرت البلاغ مقالا بعنوان « شيئا من اللياقة فى حضرة صـــاحب

---

(١٣) Fo. 407/221 (II) No. 18. Kelly to Eden, Aug. 7. 1937 No. 937.

(١٤) البـلاغ : ١٩٣٧/٧/١٤ •

(١٥) البـلاغ : ١٩٣٧/٨/١٥ ، ١٩٣٧/٨/١٧ •

الجلالة الملك » أشارت فيه الى مجافاة مسلك زعيمى الوفد فى حضرة الملك عند حلف الوزارة لليمين أمام الملك(١٦) ·

على الجانب الآخر كان على الحكومة احتواء الهجوم الملكى ، وترد صحافتها على مزاعم البلاغ متهمة اياها باختلاق الوقائع للدس بين الملك ووزيره الأول ، مما يعد خيانة للعرش والأمة(١٧) · من الناحية العملية راحت الحكومة تتجاهل القصر وتتجنب مشورته أو الرجوع اليه ، فمن جهة نلقت الوزارة دعوة لحضور مؤتمر «نيون» بفرنسا وقبلت الدعوى بالفعل وعينت أسماء المندوبين ، مما اعتبرته المعارضة افتئاتا من الوزارة على حقوق الملك يوجب اقالتها · ومن جهة أخرى راحت الوزارة تقف أمام رغبة الملك فى تعيين مهندس بريطانى فى الباخرة المحروسة ، وكان على ماهر فى وزارته السابقة قد أصدر قانونا بتنظيم قواعد استخدام الموظفين الأجانب وكان ذلك مبررا لرفض الوزارة النحاسية مما اعتبره الملك تدخلا منها فى شئون موظفى القصر ومحاولة من جانبها للانتقاص من سلطاته ، فيعمد القصر للرد على الوزارة بدعوة النحاس دون مكرم - وزير الخارجية بالنيابة - الى مأدبة تكريم لوزير البحرية البريطانية ، رغم أن القواعد كانت تقضى بدعوته(١٨) ·

على هذا النحو ثارت رياح الخصومة بين القصر والوزارة وبدأ التوفيق بينهما مستحيلا مما حدا بالنحاس الى التفكير فى عزل الملك ، وبالفعل أبلغ أمين عثمان السكرتير الشرقى كيللى بالفكرة واقترح احلال الأمير محمد عبد المنعم بدلا من فاروق على العرش(١٩) · والواقع أن تقديرات السياسة

---

(١٦) البلاغ : ١٩٣٧/٨/٩ ·
(١٧) المصرى : ١٩٣٧/١٠/٢٥ ·
(١٨) أحمد بهاء الدين : المصدر السابق ص ٢٨ - ٣٠ ·
(١٩) Fo. 407/221 Kelly to Eden, Oct., 30, 1937, No. 599.

البريطانية وقتذاك كانت تحد من اتجاه الحكومة الوفدية فى هذا المنحى . فالجانب البريطانى لم يكن ليذهب فى مناصرته للحكومة الى حد تأييد الفكرة باعتبار أن مثل هـــذه الخطوة سوف تؤدى يقينا الى تغليب أحـد الطرفين - ونعنى به الوفد - على الآخر ، مما كان يتعارض مـع جـوهر السياسة البريطانية ، ومن ثم كان اتجاه السفير البريطانى الى الضغط على الملك من خلال على ماهر ، حيث أوضح له لامبسون أن الملك قد أخطأ تماما بتعيينه - أى على ماهر - رئيسا للديوان دون مشاورة النحاس ، كمـــا اتهم الملك بأنه يعمد الى اثارة الأزمات مـع الوزارة وأنه يجـدر به أن يتصرف كملك دستورى(٢٠) .

كان من الطبيعى أن يعمل على ماهر الى ابراء ســـاحته والدفاع عن مسلك فاروق ، فمن ناحية أظهر للسفير البريطانى بأنه راغب عن منصبه الجديد وأنه لم يكن ليسعى اليه فى أى وقت وأن اخلاصه للبلاد يحتم عليه أن يقف الى جانب الملك ، وألمح للامبسون الى أنه اذا ما استمر النحـــاس مصرا على تعيين وزير للقصر فان الملك سوف يقيله(٢١) . يتضح من ذلك أن آراء على ماهر لم تكن مشجعة للسفير البريطانى ، والذى بدأ موقفه بالغ الحرج خاصة وأنه لم يكن يملك وسيلة للضغط على الملك ســوى على ماهر نفسه . على الجانب الآخر استغل القصر تراجع الضغط البريطانى لصالح الحكومة النحاسية ، فراح يضاعف من هجومه عليها وبصدد احداث الوقيعة بين قطبى الوفد ، راح الشيخ المراغى يهاجم الوجود القبطى فى الوفد ممثلا فى مكرم عبيد ، كما سعى القصر الى تعطيل العديد من أعمال الحكومة وبث العراقيل أمام مسيرتها فى الحكم ممـــا هدد بتوقفها . وأوضح النحـــاس

---

(٢٠) Ibid. Lampson to Eden, Nov., 3. 1937 No., 608.

(٢١) Ibid

للامبسون أنه لا يمكن الانتظار أكثر من ذلك وأنه يعتزم التعامل مع الملك بحسم فى اطار العلاقات الدستورية(٢٢) • وبسبيل التهدئة وتحسبا لمزيد من الصدام بين الطرفين طلب لامبسون من النحاس ارجاء الأمر لحين مقابلة على ماهر لبحث الموقف معه ومحاولة تسوية العـــلاقة المضطربة بين القصر والوزارة(٢٣) • بيد أنه مما زاد الموقف تدهورا أن جرت محـاولة لاغتيـال النحاس فى ٢٨ نوفمبر بواسطة عز الدين عبد القادر أحد أعضاء مصر الفتاة والتى كانت وثيقة الصلة بدوائر القصر وبخاصة على ماهر(٢٤) •

ولقـــد انعكست الآثار المبـــاشرة للحـــادث فيمـا ظهر من نتيجتين أساسيتين ، أولاهما تزايد ضغط الحكومة الوفدية لحث السفير البريطانى على التحرك ومحاولة جذبه الى دائرة الصراع مع القصر • أما الثانية : فتمثلت فى تراجع لامبسون عن معارضته لفكرة النحاس بعزل فاروق وتعيين أحد أمراء البيت المـالك بدلا منه • فمن جهـــة طلب أمين عثمان من السـفير البريطانى ألا يقف جانبا من الصراع القائم لأن النحاس يعتقـــد أن الملك سوف ينتصر فى النهاية لكى يبدأ فى العبث بالنظـام الدستورى والحـكم النيابى • الا أن السفير البريطانى لم يشأ أن يكشف عن نواياه الحقيقيـــة أمام النحاس ، فنصحه بتوسيع قاعدة وزارته بادخال أحمد ماهر فيها(٢٥) • وعلى الرغم من موافقة النحاس على الفكرة الا آن أحمد ماهر ــ رئيس مجلس النواب ــ رفض الانضمام للوزارة بدعوى أن مكرم عبيد يسيطر عليها مما قضى على الفكرة(٢٦) •

---

(٢٢) Fo : 407/221 No. 60 Lampson to Eden, Nov., 23. 1937 No. 657

(٢٣) Ibid

(٢٤) Fo : 407/221 Same to same, Nov 28. 1937 No. 679.

(٢٥) Ibid

(٢٦) Fo. 407/221 No 80 Same to same Dec. 19. 1937 No. 722.

والحقيقة أن السفير البريطانى قد بدا مقتنعا بفكرة عزل فاروق ، بل وراح يطرح على حكومته الأمير محمد على بديلا باعتباره سوف يكون أساس قيادا وأكثر تقبلا للاقناع والنصح ومن ثم اتفقت آراء لامبسون والقيادة الوفدية على عزل الملك وان كان الخلاف على من يتولى العرش هل يكون الأمير محمد على أو الأمير محمد عبد المنعم ؟ • أما الخارجية البريطانية فكان لها رأى آخر اذ ذهبت الى ضرورة قيام لامبسون بمساندة النحاس دون أن يصل ذلك الى حد عزل فاروق الا بعد أن تتهاوى شعبيته بدرجة كافية ، ووصلت التعليمات للامبسون بمقابلة الملك لكى يوضح له أن مساندة بريطانيا له مشروطة بأن يتصرف بشكل دستورى(٢٧) ••

ورغم أن تعليمات الخارجية البريطانية كانت تعكس اتجاهها الأصيل بعد المعاهدة ، الا أن وضع تلك التعليمات موضع التنفيذ كان أمرا بالغ الصعوبة بالنسبة للامبسون ، ورغم ذلك فقد بدأ التحرك فى هذا الاتجاه فراح يطلب من على ماهر أن يستخدم نفوذه لدى الملك لاقناعه بالتعامل مع النحاس بروح ودية • ومن جهة أخرى يوضح لامبسون للنحاس بأن استبقاءه لتنظيم القمصان الزرقاء من شأنه أن يضعف من موقفه فى مواجهة الملك • بيد أن قناعة لامبسون الحقيقية على نحو ما تكشفه الوثائق البريطانية ــ تمثلت فى أن على ماهر لن يبذل مزيدا من الجهد لتصفية العلاقة بين الملك والنحاس طالما استمر الأخير على خطئه ، اشارة الى تمسكه بالابقاء على تنظيم القمصان الزرقاء قائما(٢٨) •

فى ظل تلك الظروف المضطربة عمد فاروق بتأييد من على ماهر الى دفع الخلاف مع الوزارة النحاسية الى مداه توطئة لاقالتها وبدأت الخطة بالفعل

---

(٢٧) Fo. 407/221 No. 2 Eden to Lampson, Nov. 30, 1937, No. 560

(٢٨) Fo. 407/221 No 16; Lampson to Eden Nov. 29. 1937, No. 1305.

من خلال عدة أزمات اتخذت طابعا دستوريا كانت أولاها تتصل بالخلاف على حق القصر فى تعيينات مجلس الشيوخ ، اذ رشحت الحكومة اثنين من أعضائها لعضوية المجلس هما : حسن نافع ومحمود فهمى وكيل وزارة المواصلات فوافق القصر على الثانى واعترض على الأول وأعاد المرسوم بلا توقيع مع شرح بأن الملك يرى تعيين عبد العزيز فهمى رئيس محكمة النقض وقطب الأحرار الدستوريين . ونزل النحاس عن ترشيح حسن نافع ورشح فخرى عبد النور بدلا منه ، ولم يقبل ترشيح القصر لعبد العزيز فهمى بدعوى أن الوزارة تتحمل مسئولية هذا التعيين دون القصر ، وكان من أثر ذلك أن ظل هذا المقعد شاغرا نحو شهرين(٢٩) .

أما الأزمة الثانية فتمثلت فى رفض السراى توقيع مشروع قانون بفتح اعتماد اضافى طلبت الوزارة توقيعه ، اذ أدركت السراى أن هذا الاعتماد سيوجه لتمويل نشاط جماعة القمصان الزرقاء . أما الأزمة الثالثة فكانت تتصل برغبة القصر فى أن يقسم الجيش يمين الولاء للملك ، بينما رأت الوزارة أن يتضمن القسم يمين الولاء للدستور ، مما كان يعنى تخويل الجيش حق التدخل اذا ما انتهكت أى قوة سياسية الدستور ، ولما كان معلوما أن الملك أول هذه القوى ، فان ذلك كان يعنى أن يتدخل الجيش ضده(٣٠) .

ومن هذه الأزمات أخيرا ما كان من رفض الملك توقيع مرسوم بمشروع قانون بتخفيض نسبة النجاح لطلاب الجامعة عرضته الوزارة الوفدية مستهدفة دعم شعبيتها ، وكان مبرر القصر أن المشروع لم يكن قد عرض على

---

(٢٩) أنظر أمين سعيد : تاريخ مصر السياسى ص ٢٥ ، هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٥٤ – ٥٥ ، عصام محمد سليمان : أزمة الحكم فى مصر ص ٩٢ .

(٣٠) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ٥٤ – ٥٥ ، يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٠١ .

مجلس الجامعة • بينما ينص قانونها على أن كل مرسوم بمشروع قانون يتعين عرضه على مجلسها قبل عرضه على الملك(٣١) • وكان من الواضح أن مثل تلك الخلافات كانت تتعارض مع مسعى السفارة البريطانية واتجاهاتها للمحافظة على ثبات الأوضاع الداخلية واستقرارها • وفي محاولة من القصر لاختبار النوايا البريطانية ، أبلغ على ماهر مراسل وكالة رويتر أن الملك ينوى اقالة الوزارة النحاسية خلال الأيام القليلة القادمة(٣٢) • وبطبيعة الحال لم يكن الرد البريطاني مشجعا مما دعا على ماهر الى أن ينكر لكيللى مقولته لمراسل وكالة رويتر ، بل واشار الى تحسن علاقة الملك مع الوزارة في كافة المسائل(٣٣) • الا أن ذلك لم يكن يعكس حقيقة موقف القصر من الوزارة ، فأبلغ على ماهر مكرم عبيد بأنه يعلق سعيه لاصلاح العلاقة بين القصر والوزارة على قبول النحاس حل جماعة القمصان الزرقاء والموافقة على مرشحى الملك لمجلس الشيوخ وأن يقوم بمناقشة كافة القرارات والتعيينات الهامة مع الملك بالاضافة الى القرارات الوزارية(٣٤) •

أما النحاس فقد اعتبر التسليم بمطالب القصر افتئاتا على حقوق الوزارة الدستورية وتمكينا للعقبات في وجهها ، فبعث في ٢٣ ديسمبر

---

(٣١) ولقد جاء اتجاه القصر متسقا مع ما كان ينادى به أحمد لطفى السيد قطب الأحرار الدستوريين – ومدير الجامعة وقتذاك ، فيشير في مذكراته الى تزايد شدة الخصومة الحزبية بين طلبة الجامعة ، اذ كانت الأحزاب تتصل بالطلبة اتصالا يضر بالاخاء الجامعى ويسقط قيمة الشمائل ، فطلب من وزارة الداخلية تعيين كونستبلات لحفظ الأمن داخل الحرم الجامعى وازاء رفض الحكومة الاستجابة لمطالبه قدم استقالته من منصبه • أنظر أحمد لطفى السيد : قصة حياتى ص ١٩٨ •

(٣٢) Fo. 407/221. No. 78 Lampson to Eden, Dec. 18. 1937, Tel. No. 720

(٣٣) Fo. 407/221 No. 79 Same to Same, Dec. 19. 1937 Tel. No. 721

(٣٤) Ibid

بمذكرة الى الملك أشار فيها الى أن السلطة الفعلية فى ادارة شئون البلاد انما تنحصر فى مجلس الوزراء وهو ما يرتب مسئولية الوزارة أمام البرلمان وراح يدعم رأيه بعدة أمثلة تتصل بتفسير المواد التى تحدد سلطة الملك فى الدستور دون أن يشير إلى سلطة الملك فى تعيين الوزارة أو اقالتها(٣٥) ٠

وبدأ القصر بالفعل فى تنفيذ خطة خداع الحكومة الوفدية ، فبينما كانت المحادثات تجرى بين على ماهر ومكرم عبيد للتغلب على الأزمة القائمة بين القصر والوزارة ، كانت الاتصالات تجرى بين على ماهر ومحمد محمود زعيم المعارضة فى مجلس النواب الوفدى ، كيما يؤلف وزارة تخلف وزارة النحاس وتنفذ سياسة غير سياستها وكان من الواضح أن تلك الاتصالات قد جرت فى جو من التكتم الشديد والسرية حتى ان هيكل لم يكن على علم بفحواها(٣٦) ٠ على الجانب الآخر تعددت زيارات أحمد حسنين للنحاس حيث لعب دور الرسول بينه وبين القصر(٣٧) ٠ وبطبيعة الحال لا يمكن تفسير أمر تلك الاتصالات التى جرت بين على ماهر وأحمد حسنين بالقيادة الوفدية فى وقت اشتعلت فيه خصومتها مع القصر ، الا بأنها لم تكن سوى مناورة سياسية من جانب القصر استهدفت التمويه على نواياه الحقيقية٠وفى محاولة لاضفاء الطابع الدستورى على أزمات القصر مع الوزارة واظهارها بمظهر المعتدى على حقوقه اقترح على ماهر تشكيل لجنة تحكيم للبت فى كافة المسائل الدستورية موضوع الخلاف بين القصر والوزارة ، على أن تضم اللجنة رئيس الوزراء القائم ورؤساء الوزراء السابقين ورئيس مجلس الشيوخ والنواب ورؤساء الديوان الملكى السابقين ورئيسه القائم ورئيس

---

(٣٥) حسن يوسف : مذكرات ص ٩٨ ٠

(٣٦) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٥٩ ٠

(٣٧) روز اليوسف : ١٩٤٠/٨/٣١ ٠

محكمة النقض ورئيس لجنة قضايا الحكومة . وحدث أن اعترض النحاس على الاقتراح ، باعتبار أن أغلبية المرشحين من أعضاء اللجنة لا تقر سياسة الوفد بل وعارضتها فى الوقت الذى رأى فيه مكرم عبيد أن لجنة الشئون الدستورية بمجلس البرلمان وكذا المؤتمر البرلمانى هما المرجع الدستورى للنظر فى تلك المسائل . يضاف الى ذلك فقد كان هناك رأى آخر فى دوائر الوفد بضم أعضاء وفديين للجنة المقترحة لاحداث التوازن فيها ، الأمر الذى لم يلق قبولا من القصر ، وظهر فى اصرار على ماهر على التمسك بالمرشحين لعضوية اللجنة(٣٨) .

ومن تحليل اتجاهات الوفد بصدد الفكرة يتبين أنه كان يغلب عليه قبولها وان كان هناك ثمة اعتراض على أشخاص المرشحين ، الا أن على ماهر راح يدفع بالأزمة الى نهايتها فحدد يوم ٢٩ ديسمبر لكى يقرر النحاس قبوله اقتراح تشكيل لجنة التحكيم أو يتحمل تبعة رفضه . راح السفير البريطانى يتحرك فى وسط الأزمة سريعا فحاول دعوة النحاس لمقابلة على ماهر فى السفارة البريطانية ، الا أن الأخير اعتذر بلباقة طالبا ارجاء مثل هذه المقابلة الى أن يتم ارساء قواعد ثابتة للتفاهم مع الوزارة مما كان يعكس حقيقة موقف على ماهر ونواياه . بيد أن هذا الاحجام لم يثن لامبسون عن عزمه فأوعز للنحاس من خلال أمين عثمان بأن يصرح بموافقته مبدئيا على قبول لجنة التحكيم التى اقترحها القصر معتقدا أن ذلك من شأنه أن يحد من فاعلية ونشاط على ماهر لاستخدام القوة لاقالة النحاس(٣٩) .

وراح لامبسون يضغط على النحاس مرة أخرى لاعلان قبوله التحكيم ،

---

(٣٨) حسن يوسف : مذكرات ص ٩٩ ــ ١٠٠ .

(٣٩) Fo. 407/221 No. 88 Lampson to Eden Dec. 29, 1937 No. 748

على أن يلجأ لعرض الخلاف على البرلمـان اذا استمر الملك على عناده . وكان لامبسون واثقا من موقف النحاس واستجابته لنصائحه . فبادر بالفعل الى الاتصال بعلى ماهر وأبلغه بنية النحاس بالموافقـة على التحكيم ، ومن جانب آخر ساق لامبسون تحذيراته للملك من خلال على ماهر بضرورة التعامل مع الأزمة بحذر(٤٠) . وعملا بنصيحة السفير البريطانى قرر النحـاس عرض نزاعه مع القصر على البرلمـان الوفدى فى يوم ٣ يناير سنة ١٩٣٨ ، وبطبيعة الحال فان النتائج المتوقعة من وراء ذلك لن تكون فى صالح القصر ، فمـــا كان من الملك الا أن بادر باقالة الوزارة فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٧ ليسجل فى مستهل حكمه النصر على خصم عنيـــد لم يستطع أبوه أن يقهره طيلة عهـــده .

والحقيقة أن القصر قد استغل كافة الظروف السياسية القائمة وقتذاك لحسم الصراع فى صالحه فالموقف البريطانى قد اصطبغ بطابع حيـادى ازاء الصراع القائم بين القصر والوزارة النحاسية ولا يحد من هذا القول ما كان من محاولات السفير البريطانى المتواترة لتخفيف حدة الصراع بغية المحافظة على حالة التوازن . فلم يكن غائبا عن تقـــديرات الجانب البريطـانى تلك النتائج المترتبة على ترجيح كفة أحد الطرفين على حســـاب الآخر ، ذلك أن تغلب القصر على الحكومة النحاسية من وجهـــة النظر البريطانية كان يعنى العودة الى جميع مساوىء الحكومات الاستبدادية التى كانت فى عهـــد فؤاد ابان فترة حكم القصر . يضاف الى ذلك فان الجانب البريطانى كان راغبا عن ارهاب الملكية عن طريق الوفد لكى يقوم حكم القصر(٤١) . وبعبارة أخرى لم يكن من مقومات السياسة البريطانية وقتذاك تقليم أظافر الملك من خلال

---

(٤٠) Ibid

(٤١) Fo. 407/221 Same to Same Feb., 16. 1937 No. 209

الحكومة النحاسية أو لحسابها ٠

العلاقة بين القصر ووزارات الائتلاف الوفدى :

أرخت اقالة الوزارة النحاسية الرابعة فى نهـــاية سنة ١٩٣٧ بداية لحكم القصر فى عهد فاروق ـ من خلال أحزاب الأقلية المعارضة للوفد ٠ فعلى امتداد السنوات التالية وحتى التدخل البريطانى ضـــد القصر فيما عرف بحادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ سعى القصر للتأكيد على صدارته السياسية على الساحة والرغبة فى الانفراد بمقاليد السلطة فى البلاد مستغلا فى ذلك تلك الظروف السياسية التى تهيأت له بانهاء الوجود الوفدى فى الحكم ٠

وينبغى الاشارة الى الاعتبارات الموضوعية التى أثرت ليس فى أوضاع قوى التأثير السياسى فحسب بل وحددت حجم التأثير المتبادل فيما بينها ٠ فلقد وقر فى قناعة القصر أن نجاحه فى اقصاء الوفد كان مقدمة لاسترجاع حقوق طبيعية كفلها له الدستور ، طالمـا حاول الوفد منازعته فيها بدعوى ارساء دعائم الحكم الديمقراطى فى البلاد ، ولم يكن القصر بدوره على استعداد للتفريط فى تلك الحقوق مما تفسره بعض لمحات الصدام مع الحكومات التى تعاقبت على الحكم على امتداد هذا المسطح الزمنى ، رغم أنها كانت فى مجملها وزارات قصر وكان استمرارها فى السلطة رهنا بارادته ٠ على الجانب الآخر سعى القصر لتحسين علاقته بالجانب البريطانى كى لا يفسر اقالته للحكومة النحاسية بأنها ضربة موجهة اليه بشكل أساسى تحسبا لاثارة عدائه ، بعد أن فشل فى استمالته الى صفوفه ابان صدامه مع الحكومة النحاسية ٠

وفيما يتعلق بالوفد فقد جانبه صواب التقدير وهو بصدد صراعه مع القصر أثناء وجوده فى الســـلطة ٠ فلقد تصورت زعامته أن بمقـــدورها الاعتماد على أساليبها التقليدية التى طالمـا استخدمتها فى السابق لتقليم أظافر القصر ، الا أنه ما أن بدأ الصراع بينهما حتى بدا القصر خصما عنيدا

مقتدرا ، ما لبث أن ألحق الهزيمة بالحكم الوفدى فى مستهل عهد فاروق ٠ أما عن الجانب البريطانى فمن الخطأ الزعم بأن نجاح القصر فى اقصاء الوفد عن الحكم فى أولى جولات الصراع بينهما كان على اطلاقه بمثابة انتصار على السياسة البريطانية ، بقدر ما كان يمثل نجاحا مرحليا للقصر فى اطار تلك السياسة فى مرحلة ما بعد المعاهدة ٠

على كل حال سارع الملك الى تكليف محمد محمود بتشكيل الوزارة الجديدة فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٣٧ حيث ضمت الأحرار وزعيمى حزب الاتحاد والوطنى كما ضمت عناصر من المستقلين(٤٢) ٠ وجاء تشكيل الوزارة على هذا النحو يحقق صيغة التوازن بداخلها ٠ والحقيقة أن اختيار القصر لمحمد محمود وحزبه لصدارة الوزارة كانت له دوافعه ، فقد كان حزب الأحرار الدستوريين من أقوى أحزاب الأقلية القائمة وقتذاك وأكثرها تنظيما وتماسكا ، يضاف الى ذلك فقد توثقت علاقتهم بالقصر الى حد كبير أثناء الحكم الوفدى(٤٣) ٠ ولقد استمرت صلات الأحرار طيبة بحلفائهم التقليديين من الانجليز ٠ وبعبارة أخرى فان اختيار الأحرار الدستوريين كان من شانه أن يصيب ترضية للجانب البريطانى ٠ أما عن اختيار القوى الأخرى المشاركة فى الوزارة من المستقلين وأحزاب الأقلية انما كان بغرض تجميع كافة القوى الموالية للقصر ودفعها الى مواقع السلطة بغرض تركيز الجهود ضد الوفد وحتى لا ينفرد الأحرار بأمر الحكم كله ٠

لم يكن بمقدور الحكومة الجديدة أن تسلك سبيلها فى الحكم فى ظل وجود البرلمان الوفدى وما يتوقع من ورائه من تصعيد المعارضة بها ، ومن ثم فقد جرى الاتفاق بينها والقصر على التخلص من البرلمان القائم بحله

---

(٤٢) مضابط مجلس النواب : الجلسة الأولى — دور الانعقاد الأول ١٩٣٨/٤/١٢ ٠

(٤٣) انظر محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٤٣ — ٤٤ ٠

دون تعطيل أحكام الدستور . وكان من الواضح أن الأحرار قد استوعبوا الدروس المستفادة من الانقلابات الدستورية السابقة . وكان يوم ٣ يناير سنة ١٩٣٨ محددا لانعقاد مجلس النواب فلمـــا أقيلت الوزارة النحاسية استصدرت حكومة محمد محمود مرسوما بتأجيل البرلمـان لمدة شهر وفقـا لحكم الدستور على حد تعبير هيكل ، وأما المبرر لذلك فهو أن الوزارة لم تكن من حزب واحد وضع لنفسه خطة ينفذها أول ما يتولى الحكم ولكنها كانت فى أقليتها من الأحرار وأكثريتها من المستقلين ، وأنه كان يتعين عليهم الاتفاق على الخطة التى سوف يتبعونهـــا فى الحـكم . فى نفس الوقت رأى بعض الوزراء أن تتقدم الحكومة الى مجلس النواب القـــائم وأن تطلب ثقته فاذا خذلها قامت بحله(٤٤) .

ولا ريب فى أن تلك المبررات كانت تعكس اتجاهات الوزارة نحو الحكم الأوتوقراطى فضلا عن حرصها على تجنب مواجهة البرلمـان الوفدى ، ثم ان ما انتحلته لنفسها من حق حل المجلس اذا امتنع عن الثقة بها ، كان يعطى دلالة واضحة على أن الأمور كانت تجرى بترتيب بينهـما وبين القصر الذى يملك بمقتضى الدستور قرار الحل . حددت الحكومة يوم ١٢ ابريل ســـنة ١٩٣٨ موعدا لاجتماع المجلس الجديد وأجريت انتخابات استخدمت فيهـا كل أساليب التلاعب والتزوير بلغت حدا أن مصطفى النحاس ومكرم عبيد لم ينجحا فى الانتخابات ، وتمخض عنها مجلس للنواب لم يكن للوفد فيه سوى ١٤ مقعدا بينما انعقدت الهيمنة فيه لأحزاب الحلف الملكى(٤٥) .

على هذا النحو استهلت « وزارة الحـكم الصالح » كما نعتها مصـادرها

---

(٤٤) المصدر السابق : ص ٦٦ ، ٧٠ - أنظر كذلك على الدين هلال : المصدر السابق ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٤٥) Fo. 407/222 No. 34. Lampson to Halivax April, 9. 1937.

وردها بسخرية خصومها في بداية عهدها بالحكم • وكان الظن بأن تلك النتائج سوف يترتب عليها استقرار الوزارة في الحكم • بدا محمد محمود راغبا في الاستقلال بمقاليد السلطة دون القصر مستغلا في ذلك التأييد البريطاني له • هذا الاتجاه من محمد محمود كان يتعارض تماما مع سياسة القصر التي كانت تستهدف السيطرة على الحكومة ، وكأثر لهذا التعارض بات الصدام محتما بين الطرفين • وبالفعل بدأت مناورات القصر مستهدفة الحكومة فما أن قدمت استقالتها للملك فى ٥ ابريل اثر ظهور نتائج الانتخابات حتى بادر الملك بايعاز من على ماهر باستبقاء الاستقالة ، ومن جانب آخر توالت اعتراضات القصر على قوائم المرشحين التي قدمها محمد محمود واحدة تلو الأخرى، مما كان يعكس رغبة القصر مقدما فى فرض وصايته على الوزارة(٤٦) •

وكان محمد محمود قد أخرج البنداري من الوزارة عند اعادة تاليفها اعتقادا منه بأن فى ذلك ابعادا للوزارة عن نفوذ القصر ، خاصة وأن البنداري كان رجل على ماهر ، والذى كافأه غداة خروجه من الوزارة بتعيينه وكيلا للديوان الملكى(٤٧) • ومن جانب آخر عمد محمد محمود الى تعضيد وجود الأحرار فى الحكم بتعيين مصطفى عبد الرازق وزيرا للأوقاف وهيكل وزيرا للمعارف بعد أن كان وزيرا للدولة فى الوزارة السابقة ، قاصدا بذلك تقوية قبضته على الوزارة فى مواجهة محاولات القصر لبسط هيمنته عليها(٤٨) • يضاف الى ذلك فان الأحرار والسعديين قد سيطروا على البرلمان بمجلسيه ، بالاضافة الى أن جانبا من المستقلين قد ناصروا الحزبين ، مما كان يشكل عنصر أمان حقيقي للحكومة •

---

(٤٦) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٨٦ - ٨٩ •

(٤٧) Fo. 407/222 No. 51 : Lampson to Halifax, May, 9, 1937. Tel No. 510 Conf.

(٤٨) مضابط مجلس النواب : دور الانعقاد الأول - الجلسة الخامسة ١٩٣٨/٥/٢ •

على هذا النحو بدا واضحا أن القصر كان يمثل أداة التهديد الحقيقى لمسيرة الحكومة فى السلطة دون اغفال دور على ماهر فى هذا المضمار ، ومن ثم فقد راح محمد محمود يطلب بشكل عاجل من السفير البريطانى التدخل لدى على ماهر لتعديل مسالكه نحو الوزارة • وجاء رد الفعل يعكس حقيقة الموقف البريطانى من الصراع القائم ، فتشير الوثائق البريطانية الى أن التدخل قد يؤدى الى احراج موقف السفير البريطانى ، مما يعنى أنه ليست هناك اية نوايا للتدخل فى هذا الصراع • ونكاد نلمس تأكيدا لهذا الاتجاه أيضا فيما أشار اليه لامبسون من أن محاولته للتدخل أثناء الأزمة التى أفضت الى اقالة النحاس قد جعلت محمد محمود يتهم لامبسون بأنه يتدخل فى شئون مصر الداخلية بينما يتهمه اليوم بأنه لا يتدخل لتعضيد موقف وزارته فى مواجهة القصر وكأن التاريخ يعيد نفسه(٤٩) •

هذا الموقف البريطانى كان باعثا لمحمد محمود لكى يسعى لتقوية موقف وزارته من خلال اشراك السعديين فى الحكم بضم أحمد ماهر والنقراشى للوزارة اعتقادا منه بأن ذلك الاجراء من شأنه أن يكبح جماح القصر وعلى ماهر ، رغم أن الشكوك كانت تساور كلا من محمد محمود ولامبسون من امكان أن يعمل أحمد ماهر ضد شقيقه(٥٠) • وفى محاولة لسبر أغوار القصر بصدد هذا التعديل قابل محمد محمود الملك فى ٢٣ يونية وأطلعه على نواياه فى تعديل وزارته فأظهر فاروق رضاءه لذلك(٥١) ، وبالفعل أجرى

---

(٤٩) Fo. 407/222 No. 6: Lampson to Halifax, July, 13. 1938. Tel. No. 128.

(٥٠) Fo. 407/222 No. 57 Same to Same, June, 15, 1638, Tel. No. 375.

(٥١) Fo. 407/222 No. 58 : Same to Same, June 24, 1938, Tel. No. 383

محمد محمود تعديلا فى وزارته يوم ٢٤ يونية حيث دخلها أحمد ماهر وزيرا للمالية والنقراشى وزيرا للداخلية(٥٢) .

وكان واضحا أن موقف القصر من محمد محمود ينطوى على الخداع يتأيد ذلك بما كان من قيام على ماهر بزيارة النحاس فى منزله يوم ١٧ يونية حيث أبلغه بعدم رضاء الملك عن الحكومة لانها لم تحرز أى تقدم فى تحسين أوضاع البلاد الداخلية منذ توليها السلطة ، وسأل على ماهر النحاس عما اذا كان يسعى لتحسين علاقته بالقصر بقبول الاشتراك فى حكومة قومية ، الا أن النحاس كان يطالب بانتخابات حرة تجريها وزارة محايدة ، عندئذ سوف يكون بمقدوره التعاون مع الحكومة الجديدة(٥٣) . وعلى الرغم من أنه لا يمكن الافتراض بأن فاروق كان منبت الصلة بفحوى اتصالات على ماهر بالنحاس ، الا أنه يمكن القول بأن على ماهر قد أراد أن يحقق من وراء تلك الخطوة نتيجتين أولاهما : أن يلوح للحكومة القائمة وبشكل مباشر أن بقاءها فى الحكم غدا وشيك الانتهاء . ثانيتهما : التلويح للجانب البريطانى باستمرار هيمنته على القصر ورسم سياسته ، وهذا ما وضح بالفعل من خلال روايته للامبسون من ادعائه بأن النحاس هو الذى سعى الى مقابلته ، دون أن يكون هو - أى على ماهر - الساعى اليها(٥٤) .

ولا ريب فى أن ثمة خطأ سياسيا قد تردى فيه القصر بتصعيد الخلاف مع وزارة محمد محمود ، فذلك كان مما يقوى عن غير قصد من شوكة الوفد الأمر الذى لم يكن يتفق عملا بأى قدر واتجاهات القصر ، ومما يؤكد ذلك الخطأ الذى وقع فيه القصر ، أن محمد محمود بدأ بالفعل فى التشاور مع

---

(٥٢) مضابط مجلس النواب : دور الانعقاد الأول - الجلسة الحادية والعشرين ١٩٣٨/٦/٢٧ .

(٥٣) Fo. 407/222 Bakaman to Halifax Aug. 16. 1938 Tel. No. 145.

(٥٤) Fo. 407/222 No. 15 Lampson to Halifax, Aug. 1. 1938 No. 137

الوفـد وتبادل وجهات النظر لكى يضمن تأييده فى مواجهة القصر(٥٥) ٠ وأكثر من ذلك فقد أبلغ محمـد محمود لامبسـون من خلال أمين عثمان ـ بأنه فى حالة قيام الحرب فأنه سوف يدعو النحـاس للاشتراك فى الحـكم ولو أدى الأمر الى أن يعمل تحت رئاسة النحـاس(٥٦) ٠ ولا ريب فى أنها أيضا كانت مناورة سـياسية من جانب محمـد محمود استهدف من ورائها كسـب مزيد من التأييد البريطـانى ٠ فهـو وان أراد أن يوحى للجـانب البريطانى بأنه يمكن الاعتماد عليه كحليف يؤازره فى الحرب ، الا أنه كان من ناحية أخرى يبغى تحويل دفة الهجوم الوفدى عنه أو تحييده على أكثر تقدير ، خاصة وأنه كان يدرك تماما أن الوفـد لن يقبل مشـاركته فى الحـكم بأى صيغة ٠

ومن الناحية العملية فشـل محمـد محمود فى تحقيق أى قـدر من النجـاح فى مواجهة القصر بشكل أسـاسى وزاد موقف الوزارة تحرجا كأثر للتصدع الحادث فيها على نحو كان يشكل خطرا أساسيا على تماسـكها بل وبقائها فى الحكم ٠ فمن جهـة وقع خشبة باشا وزير العدل تحت السيطرة الـكاملة للقصر ـ مما انعكس على قيامه بعرقلة العمل الوزارى ، كما استقال رشـوان محفوظ وزير الزراعة أثر تورطه بمزاد مزرعة الجبـل الأصفر ، وكانت اسـتقالته بناء على طلب القصر ٠ ومما زاد الأمر سـوءا أن تفجير المسألة داخل البرلمـان كان على يد السعديين شركاء الأحرار فى الحـكم(٥٧) ٠ ومن ناحية أخرى كان هناك اتفاق بين حسـن صبرى وزير الدفاع والقصر على تعيين صـالح حرب مديرا لمصلحة الحدود الأمر الذى عارضه رئيس الوزراء

---

(٥٥) Fo. 407/222 No. 52 Same to Same Nov., 30. 1938.

(٥٦) Fo. 407/222 No. 42 Same to Same Oct. 1, 1938 No. 156

(٥٧) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ١٥٣ ٠

ورأى فيه ضربا من عدم الحكمة ، وكانت مسألة تعديل رواتب الضباط مثارا لخلاف آخر بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع الذى اعترض على اتجاه الحكومة لتخفيضها وأيده الملك فى موقفه ٠ ازاء تفاقم الخلاف بين محمد محمود وحسن صبرى قدم الأخير استقالته فى ١٦ يناير سنة ١٩٣٩(٥٨) ٠

استغل القصر اضطراب أحوال الوزارة ونجاحه فى التغلغل داخلها وسار فى خطته الرامية الى اضعافها عن طريق مزيد من التدخل فى شئونها ، فعندما تقرر عقد مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن لنصرة شعب فلسطين ، وبدلا من أن يسافر محمد محمود بصفته رئيسا للوزراء ، سافر على ماهر وعبد الرحمن عزام وأسندت رئاسة الديوان الى كامل البندارى(٥٩) ٠ وسياسة القصر هذه قد أغرت صحفه على السخرية من الحكومة ومحاولة النيل من هيبتها فوصفتها بأنها « وزارة ولا وزارة » واتهمتها بالخضوع للسلطة البريطانية وموالاتها ، وكشفت عن المصاعب التى يقابلها محمد محمود من التدخل البريطانى مستهدفة من وراء ذلك محاولة الوقيعة بينهما(٦٠) ٠ وعلى الاجمال فقد تمكن القصر فى غيبة التأثير البريطانى من اضعاف الحكومة وعرقلة مسيرتها فى الحكم فاستقالت فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٣٩ بناء على طلب الملك ٠

ويثير تشكيل على ماهر لوزارته الثانية فى ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٩ ، عقب استقالة وزارة محمد محمود عدة ملاحظات يتعين الاشارة اليها ، أولا : أنها قد أكدت على انتقال مقاليد السلطة وتركزها فى يد القصر ، بالنظر الى طبيعة العناصر التى تألفت الوزارة منها ، اذ كانوا فى غالبيتهم من

---

(٥٨) Fo. 407/223 : No. 4 Lampson to Halifax, Jan. 16, No. 41.

(٥٩) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ص ١٥٥ ٠

(٦٠) روز اليوسف العدد ٥٧٧ يوم ١٩٧٩/٤/١٣ ٠

المستقلين . ثم أن وجود على ماهر على رأسها بما عرف عنه من ميوله الأوتوقراطية وعدائه للدستور فضلا عن ولائه الشديد للقصر ، كان ينبىء عن طبيعة العلاقة الخاصة التى سوف تربط الوزارة بالقصر . ثانيا : تخلص الوزارة تقريبا من أى لون حزبى ، وكانت « وزارة قوية » بما توافر لأعضائها من خبرة ادارية جيدة وكفاءة فنية بالاضافة الى قدرات على ماهر القيادية(٦١). ثالثا : أن على ماهر كان حتى ذلك الوقت يحظى بثقة الجانب البريطانى حتى أن السفير البريطانى كان يعلق الآمال فى وقت ما على توليه الوزارة باعتبار أن ذلك من شأنه أن يهيىء المجال لممارسة النفوذ البريطانى واحكام قبضته على البلاد(٦٢) . حقيقة أن اشتراك صالح حرب وزير الدفاع وعزيز المصرى رئيس الأركان كان باعثا على مخاوف السفير البريطانى عبر عنها بقوله « ان اجتماع هارب من الخدمة ومعجب بالألمان لا يبدو أمرا مثاليا » بيد أن على ماهر نجح فى تبديد مخاوف السفير البريطانى(٦٣) . وعلى الرغم من محاولات على ماهر لتهدئة خواطر الجانب البريطانى الا أن سياسته فى الحكم قد عجلت بالصدام مع السفارة البريطانية . من ذلك اقدامه على فصل أمين عثمان رجل السفارة البريطانية - من منصبه كوكيل لوزارة المالية بزعم تجاوزه سلطات وظيفته وقيامه بالتعاقد على صفقات مباشرة دون الرجوع الى مجلس الوزراء لاستصدار قرار منه فى هذا الشأن(٦٤) . وبالفعل ساء الجانب البريطانى فصل أمين عثمان - خاصة بعد أن أنعم

---

(٦١) Fo. 407/223 (II) : No. II Bateman to Halifax Aug. 25, 1939, No. 1066

(٦٢) Fo. 407/221 No. 28. Lampson To Eden, May. 20. 1937 No. 656.

(٦٣) Fo. 407/223 (II) : No. II. Bateman to Halifax, Aug. 25. 1939 No. 1066.

(٦٤) محمد صبيح : طريق الحرية : « صفحات من الحرب العالمية » الكتاب الثانى ص ٣٦ .

عليه بوسام بريطانى الأمر الذى فسره الكثير من الدوائر بأنه صفعة قصد توجيهها عن عمد الى بريطـانيا على حد تعبير لامبســون(٦٥) ·

بالاضافة الى ذلك فقد قام على ماهر ووزير الداخلية بزيارة للمؤسسات المصرية فى الســودان فى فبراير سنة ١٩٤٠ ، وكان بذلك أول رئيس وزراء مصرى يزور الســودان أثناء ولايته الحـكم ، وهى بدورها زيارة لم تخل أيضا من مغزى ســياسى آخر اذ كان الغرض منهـا التأكيـد على حقوق مصر فى الســودان ومنازعة الوجود البريطـانى هيمنته عليه(٦٦) · وأهم من ذلك كله كانت تلك الســياسة التى تبناها على ماهر بتجنيب مصر الاشتراك فى الحرب ، من شـأنها اثارة شـكوك الجانب البريطـانى فى نواياه الحقيقية ، على نحو تبدت معه قناعة السفير البريطانى بأن على ماهر « لا يســتطيع أن يؤدى دوره معنا باستقامة »(٦٧) ·

والحقيقة أن على ماهر بخطه العدائى لبريطـانيا وتبنيه سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب بوجه خاص ، كان يعكس اتجاهات القصر ونواياه بشكل مباشر مما عبر فاروق عنه للامبســون من أن واجبه كملك لمصر يقتضى منه ألا ينحـاز فى الحرب الى الجانب الخاسر ، فعلق لامبســون على قوله « بأنه على مصر أن تسبح معنا أو تغرق معنا »(٦٨) ·

على هذا النحو بدت النذر لصــدام وشيك الوقوع بين القصر والجانب البريطـانى كان على ماهر محوره الأساسى ، اذ وقر فى اعتقاد لامبســون أن وجود على ماهر فى السلطة لن يترتب عليه سوى المزيد من المحاولات لتقليص

---

(٦٥) Fo. 407/223 (II), Lampson to Halifax. Oct., 2, 1939 No. 298.

(٦٦) الرافعى : فى اعقاب الثورة المصرية ج ٢ ص ٧٦ ·

(٦٧) Fo. 407/224. No. 55. Lampson to Halifax, Jun, 16. 1940, No. 536.

(٦٨) Ibid

النفوذ البريطـانى وتهديده ومن ثم كانت مفاتحة السفير البريطـانى للملك فى ضرورة اقصـاء على ماهر على وجه السرعة • ورغم تلك المناورات التى جرت من جانب القصر لاحتواء الأزمة بمحـاولة اقناع لامبسـون باتاحة الفرصـة لعلى ماهر لأعادة تشـكيل وزارته على قاعدة متسـعة تتفق ووجهات النظر البريطـانية الا أن لامبسـون كان مدركا للمغـزى الحقيقى من وراء تلـك المناورات من ثم أصر على موقفه(٦٩) •

كان مما يحـد من جنوح السياسة البريطـانية نحو اتخاذ اجراء حاسم وقتذاك فى مواجهة القصر سـواء باستخدام القوة أو التلويح بعزل فاروق ، الخوف من موقف الرأى العـام ، وكذا موقف الجيش المصرى وما يتوقع من وراء ذلك من مصاعب • وفى المقابل كان اعطاء القصر متسـعا من الوقت لاعادة تقديراته للموقف ، لم يكن يترتب عليه سوى المزيد من المناورات على نحو سوف يؤدى بالضرورة الى مزيد من التعقيدات والصعوبات أمام السفارة البريطـانية وفى وسـط تلك المحاذير كان على السفير البريطـانى – بتفويض من حـكومته – أن يحسـم الموقف فى مواجهة القصر وعلى ماهر ، ومما شجعه على ذلك أنه قد تلقى من النحـاس ومحمـد محمود وحسين سرى رسـائل النصـح بضرورة تغيير وزارة على ماهر اذا ما أريد انقاذ البلاد(٧٠) •

وبالفعل أرسل لامبسـون انذارا الى فاروق فى ٢٢ يونية سنة ١٩٤٠ يطالبه فيه بأقصـاء على ماهر ، وأسـقط فى يـد القصر ازاء هذا الانذار واضطر على ماهر الى تقديم اسـتقالته للملك يوم ٢٣ يونية • وفى حركة مسرحية بادر الى القاء بيـان أمام مجلس النواب أوضح فيه أن الاسـتقالة كانت لأسـباب خارجة عن ارادته وارادة الشعب المصرى ، اشارة الى الضغط

---

(٦٩) Fo. 407/224. No. 56. Same to Same, Jun. 18. 1940 No. 541.

(٧٠) حسن يوسف : مذكرات : ص ١١٠ •

البريطـاني الذى دفعه الى الاستقالة(٧١) . وحقيقة الأمر أن الجانب البريطانى قد أظهر تشـددا واضحا بصدد تعامله مع الأزمة ، فعلى الرغم مما أظهره على ماهر من التعاون مع الحليفة الا أن دوائر لندن بدت شـديدة الحساسية في هذه الفترة خاصة بعد دخول ايطـاليا الحرب فى ١٠ يونية سنة ١٩٤٠ ، فراحت نفسر أى تصرف من جانب القصر أو على ماهر بأنه استغلال لموقفها السيء ولذلك تمادت فى تصوير أوجه الخلاف التى نشأت بينهما وبين القصر وعلى ماهر من جانب آخر يتأيد ذلك بتراجع بريطانيا عن الحاحها بصـدد ضرورة اعلان مصر للحرب بعد ذلك(٧٢) .

وبرغم تلك الأزمة والنتائج التى ترتبت عليها ، فانها لم تكن تعنى فى التحايل الأخير انحسـارا لسلطة القصر على الوزارة فى مواجهة تزايد حجم التدخل البريطـانى مما انعكس أثره على تشكيل وزارة حسـن صبرى التى تولت الحـكم بعد ذلك . بيد أنه ينبغى الاشـارة الى أنه كان من الواضـح أن فـكرة وزارة وفـدية خالصة لم تكن تمثل بديلا مقبولا لأى من القصر أو الانجليز على السـواء . فالقصر لم يـكن على اسـتعداد لقبول الفـكرة وما يتوقع من ورائها من تجـدد للصراع على السـلطة مع الوفـد . ثم أن الجانب البريطـانى كان بدوره يرى بأن الحـكمة تقتضى أن يكون رئيس الوزراء غير وفـدى على أن يؤيده النحـاس تحسبا لاسـتثارة عـداء القصر والقوى السياسية الأخرى التى يهم الجانب البريطـانى تأييدها له . ثم أن رفض الوفـد لفكرة اشـتراك مصر فى الحرب بل والهجـوم عليها كان عاملا آخرا ـ طبقا لوجهة النظر البريطانية ـ لاستبعاد فكرة عودته للحـكم(٧٣) .

---

(٧١) مضابط مجلس النواب : الجلسة الثانية والسبعين ٣/٣/١٩٤٠ .

(٧٢) صلاح العقاد : العرب والحرب العالمية الثانية ص ١٨ .

(٧٣) Fo. 407/224 No. 20 Halifax to Lampson. Jun. 10. 1940 No. 468

يفهم من هذا أنه كان هناك اتفاق ضمنى بين القصر والجانب البريطانى على طرح فكرة الحكم الوفدى جانبا ، مما كان يعنى أن حرية الاختيار ما زالت مكفولة للقصر نسبيا بصدد البديل المناسب لوزارة على ماهر مما ظهر أثره واضحا فى أثناء اجتماع الملك بالزعماء السياسيين فى قصر عابدين يوم ٢٢ يونية قبل أن يقدم على ماهر استقالته للملك ٠ وتكمن أهمية هذا الاجتماع فى أنه كشف بجلاء عن اتجاهات القوى السياسية بشكل واضح ، فقد كان هناك شبه اجماع على ضرورة استقالة وزارة على ماهر بعد أن أصبحت الثقة مفقودة بينها وبين الحكومة البريطانية ، وهذا بدوره كان يعكس موقف الأحزاب السياسية من الوزارة الماهرية ٠

وبصدد شكل الوزارة الجديدة رأى غالبية المجتمعين ــ فيما عدا النحاس ــ أن تكون وزارة قومية ، مما كان يعنى أن الأحزاب السياسية باستثناء الوفد سوف يتم تمثيلها فى الوزارة القادمة ٠ أما النحاس فقد رفض الفكرة وطلب تشكيل وزارة محايدة تجرى الانتخابات ، دون أن يكون غائبا عن تقديراته ما يعنيه ذلك من تولى الوفد للحكم دون منازع ٠ وبرر النحاس موقفه بأنه لا يستطيع الحكم من خلال الأدوات السياسية القائمة ، اشارة الى البرلمان اللاوفدى القائم ، ثم انه لم يكن ليقبل الحكم ويحدث انقلابا على الدستور ٠

وعلى الرغم من أن الجتماع يوم ٢٢ يونية لم يسفر عن نتائج محددة تتصل بشكل الوزارة القادمة الا أنه ينبغى الاشارة الى أن القصر كان يتحرك فى ظل اتجاه بريطانى برفض الحكم الوفدى على النحو السابق الاشارة اليه ٠ ولقد تبلور موقف القصر بشكل أكثر وضوحا فى اجتماع الملك مع زعماء البلاد يوم ٢٤ يونية بقصر عابدين حيث تمسك النحاس بموقفه السابق من رفض فكرة الوزارة القومية ، فى الوقت الذى كان

فاروق قد اتخذ قرارا بالفعل بتشكيل وزارة ائتلافية برئاسة حسن صبرى وذلك بعد أن أجرى حسنين مشاوراته مع السفير البريطانى(٧٤) . تألفت الوزارة الجديدة من الأحرار والسعديين وبعض المستقلين برئاسة حسن صبرى والمعروف بصلاته الوثيقة بالقصر مما كان ينبئ عن استمرار هيمنة القصر على الوزارة . وكان من بواعث اطمئنان القصر بدوره أن حسن صبرى كان يتمتع بثقة الانجليز على نحو يتوقع معه مزيدا من استقرار الوزارة فى الحكم(٧٥) .

بيد أنه لم تلبث المصاعب أن راحت تترى على الوزارة الجديدة من قبل القصر ذاته . وقبل أن نستعرض العلاقة بين الطرفين ينبغى الاشارة الى حقيقة هامة أغفلها القصر أو تغافل عنها ، وتتصل باختلاف شخصية حسن صبرى عن على ماهر . فالأخير قد جعل الوزارة كمؤسسة سياسية تدور فى فلك القصر وبشكل مطلق، وذلك لم يكن راجعا لضعف على ماهر أو تخاذله فى مواجهة القصر ، بل لأن على ماهر كان يمثل سياسة القصر فى الوزارة ، ومن ثم فقد خلا عهده بالحكم من لمحات الصدام مع القصر . بينما يختلف الأمر تماما بالنسبة لحسن صبرى ، فهو وان كان وثيق الصلة بالقصر الا أنه لم يكن محسوبا عليه بالقدر الذى توافر لعلى ماهر . وبهذا المفاد كان من الطبيعى أن تؤدى محاولات حسن صبرى للاستقلال بالوزارة الى الصدام مع القصر .

وسرعان ما بدأت العلاقة تتوتر بين الوزارة والقصر ، فمن ناحية رفض رئيس الوزارة أن يتسلم رسالة من الملك عن طريق عبد الوهاب

---

(٧٤) انظر حسن يوسف : مذكرات : ص ١١١ - ١١٤ .

(٧٥) Fo. 407/224. No. 74. Lampson to Halifax. Jun. 28. 1940 No. 629.

طلعت — صنيعة على ماهر وقرر بأنه سوف يثير مسألة تعيين رئيس للديوان الملكى موثوق به ، ومن ناحية أخرى كان تأخير الملك فى تقليد وشاح محمد على لرئيس الوزراء خلافا لما جرت عليه العادة فى منحه لجميع رؤساء الوزارات مما كان يعنى عدم رضاء الملك عن رئيس الوزراء(٧٦) . يضاف الى ذلك ظهور بوادر الاضطرابات والفوضى بين الجيش بتشجيع من اللواء زيدى باشا رئيس الأركان ، ويشير حسن صبرى الى أصابع القصر فى تحريك تلك الاضطرابات(٧٧) . ولقد تزايدت مخاوف رئيس الوزراء ازاء ما تردد عن احتمال قيام القصر بتعيين عبد الوهاب طلعت رئيسا للديوان ، باعتبار أن ذلك يعنى امتدادا لنفوذ على ماهر ، ومن ثم فقد بادر حسن صبرى بترشيح محمد حلمى عيسى رئيس حزب الاتحاد وأحمد حسنين الأمين الأول بالقصر لكى يختار الملك أحدهما لمنصب رئيس الديوان(٧٨) .

على الجانب الآخر كان السفير البريطانى يترقب نتائج الخلاف بين القصر ورئيس الوزراء ، وأرسل الى حكومته يقترح عليها أن يتدخل لدى رئيس الوزراء لكى يتمسك برأيه فى ضرورة اقصاء عبد الوهاب طلعت من القصر مشيرا الى احتمالات الصدام مع الملك الذى لا يزال يخضع لنفوذ على ماهر(٧٩) .

يؤرخ تعيين أحمد حسنين رئيسا للديوان فى ٢٨ يولية سنة ١٩٤٠ تراجعا نسبيا لعوامل التوتر والاضطرابات التى اصطبغت بها علاقة القصر بالوزارة ، بيد أنه ما لبث أن تفجر الخلاف داخل الوزارة نفسها بسبب اتجاه

---

(٧٦) Ibid.

(٧٧) Fo. 407/224. No. 87. Same to same, July. 17. 1940. No. 745.

(٧٨) حسن يوسف : مذكرات : ص ٣ ٤ .

(٧٩) Fo. 407/224 No. 88. Lampson to Halifax, July. 19. 1940, No. 758.

حسن صبرى الى اجراء تعديلات فى بعض المناصب الوزارية كانت تمس بعض الوزراء السعديين · ورغم نجاح رئيس الوزراء فى التغلب على الأزمة الا أن الخلاف ما لبث أن تجدد مرة أخرى ، ورغم أنه كان خلافا داخليا ، الا أنه جذب اليه أطرافا أخرى — ونعنى القصر والانجليز — اذ طالب الوزراء السعديون بضرورة اعلان مصر حالة الحرب ازاء احتمالات غزو ايطـاليا لها ، الأمر الذى عارضه حســن صبرى تجنبا لمواجهة خطيرة مع الرأى العام فى البلاد ، خاصة وأن المســألة كانت سببا فى استقالة وزارة على ماهر(٨٠) ·

ازاء تمسك حســن صبرى بموقفه قدم الوزراء السعديون اســتقالاتهم وأجرى حســن صبرى تعديلا بوزارته لشغل الوزارات التى خلت · تلك الخطوة من جانب رئيس الوزراء كانت باعثا على شكوك السفير البريطـانى اعتقادا منه بأنها قد تمت بايعاز من القصر وتشجيعه · من جانب آخر انتقدت الخارجية البريطـانية موقف حســن صبرى بدعوى أنه وان كان محقا فى تجنب اثارة مســألة اشتراك مصر فى الحرب بدعوى تحرج الموقف السياسى فى الداخل الا أنه لا يمكن اعفاؤه من نتائج معالجة الأزمة باخراج الســعديين من الوزارة لرغبتهم فى اعلان اشتراك مصر فى الحرب(٨١) ·

على هذا النحو ظهر موقف الوزارة بادى الحرج ، فمن جهة اضطربت علاقتها بالقصر والانجليز على الســواء ، ومن جانب آخر فان تلك الخلافات التى تفجرت داخلها بسبب مســألة اعلان مصر لحالة الحرب ، كانت تعكس تأثير ذلك التعارض بين اتجاهات القصر والسفارة البريطـانية على الوزارة نفسها وبشكل مباشر ، وما لبث حســن صبرى أن توفى فى ١٤ نوفمبر

---

(٨٠) Fo. 407/224. No. 122. Same to Same, Sept. 21. 1940 No. 1153

(٨١) Fo. 407/224. No. 128 Halifax to Lampson. Sept. 28, 1940, No. 1019

سنة ١٩٤٠ ليؤرخ نهاية عهد الوزارة بالحكم ·

بذلت السفارة البريطانية جهودها بعد وفاة حسن صبرى لكى لا تفاجأ بتعيين رجل آخر لا ترغب فيه وخاصة ازاء ما تردد عن احتمالات قيام القصر بتعيين محمد محمود خليل رئيسا للوزراء مما دعا السفير البريطانى الى تحذير أحمد حسنين من نتائج مثل هذا الاختيار ، بالنظر الى ما كان لمحمد محمود خليل من صلات وثيقة بعلى ماهر ودفاعه عن المصالح الايطالية(٨٢) · وكان اختيار القصر مناسبا لحسين سرى ، فهو من ناحية كان يظهر غيرة على حقوق العرش فضلا عن مصاهرته للملك فاروق ، ثم أنه كان على علاقة طيبة بالجانب البريطانى بسبب موقفه العدائى المعلن من على ماهر · وهذا بدوره كان يجعل ترشيحه موضع رضاء السفير البريطانى(٨٣) · ·

تألفت وزارة سرى بالفعل فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٠ من الأحرار الدستوريين والمستقلين بعد أن رفض الوفد والسعديون الاشتراك فيها(٨٤) · ولم يكن ايعاز فاروق لحسين سرى بعرض مناصب وزارية على الوفد والحزب السعدى سوى مناورة قصد من ورائها اظهار حسن النوايا للسفارة البريطانية · فمن جهة استمر الوفد على موقفه المعلن برفضه الاشتراك فى الحكم مؤتلفا مع غيره من الأحزاب ومن جهة أخرى فان السعديين لم يكونوا ليشتركوا فى الوزارة دون الحصول على تأكيدات مسبقة باعلان اشتراك مصر فى الحرب(٨٥) ·

وبصدد بناء جسور الثقة والتفاهم كشف سرى للامبسون عن

---

(٨٢) يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٢٥ ·

(٨٣) Vatikiotis, P. J. The Modern History of Egypt p. 346

(٨٤) Fo. 407/224 : No. 161 : Lampson to Halifax, Nov. 21, 1940 No. 1573

(٨٥) Fo. 407/224 No. 158 Same to Same, Nov. 17. 1940 No. 1548

اتجاهاته لاقامة علاقة ودية مع الجانب البريطـانى وعزمه على تقليص نفوذ القصر ، ولقد أسهمت جهود سرى فى هذا المضـمار بالفعل على نحو بدا معه اقتناع لامبســون بأن الوزارة تقدم كل معونة ممكنة بصدد اجراءات ومطالب الحرب ، بل وأنه لن تكون هناك لبريطـانيا أية مزايا يمكن تحقيقها من وراء اعـلان الحرب(٨٦) . ومن جـانب آخر توطدت العـلاقة بين القصر ووزارة حسين سرى ، واتجهت نوايا القصر الى توسيع قاعدة الوزارة .

وتبدو المفارقة كبيرة بين مساعى القصر فى هذا الاتجاه عندما كان سرى بصدد تشـكيل الوزارة وبين المسـاعى الأخيرة للقصر فى ذات الصدد . ففى الحالة الأولى كانت تلك المسـاعى من قبيل المناورات السياسية ـ على نحو ما مر بنا ـ لاظهار حسن النوايا للجانب البريطـانى ، وفى الثانية كانت تصدر عن رغبة حقيقية من جانب القصر لتقوية موقف الوزارة من الحـكم . وبتنسيق بين فاروق وسرى تمت اعادة تشـكيل الوزارة فى أواخر يوليو ودخلها خمسة وزراء من الحزب السعدى وأصبحت تضم الأحرار والسعديين وعناصر من المستقلين .

ولقد أثار تشـكيل الوزارة السرية الثانية حفيظة الوفـد الذى رأى ان السعى لاتفاق وطنى قد تمخض عن ضم السعديين ألد خصومه الى الائتلاف الوزارى ، وكان من أثر ذلك أن قام الوفـد بشن حملة عنيفة على الوزارة وعلى الانجليز بدأها النحاس بخطبة عنيفة فى الاسكندرية فى ٤ أغسطس سنة١٩٤٠ اتهم الجانب البريطانى بخرق المعاهدة وتحطيم استقلال البلاد واقتصادياتها ، وكان واضحا أن الحملة استهدفت أن يشعر الجانب البريطانى بخطورة الوفد، كما استهدفت الوجود السـعدى بالحـكم أيضا . أما القصر فقد حـاول

---

(٨٦) Fo. 407/224 No. 179 Same to Same, Dec. 13. 1940 No. 1726.

الاستفادة من كافة أبعاد الموقف فمن جهة أبدى ألوانا من التعاطف مع الحملة التى قادها الوفد ضد الانجليز سواء استمرارا للسياسة التى ظل يتبعها منذ وقت أو رغبة فى كسب شعبية من خلال تحالفه مع الحزب الكبير(٨٧) ٠

ومن ناحية أخرى لم يقيض للعلاقة بين القصر والوزارة أن تسير فى هدى الوفاق ، فبتأثير من على ماهر ونجاحه فى اقناع فاروق بأن حسين سرى قد تحول الى جانب الانجليز بشكل مطلق دون الالتفات الى حقوق العرش ، كان عاملا أساسيا فى احداث الجفوة بين القصر والوزارة ٠ ومما ساعد على تأصيل الفكرة ما كان من قيام سرى بقطع العلاقات مع حكومة فيشى الموالية للمحور على نحو ما سيرد ذكره ، دون الرجوع الى القصر ، فضلا عن ذلك فقد ألقت الأزمة الاقتصادية الناتجة عن الحرب بظلالها الكثيفة على الأوضاع الداخلية فى البلاد فاضطربت شئون التموين اضطرابا لا مثيل له - على حد تعبير أحد المعاصرين - ونقصت السلع الأساسية بشكل ملحوظ ، واستطاع القصر أن يستغل تلك الظروف السيئة التى أحاطت بالوزارة كيما يقتص منها لافتئاتها على حقوقه ، واستغل تلك الظروف لاحراج الوزارة واظهار ضعفها ، فاندلعت المظاهرات تهتف « الى الأمام يا روميل » بتدبير من على ماهر والأزهر مما دفع حسين سرى الى الاستقالة فى يوم ٢ فبراير سنة ١٩٤٢ رغم التأييد البريطانى له(٨٨) ٠

استمرت تجربة القصر ووزارات الائتلاف اللاوفدى ، بعد أن نجح فاروق فى انهاء الحكم الوفدى باقالة الوزارة النحاسية السادسة فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ٠ وينبغى الاشارة الى السمات الأساسية التى ميزت تلك

---

(٨٧) يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٣٠ ٠

(٨٨) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ : ص ٩٩ ، محمد زكى عبد القادر : محنة الدستور (١٩٢٣ - ١٩٥٣) ص ١٢٤ - ١٢٥ ٠

المرحلة من عهد وزارات الائتلاف اللاوفدى قد تمثلت فيما أصاب الجانب البريطانى من ضعف حقيقى على نحو تأثرت معه قدرته على التدخل وتوجيه الشئون الداخلية في البلاد على النحو السابق • وتقلص التأثير البريطانى هنا كان محسوبا لصالح القصر بصدد علاقته بالوزارة كشريك فى السلطة • وبعبارة أخرى لم تعد الوزارة مجالا للصراع أو التنافس بين الجانب البريطانى والقصر بعد أن انفرد الأخير بالسيطرة عليها •

وبدأت بالفعل أولى النتائج فيما ظهر من انفراد القصر تماما بتكليف أحمد ماهر بتأليف وزارته الأولى - رغم المخاوف البريطانية - فى نفس يوم اقالة الوزارة النحاسية ، ضمت الوزارة الماهرية كافة الأحزاب السياسية عدا الوفد ، وكان أول أعمالها هو اطلاق سراح المعتقلين السياسيين الذين جرى اعتقالهم أثناء حكم الوفد وفى مقدمتهم مكرم عبيد واللواء أحمد فؤاد صادق وعدد من الشباب والعمال الذين اشتركوا فى طباعة الكتاب الأسود(٨٩) •

كما صرفت الوزارة جهدها لكشف مساوىء الحكم الوفدى بغية التشهير به ، فتألفت فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٤ لجنة برئاسة وزير المالية للتحقيق فى التصرفات التى جرت فى عهد الوزارة الماضية ، وفى ٨ نوفمبر استصدرت مرسوما بقانون ببطلان الترقيات والعلاوات والتعيينات والمعاشات الاستثنائية التى تمت فى عهد الوزارة الماضية(٩٠) •

وكان مجلس النواب الوفدى القائم بمثابة عقبة كؤود أمام القصر والوزارة على السواء ومن ثم فقد صدر فى ١٥ نوفمبر المرسوم الملكى بحله ودعوة المجلس الجديد الى الاجتماع فى ١٨ يناير سنة ١٩٤٥ ، حيث أجرت

---

(٨٩) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ٤٥ •
(٩٠) الأهرام : ١٩٤٥/١/١٦ •

الحكومة فى ٨ يناير انتخابات قاطعها الوفد كان سداها الغش ولحمتها التزوير تمخض عنها مجلس من أحزاب الأقلية كان موضع رضاء القصر تماما(٩١) ٠

كما استصدرت الوزارة مرسوما فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٤ ببطلان مرسوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٢ الصادر فى عهد وزارة النحاس بالغاء تعيينات الشيوخ التى جرت فى عهد وزارة حسين سرى سنة ١٩٤١ ، حيث قضى المرسوم الجديد باعادة الأحياء من هؤلاء الشيوخ لمباشرة عضويتهم بالمجلس وزوال عضوية جميع المعينين بدلا منهم فى عهد وزارة النحاس ، وكان الغرض من وراء ذلك الحد من فاعلية الوفد ومؤيديه داخل المجلس(٩٢)٠ وخطورة الأمر هنا أن نفوذ القصر لم يعد قاصرا على الوزارة كشريك فى السلطة بل امتد الى البرلمان الذى قيض له فى ظل رضاء القصر أن يستمر لدورة تشريعية كاملة قاربت خمس سنوات ، وهذا بدوره كان ينبىء عن نوايا القصر لتكتيل غالبية القوى السياسية والمؤسسات الدستورية تحت لوائه استعدادا لمرحلة ما بعد الحرب ٠

وعلى ضوء نتائج الانتخابات قام أحمد ماهر بتأليف وزارته الثانية فى ١٥ يناير سنة ١٩٤٥ وكانت امتدادا لوزارته الأولى ٠ ولتعضيد موقف الوزارة الجديدة تم تشكيل ما عرف باسم الهيئة السياسية من بعض المستقلين من كبار الرجال ذوى الرأى، دون أن يكون لها أى تأثير سياسى(٩٣)٠ على كل حال فان الصراع مع الوفد لصالح القصر لم يكن ليصرف السعديين عن هدفهم الرئيسى الذى طالما سعوا اليه وهو اعلان مصر للحرب ، خاصة

---

(٩١) أمين سعيد : المصدر السابق ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ٠

(٩٢) عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ص ١٤٧ ٠

(٩٣) طارق البشرى : عام ١٩٤٦ فى التاريخ المصرى - مجلة الطليعة - فبراير ١٩٦٥ ٠

وأن وجودهم فى السلطة قد هيـأ لهم الفرصة لذلك . هذا الاتجاه من جانبهم لم يكن فى ذلك الوقت ليدفعهم الى الصدام مع القصر ، الذى كان قد تراجع بالفعـل عن موقفه المعلن بصـدد تلك المسـألة خاصة وأن الحرب أصبحت وشيكة الانتهاء لصالح بريطـانيا وحلفائها ، ذلك أن معارضة القصر لفكرة اشـتراك مصر فى الحرب انمـا كانت فى اطار سـياسته المعـادية للجانب البريطـانى ، فمن ثم لم يعد القصر بحاجة الى معارضة الفكرة التى تشيع لها السـعديون . ولقد اتخذ موقف القصر مفهوما عمليا جاء متسـقا وآمـال السـعديين ، اذا اجتمـع فـاروق مع تشرشـل وروزوفلت فى ١٧ فبراير سنة ١٩٤٥ ودارت المشاورات حول موضوع اعلان مصر الحرب(٩٤) ، وتمخض عن ذلك أن أعلن أحمـد ماهر ـ بتأييد من الملك ـ قرار اشتراك مصر فى الحرب يوم ٢٤ فبراير أمام مجلس النواب ، وبرر ذلك الاجراء بأنه سوف يخرج مصر من دائرة العزلة السـياسية الى دائرة التعاون الدولى والاشتراك فى المؤتمرات ، وأن اعلان مصر الحرب لن يثقل كاهلها بجديد(٩٥) . وفور خروج أحمـد ماهر من مجلس النواب بعد القاء بيانه جرى اغتياله ليخلفه النقراشى فى رئاسة الوزارة(٩٦) .

وعلى شـاكلة وزارات الأقلية كانت وزارة النقراشى الأولى تفتقد الى ما يمكن تسميته بالانسـجام الوزارى فغداة تشـكيلها نشب خلاف حاد بين النقراشى ومـكرم حول تقرير لجنة التحقيق فى الوقائع الماسة بالحـكم والتى كان يرأسها مـكرم ، فكان اتجاهه ـ بتأييد من القصر ـ لمحاكمة النحـاس وأعضاء وزارته السـابقة ، فى الوقت الذى كان يعارض فيه النقراشى هذا

---

(٩٤) الدسـتور : ١٩٤٥/٢/٢١ .

(٩٥) مضابط مجلس النواب : دور الانعقاد العادى الأول ـ ملحق لمضبطة الجلسة الثامنة يوم ١٩٤٥/٢/٢٥ ص ١٦٤ .

(٩٦) الأهـرام : ١٩٤٥/٢/٢٦ .

الاتجاه تماما ، يراوده فى ذلك الأمل فى الحصول على تأييد حزب الأغلبية بهدف تعضيد مسنده فى الحكم · ولقد استفحل الخلاف وأصبح متصلا ببقاء مكرم فى الوزارة ، وظهر التعارض واضحا بين اتجاهات القصر لاستبقاء مكرم وأعضاء حزبه بالوزارة وبين اتجاه النقراشى لاقصائهم(٩٧) ·

ورغم التدخل البريطانى لدى القصر بغرض الضغط عليه لاثنائه عن اتجاهه لمحاكمة النحاس وزملائه وتراجع الملك بالفعل ، الا أن النتائج قد تركت آثارها على العلاقة بين القصر والوزارة · وينبغى الاشارة الى أن تلك العلاقة الخاصة التى كانت تربط القصر بمكرم وأعضاء كتلته بالوزارة ، كانت بدورها تكفل للقصر مزيدا من القدرة على التحرك فى مواجهة عناد النقراشى · وبالفعل بدأت مؤامرات القصر تأخذ من جديد طريقها الى الوزارة وكانت المناسبة ما صرح به عبد الحميد بدوى وزير الخارجية فى الأمم المتحدة من أن مشاكل مصر والبلاد العربية ليست مما تمخضت عن الحرب ، مما كان يعنى عدم أحقية مصر فى عرض قضيتها على مجلس الأمن ، الأمر الذى صدم مشاعر المصريين وانتهزت الكتلة تلك السانحة وأوغلت فى الهجوم علنا على تصريحات وزير الخارجية ، وبادر مكرم ووزراء الكتلة بتقديم استقالاتهم، الا أن الملك رفضها وطالبهم بوجوب التماسك(٩٨) ·

وكان من الواضح أن موقف القصر جاء نابعا من قناعته بأن خروج مكرم ووزراء الكتلة لن يكون فى صالح القصر ، اذ كان من المتوقع أن يعمد النقراشى الى رأب الصدع الحادث فى الوزارة باحلال وزراء جدد من السعديين ، وهذا بدوره سوف يترتب عليه تعضيد مسند الوزارة فى الحكم

---

(٩٧) Fo. 371/45930. No. 123. Weekly Political and Economic Report, April, 13. 1945

(٩٨) الكتلة : ١٩٤٦/١/٢٦ ، ١٩٤٦/١/٢٨ ·

على نحو يتعارض مع اتجاهات القصر من الوزارة . الا انه سرعان ما تحرج موقف الوزارة النقراشية فى السلطة وبدا عجزها واضحا عن السيطرة على مقاليد الأمور ، فمن جهة جرى اغتيال أمين عثمان فى يناير سنة ١٩٤٦ وشرع السفير البريطانى فى التصرف بمنطق قريب من منطق ٤ فبراير ، متناسيا فى ذلك اختلاف الظروف بعد أن انتهت الحرب . وسارع السفير البريطانى بطلب مقابلة الملك الا ان القصر استمهله ريثما تنتهى زيارة الملك عبد العزيز آل سعود لمصر . وفى ٢٩ يناير تم اللقاء المنتظر بين فاروق والسفير البريطانى الذى أظهر عدم ارتياحه لاستمرار وزارة النقراشى فى الحكم وعدم امكان التعاون معها(٩٩) . ومما أساء الى موقف الوزارة النقراشية أيضا ما كان من فشلها فى اقناع الجانب البريطانى بالدخول فى مفاوضات لاعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ . هذا الفشل كان يعكس بدوره الموقف البريطانى من النقراشى وعدم رغبته فى التعاون معه بأى قدر . يضاف الى ذلك أن الوفد قد بدأ بدوره يتحرك ضد القصر مما انعكس أثره على العلاقة مع الوزارة بشكل أساسى ، فسارت المظاهرات المعادية للملك تهتف بسقوطه على نحو اهتزت معه الهيبة الملكية ، وكانت تلك المظاهرات قد جرت بتدبير من الوفد وبخاصة الجناح اليسارى منه(١٠٠) .

على هذا النحو بدت الوزارة عاجزة تماما عن مواجهة الأوضاع الداخلية المتردية ، فضلا عن تدهور علاقتها بالقصر والانجليز ، وبدت الفرصة سانحة للقصر كيما يوجه ضربته النهائية اليها من خلال مكرم عبيد ومن ثم كان الايعاز لوزراء الكتلة بتقديم استقالاتهم يوم ١٤ فبراير وأرجعوها الى ما وقع

---

(٩٩) يونان لبيب : تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٧٤ .

(١٠٠) Fo. 371/53289. Political Situation in Egypt (Feb. 1 — Mar. 8 1946) Mar. 25. 1946

من تصرفات خطيرة تتصل بالخلاف على بحث الرد البريطانى على طلب مصر بخصوص المفاوضات(١٠١) ، فسارع النقراشى بتقديم استقالة الوزارة فى ١٥ فبراير سنة ١٩٤٦ الى الملك لتؤرخ بذلك نهاية لعهد وزارات الائتلاف اللاوفدى ٠

وبصدد تحليل علاقة القصر ووزارات الائتلاف اللاوفدى يمكن القول بأن أحزاب الأقلية التى كان يضمها الحلف الملكى ، وان ظلت على ولائها للقصر ، الا أنه قد عجز عن احتواء عوامل الانقسام والتنابذ فيما بين تلك الأحزاب ابان توليها السلطة مؤتلفة ، بل وأكثر من ذلك فاقد رأينا كيف استغل القصر تلك التناقضات وأوغل دون وعى سياسى فى اذكاء الخصومات الحزبية داخل الوزارة - كشريك فى السلطة - اعتقادا منه بأن ذلك من شأنه تقوية قبضته على الوزارة ٠ بيد أن المحصلة النهائية لذلك قد تمثلت فيما ظهر من ضعف فاعلية حكم القصر ذاته ٠ ومن الملاحظ أن وزارات الائتلاف اللاوفدى وان تمتعت بتأييد برلمان لاوفدى على نحو كان من المتصور معه استقرارها فى السلطة دون معارضة يؤبه لها ، الا أن سياسة القصر نحو الوزارة كانت عملا تحد من هذا التصور ، وكان العهد على الاجمال حافلا بالاضطرابات وعدم الاستقرار ٠

وفيما يتصل بحدود التأثير البريطانى على العلاقة بين القصر والوزارة ، فاننا وان كنا نلمس تزايدا له قبل ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ على نحو وصل الى حد الصدام مع القصر غير مرة ، بيد أننا رأينا كيف تراجع التأثير البريطانى بزوال مخاطر الحرب العالمية الثانية لينفرد القصر بالسلطة على الوزارة فيما ظهر من تعيين أحمد ماهر والنقراشى من بعده فى رئاسة

---

(١٠١) الكتلة : ١٩٤٦/٢/١٥ ٠

الوزارة دون تدخل بريطانيا ، رغم أن كلا منهما كان من غلاة الوطنيين المصريين وعرف عنهما العداء الشديد لبريطانيا . وتقلص التأثير البريطانى على هذا النحو وان كان محسوبا ولا ريب لصالح القصر بصدد علاقته بالوزارة الا أنه كان يعنى عملا تراجع الدور السياسى للوزارة كشريك فى السلطة على نحو لم تعد تشكل معه ركيزة من ركائز الصراع بين القصر والجانب البريطانى .

عودة الحكم الوفدى وتجدد الصراع مع القصر :

تمثل عودة الحكم الوفدى اثر حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ مرحلة حاسمة من مراحل العلاقة بين القصر والانجليز ، عجزت فيها الدبلوماسية البريطانية عن تحقيق أهدافها الا من خلال أساليب القهر السياسى التى ساندتها القوة العسكرية فى مواجهة القصر لفرض الوفد على الحكم(١٠٢) ولعل استعراض أوضاع القوى السياسية عشية ٤ فبراير يوضح طبيعة التغيرات المتوقعة التى كان على الوفد احداثها لتأمين وجوده فى السلطة . فالقصر وان بدا مهيض الجناح وعاجزا عن التحرك كأثر لتدخل بريطانى كاد أن يطيح بالجالس على العرش ، الا أنه ظل مركزا للدعاية المحورية والعداء للنظم الديمقراطية . وبعبارة أخرى فان الجانب البريطانى رغم نجاحه مؤقتا فى الحد من فاعلية القصر الا أن الأخير ظل عملا أداة تهديد للوجود الوفدى فى الحكم يتوقع المصاعب من ورائها مما كان ينذر بتجدد الصراع بينهما .

أما حجم التأثير البريطانى فقد كان كافيا لشل فاعلية القصر فى مواجهة الحكومة النحاسية مما شجعها على اتخاذ مزيد من خطوات التغيير

---

(١٠٢) لمزيد من التفاصيل عن ظروف عودة الوفد الى الحكم فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ انظر الفصل الخامس . الصدام بين القصر والانجليز .

فى مواجهة القصر ومن والاه من أحزاب الأقليـة ٠ وكان البرلمـان هو أول مجالات التغيير باعتباره من أهم مؤسسات النظام القـائم ، فاستصدرت الوزارة مرسوما بحل مجلس النواب ، وأجرت انتخابات قاطعهـا الأحرار الدستوريون والسعديون وكان من نتائجها فوز سـاحق للوفـد فى مجلس النواب . ثم استدارت فأجرت انتخابات التجديد النصفى لأعضـاء مجلس الشيوخ ، فاز فيها الوفد بأغلبية ساحقة ، وما لبثت الوزارة أن استصدرت فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٢ مرسوما بابطال المرسوم الصادر فى ٢٤ مارس سنة ١٩٤١ فى عهد وزارة حسنين سرى فأسقطت بذلك عضوية عدد آخر من الشيوخ وعينت بدلا منهم من الوفديين على نحو يمكن معه القول باستعادة الوفد للتوازن المفقود داخل البرلمـان(١٠٣) ٠

على الجانب الآخر كان التنسيق واضحا بين الوزارة والجانب البريطانى وبدت أول البوادر لذلك فى اسـتجابة الوزارة لمطلب السـفير البريطانى باعتقال على ماهر باعتباره مصدرا رئيسيا للمتاعب ، اشارة الى دوره فى توجيه سياسة القصر فضلا عن عدائه لبريطانيا(١٠٤) ٠ وكان خضـوع الوزارة للمطلب البريطانى ، مما أثار مناقشات فقهية واسـعة من جانب المعارضة اتصلت بالحصانة البرلمـانية لأعضاء المجلس ، فى المقـابل راح النحاس يدافع عن تصرف الحكومة ووصف على ماهر - وكان عضوا بمجلس الشيوخ - بأنه الأصـل الأول للداء ، دون أن يشير الى البـاعث الحقيقى لذلك(١٠٥) ٠ ولقد آوغل النحاس فى التقرب للجانب البريطانى فطلب من

---

(١٠٣) مضابط مجلس النواب : دور الانعقاد العادى الأول - الجلسة الأولى ١٩٤٢/٣/٣٠ ص ١٥ ٠

(١٠٤) Fo. 371/31569. No. 760 : Lampson to Fo., Mar. 9. 1942.

(١٠٥) مضابط مجلس النواب : دور الانعقاد العادى الأول - الجلسة الرابعة ٢٠ ، ١٩٤٢/٢/٢١ ص ٥٤ - ٥٦ ٠

لامبسون تشكيل لجنة مصرية بريطـــانية غير رسمية حتى يمـكن للدعاية المصرية والبريطانية السير على نهج واحد الأمر الذى لقى قبولا من لامبسون وطالب بتنفيذه فى الحال(١٠٦) · ومن دلائل هذا التقارب أيضـــا أن أبدى النحاس رغبته فى تغيير حسن نشأت - سفير مصر فى لندن - باعتبـــاره رجل الملك ، ورشح السفير البريطانى أسماء حافظ عفيفى والشمسى وحسين سرى لاختيار واحد منهم · ذلك الاتجاه من جانب الحـكومة كان يهـدف الى القضاء على أى دور لوساطة القصر بصدد العلاقة مع الجانب البريطانى وتم بالفعل استدعاء نشأت الى مصر بدعوى التشـــاور معـه توطئـة لنقله الى طهران(١٠٧) ·

على الجانب الآخر نجح القصر فى احداث تصدع حاد فى زعامة الوفد وذلك باستقطاب مكرم عبيـــد واذكاء خلافاته مع النحاس على نحـو بات التعاون بينهما مستحيلا · ومما زاد موقف رئيس الوزراء حرجا ما كان من رفض مكرم عبيد - بتأييد من القصر - تقديم استقالته ، كما رفض الملك أيضا اقالته ، على نحو اضطر معه النحاس راغما الى تقديم استقالة الوزارة بأكملها ، وحرص على أن يثبت فى كتاب الاستقالة أنهـا ترجع للخـلافات بينه وبين مكرم · وتبرير الاستقالة على هـــذا النحو كان يعكس مخاوف النحاس من أن يعهد الملك الى غيره بتشكيل الوزارة الجديدة(١٠٨) · بيد أن القصر من الناحية العملية لم يكن بقادر على احداث مثل هذه التغيرات اذ أنه لم يكن قد تخلص بعد من الآثار النفسـية التى خلفهـا حادث ٤ فبراير ، وبالتالى فلم يكن على استعداد لصدام آخر مع الانجليز ·

---

(١٠٦) Fo. 371/31568. 719, Lampson to Fo., Mar. 5. 1942.

(١٠٧) Fo. 371/31569.760 Same to Same, Mar. 9. 1942.

(١٠٨) المصرى : ١٩٤٢/٥/٢٨ - ولمزيد من التفاصيل حول الصراع بين مكرم والنحاس ودور القصر فيه · انظر الفصل الثالث : القصر والأحزاب السياسية ·

راح الوفد يسعى لاجراء بعض الاصلاحات الاجتماعية بغرض توسيع قاعدته الشعبية وتحسبا للصراع المرتقب مع القصر ، وكانت أبرز خطواته فى هذا المجال فى أوساط العمال ، باعتبارهم كانوا يشكلون قطاعا عريضا فى البلاد ، وبالفعل أصدرت الحكومة مجموعة من التشريعات العمالية التى عقدت عليها الطبقة العاملة آمالها ، كان أبرزها قانون الاعتراف بالنقابات ثم قانون التأمين الاجبارى ضد حوادث العمل وغيره من القوانين التى استهدفت تحسين أوضاع العمال ، كما صدر فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٢ الأمر العسكرى الخاص بصرف اعانة غلاء المعيشة لعمال الشركات ، وراح يعمل على ايجاد جبهة عمالية تناصر حكمه فجمع عددا من نقابات القاهرة فى اتحاد تحت اسم « رابطة النقابات » أسندت رئاستها الى محمد حسنين عضو الوفد(١٠٩) . وفى اطار تبنى قضايا الاصلاح أيضا أعيدت وزارة الشئون الاجتماعية الى الهيكل الوزارى وتولاها عبد الحميد عبد الحق ، وهى الوزارة التى أنشأها على ماهر عند تأليف وزارته الأولى(١١٠) .

وفى المقابل راح القصر يسعى لاحتواء مساعى الوفد فى هذا الصدد ونجح فى ذلك الى حد كبير ، فاستغل أحمد حسنين فرصة توافد ممثلى العمال والطلاب الى قصر عابدين خلال شهر رمضان ، لاقناعهم بأن النحاس مصمم على سلب الملك اختصاصاته وعلى وضع نفسه على رأس الدولة بدلا من أن يقنع برئاسة الوزارة والحزب . ولقد ظهرت آثار دعاية القصر واضحة فى مظاهرات الولاء المستمرة اثر اصابة الملك فى حادثة القصاصين فى نوفمبر سنة ١٩٤٣(١١١) .

---

(١٠٩) رؤوف عباس : الحركة العمالية فى مصر (١٨٩٩ - ١٩٥٢) ص ١٦٣ ، ٢٠١ .
(١١٠) مضابط مجلس النواب : دور الانعقاد العادى الأول - الجلسة التاسعة ١٩٤٢/٥/١٨ ص ٣٠٧ .
(١١١) يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٥٣ .

بيد أنه سرعان ما تفجر الخلاف بين الحكومة والقصر واتخذ طابعا علنيا فمن جهة قاطعت الوزارة الاحتفال بذكرى وفاة فؤاد فى ٢٨ ابريل ولم يحضر سوى وزيرى الأوقاف والمالية كما قررت أيضا ألا يحضر من أعضائها فى المناسبات التى يرأسها الملك سوى الوزير المختص ٠ يضاف الى ذلك ما تردد عن اعتزام الوزارة تنظيم مظاهرات عدائية للملك فى يوم عيد جلوسه فى يوم ٦ مايو(١١٢) ٠

ومما ساعد على تزايد الخصومة بين الطرفين قيام الملك بدعوة رؤساء أحزاب المعارضة لزيارته بالقصاصين مما اعتبره النحاس تشجيعا من الملك للمعارضة(١١٣) ٠ يضاف الى ذلك تلك الأزمة التى ثارت بين القصر ووزير الدفاع الوفدى بصدد حركة ترقيات الجيش التى أعدها وزير الدفاع ولم يوافق عليها القصر ، فضلا عن رغبة وزير الدفاع فى تعيين اللواء على موسى مديرا لمصلحة الحدود فى الوقت الذى رشح القصر فيه اللواء النجومى للمنصب ، الأمر الذى لقى اعتراضا من النحاس ووزير دفاعه(١١٤) ٠ ومن الغريب أنه رغم تلك الخلافات الحادة التى قامت بين القصر والحكومة الا أن السفير البريطانى يبدى تخوفه من احتمالات التقارب بينهما ذلك أن ثمة ضغوط تمارس على النحاس لاطلاق سراح على ماهر ومحمد طاهر – قائد البوليس الخاص – والنبيل عباس حليم ، واستجابة النحاس لذلك من شأنها أن تكسبه عطف الملك(١١٥) ٠

---

(١١٢) حسن يوسف : مذكرات : ص ٣٣٥ ٠

(١١٣) أخبار اليوم : مقال لمصطفى أمين بعنوان «لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد؟» يوم ١٩٤٤/١٢/٢٠ ٠

(١١٤) Fo. 371/35530. No. 15 Weekly Political and Economic Report, Mar. 4. 1943.

(١١٥) Fo. 371/35530 No. 16 Weekly Political and Economic Report, Mar. 19. 1943

وواقع الحال أن السفير البريطانى لم يكن محقا فى مخاوفه فى هـذا الصدد · فمن الناحية العملية لم يكن النحاس ليغامر بالاقدام على مثل تلك الخطوة تحسبا لما يتوقع من ورائها من مخاطر · فمن جهة فان اطلاقه لسراح على ماهر وزملائه الذين سبق له اعتقالهم بايعاز من لامبسون لميولهم المحورية لن يؤدى بحال الى ازالة أسباب الجفاء بين القصر والحكومة بعد أن تدهورت العلاقة بينهما الى منعطف حاد ، على العكس فان مثل تلك الخطوة من شأنها أن تورث النحاس ريبة الانجليز وشكوكهم مما سوف ينعكس أثره بالسلب على حجم التأييد البريطانى خاصة بصدد صدامه مع القصر ·

ومن الناحية العملية كانت تلك العلاقة المضطربة بين القصر والوزارة مما يتعارض مع مقتضيات السياسة البريطانية التى استهدفت تحقيق توازن بين طرفى الصراع ، وهى بتأييدها للحكم الوفدى لم تكن تبغى سوى تجنيبه مغبة نصر حاسم للقصر ، الأمر الذى تفسره مساعى السفير البريطانى لاحلال الوئام بين الطرفين · الا أن تلك المساعى لم تأت بنتائج حاسمة · وكان أن انتهز القصر تلك الأزمة التى فجرها « الكتاب الأسود » لكى يحاول اقصاء الحكومة النحاسية · وبالفعل قابل الملك السفير البريطانى فى يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٤٤ وسلمه مذكرة مطولة أوضح فيها أنه لا يمكنه الابقاء على النحاس طويلا فى الحكم ، وألمح الى السفير البريطانى بانه يتعين أن تتولى الحكم وزارة تحظى برضاء القصر وتقيم علاقة طيبة مع الانجليز وهو أمر أكثر الحاحا عن ذى قبل · ولقد كان من الواضح أن الملك جاد فى ما ذهب اليه حتى أنه عرض على السفير البريطانى قائمة بأسماء وزارة يرأسها أحمد حسنين وصفها السفير البريطانى بأنها تضم عناصر طيبة ذات خبرات خاصة · على الجانب الآخر كان من الواضح أن مسلك النحاس وتصرفاته فى الحكم قد استثارت السفير البريطانى بالفعل وعلق عليها بقوله « انه لا يمكن

ان يكون هناك ملكين فى هذا البلد » ، الا أن ذلك لم يكن ليبعثه على تغيير موقفه من استمرار الوزارة النحاسية فى الحكم ، وأخبر فاروق بأنه يتعين الرجوع الى لندن فى هذا الشأن(١١٦) .

ولقد أخطأ القصر بتصوره أن هذا التسويف من جانب بريطانيا بصدد اقصاء النحاس لم يكن يعنى رفضها للفكرة وأنها اشـــارة للقصر بالتحرك لحسم صراعه ضد الحكم الوفدى ، وبدأ القصر يتحرك بالفعل فأبلغ أحمـد حسنين السكرتير الشرقى بالسفارة البريطانية يوم ١٨ ابريل سنة ١٩٤٤ بأن الملك قد وقع مرسوم اقالة النحاس ، بيد أن الرد البريطانى جاء خلافا لتوقعات القصر وتقديراته للموقف ، فطلب السفير البريطانى مقابلة الملك وتلا عليه رسالة تشرشل رئيس الوزراء الذى فوضــه فيها ابلاغ النحـاس بأهمية ضبط النفس مهـــددا بأن الحكومة البريطانية ســوف تتخذ موقفا عدائيا من أى طرف يوجه ضربته أولا . وغنى عن البيان أن هذا التهديد كان موجها بالفعل الى الملك الذى اتخذ قرارا باقالة الوزارة النحاسية . وعلى الرغم من تراجع موقف القصر الا أن الجانب البريطانى لم يكن ليترك الأزمة لتمر دون أن يؤكد وصايته على الوزارة فأبلغ النحـــاس بأنه « اذا أصبح مصدرا للمتاعب فاننا سوف نتحول بسهولة الى الطريق الآخر » اشارة الى التحول الى تأييد القصر ومساعدته(١١٧) .

يفهم من هذا أن الجانب البريطانى قد أصبح بمثابة « رجل الشرطة » فى الصراع القائم بين القصر والوزارة النحاسية ، مما سوغ له التدخل فى شئون البلاد الداخلية بدعوى تحقيق التوازن بين طرفى الصراع .

---

(١١٦) The Killearn Diaries. PP. 286 - 288

(١١٧) Ibid PP. 303-304

على كل حال كانت الوزارة النحاسية بحاجة الى تعضـيد مكانتهـا فى الداخل فى مواجهة مناورات القصر وهجمـات المعارضة الضارية عليهـا واتهامهـا بموالاة الانجليز والاذعان لمطالبهم وطلبت الوزارة من الجـانب البريطانى اعادة النظر فى المعاهدة وبحث حقوق مصر فى السودان ٠ وكان واضحا من لهجة السفير البريطانى وتحـذيراته للنحاس ، رفض الجـانب البريطانى مناقشة تينك المسألتين فى الوقت الحالى ٠ وأكثر من ذلك قـد أظهر استياءه من تراخى الحـكومة المصرية فى المجهود الحربى الذى تقدمه لبريطانيا ٠ ولم يكن القصر بمنـأى عن التغيرات الحادثة فى العـلاقة بين الوزارة والسفارة البريطانية خاصة وأن السفير قد أبلغ الملك بأمر تحذيراته للنحاس(١١٨) ٠

والحقيقة أن الظروف التى تولى فيها الوفد الحكم فى ٤ فبراير كانت تحد عملا من مطالبته للجانب البريطانى باعادة النظر فى المعاهدة ومسألة السودان ٠ ولقد كان حريا بالزعامة الوفدية أن تفهم أن الظروف التى واكبت توليها السلطة قد جعلت من حكمها بمثـابة مطلب بريطانى قبـل أن يكون مطلبا قوميا ٠ واذا كان التأييد البريطانى للحكم الوفدى مطلق ، الا أنه لم يكن بمقدور بريطانيا أن تذهب فى هذا التأييد الى حد تقوية شعبية الوفد على حساب مصلحتها الحقيقية بتقديم المزيد من التنازلات من جانبها ٠ حقيقة أن مطالب الوفد هذه قد جاءت متأخرة وبعد أن سلخ فى السلطة ما يزيد على الثلاثين شهرا ، الا أن الرد البريطانى المشوب بنغمة التحذير على مطالب الحكومة النحاسية قد فسره القصر بأن العلاقة بين خصـومه قد قاربت من نقطة الانقلاب ٠

---

(١١٨) Fo. 371/41318. No. 93. Weekly Political and Economic Report, Sept, 15. 1944

على الجانب الآخر كانت العلاقة بين القصر والوزارة قد تدهورت بشكل حاد - على نحو ما تشير اليه الوثائق البريطانية - وتعددت مظاهر التجاهل والاستخفاف من جانب الوزارة بالملك . فمنها ما كان من سفر وزير العدل الى دمشق لحضور مؤتمر المحامين العرب دون ابلاغ الملك وتجاهل الوزير لذكر اسم الملك فى خطبته التى ألقاها فى هذا المؤتمر . ثم ما كان من تجاهل الوزارة الاستئذان من الملك قبل الانتقال رسميا الى الاسكندرية ، فضلا عن رفضها اذاعة القرآن الكريم من القصر الملكى فى شهر رمضان ، ورفض النحاس حضور حفل الافطار الملكى فى شهر رمضان(١١٩) وازاء تلك المظاهر للاستخفاف بالعرش من جانب الحكومة بدأ القصر أكثر تحفزا واستعدادا لاسترداد هيبته وانتهز بالفعل ما عرف « بحادث اللافتات » لتصعيد الخلاف مع الوزارة . وتفصيل ذلك أن الملك أثناء توجهه الى جامع عمرو يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤١ لأداء الصلاة ، طلب ازالة اللافتات التى كانت تحمل اسم النحاس الى جانب اسمه ، فقام الغزالى بك مدير الأمن العام بنزع اللافتات بموافقة رسل باشا ، فما كان من فؤاد سراج الدين وزير الداخلية الا أن أمر بايقاف الغزالى ونشرت الصحف النبأ فى اليوم التالى . ولدى مقابلة أحمد حسنين للسفير البريطانى أكد له أن ثمة اجراء سوف يتخذ من جانب القصر فضلا عن اصراره على اعادة الغزالى لمنصبه . وحاول لامبسون بدوره تهدئة خواطر أحمد حسنين كما حاول الحصول على وعد منه بألا يتخذ القصر اجراء حادا فى مواجهة الحكومة ، وفى نفس الوقت أرسل لامبسون الى النحاس وكان بالاسكندرية ، يوضح له الآثار التى

---

(١١٩) Fo. 371/4131318/No. 95 Weekly Political and Economic Report, Sept. 29, 1944

ترتبت على قيام الحكومة بايقاف الغزالى(١٢٠) .

بدا واضحا أن المساعى التى بذلها لامبسون لتهدئة الأزمة بين القصر والوزارة قد باءت بالفشل . ووصلت تعليمات لندن تقضى بتراجع السفارة البريطانية خلال الأزمة باعتبار أن تلك الصراعات الحادة بين الطرفين فضلا عن استمرارها يجعل من الصعوبة امكان انهائها(١٢١) . فما كان من السفير البريطانى الا أن أبلغ أحمد حسنين بوجهة نظر حكومته من أنها لا ترغب فى التدخل فى المسائل الداخلية ، اشــــارة الى الأزمة القائمة بــين القصر والحكومة(١٢٢) . وتكمن أهمية هذه الوثيقة ليس فى أنها كشفت من طرف خفى عن تراجع التأييد البريطانى للوفد فحسب بل وأن القصر قــد تحدد موقفه بشكل نهائى من الحكم الوفدى على ضوء الموقف البريطانى . فبعــد يومين من مقابلة حسنين للسفير البريطانى ، أبلغ القصر النحاس برغبـــة الملك فى استقالته ، فقدمها وقبلها الملك على الفور(١٢٣) .

وبصدد تحليل العلاقة بين القصر والوفد عند عودته للحكم اثر أزمة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، يتبين أن القيادة الوفدية قد تردت فى خطأ سياسى واضح بتغافلها عن حقيقتين غاية فى الأهمية بصدد تقديراتهـــا السياسية أثناء وجودها فى السلطة ، أولاهما أن التأييد البريطانى الذى دفع بالوفد الى السلطة لم يكن ليستمر على اطلاقه ، وانما كان رهنا بما يمكن أن يقدمه

---

(١٢٠) Fo. : 371/41318 No. 94 Weekly Political and Economic Report, Sept. 15. 1944

(١٢١) Fo. 371/41318. No. 95 Weekly Political and Economic Report, Sept. 29. 1944.

(١٢٢) Fo. 371/41318 No. 96. Weekly political and Economic Report, Oct. 6. 1944

(١٢٣) Fo : 371/41318 No. 97 Weekly Political and Economic Report, Oct. 13, 1944.

الوفد فى الحكم من مساعدات لبريطانيا أثناء الحرب وتأمين سلامة قواعدها فى مصر • ولقد رأينا كيف تراجع هـذا التأييد بصورة واضحة عندما استنفذت بريطانيا أغراضها من الحكم الوفدى ، فى الوقت الذى استطاع القصر فيه أن يضع يده على خمائر الانقلاب فى العلاقة بين الطرفين ويستغلها لصالحه فى الصراع ضد الوفد •

أما الحقيقة الثانية فتتصل بتقدير الوفد لامكانات القصر السياسية فمن الناحية العملية كان القصر حتى ذلك الوقت لا يزال يحتفظ برصيد شعبى يجعله قوة سياسية محسوبة الجانب يتعين على قوى التأثير السياسى أن تضعها فى تقديراتها • بيد أن الحكومة النحاسية سارت فى طريقها لا تلوى على شىء فراحت تتجاهل القصر وطرحت أعراف الحكم جانبا اعتقادا منها بأن التأييد البريطانى سوف يكفل لها من الضمانات ما يجنبها مغبة مناورات القصر ، وذلك على الرغم من تحذيرات السفير البريطانى المتكررة بأنه ليس بمقدوره كبح جماح القصر بشكل مطلق مما كان يعنى ضمنا أن الجانب البريطانى لن يكون بمقدوره دائما تأييد الوزارة فى مواجهة القصر • ولقد ترتب على هذا الاغفال أن النتـائج جاءت متفقة وصالح القصر وليس الحكم الوفدى •

مساعى القصر نحو الوزارة القومية :

برزت فكرة الوزارة القومية فى عهد فاروق لأول مرة اثر استقالة وزارة على ماهر الثانية فى يونية سنة ١٩٤٠ تحت ضغط الانذار البريطانى • وتتردد الفكرة مرة أخرى من جانب القصر بشكل أكثر وضوحا اثر استقالة وزارة حسين سرى الثانية فى فبراير سنة ١٩٤٢ بعد أن وصلت العلاقات بين القصر والسفارة البريطانية الى طريق مسدود • حقيقة أن القصر كان يتحرك صوب فكرة الوزارة القومية وقتذاك فى اطار تاثير بريطانى ضاغط

ينبىء بنذر عودة الحكم الوفدى وما يتوقع من وراء ذلك من تجدد للصراع التقليدى بين حزب الأغلبية والقصر ٠

ولقد ظلت فكرة التمثيل القومى فى الوزارة قائمة فى تقديرات القصر السياسية وظهرت بصورة أكثر الحاحا خاصـــة فى أعقاب اســتقالة وزارة النقراشى الأولى فى فبراير سنة ١٩٤٦ ، بيد أن البواعث التى حركت القصر وقتذاك كانت جد مختلفة عن سابقتها ٠ ففى ظل تقلص التأثير البريطانى على مجريات السياسة المصرية فى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وعجز وزارات الأقلية عن تكريس حكم القصر وتثبيت دعائمه ، فضلا عن عجزها أيضا عن التصدى لقضايا الاصلاح الاجتماعى التى فرضت نفسها على البلاد بصورة أكثر الحاحا بعد انتهاء الحرب ، يضـــاف الى ذلك فان القصر كانت تحركه رغبة أساسية فى البدء فى مفاوضات مع الجانب البريطانى لتحريك القضية المصرية واعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ وتوفير فرص النجاح لذلك ، تراوده فى ذلك الآمال فى منازعة الوفد ومنافسته فى هذا المضمار ٠ كل تلك العوامل كان من شأنها أن تدفع القصر الى تجديد مساعيه لتحقيق فكرة الوزارة القومية ٠

وينبغى الاشارة الى أن مفهوم الوزارة القـــومية ، وان كان يتصـــل بتمثيل كافة القوى على اختلاف نزعاتها ســـواء كانت أحزاب سياسية أو جماعات ايديولوجية فى الوزارة ، الا أننا نجد تغايرا لهـــذا المفهوم لدى القصر ، اذ كانت فكرة الوزارة القومية لديه تعنى اشتراك الوفد بشـــكل أساسى مع أحزاب الأقلية الأخرى فى الوزارة على نحو تبدو معه وكأنهـــا تحمل طابعا قوميا بينمـــا هى فى واقع الحال تحـكم باسم القصر وتنفـذ سـياسته ، دون أن يتطرق القصر فى اطار الفـــكرة الى اشراك القـــوى

الأيديولوجية الأخرى كالاخوان المسلمين أو مصر الفتاة(١٢٤) ٠

ولقد انطلق القصر من هذا المفهوم للوزارة القومية ليبدأ أولى محاولاته الجادة من خلال وزارة اسماعيل صـدقي الثالثة التي تألفت في ١٦ فبراير سنة ١٩٤٦ ٠ واهمية محاولة القصر هنا أنه كان يتحرك بصدد الفكرة دونما ضغط بريطاني خلافا للسابق ٠

بدأ صدقي بالفعل سلسلة من المشاورات مع زعماء الأحزاب السياسية بما فيها الوفد بغية اقناعهم بالاشتراك في الحكومة ٠ الا أن تلك المساعي من جانب صدقي باءت بالفشل اذ لم يشترك في وزارته سوى المستقلين وأربعة من الأحرار الدستوريين ، استطاع صدقي أن يكسب تأييدهم - على حـد تعبير الدكتور هيكل زعيم الحزب - مما يعطي الانطباع أيضـا عن أن حزب الأحرار كان راغبا بدوره عن المشاركة في الحكم ، وأن هذا الفريق منهم قد وقع تحت تأثير اغراءات السلطة(١٢٥) ٠

ومن الناحية العملية يمكن القول بأن حسابات القصر السياسية قـد جانبها صواب التقدير باختيار صـدقي لتشكيل الوزارة القـومية ، فلقد اقترن اسمه بالعداء للنظم الديمقراطية والعبث بالدستور والحياة النيابية ، وكان عهده السابق بالوزارة خير دليل على ذلك ٠ حقيقة أنه كان بالنسبة للقصر يمثل الرجل القوي الذي يمكنه اقرار حالة الأمن والقضاء على أسباب الاضطراب والفوضى التي عمت البلاد في نهاية عهد وزارة النقراشي الأولى ، الا أن ماضيه السياسي لم يكن ليغري أي من القوى السياسية على اختلاف نزعاتها على التعاون معه ، دون اغفال أن الوفد لم يكن قد تراجع عن اصراره

---

(١٢٤) انظر يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٧٧ - ٤٧٨ ٠

(١٢٥) محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ج ٣ ص ٣١٨ ٠

على الحكم منفردا · ثم ان الجانب البريطاني ـ وهذا أساسي ـ كان يرى بأن وزارة صدقي قد جاءت الى الحكم في وقت حرج وأنها لن تكون سوى أداة في يد القصر فحسب(١٢٦) ·

وأهمية الموقف البريطاني هنا أنه كان متصلا بمسألة المفاوضات بشكل أساسي ، وهو الهدف الذى تشكلت وزارة صدقي من أجله · من جانب آخر سعى صدقي بدوره لاضفاء الطابع القومي على وفد المفاوضات ، الأمر الذى فشل فيه وهو بصدد تشكيل وزارته ، فحاول اقناع الوفد بالاشتراك في هيئة المفاوضة مع بريطانيا ، الا أن الوفد لم يكتف بالرفض ، بل وهاجمت صحافته سياسة صدقي ووزارته ، مما اضطره الى مصادرتها والغاء ترخيص بعضها وزج بمحرريها في السجون(١٢٧) · وعلى الرغم من فشل صدقي مع الوفد ، الا أنه نجح في اقناع زعماء أحزاب الأحرار والكتلة والسعديين بالاشتراك في وفد المفاوضات(١٢٨) ·

الى جانب ذلك فقد ضم وفد المفاوضات عددا من الشخصيات المعروفة بولائها للقصر مثل شريف صبرى وعلي ماهر وحسين سرى وعبد الفتاح يحيى ، وهذا بدوره كان يعكس اهتمام القصر الحقيقي بالمفاوضات والرغبة في انجاحها(١٢٩) ·

بيد أن النجاح لم يقيض للمفاوضات التى أجراها الوفد المصرى المفاوض برئاسة صدقي مع الجانب البريطاني ، فمن جهة تفجرت الخلافات بين أعضاء الوفد المصرى بصدد مسألة السودان ، فضلا عن تشدد الجانب

---

(١٢٦) Fo. 371/53299 Political Situation in Egypt Mar. 25. 1946

(١٢٧) صلاح الشاهد : ذكرياتى بين عهدين ص ٤٧ ·

(١٢٨) Fo. 371/53289. Political Situation in Egypt Mar. 25. 1946.

(١٢٩) حسن يوسف : مذكرات ص ٦٨ ·

البريطانى وتسويفه فى مسألة الجلاء عن مصر(١٣٠) ٠

وفيما يتعلق بالجانب البريطانى فان موقفه الحقيقى كان يصـــدر عن قناعته التقليدية بأن أى اتفاق مع مصر لن تتحقق له أداة تنفيذه طالما جرى عقده بمنأى عن الوفد - كحزب للأغلبية - أو فى ظل معارضته ٠ ولقد كان الجانب البريطانى محقا فيما ذهب اليه ، فما أن بدأت المفاوضات بين الطرفين حتى سارع الوفد الى شن حملة ضارية أدان فيها أسس التحالف بين مصر وبريطانيا وأظهر مخـــاوفه بأن تحصل بريطانيـــا من مصر على مزيد من التسهيلات فى حالة الحرب أو التهديد بها ، ولقد لقيت دعوته اســـتجابة واضحة فى البلاد رغم أنها لم تكن عملا سوى مناورة سياسية مكشوفة اذ أن الحرب كانت قد انتهت بالفعل ولم يكن هناك ثمة خطر أو تهديد بحرب أخرى فى ذلك الوقت(١٣١) ٠

أدى فشل المفاوضات الى التعجيل بنهاية عهد الوزارة الصـــدقية فى الحكم رغم محاولات القصر ظاهريا لانقاذ موقفها المتداعى ، فقـــدم صدقى اســـتقالة وزارته فى ٢٨ سبتمبر ســـنة ١٩٤٦ ، الا أن الملك طلب منه الاستمرار فى الحكم ، وفى المقابل اشترط صدقى أن يرســـل اليـــه الملك خطابا يعبر فيه عن ثقته فى تضحياته وجدوى الوسائل التى أدار المفاوضات بها ٠ وبالفعل أرسل الملك كتابا الى صدقى يحثه على الاستمرار فى الحكم ، الأمر الذى اعتبره السفير البريطانى انها خطوة من جانب القصر من شأنهـــا أن تجعل تأييد الملك لصدقى بلا قيد أو شرط فى المستقبل(١٣٢) ٠ والحقيقة

---

(١٣٠) لمزيد من التفاصيل عن المفاوضات صدقى - بيفن : أنظر عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ١٨٩ وما بعدها ٠

(١٣١) George, K. The Middle East (1945-1950) p. 121.

(١٣٢) Fo. 371/53312 No. 148. Campbell to Fo, Sept. 29. 1946.

أن تلك الخطوة من جانب القصر - خلافا لما ذهب اليه السفير البريطانى - لم تكن تعكس نوايا القصر الحقيقية نحو وزارة صدقى والرغبة فى استبقائها فكل ما هنالك أن القصر قد أراد أن يتيح لنفسه متسعا من الوقت كيما يجرى مشاوراته فى اطار تشكيل الوزارة القومية ، التى سوف تخلف وزارة صدقى .

وبدأت مساعى القصر بالفعل ، فاستدعى فاروق زعماء الأحزاب السياسية الى اجتماع فى قصر عابدين يوم ٣٠ سبتمبر ، وظهر من المناقشات التى دارت فى هذا الاجتماع أن الملك كان لا يزال على اصرازه بمعارضته لأى اتجاه من شأنه أن يأتى بالنحاس رئيسا للوزراء(١٣٣) . ومن الناحية العملية فان ابتعاد الوفد عن الحكم ، ثم التغيرات التى طرأت على السياسة البريطانية بخروج كيللرن قد جعلت فريقا من زعماء الوفد أكثر استعدادا لقبول فكرة الوزارة القومية وقتذاك ، فلقد قبل هؤلاء الاشتراك فى الوزارة المقترحة بشرط حل مجلس النواب القائم ، وكانت دورته قد أوشكت على الانتهاء فى نوفمبر ، ثم أنهم من ناحية أخرى أظهروا ثقتهم فى مرشح القصر شريف صبرى ، وأبلغوه أثناء مشاوراته أنه حتى لو طالت المفاوضات بعد نوفمبر فيمكنه الحكم بدون انتخابات جديدة .

والتغير الحادث هنا فى موقف الوفد كان يعكس تغيرا جذريا فى موقفه تمثل فى قبوله الحكم مؤتلفا مع غيره من أحزاب الأقلية الأخرى ، ورغم ذلك فقد أخفقت تلك المحاولة بدورها ، فمن جهة كان موقف النحاس مغايرا تماما لموقف سائر زعماء الوفد ، فهو لم يكن على استعداد لتضحية تجعله بمنأى عن رئاسة الوزارة ومن جهة أخرى فان القصر قد أخطأ فى اتصاله

---

(١٣٣) Ibid. No. 151. Same to Same, Sept. 30. 1946.

بالوفد فبدلا من أن يتم هـــذا الاتصـــال من خـــلال فؤاد سراج الدين أو النحاس ، تم من خلال زكى العرابى مما لم يكسبه القوة المطلوبة(١٣٤) .

ازاء فشل جهود القصر فى محاولة تشكيل الوزارة ، قبل اســـتقالة وزارة صـــدقى وعهد الى النقراشى بتشـــكيل الوزارة الجديدة حيث تقاســـمها الأحرار الدستوريون والسعديون(١٣٥) . ويتضح مدى تداخل القصر السافر فى تشكيل الوزارة حتى أن أحد أعضائها وهو محمد على علوبة قـــد عرف بنبأ تعيينه من الصحف وعندما ذهب الى القصر تقـــابل مـــع حسن يوسف وكيل الديوان وانطوان الجميـــل رئيس تحرير الأهرام حيث أقنعاه بقبول الوزارة « اكراما للملك » على أن يستقيل بعـــد ذلك بأية حجة يختارها ، وبالفعـــل قدم علوبة اســـتقالته يوم ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٦ وقبلهـــا الملك(١٣٦) .

وعلى شاكلة الوزارة الصدقية ، كان عـــلى وزارة النقراشى أن تسعى للدخول فى المفاوضات مع الجانب البريطانى فأشار النقراشى فى خطـــاب العرش أمام مجلسى البرلمـــان الى أن الوزارة قد جعلت أمر تحقيق المطالب الوطنية مطلع عهدها ورأس برنامجها فى كتاب تشكيلها(١٣٧) . بيـــد أن السبل لم تكن ميسرة أمام النقراشى بصدد التمهيد للمفاوضات رغم تأييـــد القصر له فما لبثت أن نشبت أزمة حادة مع الجانب البريطانى بسبب اصدار الحاكم العام للسودان قرارا بانهاء خدمة الشيخ حسن مأمون قاضى قضـــاة

---

(١٣٤) انظر يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٨٣ .

(١٣٥) مضابط مجلس الشيوخ : دور الانعقاد العادى الثانى والعشرين ـ الجلسة الثانية ١٩٤٦/١٢/٢٢ ص ٣٦ .

(١٣٦) محمد على علوبه : ذكريات سياسة واجتماعية ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧ .

(١٣٧) مضابط مجلس الشيوخ : دور الانعقاد العادى الثانى والعشرين ـ الجلسة الثانية ١٩٤٦/١٢/٢٣ ص ٥١ ـ ٥٢ .

السودان في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٦ ، وهو المنصب الذى سبق للشيخ المراغى أن رفضه بدعوى أنه لا يمكنه تولى القضاء الاسلامى الا من يد حاكم مسلم . وبطبيعة الحال تجاوزت الأزمة حدودها بتفجير قضية السودان وحقوق السيادة المصرية هناك . واستغلت المعارضة الوفدية بمجلس الشيوخ الموقف فى مواجهة الوزارة بغية احراجها واظهار ضعفها فى مواجهة الجانب البريطانى . وفى محاولة لاحتواء الأزمة تم الاتفاق بين النقراشى والسفير البريطانى ، على أن يصرح بيفن بأن بريطانيا لا تشجع السودانيين على الانفصال وأنهم اذا أرادوا الاستمرار فى الاتحاد مع مصر فان بريطانيا لا تعارض هذا الحل(١٣٨) .

ومن ناحية أخرى وبتأييد من القصر جرت اتصالات سرية بين النقراشى والسفير البريطانى الذى تقدم باقتراحين من الحكومة البريطانية أولهما يتضمن استعداد حكومة لندن لتوقيع معاهدة التحالف وبروتوكول الجلاء بالأحرف الأولى ــ وهما الموقع عليهما من صدقى واستبعاد بروتوكول السودان ــ على أن تظل اتفاقية سنة ١٨٩٩ سارية . أما الاقتراح الثانى فيتضمن استعداد حكومة لندن لتوقيع المعاهدة مع بروتوكول السودان وعدم تقييد حق السودان فى اختيار مستقبله على أن تتعهد بريطانيا بحماية حقوق مصر هناك(١٣٩) .

وكان من الواضح أن كلا من الاقتراحين ينطوى على الخداع والمراوغة من جانب بريطانيا ، اذ اتضحت نواياها فى تسوية المسألة المصرية مقابل

---

(١٣٨) مذكرات النقراشى : أخبار اليوم : العدد ٢٦١ يوم ١٩٤٩/١١/٥ .

(١٣٩) مذكرات النقراشى : أخبار اليوم : العدد ٢٦٢ يوم ١٩٤٩/١١/١٢ ومما يجدر ذكره أن نشر مذكرات النقراشى قد أثار غضب دوائر السفارة البريطانية فتدخلت لدى وزارة سرى وأوقفت نشرها . اخبار اليوم العدد ٢٦٣ يوم ١٩٤٩/١١/١٩ .

تغاضى مصر عن مسألة السودان . وبعبارة أخرى فان بريطانيا كانت تساوم على السودان مقابل الجلاء عن مصر . وبطبيعة الحال لم تكن الوزارة بقادرة على تقديم أى تنازلات فى هذا الصدد على العكس فلقد أظهرت الوزارة تشددا فى مسألتى الجلاء والسودان واعتبرت جلاء القوات البريطانية عن مصر شرطا أساسيا للدخول فى مفاوضات التحالف(١٤٠) .

يفهم من هذا أن ثمة اختلافات جوهرية قد ظهرت بين وجهات النظر المصرية والبريطانية بصدد المسائل المقرر التفاوض عليها وهذا ما دفع بالنقراشى لأن يعرض القضية المصرية على مجلس الأمن فى أغسطس سنة ١٩٤٧ ، ودفع ببطلان معاهدة ١٩٣٦ باعتبار أن مصر لم تكن طرفا حرا عند ابرامها(١٤١) . الا أن بريطانيا بما لها من ثقل سياسى حالت دون اتخاذ المجلس قرارا بجلاء قواتها عن مصر والسودان ، مما كان يعنى ضمنا أنه غدا من المحتم على مصر أن تسعى للتفاوض المباشر مع بريطانيا من جديد .

والواقع أن موقف فاروق والنقراشى لم يكن منبت الصلة باحجام بريطانيا عن اظهار أى قدر من المرونة بصدد اعادة النظر فى المعاهدة ، فلقد وقر فى اعتقاد الدوائر البريطانية أن كليهما كان يسعى لتشجيع الاتجاهات المعادية لبريطانيا فى مصر(١٤٢) . ويضاف الى ذلك فانه لم يكن غائبا عن تقديرات السياسة البريطانية أن السعى للمفاوضات من جانب القصر لم يكن سوى محاولة لانقاذ مكانته المتداعية فى الداخل ، وهذا ما دفع المستر كلايتون مدير القسم الافريقى بالخارجية البريطانية الى أن يقترح على حكومته ضرورة توخى الحذر فى منح تأييدها لفاروق ، وأنه يتعين على بريطانيا ألا

---

(١٤٠) Fo. 371/62967. Campbell to Fo. Mar. 11, 1947, No. 657.

(١٤١) الحكومة المصرية : بيانات حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى رئيس مجلس الوزراء ورئيس وفد مصر أمام مجلس الأمن — أغسطس ١٩٤٧ ص ٥ وما بعدها .

(١٤٢) Fo. 371/62969. Campbell to Fo. Mar. 12. 1947 No. 636.

تضع كل « أوراق اللعب » معه اشارة الى عدم السماح لفاروق بأن يجعل من المفاوضات وسيلة لتعضيد نفوذه في الداخل واستعادة هيبته(١٤٣) .

من جانب آخر تولى ابراهيم عبد الهادى - رئيس الديوان الملكى - رئاسة الوزارة في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ اثر اغتيال النقراشى ، وكان من الواضح أن اختياره للوزارة من وجهة نظر القصر كان بهدف القضاء على أسباب الفوضى والاضطراب التي عمت البلاد اثر اغتيال النقراشى . وبعبارة أخرى فقد كانت وزارة ابراهيم عبد الهادى - من وجهة نظر القصر - بمثابة وزارة انتقالية تمهد الطريق للوزارة القومية . وخلافا لاتجاه القصر ، تصور ابراهيم عبد الهادى أن بمقدوره أن يبادر الى تحقيق آمال القصر فى الوزارة القومية . وبالفعل أجرى مفاوضات مع بعض قيادات الوفد مثل زكى العرابى وعبد السلام جمعة ، بغرض اقناعهما باشتراك الوفد في الوزارة ، وأبلغ كريم ثابت بفحوى هذه الاتصالات طالبا منه استطلاع رأى الملك فيمن يرشحهم للاشتراك فى الوزارة الأمر الذى لم يجد قبولا من الملك بسبب عدم رضائه عن الوزارة أصلا(١٤٤) .

وكان من الواضح أن ابراهيم عبد الهادى قد تصور أن بمقدوره استبقاء وزارته فى الحكم دون تأييد القصر ، الأمر الذى تفسره محاولاته فى اقناع الجانب البريطانى بسرعة البدء فى المفاوضات ، بيد أن سرعان ما جاء الرد البريطانى على مساعى ابراهيم عبد الهادى بأن الفرصة لم تأت بعد(١٤٥) .

---

(١٤٣) Fo. 371/99995 : Fo. Miniute Mr. Clutton, Dec. 7, 1948.

(١٤٤) كريم ثابت : مذكرات - جريدة الجمهورية يوم ١٩٥٥/٦/٢٢ .

(١٤٥) Fo. 371/73504. Campbell to Bevin, July, 17. 1949 No. 406

وبطبيعة الحال كان على القصر أن يتحرك لاحباط مساعى رئيس الوزراء ، فقابل حسن يوسف - رئيس الديوان الملكى بالنيابة - السفير البريطانى وأبلغه بأنه سوف يتم تشكيل حكومة محايدة لاجراء الانتخابات وأن ذلك من شأنه توفير الضمانات لاجراء تسوية مأمونة ، اذ أن الجانب المصرى سوف يكون قويا بدرجة كافية تمكنه من الموافقة على تسوية واقناع البلاد بقبولها(١٤٦) . والواقع أن معارضة القصر لمحاولات ابراهيم عبد الهادى بصدد التفاوض مع بريطانيا لم تكن راجعة لتغير موقف القصر من المسألة ، بقدر ما كانت ترجع الى تقديرات القصر لامكانيات رئيس الوزراء المحدودة وقناعته بأنه لن ينجح فيما فشل فيه النقراشى رغم مراسه السياسى ، ومن ثم كان الايحاء للجانب البريطانى بأن الوزارة القائمة لا تتوافر فيها المقومات الأساسية للتفاوض ، وأنه يتعين الانتظار ريثما تتولى الحكم وزارة قومية تشترك فيها كافة الأحزاب السياسية .

كان تأليف حسين سرى لوزارته الثالثة فى ٢٥ يونية سنة ١٩٤٩ بمثابة تتويج لجهود القصر فى اطار محاولات الوزارة القومية ، اذ جرى فيها تمثيل كافة الأحزاب السياسية بما فيها الوفد والمستقلون(١٤٧) . ولا ريب فى أن اختيار القصر لسرى كان بمثابة اختيار مناسب ، فهو من جهة كان محسوبا على القصر فضلا عن أنه كان موضع ثقة الوفد الذى كان موقفه الرافض للمشاركة فى الوزارة مع الأحزاب الأخرى ، بمثابة الصخرة التى كانت تتحطم عليها دائما محاولات القصر لتشكيل الوزارة القومية .

---

(١٤٦) Ibid

(١٤٧) مضابط مجلس الشيوخ : دور الانعقاد العادى الرابع والعشرين - الجلسة السادسة والاربعين ٢١/٨/١٩٤٩ ص ١٦٩٤ .

عند هذا الحد يتعين الاشارة الى ذلك التباين بين أهداف القصر والوفد بصدد اشتراك الأخير فى الوزارة · فالوفد اعتبر تلك المشـــاركة مدخله الطبيعي للسلطة ، اذ أن وجوده فى الوزارة سوف يكفل له الضمانات اللازمة لحيدة الانتخابات المقرر اجراؤها والتى سوف يتولى الحكم على ضوء نتائجها · أما القصر فقد كان يأمل من وراء نجـــاح التجربة تكريس فـكرة الوزارة القومية وتحقيق التوازن الحزبى داخل الوزارة ، ومن ثم يكون القصر قادرا من خلال أحزاب الأقلية المشاركة فى الحكم ، على كبح جماح الوفد والحد من توجهاته نحو الانفراد بالسلطة · وتتأكد وجهة نظر القصر هذه ورغبته فى استمرار التجربة مما قرره عبد الفتاح عمرو السفير المصرى فى لندن لوزير الخارجية البريطانية من أن الحكومة الحالية ـ حكومة سرى ـ تنشد انتخابات حرة بهدف قيـــام حكومة قومية صالحة بعـــد الانتخـابات(١٤٨) · الا أن الانتخابات التى أجرتهـــا حكومة سرى ما لبثت أن أسفرت عن فوز الوفد بأغلبية ساحقة سوغت له الانفراد بالحكم وأرخت عملا نهاية لفكرة الوزارة القومية التى تبناها القصر ·

ولقد كان من دلائل فساد تقـــديرات القصر للموقف ، الظن بامكان اجراء انتخابات محايدة تؤدى الى برلـان يتحقق فيـــه التوازن بين الوفد وأحزاب الأقلية الأخرى ووزارة قومية يتحدد فيهـــا دور الوفد والأحزاب الأخرى فى الحكم فى اطار سياسة القصر · فالقصر ذاته لم يكن قويا بدرجة كافية تمكنه من احتواء الوفد أو كبح جماحه على أقل تقدير ، اذ أن مكانته السياسية كانت قد تدهورت بشكل واضح خاصة بعد حرب فلسطين وما تمخض عنها من نتائج ، فضلا عمـا ظهر من مساوىء حكمـه فى خلال عهـد

---

(١٤٨) Fo. 371/73505. Fo. to Campbell, Oct. 19. 1949 No. 910

وزارات الأقلية ، وهذه كانت فى جملتها عوامل تضعفه عملا فى مواجهة الوفد . حقيقة أن مخاوف القصر قد بدت واضحة من انفراد الوفد بالسلطة وما يتوقع من وراء ذلك من تعجيل لصدامه مع القصر ، بيد أننا سوف نرى كيف أدى مسلك الوفد فى الحكم الى تبديد مخاوف القصر وباعد بين احتمالات الصدام بينهما .

وخلاصة القول فان سلطة القصر قد امتدت بشكل مؤثر على البرلمان والوزارة غالبية سنى حكم فاروق . ولقد تبدت سيطرة القصر على البرلمان بشكل واضح حتى أن برلمانا لم يكمل دورته التشريعية كاملة سوى برلمان لاوفدى ظل قائما زهاء سنوات خمس بدأت فى عهد وزارة أحمد ماهر الثانية فى ١٥ يناير سنة ١٩٤٥ ، حتى قامت وزارة حسين سرى بحله فى نوفمبر سنة ١٩٤٩ تمهيدا لاجراء الانتخابات التى جاءت بالوفد الى الحكم . ومن الناحية العملية ظل البرلمان عاملا مؤثرا وحيويا فى علاقة القصر بالوزارة ، فعلى امتداد عشر سنوات من حكم فاروق تولت السلطة التشريعية فى البلاد برلمانات لاوفدية الصبغة عضدت حكم وزارات الائتلاف اللاوفدى التى كانت تحكم باسم القصر ، حتى عندما تحول القصر الى تبنى فكرة الوزارة القومية لم تتغير صبغة البرلمان .

أما عن الوزارة كشريك فى السلطة ، فيمكن القول بأن لونها السياسى كان يحمل الدلالات على طبيعة علاقتها بالقصر ويحدد حجم تأثيره السياسى . فالصراع الناشىء بين القصر والوزارة فى عهود الحكم الوفدى كان يصدر عن اتجاه حزب الأغلبية للحد من توجهات القصر الأوتوقراطية وجنوحه للحكم المطلق ، دون اغفال أن التدخل البريطانى فى مواجهة القصر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كان فى التحليل الأخير محسوبا لصالح الوفد . حقيقة أن القصر بدأ خصما عنيدا مقتدرا فى الصراع بما توافر له من رصيد شعبى

ظهر تأثيره واضحا خاصة فى أوائل حكم فاروق ، وأسهم بشكل واضح فى صياغة العلاقة بين القصر والوفد فى فترات حكمه • على الجانب الآخر تبدو المفارقة كبيرة فى عهود وزارات الائتـــلاف اللاوفدى ، فهى بحـكم ظروف تشكيلها والعناصر التى شاركت فيها قد توجهت بولائها للعرش باعتبار أن مجيئها للسلطة واستمرارها فيها انما كان رهنا بموافقة القصر وتأييده • وبعبارة أخرى فان الوزارة وان ظلت خلال غالبية عهود الحكم الوفدى مركزا لصنع القرار ، فانه فى عهد وزارات الائتلاف اللاوفدى انتقلت سلطة القرار الى القصر •

وقد سعى القصر الى اعادة صـــياغة عـلاقته بالوزارة ـ كشريك فى السلطة ـ على أسس أكثر استقرارا وثباتا تحقق له استدامة السيطرة على الوزارة ، فى ظل توازن حزبى بداخلهـــا ، ومن ثم برزت فكرة التمثيـل القومى فى الوزارة • ولقد دخل الجانب البريطانى كعامل مؤثر فى تقديرات القصر بصدد الفكرة ، فحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت فكرة الوزارة القومية بمثابة السبيل الوحيد للقصر كيمـا يتجنب مغبة الضغط البريطانى لصالح الوفد ، الا أنه بنهاية الحرب وتراجـــع حجم التأثير البريطانى فى مواجهة القصر بشكل خاص ، عاد الأخير الى تبنى فكرة الوزارة القومية من جديد بغرض التمهيد للتفاوض مع بريطانيـــا لاعادة النظر فى معـــاهدة ١٩٣٦ • ورغم فشل القصر المتعاقب فى تحقيق الفكرة ، الا أن كل وزارات الأقلية التى شكلها فى تلك الفترة ورغم افتقادها للطابع القومى ، لم تتخل عن السعى للتفاوض مع الجانب البريطانى لتحقق بذلك أهم أهداف القصر فى مواجهة حزب الأغلبية •

الفصل الثانى

القصر والأحزاب السياسية

- تطور الصراع بين القصر والوفد
- القصر وأحزاب الأقلية : الأحرار الدستوريون - الهيئة السعدية
  الكتلة الوفدية - الحزب الوطنى
- تجربة أحزاب القصر

القصر والأحزاب السياسية

رغم وحدة الاطار الدستورى للتجربة الحزبيـــة فى مصر منذ صـــدور دستور سنة ١٩٢٣ وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، الا أنه يمكن القول بأن ابرام معاهدة ١٩٣٦ وتولى فاروق عرش مصر ، كانا بمثابة حد فاصل بين مرحلتين لتلك التجربة كانت سماتهما غاية فى التمايز مما بدا واضحا من تتبع الاطار الحركى للأحزاب السياسية والقوى الحقيقيـــة التى ساندت حركتها فى خلال المرحلة الثانية من التجربة الحزبية ٠

فلقد كان المعيار الجماهيرى ـ الى جانب القصر والانجليز ـ فى مرحلة ما قبل المعـاهدة ، أساسا لتحديد الثقل السـياسى للأحزاب ومواقعها على السـاحة ٠ فالوفـد كان أكثر الأحزاب السياسية على الاطلاق التصـاقا بالجماهير وطلبا لتأييدها فى حركته السياسية داخل الحـكم وخارجه ٠ الا أن القصر نجح فى أوائل عصر فاروق فى أن يجتذب لنفسه قدرا كبيرا من التأييد الشعبى ، كيما يحارب الوفـد بسلاح طالما استخدمه فى مواجهة خصـومه السـياسيين وعلى رأسـهم القصر ٠ حقيقة أن الوفـد قد سعى الى الاحتفاظ بتماسك القاعدة الشـعبية التى كانت تؤيده ، بيد أن الانشقاقات المتتالية التى تعرض لها فضـلا عن محاولات القصر ـ فى عهـد فاروق ـ منازعته شـعبيته قد أثرت ولا ريب على سعى الوفـد فى هذا المجال ٠ وتتأكد تلك الحقيقة من خلال رصـد رد الفعل الشعبى فى مواجهة الملك فؤاد ازاء محاولاته لاسـقاط وزارة سـعد زغلول سنة ١٩٢٤ اذ كان على النقيض تماما من رد الفعل الناتج عن اقالة فاروق للوزارة النحاسـية الرابعة فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٧ ٠ ففى الأولى خرجت جماهير الوفـد تؤيده وتهدد القصر وتهتف

(سعد أو الثورة) على نحو لم يكن بمقدور القصر معه سوى التراجع فى مواجهة الحكومة الوفدية · أما فى الثانية فالوقع الجماهيرى كان أضعف من أن يستجيب له القصر والذى بدا برصيده الشعبى خصما عنيدا ومقتدرا للوفد فكانت الاقالة · وبعبارة أخرى فان ما أعترى شعبية الوفد من ضعف كان ايذانا بمغيب التأثير الجماهيرى بقوته عن ساحة الصراع السياسى ليصبح الانجليز والقصر عملا قطبى القوة للأحزاب السياسية ·

وتتأيد تلك الحقيقة من خلال حركة الوفد ذاته فتوليه الحكم فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ كان فى التحليل الأخير وفق ارادة بريطانية وما كان من توليه الحكم للمرة الأخيرة ،عام ١٩٥٠ أنما جرى بتمهيد من القصر وايعاز من الانجليز · وادراك الوفد لذلك كان باعثا له على ممالأة القصر والتقرب اليه بشكل أساسى ·

وينبغى أن نوضح أن غياب التأثير الجماهيرى عن ساحة الصراع لم يكن ناتجا عن انعدام الوعى أو الادراك السياسى لها بقدر ما يفسر بيأسها من قدرة أى من الأحزاب السياسية القائمة على التصدى لقضايا الاصلاح السياسى والاجتماعى والتى فرضت نفسها على الساحة بصورة أكثر الحاحا خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، مما كان يعنى ان النظام الحزبى فى مصر فى مرحلة ما بعد المعاهدة قد أخفق فى القيام بوظيفته الأصلية وهى التعبير عن مصالح البلاد وتبنى قضاياها الأساسية · ومن ذلك أيضا بروز جماعات الرفض السياسى والاجتماعى مثل الاخوان المسلمون ومصر الفتاة والتنظيمات الشيوعية ، فرغم أن جذور نشأتها كانت تمتد الى ما قبل ابرام معاهدة ١٩٣٦ ، أى خلال المرحلة الأولى من التجربة الحزبية ، الا أن ظهورها على الساحة وتنامى الدور الذى لعبته فى السياسة المصرية - خلال المرحلة الثانية من التجربة - كان بتبنى الدعوة الى الاصلاح · ورغم

ذلك فان تاثيرها على الســاحة جاء محدودا اذ أنها راحت تعمل فى إطار خارج عن الشرعية الدستورية ايمانا منها بفساد النظم الديمقراطية وعدم صلاحيتها للحــكم • وزاد الفتق على الراتق أنها أوغلت فى استخدام صنوف الارهاب الســياسى كوسيلة لقمع آراء معارضيها مما أكد على عدم مشروعية وجودها ونشاطها •

بهذا المفاد فان ظهور تلك الجماعات كان بمثابة رد فعل طبيعى لاخفاق الأحزاب السياسية فى وظيفتها الأساسية ، ثم ان استمرار نشــاط هذه الجماعات كان يعنى عجز الأحزاب عن احتوائها باتجاهاتها المختلفة لكى تعمل من خلالها •

أما القصر فقد تخلص من فكرة انشاء أحزاب سياسية يحكم البلاد من خلالها • فاذا كان عهد فؤاد قد شهد قيام حزبى الاتحاد والشعب فى كنف القصر وتأييده فانه فى عهــد فاروق جرى التخلص من بقايا حزب الاتحــاد الشــعبى الذى كان نتاجا لاندماج حزبى القصر ، والذى وجد فى أحزاب الأقلية بديلا مقبولا يمكنه من حــكم البلاد • ولقد نجحت تجربة القصر بالفعل فى هذا الاتجاه فعلى امتداد المسطح الزمنى لحــكم فاروق تمكن القصر من أن ينفرد عملا بالحــكم من خلال هذه الأحزاب لمــدة زادت على السنوات العشر •

تطور الصراع بين القصر والوفــد :

اتسمت العلاقة بين القصر والوفــد بالعداء فى غالبية أطوارها • فالوفد باعتباره حزب الأغلبية كان ينتصر لقضية الديمقراطية فى مواجهة أوتوقراطية القصر منذ عهــد فؤاد ومحاولاته للانفراد بالحكم • وبعبارة أخرى فان الصراع بين الطرفين قد جرى بين عقائد مختلفة ومفاهيم متباينة اتصلت أساسا بحقوق القصر فى الحــكم وأسلوب ممارسته لسلطاته التى خولها له الدستور •

ولا ريب فى أن الوفـد على امتداد عهـد فؤاد قد أثبت أنه خصم عنيد مقتدر للقصر والانجليز على السواء ·

ولئن كان الوفـد قد خاض صراعه ضد القصر من أجل قضية الحكم الديمقراطى فانه كرمز للحركة الوطنية ورافدها الرئيسى قد خاض صراعا آخر ضد الوجود البريطانى من أجل قضية الاستقلال ومن تينك القضيتين تشكل الاطار الحركى للوفـد – فى مرحلة ما قبل المعاهدة – مستندا فى ذلك الى رصـيد شعبى لم يتوافر لسواه من قوى التأثير السـياسى الأخرى · الا أنه بابرام معاهدة ١٩٣٦ والتى اعتبرها الوفـد خاتمة لكفاحه السياسى من أجل الاسـتقلال ، ولم يكن ذلك يعنى انهاء لصراعه ضد الوجود الاحتلالى فحسب ، بل والتحالف معه لكى يغدو القصر خصم الوفد الرئيسى على الساحة ·

وبطبيعة الحال فان التقارب الحادث بين الوفـد والانجليز بعد المعاهدة كان محسوبا بالسلب على رصيده الجماهيرى ، فالتأييد الشعبى له لم يكن من سـمات نضاله الأسـاسية ضد الوجود الاحتلالى فحسب ، بل وكان من أعتى أسـلحته ضد كافة خصومه السـياسيين · وكان من الطبيعى أن يتلقى القصر هذا السـلاح ليظهر بمظهر الوطنى المدافع عن حقوق البلاد مستغلا فى ذلك كراهيتها للاحتلال والتى لم تتغير عملا بتوقيع المعاهدة(١) ·كذلك فان الانقسام الحادث فى قيادة الوفـد كأثر لتفجر الخلاف بين النحـاس والنقراشى على قضيتى الزعامة المقدسـة والقمصـان الزرقاء قد أثر ولا ريب على تماسك الحزب · ولسوف نرى كيف كشفت تلك الخـلافات عن مواطن ضـعفه فى مواجهة القصر وكيف استغلها الأخير لكى يحسم – فى عهـد فاروق – أولى جولات صراعه مع الوفـد لصالحه ·

---

(١) على الدين هلال : المصدر السابق ص ١٧٩ ·

وعن قضية الزعامة المقدسة ، فقد كانت انعكاسا لصراع دارت رحاه داخل الوفد بين الديمقراطية والديكتاتورية ، وهو صراع كانت تمتد جذوره عملا منذ رئاسة سعد زغلول للوفد ، وظهر ذلك عندما نشأ خلاف بينه وبين عدد من أعضاء الوفد المعتدلين الذين رأوا بقبول مشروع ملنر ، فى الوقت ذاته لم يكترث سعد بهذا الرأى لانه كان يخرج فى رأيه عن حدود توكيل الشعب للوفد بالدفاع عن قضيته ، وأطلق كلمته الشهيرة « المسألة ليست مسألة أغلبية وانما مسألة توكيل » ، فأخضع بهذه الكلمة القاعدة الديمقراطية للقاعدة القانونية • ومنذ ذلك الوقت جرى التقليد على ألا يكترث زعيم الوفد برأى أغلبية الأعضاء فى المسائل التى يكون فيها على معرفة باتجاهات الرأى العام • ففى عام ١٩٢١ قام سعد زغلول بفصل عشرة من أعضاء الوفد ولم يتبق معه من المؤيدين سوى أربعة فقط ، كذلك فصل النحاس فى عام ١٩٣٢ ثمانية من الأعضاء ولم يبق معه سوى ثلاثة فقط وأصبح هذا التقليد من خصائص الزعامة الوفدية(٢) •

وحين دعا مكرم عبيد لنظرية « الزعامة المقدسة » معلنا أن الحركة الوطنية قد انتهت الى « وفد » وأن الوفد انتهى الى الزعامة وأن الزعامة قد تقدست فى شخص مصطفى النحاس ، كان يبشر فى الحقيقة بنظرية « المستبد العادل » أو « البطريرك البرجوازى » الذى يلائم طبيعة البرجوازية المصرية(٣) • ولقد أوغل مكرم فى الدعوة الى النظرية فذهب الى القول بأنه : « ما كان لمكرم والنقراشى أو لغيرهما من رجال الوفد التعالى على الزعامة أو هدم بنيانها ولئن شاء مكرم فى يوم من الأيام أن يتزعم فيجب

---

(٢) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩٣٧ — ١٩٤٨ ج ١ ص ٩١ — ٩٢ •

(٣) صلاح عيسى : محاكمة فؤاد سراج الدين باشا (دراسة وتحقيق — مكتبة مدبولى الطبعة الأولى) — القاهرة ١٩٨٣ ص ٢٨ •

أن يهــدم »(٤) ٠

ومن ثم فقد حسمت القضية وغدا الخروج على تلك الزعامة خروجا على اجمـاع الأمة ٠ ومن الغريب أن مـكرم الذى تبنى الدعوة لفـكرة الزعامة المقدسـة ، قد خرج عليها وراح يكشف عن سوءاتها ، على نحو ما سيرد ذكره عندما نشب النزاع بينه وبين النحـاس فيما بعد ٠

فمن الناحية العملية كادت الصلة تنعدم بين النحـاس ومـكرم من جانب وبين الهيئة الوفدية من جانب آخر ، فى الوقت الذى لم يتغافل عنها أحمـد ماهر والنقراشى ٠ أما السفير البريطانى فقد وضع يـده مقدما على خمائر الانقسام المرتقب داخل القيـادة الوفدية ٠ فيشير الى أن اعتقـادا سائدا بأن جناح أحمـد ماهر والنقراشى سوف ينفصل فى النهاية ويشكل مع المستقلين وأحزاب الاقليه ــ بمعاونه القصر ــ معارضة قوية للوفد(٥) ٠

وكان من الواضـح أن الصراع الدائر داخل الزعامة الوفديه قد بلغ ذراه ، فصرح النحـاس أثناء زيارته للاسـكندريه بانه « لا يعبأ بخروج اى انسـان عليه وأنه سيعمل على بتر كل عضو فاسـد من جسم الوفـد » ، وأنه سوف يحدد موقفه من الدكتور ماهر متى حدد موقفه وتبينت خططه(٦) ٠ ومن ناحية أخرى أصـدر النقراشى بيانا فى ٧ سبتمبر سنه ١٩٣٧ ، توفر فيه على الهجوم على فكرة تقديس الزعامة وعرض فيه الى مثالب سـيطرة الفكرة داخل الوزارة ورأى عدم استقامة مبدأ المسئولية الوزارية ازاء انفراد رئيس الوزراء ــ النحـاس ــ بالرأى ومخالفته للقواعد الدسـتورية ونظم

---

(٤) الأهـرام : ١٩٣٧/٨/٢١ ٠

(٥) Fo. 407/221. Lampson to Eden Feb. 2, 1937, Tel. No. 209.

(٦) الأهـرام : ١٩٣٧/٩/٥ ٠

الحكم النيابى ، والمسح الى ما يتهدد الوفد من مخاطر انفصام عرى علاقته بالجماهير ما لم يصحح مسيرته نحو الديمقراطية · وانتهى النقراشى الى أن « ما يراد به اليوم هو فرض جو على البلاد لا يسمع فيه صوت يخالف صوت الزعيم ولا رأى بغير مشيئته »(٧) ·

ولا ريب فى أن النقراشى بموقفه هذا من النحاس كان يخدم قضية القصر فى صراعه ضد الحكم الوفدى بما كشفه من مساوىء · وكان من الطبيعى أن يستغل القصر النتائج ، فراحت صحافته تردد أن ثمة مشاورات تجرى لتشكيل وزارة وفدية جديدة يقوم أحمد ماهر والنقراشى بتأليفها على نحو يمهد لهما الاستيلاء على السلطة داخل الوفد(٨) ·

· على كل حال فاذا كان الخلاف على قضية الزعامة المقدسة قد دار داخل الكيان الوفدى ، فقد كان هناك خلاف آخر على قضية القمصان الزرقاء وهذه بدورها كانت أشد وطأة على الوفد اذ أن الصراع هنا قد دار داخل الوفد وخارجه على السواء وجعله هدفا يسير المنال فى مواجهة خصومه السياسيين ·

والواقع أن انشاء فرق القمصان الزرقاء(٩) ، قد أثار عدة قضايا تتعلق بمدى دستورية تكوينها خاصة عندما تنشأ داخل حزب يعمل فى اطار الشرعية الدستورية القائمة ، ومدى اتفاقها مع أسس الحياة الديمقراطية واحترام القواعد الحزبية · فوجود مثل تلك الفرق كان يشكل - ولا ريب -

---

(٧) الأهرام : ١٩٣٧/٩/٧ « بيان سياسى لسعادة محمود فهمى النقراشى باشا » ·
(٨) روز اليوسف : ١٩٣٧/٨/١٩ ·
(٩) لمزيد من التفاصيل عن تشكيلات القمصان الزرقاء ونشأتها أنظر يونان لبيب رزق : أصحاب القمصان الملونة فى مصر (١٩٣٣ - ١٩٣٧) - المجلة التاريخية سنة ١٩٧٤ ، ص ١٩٧ وما بعدها · أنظر كذلك صبرى أبو المجد : قصة القمصان الزرقاء من الألف الى الياء - مجلة المصور يوم ١٩٧٨/٤/٢١ ·

قوة ضاغطة على الأحزاب الأخرى • وبغض النظر عن المبررات التى سبقت لتبرير وجودها فان إستخدامها لم يكن قاصرا على كبت أصوات المعارضة داخل الوفد فحسب ، بقدر ما جرى استخدامها ضد خصومه السياسيين كأداة قمع وارهاب • ومن ثم فان انشاء هذه الفرق جاء من جانب الوفد بمثابة اعتراف ضمنى من « حزب الشرعية الدستورية » بأن الديمقراطية لا يمكن حمايتها والدفاع عنها فى مواجهة الخصوم بالأساليب الدستورية وانه يتعين اللجوء الى أساليب غير ديمقراطية لحماية الديمقراطية(١٠) •

وعلى الرغم من الدور البارز الذى لعبه النقراشى فى انشاء تلك الفرق فضلا عن أن جانبا منها قد انحاز اليه أثر تفجر خلافه مع النحاس ، الا أن النقراشى ما لبث أن هاجم تلك الفرق فى بيان ٧ سبتمبر ـ السابق الاشارة اليه ـ ووصفها بأنها أداة قمع وارهاب استخدمتها القيادة الوفدية لتكريس فكرة زعامتها المقدسة •

أما أحزاب المعارضة فقد وجدت فى هذه الفرق مادة للهجوم على الوفد واعتبرتها حربا على مصر وشرا عليها ، وأن أفرادها ليسوا سوى فئة من العاطلين انتهزوا الفرصة لاشاعة الهمجية فى البلاد على نحو أثار سخرية الأجانب قبل الوطنيين فى البلاد(١١) • أما الجانب البريطانى فقد أثارت تلك الفرق ونشاطها مخاوفه ، وفاتح لامبسون مكرم عبيد فى أمرها وضرورة احتواء نشاطها ، الا أنه حاول اقناع لامبسون بأنها لا يجب أن تستأثر بهذا القدر من الاهتمام البريطانى(١٢) • وواقع الحال أنه مما زاد

---

(١٠) أنظر على الدين هلال : المصدر السابق ، ص١٦٧ ـ ١٦٩ ، وانظر كذلك عبدالعظيم رمضان ، المصدر السابق ج ١ ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ •

(١١) السياسة : ١٩٣٧/١٠/٩ •

(١٢) Fo 407/219 (II) No. 2 : Lampson to Eden July, 9, 1936 No. 66 .

من مخاوف الجانب البريطـانى أن هذه الفرق لم تكن بنفس الطواعية لقيادة الوفـد على نحو مـا كانت عليه القمصـان الخضراء لأحمـد حسين(١٣) · مما كان يعنى أن الوفـد لم يكن ليحـكم قبضـته تماما عليها على نحو كان يضاعف من خطورتها · ومن جانب آخر راح لامبسـون يكرر على مسامع النحـاس مخاوفه من أن تغدو تلك الفرق بمثابة « فرانكشتين » آخر يسيطر على صانعه ويفرض وصـايته على البلاد الا أن النحـاس بدوره لم يعد بشيء وحاول تهدئة خواطر السفير البريطانى(١٤) ·

على هذا النحو بدت قناعة مـكرم عبيد والنحـاس بجدوى وجود تلك الفرق ، الا أنه بتولى فاروق سـلطاته الدسـتورية بدأت مسـاعى الجانب البريطانى بصدد هذه الفرق تشكل جانبا من اطار سياسته ـ دون أن يتخلى عن مخاوفه السابقة ـ التى استهدفت تصفية العلاقة بين الوفـد صاحب اليد الطولى فى المعاهدة وبين القصر الذى كان بحاجة الى استعراض للقوة فى مواجهة الوفـد لكى يؤكد مكانته على الساحة · وكان آن فاتح لامبسـون أمين عثمان ، موضحا له وجهة نظره فى ضرورة قيام النحـاس بمعالجة مسألة القمصـان الملونة ، موحيـا اليه أنه يتحدث فى هذا الشـأن بتفويض من حـكومته كما حادث النحـاس فى هذا الشأن مرة أخرى دون جدوى(١٥) ·

ولقد بدا الجانب البريطانى حريصا على تجنب وقوع صدام بين الحكومة النحاسـية والقصر فى اطار سـياسته للمحافظة على التوازن بينهما الا أنه وان كان يرى أن وجود مثل هذه الفرق سوف يرجح قوة الوفـد ضد القصر،

(١٣) Ibid : No. 36 : Same to Same, Oct., 24, 1936, Tel, No. 1212
(١٤) Ibid : No. 42 : Same to Same, Nov. 9., 1936, Tel. No. II
(١٥) Fo. 407/221 : No. 101 : Lampson to Eden, July, 15, 1937 Tel. : No. 864

الا أنه من ناحية أخرى رأى أن استمرار الضغط على النحـاس بصدد تلك الفرق قد يفسر بأنه محاولة للتدخل لصالح القصر(١٦) . على هذا النحو تراجع الجانب البريطـانى عن تدخله مؤثرا جانب الحياد .

أما القصر فلم يلتو عليه المغزى الحقيقى لوجود تلك الفرق فما كان من الملك الا أن طلب من النحـاس حل تنظيم القمصان الزرقاء وأصر على ما طلبه، ورغم البراهين التى ساقها النحـاس الا أن الملك سلمه دراسة قانونية عن عدم شرعية وجود مثل هذه الجماعات فى الدول الديمقراطية وهدده باتخاذ اجراء حاسـم ما لم يحل جماعات القمصـان الملونة(١٧) ، وبالفعل أدى موقف النحـاس الى توتر علاقته بالقصر خاصة وأن على ماهر علق تعاون الملك بشكل ودى مع النحـاس ، على الغاء تنظيم القمصـان الزرقاء(١٨) . على الجانب الآخر كان القصر يرصـد كافة تطورات الصراع داخل الوفـد ، فقد كان الاعتقاد السـائد داخل دوائر القصر بضرورة هدم الوفـد من خلال استغلال خلافاته(١٩) .

على كل حال فقد تفاقمت الأزمة بين النقراشى والنحـاس وفشلت كل محاولة لاصلاح ذات البين ، فاستصدر النحـاس فى ١٣ سبتمبر سنة١٩٣٧ قرارا من هيئة الوفـد بفصل النقراشى وآخر فى ٣ يناير سنة ١٩٣٨ بفصل أحمـد ماهر رئيس مجلس النواب ، وكان مؤيدا للنقراشى وانضـم اليهما ابراهيم عبد الهـادى وعدد غير قليل من النواب والشيوخ ممن كانوا أعضاء فى الهيئة الوفـدية(٢٠) ولا شك فى أن هذا الانشقاق كان أشـد وطأة على

(١٦) Ibid. No. 104, Kelly to Eden, Sept. 4, 1937 Tel. No. 1043

(١٧) Ibid. No. 39 : Same to Same, Oct, 17; 1937, Tel. No. 571

(١٨) Ibid. No, 75, Lampson to Eden Dec., 13, 1937.

(١٩) Ibid No. 23, Kelly to Eden, Aug. 31, 1937 Tel. No. 484.

(٢٠) أمين سعيد : تاريخ مصر السياسى . من الحملة الفرنسية الى انهيـار الملكية : ص ٢٥ .

الوفـد من سابقيه ، فهو لم يحدث فى اطار موقف وطنى محدد ضد سلطات الاحتلال كما كان فى السابق وانما كان جوهره الصراع من أجل السلطة فى داخله(٢١) ٠

أما القصر فعلى الرغم من أنه ليس هناك ما يؤكد أنه قد لعب دورا فى هذا الانشـقاق ، الا أن النتائج جاءت متفقة وصـالح حـكمه ٠ ذلك أن ما تعرض له الوفـد من محنة الخلاف الداخلى قد أفضى الى اخراج قيادات بارزة منه لها ماضيها السـياسى والوطنى ، ورغم أن الزعامة الوفـدية عمدت الى التهوين من شأن الانشـقاق واظهار عدم اكتراثها نحوه ، الا أنه كان عملا يقوى ساعد القصر بما تمخض عنه فى النهاية من تشكيل حزب سياسى يعضد جبهته فى صراعه ضد الوفـد ذاته ٠ من جانب آخر ظهرت واضحة حدود التدخل البريطـانى فى « شئون مصر الداخلية » ٠ ولقد حاول تجنب مغبة الاتهام بالانحيـاز لأى من الفريقين مما أغرى القصر على حسـم صراعه مع الوفـد بانهاء وجوده فى الحـكم ٠ هذا بدوره قد أفضى الى فسـاد العلاقة بين الجانب البريطـانى والوفـد الذى وقر فى اعتقاد زعمائه ما كان من خذلان الانجليز لهم فى الصراع مع القصر ٠

---

(٢١) وقد حدث الانشقاق الأول فى الوفد فى ابريل ١٩٢١ حين هاجم سعد زغلول وزارة عدلى وسياستها فى خطبة شبرا ، وعندما أصدر عددا من أعضاء الوفد بيانا عارضوا فيه موقفه من الأغلبية ، فما كان من سعد الا أن قام بفصل هؤلاء المعارضين وهم محمد محمود وحمد الباسل وأحمد لطفى السيد ومحمد على علوبة وعبد اللطيف المكباتى واستقال معهم فى نفس اليوم على شعراوى ، كما انضم اليهم عبد العزيز فهمى وحافظ عفيفى وعبد الخالق مشهور وجورج خياط٠ أما الانشقاق الثانى فقد حدث فى عام ١٩٣٢ عندما نشأت فكرة تشكيل حكومة ائتلافية تعقد المعاهدة مع بريطانيا على ضوء ما انتهت اليه مفاوضات ١٩٣٠ ، وتعيد العمل بدستور ١٩٢٣ م ٠

وازاء رفض النحاس للفكرة اسـتقال ثمانية من أعضـاء الوفد منهم نجيب الغرابلى وفتح الله بركات وفخرى عبد النور ومراد الشريعى ٠ أنظر : على الدين هلال - المصـدر السابق - ص ١٥٧ الى ١٥٩ ٠

كان من الواضح ان الوفـد قد استوعب دروس الاقالة ونتائجها ، وظهر أثر ذلك اذ انتهج سياسة جناحاها محاولة التقارب من الملك ، وممارسة الضغط على الجانب البريطـانى بغية اخراجه من دائرة الحيـاد ، تراوده فى ذلك آمال العودة للسلطة ٠

وفيما يتصـل بمحاولات التقارب من الملك ، بدت سـياسة الوفـد متناقضة فمن جهة راح النحـاس يشير الى حقوق الملك فى اسـداء النصح للوزراء(٢٢) ٠ على الجانب الآخر أسفر عن هجومه على رجال القصر ، فعندما قامت حـكومة محمـد محمود بحل مجلس النواب الوفـدى فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٣٨ وقبل تلاوة مرسوم الحل وقف النحاس ليوجه الخطاب الى رئيس المجلس قائلا « أنت يا أحمـد ماهر وأخوك على ماهر رئيس الديوان ومن خلفكما السراى تتآمران على البرلمـان وكل اجراء يصدر من خلال هذه المؤامرة فهو باطل »(٢٣) ٠ كما راح يتهم محمـد محمود وصـدقى بالخروج على اجماع الأمة عندما أصـبحا أدوات فى يـد رجال القصر ، وامتد هجومه الى على ماهر باعتباره كان المحرك الأول للمـكائد والمؤامرات التى حيكت خيوطها ضـد الوفـد ، وأشار الى تواطئه مع أحمـد ماهر والنقراشى ٠

وعلى هذا النحو امتد الهجوم الوفـدى الى الحـكومة ورجال القصر دون الملك ٠ فالوفـد لم يكن ليتغافل عن دور على ماهر فى اذكاء الخلاف بين القصر والحـكومة النحاسـية مما أفضى الى اقالتها — على نحو ما مر بنا — ثم ان اعلان الهجوم على الملك ، قد يصل بالوفـد الى نقطة النهاية فى علاقته بالقصر ، فضلا عن أن الوفـد وقد أثخنه التصدع والانقسام لم يكن بقادر على التحرك

---

(٢٢) Fo. 407/222 : No. 4 : Lampson to Halifax, July, 8, 1938, No. 12

(٢٣) حافظ محمود : من أسرار المـاضى ١٩٠٧ — ١٩٥٢ « فى السياسة والوطنية » — كتاب روزاليوسف العدد الخامس — يوليو ١٩٧٣ — ص ١٥٥ ٠

بفاعلية فى مواجهة الملك بما توافر له من رصيد شعبى ، وعلى هذا راح يتجنب الدخول فى مخاطرة غير محسوبة النتائج ٠

من ناحية أخرى استدار الوفد على حلفاء الأمس من الانجليز اعتقادا من زعامته بأن تدخلهم فى مواجهة القصر كان من شأنه أن يحول بينه وبين ما أقدم عليه من اقالة الحكومة الوفدية بل ويعضد مسندها فى الحكم فى مواجهة تآمر الملك ورجاله ٠ وابدأ الوفد فى الهجوم على المعاهدة الانجلو ايطالية وذلك بهدف احراج الجانب البريطانى فأعلنت صحفه أن أوهام استقلال مصر قد قضى عليها تماما (٢٤) ٠ وأمعن النحاس فى الهجوم وذهب الى أن بريطانيا عادت مرة أخرى الى أطماعها الاستعمارية ووجدت تشجيعا من الوزارة القائمة آنذاك - وزارة محمد محمود - ووصف المفاوضات الانجلو ايطالية بأنها قد أثرت على السيادة المصرية(٢٥) ، وأفصح للسكرتير الشرقى عن أسباب سخطه على ما أسماه بالسياسة البريطانية الجديدة ، وكرر على مسامعه اتهاماته السابقة لبريطانيا وتغاضيها عن أمر اقالته ، وأنها بمساندة حكومة محمد محمود ، فانها - أى بريطانيا - تكرر بذلك نفس أخطاء هندرسون عام ١٩٢٩ - اشارة الى موقف بريطانيا من حكومة محمد محمود الأولى ، فهذه السياسة التى كان يتعين على بريطانيا اتباعها - طبقا لوجهة نظر النحاس - لا تعنى تدخلا فى « شئون مصر الداخلية » وراح يهدد بابداء معارضته الشديدة للسياسة البريطانية حيثما تسنح

---

(٢٤) وكانت بريطانيا قد عقدت مع ايطاليا معاهدة عدم اعتداء عرفت باسم اتفاقية روما فى ١٦ ابريل سنة ١٩٣٨ وقد وقعت مصر فى نفس اليوم ميثاقا ينص على حسن الجوار بينها وبين كل من ايطاليا وبريطانيا ٠ انظر :

Fo. 407/222 Enc. in No. 60 Apr. 1938.

(٢٥) Ibid No. 46 : Bateman toHalifax; Nov, 16, 1938, Tel. No. 166 Saving.

الفرصة(٢٦) .

كان من الواضح أن سياسة الوفـد وان فشلت فى الجانب الخاص بمحاولة تحسين العـلاقة مع القصر ، فانها قد أسفرت عن احداث الأثر المطلوب من الضغط البريطـانى وما يمكن أن يثيره الوفـد من متاعب وهو خارج الحـكم . ولقد ظهر ذلك واضحا فى مخاوف السفير البريطانى من أن عداء الوفد لفكرة اشتراك مصر فى الحرب والتى يمكن تصويرها «للشعب الجاهل» بسهولة على أنها حرب بريطـانيا العظمى ، وليست حرب مصر مما قد يعقد أعمال بريطـانيا الى حـد كبير عند قيام الحرب(٢٧) . على هذا النحو أدرك الجانب البريطـانى مخاطر الوفـد خارج الحـكم . ولسوف نرى كيف ترسخت تلك الفكرة ولعبت دورها فى تحديد اطار السـياسة البريطـانية خـلال أزمة فبراير سنة ١٩٤٢ .

ولدى تشـكيل على ماهر لوزارته الثانية وخروجه من القصر ، كانت الفرصة سانحة للوفـد كيما يشدد هجومه عليه ، فهو من جهـة لم ينس خصومته القديمة ، ثم ان تجاهله للوفـد عند تشـكيله للوزارة قد جعل الصحافة الوفـدية تتهمه بأنه كان يفاوض السفارة البريطـانية قبل أن يقدم قائمة المرشحين للمناصب الوزارية الى الملـك . أكثر من ذلك فقد هاجم النحـاس بريطـانيا فى خطاب له فى ٢٣ أغسطس واتهمها بأنها قد نهبت ثروات البلاد فضلا عن تأييدها لوزراء - اشـــارة الى حـكومة على ماهر - لم يكونوا سـوى مجمـوعة من الدمى ونعى على على ماهر رضـوخه المطلق لبريطـانيا(٢٨) .

---

(٢٦) Ibid. No. 26. Same to Same, August, 18, 19, 38, Tel. No. 790

(٢٧) Fo. 407/223 Lampson to Halifax, Nov. 12, 1939, Tel. No. 560

(٢٨) Fo. 407/223 (II): No. : 11 Bateman to Halifax, August, 25 1939, Tel. No. 1066

ولم يكن الهدف من ذلك الهجوم الوفـدى المزدوج سوى تقويض أى محاولات من جانب القصر للتفاهم مع السفارة البريطـانية من خلال وزارة على ماهر ، التى كانت تعانى بالفعل من الأزمات المتتالية مع الجانب البريطانى. بيـد أنه ينبغى الاشارة الى ما اعترى سياسة الوفـد من تناقض ، ورغم هذا الهجوم على بريطـانيا الا أن دوائر الوفـد ما فتئت أن تصرح بأنها لن تخذل بريطـانيا فى الأوقات العصـيبة وأنه بمقدورها الاعتماد على كل مسـاعدة من جانب الوفـد . ولا ريب فى أن هذا التذبذب بين الاقبال والاعراض قد ترك الانطباع لدى السفير البريطـانى بأن النحاس لا يعرف موقع خطـاه جيـدا فى الوقت الحالى(٢٩) . وكان أن لجـأ الوفـد الى مناورة سياسية بارعة فأرسـل النحـاس فى أول ابريل سـنة ١٩٤٠ مذكرة للسفير البريطـانى لابلاغها الى حـكومته تضمنت المطالبة بـجلاء بريطـانيا عن مصر فور انتهاء الحرب واشتراكها فى مفاوضات الصلح للدفاع عن مصالحها ، وضرورة اعترافها بحقوق مصر فى السـودان والغاء الأحـكام العسكرية(٣٠) . وتكمن الأهمية الحقيقية لهـذه الخطوة أنها كانت تمثـل من الناحية العملية صـياغة للاطار السـياسى الذى تحرك فيه الوفـد وقتذاك ، ومن جانب آخر قد استهدف من ورائها التأكيد على أنه الوحيـد القادر على التحرك بفاعلية فى مجـال العلاقات المصرية البريطانية ، والتاويح لبريطـانيا بأنه لا يزال بمقدوره تحريك الرأى العام ضد شرعية وجودها بمصر(٣١) .

وفى محاولة يائسة لتدارك الموقف الذى فجرته المذكرة احتجت الحكومة والمعارضة على قيام النحـاس بارسال تلك العريضة بدعوى أنه لم يكن له

---

(٢٩) Ibid.

(٣٠) جريدة المصرى : ١٩٤٠/٤/٢ .

(٣١) Vatikaiotis, P.J. the Modern History of Egypt : p. 344

أن يتقدم بها مباشرة للسفير البريطـانى ، وكان يتعين عليه تقديمها للخارجية المصرية(٣٢) • ورغـم ادراك الجـانب البريطـانى للمغزى الحقيقى للمذكرة الا أنه اعتبرها نقطة تحول فى العلاقات المصرية البريطانية ، لمـا قد يترتب عليها من تفجر قضـية خطيرة تتصل بتعديل المعاهدة • وتعكس الوثائق البريطـانية مخاوف لامبســون من أن نجاح الوفـد فى تنمية الشعور العدائى للانجليز فى مصر سوف تكون له آثاره خارجها خاصة وأن الوفـد قد أفصح عن نواياه فى التعامل مع الدول الشرقية المعادية لبريطـانيا ، مما ظهر أثره المباشر فى استغلال اذاعة برلين للمذكرة وتراجع كراهية الألمـان له ، على نحو بدا أنه سيكون أشد ايلاما للوجود البريطانى عن القصر(٣٣) •

ومن الناحية العملية فان الوفـد بهذه المذكرة قد وضع كافة خصومه فى مأزق ســياسى حرج • اذ أن مطالبه لم تكن لتقابل بالرفض من جانب أى من قوى التأثير السياسى من الأحزاب أو القصر ، ثم يكون لها أن تبقى على الساحة كيما تلعب دورها •

ولا ريب فى أن ردود الفعل الناتجة عن مذكرة الوفـد كانت آحد أسباب التدخل البريطـانى ضد القصر واسقاط وزارة على ماهر • ولقد ذهبت قناعة الجانب البريطـانى بجدوى عودة الوفـد الى الحـكم ، حتى ولو كان ذلك من خلال حـكومة وفـدية خالصة ، وراح السفير البريطـانى يحث حـكومته على التحرك فى الوقت المناسب واغتنام الفرصة(٣٤) • ومن جانب آخر نصـح الملك بالتشاور مع محمـد محمود والنحاس باعتبـار الأول زعيمـا للأغلبية

---

(٣٢) Lujol, Egypt and World War, p. 75.

(٣٣) Fo 407/224 No : 32 : Lampson to Halifax, May, 4, 1940 No. 464.

(٣٤) Ibid : No. 51 : Same to Same Jun, 15, 1940 Tel. No. 525.

البرلمانية والثانى زعيما لحزب الأغلبية الشعبية(٣٥) . على هذا النحو نجح الوفد فى احداث الأثر المطلوب لما ظهر من تعارض بين اتجاهات القصر الذى لم يكن يقبل بحال عودة الوفد منفردا الى الحكم ، وبين السياسة البريطانية التى استهدفت عودة الحكم الوفدى .

بدأ القصر أولى مناوراته فى هذا المجال ، فبناء على نصيحة السفير البريطانى اجتمع الملك فى ٢٤ يونية سنة ١٩٤٠ مع زعماء الأحزاب بقصر عابدين للتشاور حول تشكيل الحكومة الجديدة وطلب النحاس تشكيل وزارة محايدة تقوم بحل البرلمان واجراء انتخابات جديدة مما كان يتعارض مع اتجاه الأحزاب السياسية التى رفضت فكرة حل البرلمان واقترحت تشكيل وزارة قومية يرأسها النحاس على أن يتم تخصيص مزيد من المقاعد للوفد الا أن النحاس رفض تلك المقترحات(٣٦) . واضح أن القصر قد أراد أن يظهر الوفد أمام الجانب البريطانى بمظهر المتشدد ، ذلك أن موقف أحزاب الأقلية كان يمثل اتجاه القصر من الناحية العملية فى الابقاء على البرلمان القائم ، ثم أن اشتراك هذه الأحزاب فى الحكومة الائتلافية المقترحة كان من شأنه أن يجعل للقصر نفوذا مؤثرا فى الحكم . وبصدد اظهار المزيد من حسن النوايا راح أحمد حسنين يلح على لامبسون كيما يضغط على النحاس ليوافق على مقترحات زعماء الأحزاب . الا أن السفير البريطانى كرر على مسامعه الرغبة فى حكومة تحظى بتأييد الوفد وتطبق روح المعاهدة(٣٧) . فى نفس الوقت دارت المشاورات بين لامبسون والنحاس من خلال وسيط - بناء على طلب النحاس - والذى وافق على قيام حكومة محايدة بشرط

---

(٣٥) Ibid : No. 54 :Same to Same Jun, 16, 1940.

(٣٦) Ibid : No. 68 Same to Same, Jan, 19, 1940, Tel. no 599

(٣٧) Ibid

أن يحصل على ضمانات من رئيسها بحل البرلمان عندما تسنح الظروف ووافق بالفعل على اختيار سيف الله يسرى لتولى رئاسة الوزارة ، ووعد لامبسون بالتشاور - حول عدد الوزراء(٣٨) .

أما القصر فعمد الى تهدئة الأزمة بغية كسب مزيد من الوقت لانفاذ خطته ، فأرسل فاروق وكيل الديوان عبد الوهاب طلعت لمقابلة النحاس فى ٢٦ يونية فى « كفر عشما » حيث عرض عليه مرة أخرى تأليف وزارة قومية يرأسها ، مما رفضه النحاس واستمر على اصراره على تشكيل وزارة محايدة فهو لم يكن يريد أن يحدث انقلابا فى الحكم ، وقرر أنه فى حالة اصرار الملك على تكليفه بتشكيل الوزارة ، فلن يكون بوسعه سوى اجراء كل التغييرات المطلوبة . وعندما عرض عبد الوهاب طلعت على الملك فحوى تلك الاتصالات راح يستشير رئيسى مجلسى الشيوخ والنواب مما تمخض عنه فى النهاية تكليف حسن صبرى بتشكيل الوزارة(٣٩) .

والواقع أن تأليف وزارة حسن صبرى ، وان جاءت مفاجأة للوفد الا أن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة للجانب البريطانى كما ذهب البعض(٤٠) . فمن الثابت أن أحمد حسنين أبلغ لامبسون بترشيح الملك لحسن صبرى ، وأنه لم يبد اعتراضا وان أصر على أن أية وزارة تلى الحكم ، لا بد وأن تحظى بتأييد النحاس(٤١) . على ذلك نجحت خطة القصر ، فمن جهة غاضت آمال

---

(٣٨) Ibid : No : 69 : Same to Same, Jun, 26, 1940, Tel. No. 613

(٣٩) عبد الرحمن الرافعى فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ : ص ٨٥ . انظر كذلك جمال المسدى وآخرين : مصر والحرب العالمية الثانية : ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٤٠) انظر محمد التابعى : المصدر السابق ص ١٨٦ - ١٨٧ ، كذلك جمال سليم ، قراءة جديدة لحادث ٤ فبراير ، ص ٤١ - ٤٢ .

(٤١) Fo. 407/224 : No : 71 Lampson to Halifax, Jan. 27, 1940 Tel. No. 623

الوفـد نحو الحـكم والانفراد به ، بل وأهمل جانبه من خلال تشكيل « وزارة قصر » نالت تأييد الجانب البريطـانى بما احتوت عليه من عناصر معروفة بصداقتها له . وبعبارة أخرى نجح القصر فى ارضاء الجانب البريطـانى على حساب علاقة الأخير بالوفـد فلا هو حصل على ضمانات تكفل عودته للحكم ، ولا كانت الوزارة تحظى بتأييده الذى كان رهنا بقيامها بحل البرلمان(٤٢) . بهذا المفاد فأنه نجاح القصر كان محسوبا على علاقة الوفد بالجانب البريطانى .

ولقد بدت أولى بوادر نجاح سـياسة القصر فيما كان من عودة الوفـد للهجوم على بريطـانيا تارة أخرى ، ولقد اتخذ ذلك مفهوما عمليا عندما رفعت الهيئة الوفدية عريضة للملك فى ٢ يناير ١٩٤١ وصفت موقف مصر من الحليفة بأنه قد ذهب الى أبعد من مجرد الوفاء بالعهـد ، اذ بلغ حد السـخاء والبذل ، فلم تكتف بوضـع موانيها ومطاراتها تحت تصرف الحليفة ، بل وبادرت الى قطع علاقتها مع الدول المعـادية للحليفة دون أن تظفر بوعد منها لتنفيذه بعد انتصارها فى الحرب(٤٣) . ودأب النحـاس بعد ذلك على استغلال كل مناسبة للهجوم على بريطـانيا واتهامها بخرق المعاهدة وتدمير استقلال البـلاد اقتصاديا ، مما أثار حفيظة الجانب البريطـانى ، فراح لامبسـون يسوق تحذيراته للنحـاس من خلال أحمـد حسنين ويطالبه بالكف عن هجومه وخطبه المعادية للانجليز(٤٤) .

على الجانب الآخر بدأ القصر فى التقارب مع الوفـد واتخذ ذلك مفهوما عمليا ، فقابل الملك النحـاس ضمن مقابلاته لرؤسـاء الأحزاب فى أوائل

---

(٤٢) Ibid : No 105 : Same to Same, Aug, 8, 1940, Tel. No 884

(٤٣) الوفد المصرى : ١٩٤١/١/٤ .

(٤٤) Fo. 407 : 225 : No. 19 : Lampson to Eden, Sept, 23, 1941 Tel. No. : 900.

ابريل سنة ١٩٤١ ، واستمع لوجهات نظره كما قام بزيارة سمنود مسقط رأس النحاس لافتتاح كوبرى وكان النحاس على رأس المستقبلين هناك ، وظلت العلاقة بين الطرفين وثيقة الى حد بعيد بتدبير من على ماهر(٤٥) ووصل هذا التقارب الى حد ممالأة الملك ، فنشرت احدى الصحف الموالية للوفد مقالا للنحاس بعنوان « فاروق هو الوطنى الأول » أشار فيه الى أنه من حسن طالع البلاد أن يكون الجالس على عرشها هو الملك فاروق(٤٦) .

هذا التقارب بين الطرفين كان مرحليا قد أملته الأوضاع والظروف السياسية القائمة وقتذاك . فالوفد لم يكن أقل من القصر طلبا لتحسين العلاقة بينهما ، خاصة بعد أن أسفر عن عدائه للانجليز ، ثم أنه بدأ حريصا على اضعاف شوكة خصومه من أحزاب الأقلية بعد ما ظهر من نواياها نحو عودته للحكم أو مشاركته فى الحياة السياسية النيابية بشكل مؤثر وفعال ، مما كان باعثا آخر له على التقارب من القصر . بيد أنه ما أن تفجرت أزمة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ حتى تغيرت أشكال العلاقة بين قوى التأثير السياسى وتحددت لكى تكون تحالف بين الوفد والانجليز من جانب فى مواجهة القصر وأحزاب الأقلية . ورغم أن الوفد – فى تقدير الباحث – لم يكن فى الأزمة سوى أداة للسياسة البريطانية ، الا أن عزم القصر قد بات معقودا على الثأر منه ، وغدت الفرصة سانحة له لكى يلعب دوره فى احداث الانشقاق الرابع عن الوفد وعلى نحو ما سيرد ذكره – والذى أسفر عن خروج مكرم عبيد ومعه سبعة عشر عضوا من أعضاء الهيئة الوفدية البرلمانية ليكونوا حزب الكتلة الوفدية وينضم الى مصاف أحزاب الأقلية الأخرى .

والواقع أن هذا الانشقاق وما تلاه من صدور الكتاب الأسود بما

---

(٤٥) Ibid.

(٤٦) الاثنين : ١٩٤١/٩/٨ .

احتوى عليه من صور عديدة لمفاسد الحكم الوفدى ، قد صبغه بطابع اجتماعى الى جانب طابعه السياسى مما جعله متميزا عما سبقه من انشقاقات فالأزمة قد نشأت أساسا من اعتبارين أحدهما خارجى والآخر داخلى ، فهى من جهة كانت انعكاسا للقضية الاجتماعية التى فرضت نفسها على الساحة اثر تسوية القضية المصرية بابرام معاهدة ١٩٣٦ . وبقدر مكانة الوفد الجماهيرية كان من المحتم عليه التصدى لمطالب الاصلاح الاجتماعى كخطوة لا تقل أهمية عن سابقتها بيد أنه صرف جهده للعمل السياسى ، اعتقادا منه بأنه المجال الحيوى للصراع من أجل السلطة ، فتردى بذلك فى خطأ فادح كانت أزمة الكتاب الأسود من أبرز نتائجه .

ومن جهة أخرى فقد كانت هناك عناصر جديدة من طبقة كبار الملاك قد تسربت بالفعل الى الوفد(٤٧) . حقيقة أنها كانت شريحة اجتماعية لها أصولها التاريخية فى الوفد ، الا أن الجديد هنا أن هذه الطبقة لم تقنع بمكانتها فى داخله ، وراحت تسعى لكى تقتعد لنفسها مكانة الصدارة فيه لكى تشارك فى صنع القرار وتدافع عن مصالحها . ولا شك فى أن هذه التغيرات الحادثة فى الوفد قد أسهمت فى صنع البعد الاجتماعى لأزمة الكتاب الأسود عندما كشفت عن مفاسد الطبقة الجديدة التى أصبح النحاس ينتمى اليها وأدانتها ، وبهذا المفاد لم تكن الأزمة مجرد صراع على السلطة داخل الوفد .

على الرغم من أن الوفد كان يتحرك فى خلال الأزمة تحت مظلة التأييد

---

(٤٧) ومما يجدر ذكره أن عددا من العناصر القوية من كبار الملاك قد انضمت الى الوفد عام ١٩٣٦ مثل فؤاد سراج الدين ومحمود خليل ومحمد سليمان الوكيل ومحمد حفنى الطرزى واحمد مصطفى عمرو وفهمى ويصا وغيرهم ، انظر محمد احمد أنيس : تطور المجتمع المصرى من الاقطاع الى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ : ص ٢١٠ .

البريطـانى فى مواجهة القصر ، الا أن ذلك لم يحـل دون عزم القصر على الاستمرار فى سياسته الرامية الى الاطاحة بالوفـد على نحو ما حدث بالفعل عندما أقال الملك الوزارة الوفـدية فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ لكى يظل الوفد بعيدا عن الحـكم حتى عام ١٩٥٠ • والواقع أن موقف الوفـد فى المعارضة كان بالغ التعقيد ففيما يتعلق بالقصر فلم تكن هناك بارقة أمل فى تحسين العلاقة معه ، خاصة وأن اقالة الحـكومة الوفـدية كانت تمثل بالنسبة للقصر نهاية لمرحلة صراع بدأت يوم ٤ فبراير ، وكان من الطبيعى أن يعمل القصر - بعد اقصاء الوفـد عن الحـكم - على سرعة استعادة مقاليد السلطة فى البلاد من خلال عدد من وزارات الأقلية حكمت البلاد لحسابه • ومن الملاحظ أيضا أن الوفـد الذى أبقى طوال سنوات حـكمه على الأحـكام العرفية والرقابة على الصحف بل واستخدمها وسـيلة لارهاب خصومه السياسيين ، هو ذاته الذى راح يطالب بالتخلص من تلك القيود عندما خرج من الحـكم ، اذ لم يكن من الميسـور عليه أن يمارس فى ظلها دورا مؤثرا وفعـالا فى السـياسة المصرية(٤٨) •

ولا مراء فى أن فشل مفاوضات صـدقى - بيفن بسبب الخلاف على السـودان ، وما تلا ذلك من تدهور الأوضاع الداخلية فى البلاد ، كل ذلك كان يشكل تهديدا مباشرا للسياسة البريطـانية على نحو رأى معه كامبل - السفير البريطـانى الجديد - بوجود بديلين لعودة الوفـد • أولهما : اللجوء الى اعادة ٤ فبراير آخر على أن تكون المبررات التى سوف تسـاق للملك معروفة ، وهى ضرورة انهاء النظام القائم - اشارة لوزارة النقراشى الثانية - وذهب الى أن كثيرا من المعتدلين المصريين سوف يؤيدون بريطانيا ويتعاطفون

---

(٤٨) الوفد المصرى : ١٩٤٥/٤/١٥ ، ١٩٤٥/٦/١٢ •

معها ، الا أنه كان يرى أن تلك الخطة قد تؤثر على احتمال التفاوض من جديد، خاصة وأن عودة الوفد للحكم على هذا النحو قد تجعله فى موقف يصعب عليه الاستجابة لأقل قدر من المطالب البريطانية(٤٩) ٠

أما البديل الثانى : والذى كان يحبذه كامبل ، فتمثل فى قيام حكومة ائتلافية يرأسها رئيس وزراء محايد تجرى انتخابات حرة سوف يترتب عليها عودة الوفد للحكم ، على أن يسبق ذلك قيام الحكومة الائتلافية بابرام المعاهدة ، عندئذ سوف تكون المفاوضات بمنأى عن المناورات الحزبية حيث أن كل الأحزاب سوف تكون ممثلة فى تلك الحكومة(٥٠) ٠ أما الحكومة البريطانية فلم تكن على استعداد للقيام بدورها فى ٤ فبراير آخر واتفقت ورأى سفيرها على أفضلية البديل الثانى(٥١) ٠ يفهم من هذا أن مسألة تأييد عودة الوفد للحكم وحجم التدخل البريطانى لصالحه فى مواجهة القصر انما كانا رهنا بالدور الذى سوف يلعبه الوفد داخل الحكم لخدمة أهداف واتجاه السياسة البريطانية ٠ ومن ناحية أخرى فقد سعى الوفد من جانبه للتقارب مع القصر ومحاولة كسب ثقته والتمهيد لعودته للحكم ، فاقترح فؤاد سراج الدين على القائم بأعمال السفير البريطانى القيام بدور الوساطة بين القصر والوفد ، ومن الغريب أن سراج الدين اعتبر أن مثل تلك الوساطة لا تعد بحال تدخلا فى شئون البلاد الداخلية(٥٢) ٠ وبصدد السعى فى هذا الاتجاه قرر سراج الدين لادجار جلاد — وهو أحد الصحفيين المقربين الى الملك — بأنه يتعين على القصر أن يثق فى الوفد ، وألا يعمل على الثأر منه

---

(٤٩) Fo. 371/62966 : Campbell to Fo, Feb., 10, 1947, Top secret

(٥٠) Ibid.

(٥١) Ibid : Fo to Campbell, Feb, 22, 1947.

(٥٢) Fo : 371/69211 : Chapman andrews to Fo, Aug, 24, 1948

اذا عاد الى الحكم . وكان واضحا أن القصر لا زال عند مخاوفه من انفراد الوفد بالسلطة دونه(٥٣) .

على كل حال فان عودة الوفد الى الحكم مؤتلفا مع غيره من الأحزاب الأخرى في وزارة سرى الثالثة ، قد أظهرت تباينا فى اتجاهات قوى التأثير السياسى الثلاث . فالوفد اعتبرها مدخلا لحكومة وفدية خالصة ، وراح يلوح للجانب البريطانى بأن مسألة المفاوضات سوف تتم بمجرد انفراده بالحكم ، وأنه لن تكون هناك عقبات تحول دون الوصول الى اتفاق ، محاولا بذلك اغراءه على تعضيد مسعاه الى الحكم . أما القصر فكان يعلق الآمال على تسوية العلاقات المصرية البريطانية مع وزارة حسين سرى ، مستهدفا بذلك استبقاءها فى الحكم لأطول فترة ممكنة(٥٤) .

أما الجانب البريطانى فعلى الرغم من تبنيه لفكرة تسوية العلاقات المصرية - البريطانية مع حكومة ائتلافية - على نحو ما مر بنا - الا أنه برز عاملان يتعين الاشارة اليهما ، أولهما أن حكومة سرى بطابعها الانتقالى ، جعل من المشكوك فيه امكان قيامها باتمام مثل تلك التسوية برغم اشتراك الوفد فيها ، ثانيا : ان اتجاه الوفد الأصيل تمثل فى أن تتم تسوية العلاقة بين مصر وبريطانيا مع حكومة وفدية خالصة ، ومن ثم فانه سوف يعارض أية تسوية تتم خارج هذا الاطار . على هذا النحو فقد تعارضت اتجاهات القصر والوفد وحالت دون السياسة البريطانية ومراميها ، بل ان عودة الوفد الى الحكم وان كانت واردة فى تقديرات الجانب البريطانى ، الا أن قيامه بالغاء المعاهدة بصدد تقوية موقفه فى الحكم ، قد وضعه فى صف العداء

---

(٥٣) Ibid : Chapman to cluton, Sept, 14, 1948

(٥٤) Fo : 371/73504 : Chapman to Bevin, Aug. 29, 1949, Tel. No. 454

لبريطانيا • وكان من الطبيعي أن يعمد القصر الى استغلال تدهور العلاقات بين الطرفين ، اذ تأكدت النهاية السياسية للوفد من خلال نجاح القصر فى ابعاده عن الحكم للمرة الأخيرة اثر حادث حريق القـاهرة فى ينـاير سنة ١٩٥٢ •

أما عن تقييم علاقة القصر بالوفد كحزب سياسى ، فيمكن القول بأن الظروف السياسية فى غالبيتها لم تكن فى صالح الوفد فى صراعه ضـد القصر ، وباستثناء عودة الوفد للحكم فى ٤ فبراير سـنة ١٩٤٢ ، كان للقصر القدح المعلى عمليا فى ادارة الصراع بالاضافة الى ذلك فمما أضعف الحزب الجماهيرى فى هـذا الصراع تلك الانشقاقات التى نتجت عن الخـلاف حول زعامته ، مما أثر ولا ريب على بنيته السياسية • وعلى ضوء معطيات الصراع القـائم بين الطرفين ، كانت المهـارة السياسية تقتضى من الوفـد التصدى للمسألة الاجتماعية التى فرضت نفسها على الساحة وبخاصة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، اذ كان من الممكن أن تشـكل للوفد مجالا حيويا يدعم حركته السياسية ، وتكون مدخلا جديدا لصراعه ضد القصر ، الا أن الوفد كان عاجزا حتى عن مجرد طرح رؤى جديدة فى هذا المضمار • بهذا المفاد فان غياب البعد الاجتماعى عن الاطار الحركى للوفد ، قد أضعف ولا ريب من وقعه لدى الجماهير ، فى الوقت الذى نجحت فيـه الجمـاعات الأيديولوجية الأخرى فى أن تجعل من قضايا الاصلاح الاجتماعى مجالا ليس فى منافسة الوفد سياسيا فحسب بل وفى منازعته شعبيته أيضا •

يضاف الى ذلك فلقد ألقت السياسة البريطانية بظلالها الكثيفة على علاقة القصر بالوفد على نحو تصـورت معه زعامته أن وصـولها للحـكم واستمرارها فيه كان يمثل « ضرورة بريطانية » ومن ثم تبدى حرصها على اجتياز كافة اختبارات النوايا قبل الجانب البريطانى ، وهـذا بدوره كان

خطأ سياسى تردى فيه الوفد . فاقد أظهرت مسيرته السياسية تذبذبا بين ممالأة الانجليز تارة والقصر أخرى ، وتغافل عن قواعده الجماهيرية التى كانت تمثل دائما الركيزة الأساسية لحركته فى مواجهة خصومه السياسيين وعلى رأسهم القصر والانجليز مما قضى على سياسته بالفشل وسوغ للقصر اقالته من الحكم مرات ثلاث « وفق ارادة ملكية » .

القصر واحزاب الأقلية

حزب الأحرار الدستوريين :

نشأ حزب الأحرار الدستوريين فى اطار الخلاف فى الرأى بين زعماء البلاد حول تقييم تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، وتلا ذلك خروج فريق من المعتدلين وعلى رأسهم عدلى يكن وعبد الخالق ثروت على الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول . ومن الناحية العملية كان قيام الحزب تعبيرا عن رغبة كبار الملاك والمثقفين فى تنظيم جهودهم لمقاومة طغيان القصر واستبداده فضلا عن المشاركة فى السلطة . ومن ثم فقد كان امتدادا تاريخيا لحزب الأمة بفكره السياسى وتركيبه الطبقى .

ولقد سعى حزب الأحرار منذ نشأته الى بناء جسور التفاهم والثقة مع الجانب البريطانى ، وكانت السبل ممهدة لذلك بسبب نظرتهم المعتدلة للقضية الوطنية . وعلى الجانب الآخر توفروا على اعداد الدستور وسرعة اصداره اعتقادا منهم بأنه ضرورة ملحة لمواجهة نزعات القصر الاستبدادية . الا أنهم ما فتئوا يعبثون بالدستور والحياة النيابية فشاركوا فى عهد فؤاد فى الانقلاب على الدستور غير مرة وكانوا فى سنى حكمهم أداة لتوطيد أوتوقراطية القصر ، حتى هذا بدوره ما لبث أن لفظهم خارج السلطة اثر استقالة حكومة محمد محمود سنة ١٩٢٩ فسلخوا فى المعارضة ما يزيد على سنوات ست لا تكاد ترصد لهم أثرا ملموسا على الساحة .

بيد أن ابرام معاهدة ١٩٣٦ حمل للأحرار بارقة أمل فى أن يشاركوا فى الحكم كما شاركوا فى ابرام المعـــاهدة • وكان الأحرار وراء ما أثير من جدل سياسى حول تنفيذ المعاهدة ، وهل سيقع عبء تنفيذها على الجبهـــة التى وقعتها ، أم تتولاها حكومة الوفد • وكان ذلك يصدر عن رغبتهم فى المشاركة فى السلطة • بيد أن تشبث الوفد بالحـكم استنادا الى الأغلبية البرلمـانية التى تحققت له من خلال الانتخابات التى أجرتها وزارة على ماهر، ثم ما كان من توثيق عـــلاقته بالجانب البريطـانى كأثر لجهـوده فى ابرام المعاهدة ، مما غاصت معه آمال الأحرار فى العودة الى الحكم • وعلى استحياء تراجعـــوا عن الدعوة للفـــكرة بزعم أن الحكمـــة تقتضى وجـــودهم فى المعارضة(٥٥) •

ورغم هذا الاحجام الظاهرى من الأحرار فقد ظلت تحركهم الرغبة فى تولى مقاليد السلطة وكان احتدام الخـــلاف بين القصر والوزارة النحاسـية الرابعة بمثابة فرصة سانحة سوغت للأحرار توثيق علاقتهم بالقصر بعـد ما رأوا اتجاها جديدا فى سياسة القصر - على حد تعبير الدكتور هيكل - فراح زعيمهم محمد محمود يتحدث عن الملك الشاب حديثا رطبا يشهد بأن عهدا جديدا قد بدأ • ولقد لقى هذا الاتجاه من محمـــد محمود تأييدا من الحزب وبات فى حسبان الأحـــرار أن تقاربهم مع القصر يبشر بأن عهــــد الارهاب ، اشارة الى الحكم الوفدى ، وشيك الزوال وأن ما ضاع عليهم فى عهد الوفد سيرد اليهم كاملا ان لم يرد اليهم مضاعفا ، اذ كانوا يطمعون فى أن يتولى محمد محمود رئاسة الوزارة ، فهم الذين جاهـدوا الوفد وأصابهم ارهابه وأذاه(٥٦) •

---

(٥٥) جريدة السياسة : ١٩٣٦/٨/٣١ ، ١٩٣٦/١١/١ •

(٥٦) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ : ص ٤٣ - ٤٤ •

على هذا النحو أسفر الأحرار عن مغزى تقاربهم مع القصر فهم من جهة كانوا يحاولون ازالة الجفوة التى رانت على علاقتهم به منذ عهد فؤاد ، ومن جهة أخرى بدت رغبتهم فى تقاضى الثمن من القصر لقاء مناوأتهم للوفد ومعارضتهم اياه • فى نفس الوقت كان توثق علاقة محمد محمود بالقصر باعثا على اعتقادهم بأن أيام الوزارة الوفدية فى الحكم معدودة وكان هذا الاعتقاد يزداد قوة كلما زادت الصلات بالقصر توثقا(٥٧) • ولا ريب فى أن الأحرار كانوا أقوى أحزاب الأقلية وقتذاك ، ورغم عدائهم التقليدى للقصر الا أن فكرة تشكيل حكومة منهم تضم عناصر من أحزاب الأقلية الأخرى ، كانت تمثل عملا أفضل البدائل للقصر دون اغفال الصلات الطيبة التى ربطت الأحرار بالجانب البريطانى •

باتت نقطة الالتقاء بين القصر والأحرار هى انهاء الوجود الوفدى فى الحكم الذى كان بدوره مؤيدا من الجانب البريطانى • فى ضوء تلك التناقضات كان من المحتم على القصر اختبار نوايا الجانب البريطانى ، فقابل الشيخ المراغى السفير البريطانى لامبسون وأوضح له رغبة محمد محمود فى تولى رئاسة الوزارة • وكان المراغى يحركه فى ذلك العداء للوفد كأثر لنظرته العقائدية وكراهيته لفرض وصاية الأقباط على الحكم من خلال مكرم عبيد ، مما بدا فى تخوفه من أن يكون هناك « وردانى آخر » ـ وهو قاتل بطرس غالى ـ بين العناصر الطلابية الثائرة(٥٨) •

كان احجام السفير البريطانى ، عن التدخل فى الأزمة وقتذاك ، مما

---

(٥٧) المصدر السابق : نفس المكان •

(٥٨) Fo : 407/221 : No 72 : Lampson to Eden, Nov., 23, 1937, Tel. No. 1352

فسره القصر بأنه اشارة له لكى يستمر فى سياسته بعد أن وضحت أبعادها للسفير البريطانى ، والذى لم تكن تهديداته للملك أو لرئيس الديوان فيما بعد من احتمالات تراجع التأييد البريطانى له وتعرض عرشه للمخاطر(٥٩) ، لم تكن فى الواقع سوى مناورة سياسية أراد السفير البريطانى من ورائها أن يحفظ بها ماء وجهه أمام الحكومة النحاسية اثر اقالتها فى نهاية سنة١٩٣٧ وتولى الأحرار الحكم مع أحزاب الأقلية الأخرى .

وكان الظن بأن التفاهم القائم بين الأحرار والقصر سوف يستمر الى ما بعد توليهم الحكم . الا أنه سرعان ما ظهر البون شاسعا بين اتجاهات الطرفين . فلقد اعتقد الأحرار أن دور القصر قد انتهى بتوليهم الحكم ، وأنه فى ظل التأييد البريطانى لهم ، يمكنهم تجنب مغبة أى محاولات لتدخل القصر فى شئون الحكم والادارة . على الجانب الآخر تصور القصر أن وزارة محمد محمود تمثل بداية لمرحلة جديدة ، يجرى الحكم خلالها بمقتضى رغبات القصر واتجاهاته بعد أن تخلص من أغلال الحكم الوفدى وقيوده .

وبطبيعة الحال فان تباين مفاهيم كل من القصر والأحرار لدوره فى السلطة ، قد أفضى الى صراع حاد بينهما لعب فيه على ماهر الدور البارز - على نحو ما مر بنا - بغية فرض وصاية القصر على الحكومة . ولقد أخطأ الأحرار بدورهم فى تقديرهم لحجم التدخل البريطانى لصالحهم فى الصراع ضد القصر . فلم يكن غائبا عن تقدير دوائر السفارة البريطانية أن التدخل بأى صورة فى الصراع الداخلى بين القصر والحكومة سوف يفسر من جانب القصر بأنه تدخل فى شئون البلاد الداخلية ، على نحو قد يثار معه جدل سياسى حول المعاهدة . وبعبارة أخرى التزم الجانب البريطانى بموقف

(٥٩) Fo : 407/221, No. : 82 Same to Same, Dec., 20, 1937 Tel. No. : 725.

حيادى ، كان باعثا للقصر كيما يخطو خطوته التالية نحو تأصيل دعائم حكمه من خلال وزارة على ماهر الثانية ٠

دارت مفاوضات على ماهر بين المنح والمنع قبل الأحرار وهو بصدد تشكيل وزارته الثانية فراح يعرض عليهم تمثيل حزبهم بوزيرين فى وزارته التى ضمت ستة عشر وزيرا ، وتمسك بعرضه مما اعتبره الأحرار أنه تمثيل غير حقيقى للحزب فى الوزارة ومن ثم كان قرارهم بعدم المشاركة فيها(٦٠) ٠ هذه السياسة من جانب على ماهر فى جوهرها وفى مواجهة الأحرار لا يمكن تفسيرها بأنها كانت امتدادا لخصومة القصر للأحرار بقدر ما كانت انعكاسا لادراك القصر للحجم الحقيقى لحزب الأحرار ٠ بيد أن آمال العودة للحكم راحت تراود الأحرار مرة أخرى خاصة وعندما بلغ الصراع ذراه بين وزارة على ماهر والانجليز ، على نحو ما مر بنا ، وراح محمد محمود يتحرك فى اتجاهين ٠ أولهما : محاولة استقطاب كافة القوى المعارضة لعلى ماهر وتكوين جبهة مناوئة لحكمه وبسبيل ذلك وطد علاقته مع الوفد والمستقلين ونجح فى ذلك الى حد كبير(٦١) ٠

أما الاتجاه الثانى : فقد استهدف حث السفير البريطانى على تقليم أظافر القصر ، باعتبار أن الملك هو المصدر الرئيسى لكل المتاعب وأن اللوم يجب أن يوجه اليه وليس الى على ماهر ، وألح محمد محمود للسفير البريطانى أنه بمقدوره تولى أعباء الحكم دون أن يدع للقصر سبيلا للتدخل ، وذلك بحكم خبرته وأنه من الأهمية بمكان تلقين الملك درسا قاسيا(٦٢) ،

---

(٦٠) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ص ١٦٥ ٠

(٦١) Fo 407/223 (II) : No 42 : Halifax to Lampson, Nov. 20, 1939 Tel. No. 847.

(٦٢) Fo. 407 : 224 No : 6 Lampson to Halifax, Jan. 24, 1940. Tel. No. 26 Saving

بيد أن السعى فى الاتجاه الأخير لم يغير كثيرا من مضمون فكرة الجانب البريطانى فيما يتصل بضعف حزب الأحرار وفاعليته فى ضوء احتمالات اختفاء زعيمهم محمد محمود من الساحة(٦٣) ٠

ولقد بدأ الجانب البريطانى محقا فى مخاوفه بالفعل ، فتحت اغراء السلطة ظهرت عوامل التفكك والانقسام فى الحزب ، مما تكشفه لنا مذكرات هيكل من أنه عندما بدأت انتخابات رئاسة مجلس النواب بين بهى الدين بركات مؤازرا من الأحرار ، وأحمد ماهر مؤازرا من السعديين والحكومة ، والتى اتصلت بجماعة من الأحرار وراحت تغريهم وتعدهم لكى يعطوا أصواتهم لأحمد ماهر ، وظفرت بالفعل من بعضهم بما أرادت وفاز أحمد ماهر فى انتخابات الرئاسة(٦٤) ٠

ومن ناحية أخرى جاءت وفاة محمد محمود زعيم الحزب فى يناير سنة ١٩٤١ لتزيد من تفكك الحزب وانقسامه ٠ ذلك أن اختيار عبد العزيز فهمى ليخلفه فى زعامته للحزب لم يكن يلقى قبولا من جانب فريق ممن كانوا ينشدون تجديد دم الحزب بينما اعتقد فريق آخر أن تعيينه كان بضغط من القصر الأمر الذى سوف يجعل من حزبهم حزبا للقصر(٦٥) ٠

ودعاة الاتجاه الأخير كان لهم ما يبرر موقفهم ، وذلك أن عبد العزيز فهمى كانت صلاته بالقصر قد توثقت بالفعل ، فهو بطل لاحدى الأزمات التى جرت بين القصر والوزارة النحاسية الرابعة حول تعيين بعض الأعضاء فى مجلس الشيوخ ، اذ خلا مقعدان فى المجلس فرشحت الوزارة النحاسية لهما محمود فهمى وحسن نافع ، فوافق القصر على الأول ولم يوافق على

---

(٦٣) Ibid : No. 32 : Same to Same, May, 4, 1940 Tel. No. 464

(٦٤) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ، ص ١٧٤ - ١٧٥ ٠

(٦٥) Fo : 407/225 : No. 8 Lampson to Eden, April, 29, 1941

الثانى ، وعندما استبدلت الوزارة فخرى عبد النور بحسن نافع ظل القصر على رفضه مقترحا عبد العزيز فهمى(٦٦) ٠

على كل حال فقد جرى اختيار عبد العزيز فهمى لرئاسة الحزب وكان واضحا أن الاختيار تم بغرض تفادى التنافس الضار على نحو قد يودى بالحزب ٠ ومن ثم فقد قبل الرئاسة لمدة عا مواحد حتى يمكن للحزب اختيار رئيس آخر يقوى على تحمل التبعات الجسام(٦٧) ٠

ومن الناحية العملية كان الدكتور هيكل - نائب رئيس الحزب - هو المحرك الرئيسى له ٠ ففى أعقاب حادث ٤ فبراير قابل والتر سمارت - بتعليمات من لامبسون - الدكتور هيكل الذى أوضح له قلق الزعماء السياسيين من الأزمة ، فضلا عن صعوبة قيام الأحزاب اللاوفدية بخوض الانتخابات ضد الوفد الذى جاء على أسنة الحراب البريطانية ، وبشكل ودى ألمح للسكرتير الشرقى أنه من مصلحة الجانب البريطانى اقناع الوفد بأهمية تعاونه مع الأحزاب الأخرى داخل الحكم(٦٨) ٠

ولقد فهم السفير البريطانى تلك التلميحات بأنها تعنى اشراك الأحزاب الأخرى فى الحكم الى جانب الوفد ٠ وبدا أن الفكرة قد راقت للامبسون - وهى ليست بجديدة عليه - فراح يفاتح النحاس فى أمر تخصيص مناصب وزارية فى وزارته للأحزاب الأخرى ، مما رفضه النحاس تماما ٠ بيد أن ذلك لم يبعث على يأس السفير البريطانى الذى حاول الضغط عليه مرة أخرى من خلال أمين عثمان ٠ ورغم أن تلك الجهود أيضا لم تات بنتائج ايجابية ، الا أنها أظهرت الجانب البريطانى - على حد تعبير لامبسون -

---

(٦٦) يونان لبيب : تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٠١ ٠

(٦٧) حافظ محمود : المصدر السابق ، ص ١٧٥ - ١٧٦ ٠

(٦٨) Fo. 371/31568 No. 159. Lampson to Eden, Feb. 14. 1942

بمظهر المتعاطف مـــع الأحرار والسعديين فى فـكرة اشتراكهم فى الادارة الحكومية(٦٩) ٠

اتخذ الأحرار من الاخفاق فى هـــذا المسعى ذريعة لهم فى مقـاطعة الانتخابات التى اعتزمت الحكومة الوفدية اجراءها وحذا السعديون حذوهم أيضا(٧١) ٠ ومن جانب آخر تفجرت مسألة الزعامة من جديد باســـتقالة عبد العزيز فهمى من رئاســـة الحزب الذى انقســم الى فريقين ، الأول من أقطاب الحزب من ذوى العصبيات الاقليمية التى اشتهر بهـــا الدستوريون قديما وكان يتزعمه أحمد خشبة ٠ أما الفريق الثـــانى فكان يضم شباب الحزب من ذوى الثقافات العصرية ، وهــؤلاء بدورهم كانوا يرون بأحقيتهم فى الرياسة وكان يتزعمهم الدكتـــور هيكل ، وقد رشــح الحزب الرجلين لرئاسته ٠ وكان هناك اتجاه لتشكيل لجنة عليا تفصل فى هذا الترشيح حفاظا على وحدة الحزب ، مما عارضــه فريق المثقفين على لسان هيــكل ، اذ صمم على أن تكون رئاسة الحزب بالانتخاب ، كمـــا رفضوا أيضـــا اجراء الانتخابات عن طريق مجلس ادارة الحزب ٠ وتم بالفعل اجراء الانتخابات عن طريق الجمعية العمومية للحزب وأسفرت عن فوز هيكل بالرئاسة(٧٢) ٠

الا أن ذلك لم يكن يعني بحال التئاما لشمل الحزب ، ذلك أن بعضـــا من أعضــــائه ذوى النفوذ المؤثر لم يحضروا الانتخــــابات واستمروا عـلى معارضتهم لهيكل ممــــا كان ينبىء عن استمرار الانقسام الحـــادث داخل الحزب(٧٣) ٠ على الجانب الآخر شرع هيكل فى محـــاولة تجديد دم الحزب

---

(٦٩) Ibid

(٧١) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ ٠

(٧٢) حافظ محمود : المصدر السابق ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ٠

(٧٣) Fo. 371/25529 No. 6. weekly Political, and Economic Report, Feb., 19. 1943.

بواسطة خلصائه من الأعضاء مما ضاعف من شأن الانقسام الحادث داخل الحزب(٧٤) ٠

وفيما يتصل بعلاقة القصر بالزعامة الجديدة للأحرار فينبغى الاشارة الى توثق صلات هيكل بأحمد حسنين رئيس الديوان ، مما نلمحه فى مذكرات هيكل فى أكثر من موضع ، فعندما سأله حسن صبرى رئيس الوزراء عمن يرشحه لرئاسة الديوان اقترح هيكل اسم أحمد حسنين لشغل هذا المنصب(٧٥) ٠

ولقدساير الأحرار القصر فى موقفه المعادى للوجود الوفدى فى الحكم ، فشددوا الهجوم على مفاوضات النحاس - نورى السعيد بشأن الوحدة العربية ووصفوها بأنها مؤامرة بريطانية يتعين مقاومتها بكل الوسائل(٧٦) ٠

ومن جهة أخرى بذل الأحرار جهدا ملحوظا فى تجميع العناصر المعارضة للوفد وتنظيمها لزيادة فاعليتها وجرى التنسيق بينهم وبين السعديين وحزب الكتلة الوفدية فى هذا الصدد(٧٧) ٠ ولا ريب فى أن موقف الأحرار وسائر أحزاب الأقلية الأخرى كان يخدم فى جانب منه قضية القصر فى صراعه ضد الحكم الوفدى ٠

---

(٧٤) Ibid. No. 8. Weekly Political and Economic Report Feb., 25. 1943

(٧٥) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ص ٢٠٠ - ٢٢٠ ٠

(٧٦) Fo. 371/35537. No. 38 Weekly Political and Economic Report, Aug. 28, 1943.

(٧٧) Fo. 371/35559. No. 48 Weekly Political and Economic Report Nov, 5, 1943

أما عن موقف الحزب من مسألة اعادة النظر فى المعاهدة فهو لم يكن يخرج عن اجماع البلاد فى ذلك الأمر ، ولقد رأوا أن المعاهدة وان أفادت مصر فانها قد احتوت عند صياغتها على تحفظات محددة وقت التوقيع عليها تستوجب اعادة النظر فيها ، الا أنهم رأوا أيضا بضرورة استمرار مساعدة قوات الحلفاء طالما ظلت الحرب قائمة(٧٨) . على هذا النحو بدأ موقف الأحرار ، ظاهر الاعتدال اذ كان يحد من موقفهم هذا طبيعة العلاقات الخاصة التى كانت تربطهم بالجانب البريطانى ، ومن جانب آخر فانهم قد استهدفوا احراج حكومة الوفد وافساد علاقتها بالجانب البريطانى ، فلقد كان دأب الوفد قبل أن يلى الحكم فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، المطالبة باعادة النظر فى المعاهدة الا أنه ما أن تولى الحكم حتى عمد الى تجاهل الأمر للمحافظة على صفو العلاقات مع الجانب البريطانى .

جاءت اقالة الحكومة النحاسية فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ لتؤرخ بداية مشاركة الأحرار فى السلطة من جديد فشاركوا فى كافة الوزارات التى تولت حكم البلاد وحتى انتخابات عام ١٩٥٠ التى أعادت الوفد للحكم مرة أخرى . بهذا المفاد كان استمرار الأحرار فى السلطة على امتداد هذا المسطح الزمنى ، ينهض دليلا على أنهم كانوا موضع رضاء القصر والانجليز على السواء .

وخلاصة القول فان التأييد البريطانى للأحرار كان ركيزة أساسية لهم بصدد الاقتراب من القصر وتكوين قناعته بجدوى مشاركتهم فى الحكم . فمن وجهة النظر البريطانية كان الأحرار هم أهل الثقة والاعتدال ، على

---

(٧٨) Fo. : 371/41318. No 93 Weekly Political and Economic Report, No. 5, 1943.

الجانب الآخر بذل الأحرار جهدهم للمحافظة على علاقتهم بالجانب البريطانى ، ونجحوا فى ذلك الى حد كبير · ولعل ادراك القصر لذلك كان من البواعث التى حدت به الى اشراكهم فى السلطة مع أحزاب الأقلية الأخرى فى غالبية فترات الحكم اللاوفدى باعتبار ذلك أمر يبعث على رضاء الجانب البريطانى · ومن خلال مسيرة الأحرار السياسية وضح التناقض الذى تردى فيه حزبهم فهم قد تغاضوا عن عدائهم الموروث لاستبداد القصر ، وكانت تحركهم فى ذلك الرغبة فى المشاركة فى السلطة بعد أن بات واضحا لهم أنه لا أمل فى الوصول الى السلطة فى ظل أغلبية الوفد الساحقة الا من خلال التقارب من القصر وممالأة الانجليز ·

الهيئة السعدية :

يرجع تكوين الهيئة السعدية كحزب سياسى ، نتيجة لانشقاق أحمد ماهر والنقراشى عن الوفد اثر احتدام الخلاف بقيادته ـ على نحو ما مر بنا ـ حيث انضم اليهما ستة وسبعون من النواب والشيوخ ألفوا الهيئة السعدية فى ٤ يناير سنة ١٩٣٨ · وكان الظن بأن التاريخ الوطنى لقيادة الحزب السعدى سوف يهيىء لها مكانة سياسية تمكنها من أن تلعب دورا بارزا فى الحركة الوطنية أو تنافس الوفد صدارته لها · الا أن المفارقة كانت كبيرة ، ذلك أنه لم يكن للحزب ثمة برنامج سياسى محدد وانما اعتمد فى توضيح برنامجه على خطب قادته ـ وهذا بدوره قد بعث على الاعتقاد بأن السعديين لم يكونوا سوى ضلع انفصل من جسد الوفد لا تراث له ولا سياسة الا تراث الوفد وسياسته · ثم ان تأليفه فى أعقاب اقالة الوفد فى أواخر سنة ١٩٣٧ قد أضفى عليه ظلا غير محبب للشعب(٧٩) ·

---

(٧٩) أرشيف الأهرام ملف بعنوان « أحزاب ـ عام ـ الجزء الاول » الطليعة ـ ابريل ١٩٦٥ · انظر كذلك محمد زكى عبد القادر : اقدام على الطريق : ص ٣٥٨ ، شهدى عطية الشافعى : تطور الحركة الوطنية المصرية (١٨٨٢ ـ ١٩٥٦) الدار المصرية للكتب ـ القاهرة ١٩٥٧ : ص ٨٢ ـ ٨٥ ·

ولقد ظهر اصرار قيادة الحزب على تأكيد انحداره عن ثورة ١٩١٩ من أن زعيميه ماهر والنقراشي كانا من أعضاء الجهـــاز السرى للثورة ، ومن التمسك بأن ينسب الحزب الجـــديد لزعيم الوفد « سعد زغلول » ، حتى تسمى بالهيئة السعدية وتسمى أعضاؤه بالسعديين ، وبينما تمسكوا بهذه التسمية حاولوا من جانب آخر تقطيع ما بين الوفد وثورة ١٩١٩ من أواصر فسموا الوفديين « بالنحاسيين » نسبة الى مصطفى النحاس الذين خرجوا على زعامته ، وكأنما أردوا القول بأنهم لم يخرجوا عن ثورة ١٩١٩ وانمـــا انشقوا على زعامة خرجت عن مبادئها ورفع الحزب الجديد شعارا « الحـــكم الصالح » الذى جذب اليه صفوة المثقفين(٨٠) ٠

ولقد مثل الحزب مصالح كبار المـاليين المصريـين المتصلين بالشركات الاحتكارية والذين أصبحت لهم السيطرة عـلى المنشآت المصرية نفسها مثل بنك مصر وكثير من الشركات المصرية الأخرى ، وكانت جريدة « الأساس » لسان حال الحزب ، كما كانت هناك صحف أخرى مثل « آخبار اليوم » قـد أيدت سياسته ٠ ولعل استعراض مسيرة الحزب السياسية توضح أنه كان من أكثر أحزاب الأقلية تأثيرا من حيث المشـاركة فى السلطة وتتأكد تلك الحقيقة بما كان من مشاركته فى الحكم لمدة زادت على سنوات عشر من حكم فاروق ٠

وقد توثقت علاقة السعديين بالقصر منذ قيام حزبهم ومما ساعد على ذلك أنهم قد استهدفوا الوفد بعدائهم بعد الخروج عليه مما كان يتفق تماما واتجاهات القصر وبدأ التقارب بينهما بمثابة ضرورة ملحة كانت تمليهـــا

---

(٨٠) يونان لبيب : الاحزاب السياسية فى مصر (١٩٠٧ - ١٩٨٤) ص ٩١ ، محمـد شوكت التونى ، المصدر السابق ص ٤٧ ٠

مصلحة الطرفين • ولعل ادراك محمد محمود رئيس الوزراء وقتذاك — لتلك الحقيقة قد جعله يعمد الى مشاورة قطبى الحزب السعدى ماهر والنقراشى فى خطط الوزارة ومشروعاتها رغم أن السعديين لم يكونوا مشتركين فيها بل وفوض وزراءه فى ذلك أيضا • وكان مسلك محمد محمود فى ذلك يصدر عن قناعته بأن أحمد ماهر شخص يخشى جانبه أكثر منه موضع ثقة(٨١) • ولقد ذهب محمد محمود الى أبعد من ذلك عندما قرر اشراك السعديين فى وزارته الرابعة وبتأييد من السفير البريطانى ، اذ شاركوا فيها بنصيب مساو للأحرار(٨٢) •

ولقد كان من الواضح أن محمد محمود فى اتجاهه لاشراك السعديين يرمى الى محاصرة محاولات تدخل أى من القصر أو على ماهر فى أعمال وزارته فضلا عن تجنب معارضة السعديين أنفسهم باظهار حسن النية • على النقيض من ذلك تماما كانت سياسة القصر باشراك السعديين فى الوزارة ، اذا استهدفت من ورائها تقوية نفوذه داخل الوزارة ، وبدت سياسته أكثر فاعلية داخل الوزارة ، على نحو تنبأ معه السفير البريطانى بأنه سيكون لعلى ماهر أثر واضح فى الأحداث القادمة(٨٣) •

أما السعديون فكان من الواضح أن طموحهم لم يكن ليقف عند حد المشاركة فى الوزارة ، فبدا أحمد ماهر راغبا فى رئاسة وزارة تضم عناصر من السعديين والاتحاد والشعب والمستقلين • على هذا يتضح أن ولاء السعديين للقصر كان يرجع على رغبتهم فى التعاون مع الأحرار

---

(٨١) Fo. 407/222 : No. 56 Lampson to Halifax, Jun, 3, 1938. Tel. No. 85.

(٨٢) Ibid : No. 57 : Same to Same, Jan, 15, 1938, No. 375.

(٨٣) Ibid : No. 59 : Same to Same, Jan. 2, 1938, Tel. No. 105 Saving.

والدستوريين(٨٤) ٠ بالاضافة لذلك فلقد بدا ولاء السعديين للقصر ايضا من خلال اختيار العناصر التى يمكن أن تشاركهم فى السلطة ، فاعضاء حزبى الاتحاد والشعب والمستقلين هم فى جملتهم من أتباع القصر ٠

ولقد تبنى الحزب السعدى فكرة دخول مصر الحرب ودافع عنها ، هذا الموقف من جانب الحزب لم يكن ليصدر عن ولاء لبريطانيا أو ممالأة لها ، وانما ظنا من قادته بأن اشتراك مصر فى الحرب سيفيد قضية الاستقلال ، ذلك أن سلبية موقف مصر فى الدفاع عن أراضيها كان يعنى تسليما ضمنيا بمسئولية بريطانيا فى الدفاع عنها ٠ بالاضافة الى أن اشتراك مصر فى الحرب سوف يمكنها من الاشتراك فى مؤتمر الصلح والدفاع عن قضيتها واستصدار قرار يحقق أهدافها الوطنية(٨٥) ٠ ومن جهة أخرى كان السعديون يرون بأن قيام مصر بمساعدة بريطانيا دون اعلانها الحرب يجعلها ميدانا للحرب ، فضلا عن أن عدم قدرتها فى الدفاع عن نفسها ، فذلك هو التسليم بأن انجلترا تدافع عن مصر وأنها فى حمايتها(٨٦) ٠

ولقد تفرد السعديون بالدعوة للفكرة مما كان يتعارض مع سياسة القصر حليفهم الرئيسى ٠ بيد أن هذا التعارض من الناحية العماية لم يكن ليؤثر على جوهر العلاقة بين الطرفين ٠ فعلى الرغم من تشيعهم للفكرة ، الا أن صلابتهم فى الدفاع عنها كان أمرا مشكوكا فيه ٠ فلقد عمدوا الى الموائمة بين اعتناقهم الفكرة والمشاركة فى السلطة ، فهم وان استقالوا من

---

(٨٤) Ibid : Same to Same, May, 20, 1938. Tel. No. 586

(٨٥) صلاح العقاد : العرب والحرب العالمية الثانية ، معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٢٨ ٠

(٨٦) Ibid : No. 185 Same to Same, Jan. 15, 1929, Tel. No. 41.

وزارة حسن صبرى لرفضها اعـلان اشتراك مصر فى الحرب(٨٧) ، الا انهم من قبل شاركوا فى وزارة على ماهر الثانية ، ومن بعد شاركوا فى وزارة حسين سرى الثانية ، ورغم رفض رئيس الوزراء الاستجابة لمطالبهم فى اعلان الحرب كشرط لاشتراكهم فى الوزارة(٨٨) · وما يؤيد هذا الرأى أيضا أن أحمد ماهر لم يعلن دخول مصر الحرب الا فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٥ أى بعد توليه الحكم بما يربو على الشهور الأربعة ·

وفيما يتعلق بمسألة اعادة النظر فى المعاهدة فلقد ظهر موقف الحزب متناقضا بين هجومه على الحكم الوفدى أثنـــاء عهـــد وزارة النحاس الخامسة بدعوى تخاذله تجاه الانجليز بصـــدد تلك المسألة ، فى الوقت الـــذى أبدى فيه السعديون ترددا واضحا — أثنـــاء وزارة النقراشى الأولى — فى السعى لدى بريطانيا لاعادة النظر فى المعـــاهدة بيد أن ذلك الموقف من جانبهم لا يمكن تفسيره بانحراف زعامتهم عن الخط الوطنى أو ممـــالأة الانجليز ، بقدر ما يفسر فى ضوء اعتبارين أساسيين ينبغى الاشارة اليهما ، أولهما : أن القصر ساورته المخاوف من امكان التعـــاون مـــع النقراشى الذى اشتهر بالصلابة فى الرأى ولم تتوافر له من المرونة ما كان لسلفه الراحل أحمـــد ماهر · ثم أن طبيعة تشكيل وزارة النقراشى كانت الغلبة فيه للطابع الأمنى على الطابع السياسى ، وبعبارة أخرى لم تتوافر لها المقومات السياسية التى تؤهلها للتفاوض · ثانيا : أن الثقـــة كانت مفقودة بين الجـــانب البريطانى والحزب السعدى وزعامته ، مما تشير اليه الوثائق البريطانية ، على نحو سوغ للجانب البريطانى أن يرفض دائمـــا فكرة اعادة النظر فى المعـــاهدة مـــع

---

(٨٧) **Fo. 407/224 : No. 122 : Lampson to Halifax, Sept. 21, 1940 Tel. No. 1153**

(٨٨) **Ibid. ; No. 185. Same to Same, Dec. 24, 1940, Tel. No. 1784**

السعديين(٨٩) .

وليس ثمة دليل ما أبلغ على كراهية الجانب البريطانى للوجود السعدى فى الحكم من أنه عندما طلب الملك من السفير البريطانى مذكرة مكتوبة تتضمن طلبه بالتخلص من وزارة النقراشى فما كان من كيلرن الا أن ارتكب الخطأ الذى كلفه منصبه عندما تقدم بالمذكرة المطلوبة فى ٣١ يناير سنة ١٩٤٦(٩٠) .

وعلى الرغم من العداء البريطانى للحزب السعدى الا أن الأمر كان جد مختلف بصدد علاقته بالقصر ، ومما ينهض دليلا على ذلك أن السعديين قد شاركوا فى كافة الوزارات اللاوفدية التى تولت الحكم بدءا من وزارة محمد محمود الرابعة فى عام ١٩٣٨ حتى وزارة حسين سرى الثالثة فى عام ١٩٤٩ وهى وزارات فى جملتها كانت « وزارات قصر » باستثناء وزارة اسماعيل صدقى الثالثة ، فرغم أن السعديين لم يشاركوا فيها خلافا لرغبة صدقى ذاته ، فانه كان حريصا على أن يحظى بتأييدهم ، بل وطلب وساطة الملك فاروق فى ذلك لكى يضمن أغلبية مناسبة لنظامه فى البرلمان تؤيده وهو بصدد التفاوض مع بريطانيا(٩١) .

وينبغى الاشارة الى أن ما أصاب الأحرار الدستوريين من ضعف وتفكك واضح خاصة بعد رحيل محمد محمود ، كان محسوبا لصالح الحزب السعدى اذ وجد القصر فيه غايته المنشودة ، فلم يكد الملك يقيل الوزارة النحاسية السادسة فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، حتى كان السعديون أكثر

---

(٨٩) Fo. 3371, 41318 : No. 89 : Weekly political and Economic Report, Aug. 18, 1944.

(٩٠) يونان لبيب : تاريخ الوزارات المصرية ، ص ٤٧٤ .

(٩١) Fo : 371/53311 : No. 120 : Campbell to Fo., Sept. II, 1946

أحزاب الأقليـة اقترابا من القصر وأكثرهم اقتدارا عـلى الاضطلاع بالحـكم لصالح أوتوقراطية الملك • ولعل تتبع مسيرة الحزب السعدى يظهر ما كان من تنكبه الطريق الدستورى السليم ، فكان أداة رئيسية للقصر فى افساد الحياة النيابية وأسهم فى نقل السلطة من الشعب الى القصر • فلقد شارك السعديون فى الانقـــلاب الدستورى الذى قامت به وزارة محمـد محمـود الثانية ، حيث جرت انتخـــابات استخدمت فيها كافة أســاليب التزييف والاكراه ، وحصلوا على ١٥٠ مقعدا من مجموع مقاعد مجلس النواب البالغ عددها ٢٦٤ ، ثم ما لبثوا أن قاموا بانقلابهم الثانى على الدستور فى عهـد وزارة أحمد ماهر الأولى فى يناير سنة ١٩٤٥ حيث أجريت انتخابات لم تكن أقل فسادا عن ســـابقاتها واقترنت عهودهم بالحكم على أنقـاض الدستور تكريسا لنفوذ القصر • وفى ظل البرلـمان السعدى زاد عدد المستقلين من الوزراء ولم يكن ذلك أمرا طبيعيا يتسق ونظام يقوم على تعـــدد الأحزاب اذ كان المستقلون فى البرلـمان أو الوزارة يشـكلون رصـــيدا احتياطيـا للقصر(٩٢) •

ولقد ترددت أحوال الحزب وتضاءل تأثيره السياسى خاصة بعد اغتيال زعيميه أحمد ماهر والنقراشى ، فضلا عن افتقاده للتأييد الشعبى شـــأن سائر أحزاب الأقلية ، مما دفع القصر الى التخلى عنه والتحول عن نصرته وهذا ما ظهر واضحا أثره عندما تشكلت وزارة حسين سرى الرابعة فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٩ ، اذ جاءت خلوا من السعديين ، وجاءت انتخابات سنة ١٩٥٠ تقييما عمليا لشعبية الحزب بما حصل عليه من رصـــيد ضئيل من مقاعد المجلس (٢٨ مقعدا) وأرخت عملا مغيب التأثير السياسى للحزب عن الساحة •

---

(٩٢) على الدين هلال : المصدر السابق ص ٢٠٣ •

الكتلة الوفدية :

ترجع نشأة حزب الكتلة الوفدية الى الانشقاق الرابع عن الوفد فى يوليه سنة ١٩٤٢ والذى خرج على أثره مكرم عبيد ومعه سبعة عشر من أعضاء الهيئة الوفدية البرلمانية ليكونوا نواة الحزب • ولقد كانت نشأة الحزب فى جانب منها نتاجا لسياسة القصر فى مواجهة الوفد ، فمن استعراض خلفية الأحداث التى أفضت الى خروج مكرم عبيد وزملائه عن الوفد يتضح جليا الدور الذى لعبه القصر فى اذكاء الخلاف بين قطبى الوفد مكرم والنحاس مما كان ينبىء عن أن سياسة القصر قد تمكنت من أن تنفذ الى داخل الكيان الوفدى لتحدث صدعا حادا فى زعامته كان من الصعب رأبه ، على نحو لم يتوافر للقصر قبلا •

ولقد كشف النحاس عن دور القصر فى هذا الانشقاق ، من أنه بعد أيام من تشكيل وزارته الخامسة فى فبراير سنة ١٩٤٢ ، أوعز أحمد حسنين رئيس الديوان الملكى الى مكرم عبيد بالتماس مقابلة الملك ، وتمت المقابلة بالفعل رغم تردد النحاس وتشككه فى نوايا القصر ، وبايعاز من أحمد حسنين أيضا نشر مكرم بيانا فى جريدة الأهرام فى ١٣ مارس سنة ١٩٤٢ امتدح فيه الملك ، مما أثار حفيظة النحاس وأوغر صدره على مكرم ووصف بيانه بأنه « بيان لا يكتبه سوى العبيد »(٩٣) •

وتصاعد الخلاف بثورة مكرم عبيد على الأوضاع الداخلية فى الوفد ، مما ظهر بصورة واضحة عندما اعترضت اللجنة المالية بوزارة المالية على طلبات لمصطفى النحاس باقرار ترقيات استثنائية لبعض أنصاره فى الحكومة ، واعترض مكرم وزير المالية ، واعترضت بالتالى اللجنة المالية

---

(٩٣) محمد التابعى : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ •

على تلك الترقيات وأعـدت مذكرة بالاعتراض والرفض أرسلت الى مجلس الوزراء ٠ ومما ساعد على اتساع هوة الخلاف بين الرجلين أن مكرم لم يكتف بتلك النتائج بل آرغم جريدة المصرى على نشر تلك المذكرة ، على نحو غدت معه كل محاولة للتوفيق بينهما مستحيلة(٩٤) ٠

الا انه تبقى بعد ذلك الأسباب الجوهرية للخلاف الدائر داخل قيـادة الوفـد ، فلقد شعر مـكرم بتراجع مركز صـدارته فى الوفـد الى جانب النحـاس وكان ذلك راجعا الى ان عناصر قوية من كبار الملاك على رأسـها فؤاد سراج الدين ومحمد سليمان الوكيل ، قد استطاعت أن تتسـلل الى الوفـد وأن تقترب من مركز السلطة فيه ، وراحت تنازع مـكرم اثرته لدى النحاس وتأثيره عليه ، يضاف الى ذلك ما كان من دور السيدة زينب الوكيل حرم النحـاس فى اثارة حفيظته على مـكرم ٠

على هذا النحو ثارت رياح الخصـومة بين زعيمى الوفـد ووصلت الى حـد القطيعة ولم يجد النحـاس من وسـيلة لازاحة مـكرم سوى أن يقدم اسـتقالة الوزارة كلها ، بعد أن رفض الملك فكرة اقالة مـكرم ٠ وتشكلت الوزارة النحاسـية السادسة بالفعل فى ٢٦ مايو سنة ١٩٤٢ واسـتبعد مـكرم منها ٠ ومما تجدر الاشارة اليه أن ثمة محاولات قد جرت من جانب القصر لاستبقاء مـكرم فى الوزارة وهى بطبيعة الحال لم تكن لتصدر عن رغبة القصر فى تصـفية الخلاف داخل الوفـد ، بقدر ما استهدفت الابقاء عليه شـوكة فى جانب الوزارة النحاسـية ، ويؤكد ذلك أن منطق الأحـداث الجارية وقتذاك قد أظهر أن الخلاف كان حادا بين القصر والوزارة النحاسـية الا أن النحـاس حسم خلافه مع مـكرم فاستصدر فى ١٢ يوليو سنة ١٩٤٢

---

(٩٤) جلال الحمامصى : معركة نزاهة الحكم (فبراير سنة ١٩٤٢ - يوليو ١٩٥٢) - القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٥٢ ٠

قرارا من الهيئة الوفدية بفصل مكرم عبيد الذى عمد الى تنظيم صفوف كتلته المستقلة على أساس حزبى ، فانضم اليه عدد جديد من النواب الوفديين السابقين وتم انتخاب سيد سليم سكرتيرا عاما للحزب وجلال الحمامصى أمينا للصندوق(٩٥) .

ولا مراء فى أن مكرم منذ بدء خلافه مع النحاس كان يتحرك فى ظل تأييد تام من القصر ، ولم يكن خروجه عن الوفد الا حلقة من مؤامرة القصر ضد الحزب الجماهيرى استهدفت النيل منه وكشف سوءاته على نحو يمهد لابعاده عن الحكم . والواقع أن السبل لم تكن ميسرة أمام القصر فالوجود البريطانى كان يدعم الحكم الوفدى بشكل مطلق ، ثم ان البرلمان الوفدى كان سندا آخر للحكم ، بعد كل ذلك فهناك منصب الحاكم العسكرى الذى كان يشغله رئيس الحزب ورئيس الوزارة النحاسية نتيجة لظروف الحرب ، والذى استطاع من خلاله تكميم الصحف المنافسة والقاء الخصوم فى المعتقلات(٩٦) .

رغم تلك الظروف فلم يلتو القصد على القصر وبدأ فى تنفيذ الجزء التالى من خطته ، فاجتمع جلال الحمامصى مع أحمد حسنين رئيس الديوان وجرت المناقشة بصدد فضائح الحكم الوفدى وكيف أنها غدت واضحة للجميع ، واتفقا على تسجيلها فى وثيقة ترفع الى الملك فى وقت يكون ملائما للعمل من جانب السراى . وبالفعل شرع مكرم فى جمع مادة الكتاب وساعده على ذلك عدد من موظفى الحكومة فأمدوه بالوثائق والمستندات

(٩٥) Fo. : 371 : 25529. No. 8 Weekly Political and Economic Report, Feb, 19, 1943.

(٩٦) يونان لبيب : الوفد والكتاب الأسود « مؤسسة الأهرام » القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٩

والمعلومات ، بالاضافة الى ما توفر له أصلا أثناء عمله وزيرا للمـالية • وقد رأى حسنين الاكتفـاء بالقليل من الوقائع حتى لا يكون هناك ثمة سبيل الى أخذ حقائقها بأى مأخذ مهما كان شأنه الا أن مكرم لم يوافق عـلى ذلك لأنه كان مطمئنا الى صحة كل ما كان يكتب ، وتم اعـداد النسخة التى سترفع الى الملك مكتوبة بخط اليد مرفقا بها الوثائق الأصلية(٩٧) •

وبالفعـل قام مـكرم بتسليم حسنين النسـخة ظهر يوم ٣١ مارس سنة ١٩٤٣ فى تكتم شديد حيث أودعت احدى خزائن قصر عابدين توطئة لرفعها للملك الذى بعث بنسخة من الكتاب الى النحـاس فى مساء ١٠ابريل مرفقا بها الخطاب المشهور والذى جاء فيه « انالعريضة تحوى اتهامات خطيرة عن نزاهة الوزارة وسمعة الحـكم الوطنى ، وخاصة لان مقدمها مـكرم عبيد باشا كان وزيرا فى الوزارة الوفدية وكان وزيرا عدة مرات ونقيبا للمحامين عدة مرات وقد قدمها بوصفه عضوا فى البرلمـان ورئيسا للكتلة الوفـدية المستقلة وان له ماضيا طويلا فى العمل معكم وان اتهامات كثيرة كهذه لها خطورتها »(٩٨) •

---

(٩٧) عثر الباحث على نسخة من الكتاب الأسود فى العهد الأسود بمكتبة أحمد حسنين وهى النسخة المهداة اليه من مكرم عبيد — يبدأ الكتاب بتصدير مرفوع للملك باسم الكتلة الوفدية أشار فيه مكرم الى أنه ازاء الفساد الذى أصاب البلاد « لم نجد أمامنا سبيلا توحى به أحكام الدستور ، بل وطبائع الأمور الا أن نفزع الى ساحة ملكك انقـاذا للوطن المعذب بدائه » • وينقسم الكتاب الى قسمين أولهما عرض فيه مكرم تفصيلا لوقائع الخلاف الذى جرى بينه وبين النحاس أثناء عمله وزيرا للتموين والمـالية • وأشار الى محاولات أنسباء النحاس وأقاربه استغلال ظروف الأزمة الاقتصادية والتلاعب بمقدرات البـلاد ، والاستثناءات التى كانوا يطلبونها • أما القسـم الثانى فيحتوى على بابين ، الأول خـاص بالتصرفات المتعلقة بنزاهة الحكم وعرض فيه لوقائع استغلال النفوذ من خلال عمليـات البيع والشراء والتأجير والتنظر على الأوقاف والتستر على التهم المنسوبة لبعض أنسباء النحاس • أما الباب الثانى فاتصل بالاعتداء على الحريات العامة والحقوق الدستورية والسياسية وديموقراطية الحكم •

أنظر مكرم عبيد « باشا » الكتاب الأسود فى العهد الأسود ، القاهرة ١٩٤٣ •

(٩٨) جلال الماممى : المصدر السابق ، ص ٣٨ — ٤١ •

والملاحظ أن الملك لم يوجه العريضة الى النحـاس الا بعد عدة أيام من ايداعها بقصر عابدين ، وكان ذلك بغرض افسـاح المجال للتعرف على ردود الفعل البريطانية ، وفى ٦ ابريل قابل أحمـد حسنين السفير البريطـانى ليستطلع رأيه فى الاتهامات الواردة فى العريضة والتى تمس رئيس الوزراء، واقترح السـفير البريطـانى اما احالتها للقضـاء واما مناقشـتها بالطرق الدسـتورية فى البرلمـان • ولقد فهم السفير البريطـانى بأن الملك يحاول أن يتخذ من تلك الاتهامات ذريعة لاقالة الوزارة(٩٩) •

أما عن رد الفعل البريطانى فظهر فى المقابلة الثانية يوم ٨ابريل اذ طلب كيلرن من أحمـد حسنين ضرورة كبح جماح « مليـكه الشـاب » ، وأنه يتعين على الملك أن يدرك المخاطر المتوقعة من كل جانب اذا ما حاول أن يعيد ارتكاب خطئه الجسيم عام ١٩٣٧ عندما أقال الوزارة النحاسية رغم ما كانت تتمتع به من تأييد البلاد(١٠٠) •

بدأ واضـحا تصميم الجانب البريطـانى على مقاومة أى اتجاه من جانب القصر لاقصـاء الوزارة النحاسـية ، ورغم ذلك فقد ظل القصر يأمل فى اسـتمالة الجانب البريطـانى أو تحييده على أقل تقدير • ففى مقابلة ثالثة يوم ١٣ ابريل اقترح السفير البريطـانى على حسنين اجراء استفتاء عام ، الا أن الأخير رأى أن تجربه حـكومة محايدة ، مما أثار مخاوف السفير فطلب من حسنين الرجوع الى البرلمـان القائم لاعطاء الفرصة للنحـاس كيما يدافع عن نفسـه • ازاء ذلـك راح حسـنين يضغط على السفير البريطـانى فى اتجاهين • أولهما : التلميح له بما ينتظر السفارة البريطـانية من لوم لأنها تحمى وزارة فاسـدة • ثانيهما : التهديد بأنه – أى حسنين – سوف يقدم اسـتقالته اذا ما صمم السفير البريطـانى على موقفه ، موضـحا له اتهام

---

(٩٩) حسن يوسف ، مذكرات : ص ١٤٣ •

(١٠٠) The Killearn Diaries P. 249.

زعماء المعارضة له بأنه « رئيس ديوان السفير البريطانى »(١٠١) . بيد أن السفير البريطانى قد استمر على موقفه المتسم بالتأييد للنحاس على نحو لم تجد معه تهديدات القصر نفعا .

بدأ من الواضح أن رفض القصر لفكرة احالة الأمر للبرلمان كان يصدر عن قناعته بأن البرلمان الوفدى سوف تتاح له الفرصة ليس للرد على الوقائع وتفنيدها فحسب ، بل وقد يتخذها ذريعة للهجوم على مكرم والملك من ورائه .

ورغم الموقف البريطانى من الأزمة الا أن كيلرن كان مدركا لمخاطره ، واحتمالات الصدام مع القصر مما يشير اليه فى مذكراته من أن « الملك قد أراد أن يتعامل مع النحاس باعتباره العدو رقم ١ خاصة وأنه بات واضحا أن الملك لا يمكنه أن ينسى ما حدث فى ٤ فبراير من العام الماضى(١٠٢) . وفى محاولة أخيرة من القصر للضغط على الجانب البريطانى قدم أحمد حسنين استقالته للملك فى ١٤ ابريل وبررها بعدم امكانه الاستمرار فى منصبه ازاء اصرار الجانب البريطانى على استبقاء النحاس ، الا أن الملك لم يقبل الاستقالة(١٠٣) . وبتحريض من القصر أيضا رفع زعماء المعارضة الثلاثة هيكل ومكرم وأحمد ماهر ، عريضة احتجاج للملك ، كما طلبوا مقابلة السفير البريطانى الذى رفض مقابلتهم فارسلوا اليه مذكرة موقعة من ثلاثتهم مع فريد زعلوك — أحد أقطاب الكتلة — أكدوا فيها على تأييدهم للمعاهدة الا أنهم احتجوا على التدخل فى أمور البلاد الداخلية باعتبار ان

---

(١٠١) Op Cit.

(١٠٢) Loccit

(١٠٣) Fo. 371/35533 : Weekly Political and Economic Report, April, 16, 1943 No. 19.

الأزمة تخص المصريين فقط دون سواهم(١٠٤) .

أما الوفد فكان من الطبيعي أن يثأر من صناع أزمة الكتاب الأسود فلم يدع وسيلة لقهرهم الا واستعملها فمن جهة تحركت المظاهرات الصاخبة مؤيدة للنحاس مما آثار مخاوف القصر من احتمالات قيام رئيس الوزراء باتخاذ اجراء ضد الملك نفسه يؤدى فى النهاية الى صدام حاد بينهما(١٠٥) . ومن ناحية آخرى شهد البرلمان الوفدى جلسات حامية الوطيس ، راح النحاس يفند فيها الاتهامات الواردة بالكتاب الأسود ، واستطاع أن يعبىء البرلمان ضد مكرم عبيد وأعداء الوفد عموما ، كما أصدرت الحكومة كتابا أبيض تضمن الأسئلة والاستجوابات التى أثيرت فى البرلمان فى ذات الشأن(١٠٦) . ولم تتورع الحكومة عن استخدام الاجراءات البوليسية لمطاردة المسئولين عن الكتاب الأسود ، كما أسقط البرلمان الوفدى عضوية مكرم عبيد ، وجرى اعتقاله بمعتقل السرو حتى أفرج عنه فى أواخر أكتوبر سنة ١٩٤٤ بعد اقالة الوزارة النحاسية(١٠٧) .

ولقد امتد الهجوم الوفدى على القصر ورجاله مما ظهر جليا عندما تقدم النائب الوفدى ابراهيم مكاوى بسؤال فى ١٩ مايو ١٩٤٣ عن الديون التى فى ذمة أحمد حسنين - رئيس الديوان الملكى - للدولة ،

---

(١٠٤) Ibid. : Weekly Political and Economic Report, April, 22 1943, No. 20.

(١٠٥) Ibid : Weekly Political and Economic Report, April 16, 1943 No. 19.

(١٠٦) مضابط مجلس النواب : دور الانعقاد العادى الثانى : الجلسة الثانية والثلاثون فى ١٩٤٣/٤/٢١ ، ص ١٨٩ - ١٩٦ . انظر كذلك الكتاب الأبيض : بيانات الحكومة وقرارات مجلس البرلمان بشان الأسئلة والاستجوابات عما ورد فى العريضة المرفوعة الى حضرة صاحب الجلالة الملك من حضرة النائب المحترم مكرم عبيد باشا .

(١٠٧) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ص ٢٨٦ .

وهى ثمن أثاث تم صنعه فى عام ١٩٢٩ قيمته نحو خمسمائة جنيه ، ورد نجيب الهلالى - وزير المعارف - على السؤال فى بيان مطول أشار فيه الى صحة الواقعة ، وأنه تمت مطالبة حسنين باشا مرارا الا أنه لم يتمكن من سداد مديونيته . وفى ٢١ مايو نشر أحمد حسنين بيانا دافع فيه عن نفسه بأن تكاليف هوايته للطيران والكشوف الصحراوية قد جعلت من المتعذر عليه سداد دينه ، وأن أحمد عبد الوهاب وزير المالية وقتذاك - عرض عليه تسوية الدين كما أن الملك فاروق عرض عليه ذلك أيضا ، الأمر الذى رفضه حسنين خوفا من القول باستغلال منصبه(١٠٨) .

والواقع أن رد الفعل الناتج عن محاولة تشويه سمعة أحمد حسنين ، قد أكد على أن الوفد قد جانبه التوفيق فى هذا الاتجاه . فالهجوم الوفدى قد خلق - دون قصد - رأيا عاما متعاطفا مع أحمد حسنين . واثارة المسألة على هذا النحو قد أظهرت دليلا على نزاهته لا يمكن معه النيل من سمعته(١٠٩) . ورغم محاولات الوفد لمحاصرة أزمة الكتاب الأسود والقصاص من مدبريها ، ألا أنه بات من المؤكد أنه قد فقد قدرا من مكانته كأثر للأزمة ، بما كشفت عنه من مواطن الفساد فى حكمه(١١٠) . وينبغى الاشارة الى أن الدور البريطانى فى الأزمة قد حال بين القصر ومحاولاته

---

(١٠٨) اخبار اليوم : ١٩٤٥/١/٧ م .

(١٠٩) ولقد عثر الباحث فى أوراق أحمد حسنين على مجموعة كبيرة من رسائل المواطنين أشادت طائفة منها بنزاهته وطهارة يده ، وأخرى حملت التبرعات اليه لسداد ديونه فعلى سبيل المثال أرسل اليه أحد « الموذية » خطاب مرفق به حوالة بريدية بمبلغ خمسة عشر قرشا ، وآخر من طالبة بالصعيد أرفقت به حوالة بمبلغ خمسون قرشا ، وثالث من سيد جلال نائب باب الشعرية مرفقا به شيك غير محدد القيمة باسم أحمد حسنين لسداد ديونه ، ورابع من هدى شعراوى أشادت فيه بوطنيته وطهارته . وقد أعاد أحمد حسنين كافة هذه التبرعات لأصحابها شاكرا لهم مشاعرهم واحتفظ بخطاباتهم ضمن أوراقه .

(١١٠) Fo. 371/35534 : Weekly Political and Economic Report, April; 29, 1943 No. 21

للاطاحة بالحكم الوفدى ، وأعاد بذلك التوازن المفقود بين الطرفين ·

ولقد قيض للأزمة أن تتجدد مرة أخرى ، اذ شكلت لجنة وزارية فى عهد وزارة النقراشى الأولى للتحقيق فى الوقائع والتصرفات الماسة بنزاهة الحكم فى عهد « الوزارة النحاسية الأخيرة » وقرر مجلس الوزراء أن يحيل لمجلس النواب فى ١٢ يونية سنة ١٩٤٥ ، تقرير اللجنة الوزارية والتى كان يرأسها مكرم عبيد(١١١) ·

وفيما يتعلق بجوهر العلاقات بين القصر ومكرم عبيد فيمكن القول بأن سياسة القصر الاسلامية كانت تتردد من تولى مكرم عبيد القبطى رئاسة الوزارة مثلا ، والا فقدت حجتها الاسلامية المدعاة ، على أن هذا الظن كان يحده بالضرورة عدد من الاعتبارات يتعين الاشارة اليها · منها أولا أن مكرم وحزبه من الناحية السياسية لم يكن قط من القوة بما يرشحه لذلك من تقدير امكانيات القوى المتنافسة داخل الحزب الملكى ، ومع تقدير وقوف مكرم شريكا مساويا للسعديين والأحرار فى كل من وزارة وبرلمان

---

(١١١) ومما جاء فى مقدمة تقرير اللجنة أن الكتاب الأسود ، كان أول نذير بفضائح ذلك العهد ، وكانت الوزارة السابقة قد عمدت الى تكذيب الفضائح المسندة فى اجوبتها البرلمانية التى جمعتها فى كتاب أبيض وقررت اللجنة أن تحقق هذه الوقائع الخطيرة على ضوء الاثبات والتكذيب ورجعت فى ذلك الى المستندات التى استند اليها الكتاب الأسود ، ولم تكتف بها بل استحضرت الملفات الحكومية المتصلة بهذه الموضوعات ودرستها دراسة دقيقة فتبين لها أن جميع الوقائع الماسة بنزاهة الحكم والتى حققتها اللجنة كانت صحيحة وصادقة جملة وتفصيلا ·

ولقد عمد تقرير اللجنة الى تاكيد الوقائع التى تضمنها الكتاب الأسود وحوى التقرير اتهامات خطيرة للنحاس وحرمه وانسباؤه من جرائم رشوة واستغلال للنفوذ · ولقد امتد الاتهام ليشمل أيضا عددا من اعضاء الوزارة النحاسية ، مثل حمدى سيف النصر · كما كشف التقرير عن استغلال النحاس للسلطة بصفته حاكما عسكريا وذلك فى الغاء أو تعديل الأحكام العسكرية · وخلاصة القول فان التقرير لم يغادر أحدا من الوزراء الوفديين فى الوزارة النحاسية الا وأحصى مفاسده واستغلال نفوذه · لمزيد من التفاصيل انظر تقرير لجنة التحقيق الوزارية فى التصرفات والوقائع الماسة بنزاهة الحكم فى عهد الوزارة النحاسية الأخيرة ، ص ٦ وما بعدها ·

عام ١٩٤٥ · ومنها ثانيا أن الملك فاروق بعد الحرب العالمية الثانية قد اغرته فكرة العروبة عسى أن يحقق منها ما لم يستطع هو أو والده تحقيقه فى مجال الدعوة الاسلامية · ومن هذه الاعتبارات أخيرا ان القصر كان يأمل فى استقطاب الأقباط عن طريق مكرم عبيد ، ومن ثم كان يتفق وصالحه الابقاء على العلاقة مع الكتلة طيبة(١١٢) ·

والملاحظ أن حزب الكتلة لم يكن بمقدوره التجانس مع أحزاب الأقلية الأخرى التى دارت فى فلك القصر · ولقد تصور مكرم أن علاقة القصر بالكتلة ، تسمو على ما سواها من علاقات بسائر أحزاب الأقلية · ولعل قناعة مكرم بذلك قد جعلت تلك الفكرة تؤثر بالسلب على علاقته بالقصر من الناحية العملية · فبعد ظهور نتائج الانتخابات التى أجرتها وزارة أحمد ماهر فى يناير ١٩٤٥ ، قدم مكرم استقالته ووزراء الكتلة فى الوزارة الماهرية ، الى الملك مباشرة متخطيا رئيس الوزراء أحمد ماهر ، الا أن الملك طلب منه الاستمرار وزملائه فى الوزارة · وفى ١٥ يناير قدم أحمد ماهر استقالة الوزارة كلها فقبلها الملك وعهد اليه بتشكيل الوزارة الجديدة التى ضمت مكرم وثلاثة وزراء من الكتلة(١١٣) ·

هذا الموقف من جانب مكرم عبيد كان راجعا لخلافه مع السعديين لتلاعبهم فى الانتخابات ، وتمسك غالبية الحزب السعدى بوزارة سعدية خالصة ، خلافا لاتجاه القصر ، مما دعا مكرم الى ارسال برقية للملك أعلن فيها أنه وزملاؤه لا يمكنهم أن يكونوا طرفا فى هذا الائتلاف · وفى محاولة من جانب القصر لاصلاح ذات البين ، بعث أحمد حسنين بابراهيم عبد الهادى

---

(١١٢) أنظر طارق البشرى : الاقباط والمسلمون فى اطار الجماعة الوطنية - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٠ ص ٥٩ ·

(١١٣) الكتلة : ١٩٤٥/١/١٦ ·

الى الأقصر فى محاولة لاقنــاع مكرم الذى بدأ متمسكا برأيه الســابق حتى تدخل الملك لفض النزاع بين عنصرى الائتلاف(١١٤) ·

وعلى الرغم من المســاعى التى بذلها القصر لنصرة مــكرم وحزبه ، الا أنه ظــل معتقــدا أنه قد خسر الكثير بسبب تدخل الســعديين فى هذه الانتخابات وأغلب الظن أنه كان يغالط نفسه ، فالحزب كان حديث التكوين لمــا تتوافر له بعد العصــبيات القديمة التى كانت تكفل له عددا مناسبا من المقاعد · يضاف الى ذلك ما كان من اعتقاد مــكرم بأنه وريث الوفــد وانطلق من هذا المفهوم ليتعامل مع القصر وأرهقه بمطالبه ، والذى حاول بدوره تلبية الكثير منها على حســاب أحزاب الأقلية الأخرى ـ كما يعترف جلال الحمامصى ـ رغم ذلك فلم يكن مــكرم ليقنع بحجم تأييد القصر له ورأى أن السبيل الوحيد لضرب الملك ضربة قاضية هو مصالحة النحاس أو مهادنته· وبالفعل أعلن مــكرم فى صيف ١٩٤٦ مهادنته لجميع الأحزاب السياسية بما فيها الوفــد وأثار هذا الموقف من جانب مــكرم عبيد ثائرة العديد من عناصر الكتلة التى ساءها انفراده باتخاذ هذا القرار دون مشورتها ، بينما اعتبر مــكرم عبيد هذا الاجراء من أفضل أعماله السياسية كلها وأنه قد ضرب الملك ضربة لن ينساها(١١٥) ·

من جانب آخر أسفر مــكرم عن عدائه للملك بالهجوم عليه فيما كان ينشره بجريدة الــكتلة تحت عنوان « حــكمة اليوم » وان كان هجوما خفيا الا أنه كان مفهوما ، فى نفس الوقت تظاهر الوفــد بقبول مهادنة مــكرم ، وذلك لاظهاره أمام الرأى العام فى البلاد بأن الاتهامات التى ضمنها الــكتاب

---

(١١٤) 371/45936 : Summary of Egyptian Afafirs, Jan. to Feb. 6, 1945

(١١٥) جلال الحمامصى ـ المصدر السابق ـ ص ٣٠ ـ ٣٢ ·

الأسـود في عام ١٩٤٣ قد تنازل عنها عام ١٩٤٦(١١٦) ٠

أما القصر فكان من الواضـح أنه لم يكن على استعداد لمناصرة مكرم وحزبه الى آخر المدى ، لمـا قد يترتب على ذلك من احتمالات تصدع الحلف الملـكى الذى ضم أحزاب الأقلية ، ثم أن مصالحة مـكرم للأحزاب السياسية بما فيها الوفـد كانت محض مناورة سياسية واضحة المغزى اذ استهدفت القصر الذى كان قد اسـتنفد بالفعل أغراضه من مـكرم وحزبه ٠ يضاف الى ذلك فان هجوم مـكرم المتواتر على الوجود البريطـانى وتبنيه لمسـألة العـلاقات المصرية البريطـانية داخل مجلس النواب ، وان كان قـد جرى بالتنسيق مع القصر فى مرحلة الهجـوم الوفـدى ، ألا أن اسـتمرار تلك السـياسة من جانب مـكرم لم تكن تتفق وسـياسة القصر نحو الجـانب البريطـانى على المدى الطويل ، وهى سياسة كان مبناها التفاهم والود فى غالبية مراحلها ٠ وبعبارة أخرى فلم يكن القصر ليضحى بعلاقته بالجانب البريطانى مسايرة لمـكرم وحزبه(١١٧) ٠

وقد انعكست آثار سـخط القصر على حزب الكتلة بشكل واضح فى نصيبه من المشاركة الوزارية ، فلقد شارك مـكرم وحزبه في الوزارات الثلاثة التى تشكلت برئاسة مـاهر والنقراشى منذ اقالة الوفـد فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ حتى فبراير سنة ١٩٤٦ ، الا أنه بانقلاب العلاقة بين القصر ومـكرم لم يقيض للحزب المشاركة فى الوزارة بعد ذلك ٠

وخلاصـة القول فلقد كان قيام حزب الكتلة بمثابة انتصار ملـكى على الوفـد ، ذلك ان انشقاق مـكرم كان فى التحليل الأخير نتاجا لسـياسة

---

(١١٦) المصدر السابق ص ١٣٦ ٠

(١١٧) Fo. 371/35535 No : 27. Weekly Political and Economic Report Jun 11, 1943

القصر فى مواجهة حزب الأغلبية • ثم أن تلك الحملة الضارية التى قادها مكرم على صفحات كتابه الأسود ضد الوفد قد أثرت ولا ريب على مكانة الحزب الجماهيرى ، كما أنها كانت محسوبة أيضا لصالح القصر فى صراعه ضد الوفد • ولقد اعتقد مكرم بأثرته لدى القصر باعتباره قاهر الوفد وبالغ فى تحديد مكانته السياسية لدى الملك ، وهذا بدوره كان يعكس قصور رؤيته أو ادراكه لابعاد سياسة القصر ، ومن هذا التصور الخاطىء انطلق مكرم فى علاقته بالقصر الا أنه سرعان ما بدأ الصدام بينهما ، وبدلا من أن يستغل مكرم تلك العلاقة لتكريس مكانة حزبه السياسية داخل الحلف الملكى راح ينقلب على القصر ويتقارب مع الوفد - ودون وعى سياسى - أوغل فى هذا الاتجاه فكان من الطبيعى ألا تكون النتائج فى صالحه • فمن جهة استغل الوفد ذلك التحول الحادث فى علاقته بالكتلة لكى يظهر مكرم بمظهر المتراجع عن هجومه السابق واتهاماته للزعامة الوفدية ، أما القصر فلقد أرخت تلك الخطوة من جانب مكرم نهاية العلاقة بينهما وانعكس ذلك فيما ظهر من أن مشاركة الكتلة فى السلطة كانت محدودة للغاية ، ومما زاد الحزب ضعفا الى ضعفه ما كان من فردية الزعامة بداخله وهى كلها عوامل أفضت الى اضمحلال أثره السياسى على الساحة •

الحزب الوطنى :

قامت سياسة الحزب الوطنى منذ نشأته سنة ١٩٠٧ بزعامة مصطفى كامل ، على العداء للوجود الاحتلالى • ولقد أوغل الحزب فى هذا الاتجاه على نحو لم يميزه فحسب فى حركته عن سائر الأحزاب القائمة وقتذاك ، بل وأغرى القصر « فى عهد عباس حلمى الثانى » على التحالف معه ، فحاول من خلال توطيد علاقته بمصطفى كامل أن يستخدم الحزب بنشاطه فى تقوية موقفه ضد المعتمد البريطانى • واستطاع الحزب بحق

ان يعبىء الرأى العــام داخل البلاد وخارجها ضد الوجود البريطــانى فيها • بيد أن قيام الحرب العالمية الأولى سوغ لبريطــانيا الفرصة للقضاء على نشاط الحزب فتناولت أعضاءه بالاعتقال والنفى • ومما ساعدها فى هذا المسعى قيام زعامة الحزب بنقل نشاطها الى الخارج •

وبانتهــاء الحرب العالمية الأولى التــأمت الحركة الوطنية من جــديد وتصاعد المــد الثورى فى البلاد وبلغ ذراه بقيام ثورة ١٩١٩ ، ورغم أن الحزب الوطنى عاد الى الساحة من جديد ، الا أن الظروف السياسية وقتذاك لم تكن تمكنه من أن يلعب دوره السـياسى البارز خاصة بعد ظهور الوفــد المصرى الذى اقتعد لنفسه صدارة الحركة الوطنية على نحو لم يكن معه أمام الحزب الوطنى ســوى أن يؤيده أو يقف ضــده مع القصر وأحزاب الأقلية المرفوضة جماهيريا وقد اختار الحزب الطريق الأخير(١١٨) •

توثقت علاقة الحزب الوطنى بالقصر فى عهــد فؤاد بشكل واضح ، فلقد وجد القصر فى مواقف الحزب المعادية للوجود البريطــانى أو لمحاولات تســوية المسألة المصرية ، ما كان يخدم القصر فى صراعه على الســلطة • ولقد تصور فؤاد أن أية تسوية لمســألة العلاقات مع بريطــانيا لن تتم الا من خلال الوفــد وبتأييده ، مما سوف يترتب عليه تزايد تأثيره السياسى من جانب وتزايد عزلة القصر من جانب آخر وتردى نفوذه • ومن ثم اتفق القصر والحزب الوطنى فى الأهداف وان اختلفت المقاصد •

ولقد رفع الحزب الوطنى شعار « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » وأعطى

(١١٨) لمزيد من التفاصيل عن نشأة الحزب الوطنى وحركته السياسية حتى الحرب العالمية الأولى انظر آرثر جولد شميت « الابن » : الحزب الوطنى المصرى ـ ترجمة فؤاد دوارة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٣ ص ١٤١ وما بعــدها ، وانظر كذلك عبــد الرحمن الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ـ ص ٦٩ •

الأولوية للعمل السياسى ، الا أن الغموض قد أحاط بمفهومه للعمل السياسى * وبعبارة أخرى فلقد رفع الحزب شعاره ، دون أن يطرح الأساليب العملية التى تكفل تنفيذه • فعلى سبيل المثال رأى الحزب أن العمل السياسى يبدأ باعلان بطلان المعاهدة وعرض القضية على هيئة الأمم المتحدة ، واذا لم يتم حلها هناك فعلى مصر أن تنسحب من هذه الهيئة وتعمل على تعزيز قوة البلاد العسكرية • هذا الاتجاه من جانب الحزب كان يدل على أن مفهومه للقضية الوطنية كان مفهوما نظريا بعيدا تماما عن واقع السياسة المصرية ، فهو من ناحية يدعو الى حل القضية فى المحافل الدولية دون أن يحاول الاقتراب من حلقة المفاوضات ، فى الوقت الذى تقررت فيه ثنائية تلك القضية بعد مؤتمر الصلح فى فرساى ، وبات من المقرر عملا أن حلها لن يتأتى الا من خلال التفاوض مباشرة مع بريطانيا • ومن ناحية أخرى فان دعوته لتعزيز قوة البلاد العسكرية أمر لم يكن من الميسور تحقيقه فى ظل وجود احتلالى ضاغط اتجهت سياسته الى الابقاء على الجيش المصرى ضعيف التأثير – على نحو ما سيرد ذكره – بل ومقاومة أى محاولة فى ذلك الاتجاه •

وكما هاجم الحزب تصريح ٢٨ فبراير سنة١٩٢٢ ، امتنع عن الاشتراك فى توقيع معاهدة سنة١٩٣٦ واتخذ منها مادة للهجوم على الوجود البريطانى ، فضلا عن أنه لم يشارك فى أى من المفاوضات التى جرت بعد ذلك بهدف اعادة النظر فيها أو تعديلها • ولقد عولت دوائر السفارة البريطانية كثيرا على المخاطر التى قد تأتى من وراء ذلك • فاهمية الموقف السياسى للحزب كانت تكمن أساسا فى أنه كان يمثل نقطة التقاء للعناصر التى رفضت المعاهدة من الأحزاب والجماعات الأخرى ، ولقد أغرى موقف

الحزب هذا قطاعا كبيرا من الأزهر والموظفين للانضمام اليه(١١٩) ٠

تلك المواقف من جانب الحزب كانت تضعه فى صف العداء للوجود البريطانى ، الا أنها أسهمت من جانب آخر فى الابقاء عليه حزبا غير جماهيرى ٠ فالرأى العام فى البلاد بدأ على استعداد لتقبل أنماط العلاقات المختلفة مع بريطانيا فى الوقت الذى استمر فيه الحزب رافضا لكل صيغ العلاقات مع بريطانيا ، أو مجرد قبول فكرة التفاوض معها فكان بذلك بعيدا عن مركز الجماهير عاجزا عن الالتقاء معها ٠

وبطبيعة الحال لم يكن بمقدور الحزب الوطنى أن يعادى القوة الوحيدة الباقية فى الميدان وهى القصر ، مما يفسر حسن العلاقة بين قيادته والملك فؤاد ومن بعده فاروق ، وكان من أثر تلك العلاقة أن غدا القصر هو مدخل الحزب الوطنى للسلطة(١٢٠) ٠ بيد أن مشاركة الحزب فى السلطة قد أفضت الى الانقسام بين صفوفه ٠ فلقد استقرت سياسته على عدم المشاركة فى الوزارة قبل أن يتحقق الجلاء عن البلاد (١٢١) ٠ ويشير الرافعى الى أن اشتراك حافظ رمضان رئيس الحزب فى وزارة محمد محمود الثانية سنة ١٩٣٧ ، كان سببا للخلاف داخل اللجنة الادارية للحزب ، اذ كان اشتراكه فى الوزارة بغير قرار منها ، الا أنه اعتذر بأن الوقت لم يكن يتسع لعقد اللجنة لابداء رأيها فى المسألة ٠ وعندما تشكلت وزارة حسن صبرى سنة ١٩٤٠ اشترك فيها حافظ رمضان رغم قرار اللجنة الادارية للحزب

---

(١١٩) Fo. : 407/219 (II) No. 21 : Kelly to Eden, Jul. 10, 1936

(١٢٠) شارك الحزب الوطنى فى العديد من وزارات القصر مثل وزارة محمد محمود سنة ١٩٣٨ وحسن صبرى سنة ١٩٤٠ وأحمد ماهر والنقراشى فى أواخر الحرب العالمية الثانية وأعقابها (١٩٤٤ ــ ١٩٤٥) كما شارك فى وزارة حسين سرى الثالثة سنة ١٩٤٩ ٠ انظر يونان لبيب : الأحزاب المصرية قبل ثورة ٥٢ ص ٧٩ ٠

(١٢١) على الدين هلال : المصدر السابق ص ٢١٦ ٠

بعدم الاشتراك فيها ، مما كان سببا فى اتساع دائرة الخلاف ووقوع الانقسام داخل اللجنة الادارية بين مؤيد ومعارض لموقف حافظ رمضان . ولقد ظل الخلاف قائما الى أن تم الصلح بين الفريقين فى نوفمبر سنة ١٩٤٦(١٢٢) .

وكان من المتوقع أن تتسم ممارسات الحزب داخل السلطة بالتناقض بين مبادئه المعلنة ونهجه العملى ، وهذا ما حدث بالفعل فقد كان قيام وزارة أحمد ماهر باعلان الحرب متعارضا مع سياسة الحزب ، مما دعا حافظ رمضان الى تقديم استقالته من الوزارة فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٥ لكى لا يشارك فى خطوة خطيرة يعتقد أنها لن تعطى مصر ميزة مماثلة ، الا أنه - وبضغط من النقراشى - قبل الاستمرار فى الوزارة حتى ينأى بنفسه عن شبهة التورط فى مقتل أحمد ماهر . ورغم ذلك فقد قاطع جلسات البرلمان التى أفضت الى اعلان مصر الحرب(١٢٣) .

من جانب آخر فقد انعكست علاقة القصر بالحزب على استقراره داخل السلطة فراح حافظ رمضان يقدم من جديد استقالته من وزارة النقراشى الأولى وكان من ضمن المبررات التى سيقت لذلك ابقاء بريطانيا على اللورد كيلرن سفيرا لها فى مصر متعللة بالاعتبارات الحربية ، وازاء رفض النقراشى ما طلبه حافظ عفيفى من مفاتحة الحكومة البريطانية فى أمر تغيير سفيرها فى مصر ، قدم استقالته(١٢٤) .

واضح أن هذا الموقف من جانب رئيس الحزب لم يكن منبت الصلة

---

(١٢٢) عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ٨٧ - ٨٨ .

(١٢٣) Fo. 371/45940 : No. 118 : Weekly Political and Economic Report Mar. 10, 1945.

(١٢٤) نشرات الحزب الوطنى : الحزب الوطنى فى عام ١٩٤٦ ، ص ١٠ - ١١ .

بسخط القصر ونقمته على كيلرن بالنظر الى الدور الذى لعبه فى أزمة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ٠

وفى تقديرى أن مشاركة الحزب فى السلطة لم تكن تنبىء عن اتجاه أصيل لزعامته فى هذا الصدد بقدر ما كانت استجابة لرغبة القصر فى اطار التقارب بينهما ٠ فلقد استهدفت سياسة القصر فى تلك الفترة تجميع صفوف أحزاب الأقلية ضد الوفد ، وعلى الرغم من أن بعضا من هذه الأحزاب قد ترددت علاقتها بين التحالف حينا والعداء أحيانا للوفد ، الا أن موقف الحزب الوطنى قد تجمد عند حد العداء له ، فهو وان تحالف مع الملك أصلا بحكم علاقته الودية التقليدية مع قصر عابدين ، فقد قوى هذا التحالف وكفل استمراره عداؤهما المشترك للوفد ٠ يضاف الى ذلك فلقد تحالف الحزب مع جماعة مصر الفتاة منذ ظهورها خلال الثلاثينيات نتيجة لموقفها المتشدد فى عدائها للوفد ، وتحالف أخيرا مع أحزاب الأقلية الأخرى من الدستوريين والسعديين والكتلة وائتلف معها فى وزارات الائتلاف اللاوفدى ، يحركه فى ذلك أيضا أن الائتلاف كان موجها ضد الوفد(١٢٥) ٠

وفى نوفمبر سنة ١٩٤٦ بدأت المساعى لازالة أسباب الخلاف والانقسام داخل الحزب وتم الاتفاق على عدم الاشتراك فى أى وزارة اذا كان برنامجها يتعارض مع مبادىء الحزب(١٢٦) ٠ وكان الظن أن ذلك من شأنه توحيد الصفوف داخل الحزب ، بيد أن العناصر الشابة التى انخرطت فى كوادر الحزب كانت قد ضاقت بحركته وبدت أكثر جنوحا للتطرف ، مما ظهر أثره

---

(١٢٥) يونان لبيب : الأحزاب السياسية فى مصر (١٩٠٧ ـ ١٩٨٤) ص ١٤٧ ٠
(١٢٦) عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ص ٢١٤ ٠

واضحا فى مايو ١٩٤٩ عندما نشرت جريدة اللواء الجديد بيانا عما عرف « باللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى » كان بمثابة اعلان بخروج جماعة الشباب عن قيادات الحزب القديمة . والواقع أن تلك اللجنة التى رأسها فتحى رضوان – بعد انفصاله عن مصر الفتاة – كانت تمثل الجناح الثورى للحزب ، وتحولت خلال الفترة التى امتدت حتى مطلع ١٩٥٢ الى احدى جماعات الاثارة السياسية مع مصر الفتاة والاخوان المسلمون والجماعات الماركسية ، مما تمثل فى المقالات الثورية التى امتلأت بها صفحات اللواء الجديد والتى امتدت الى القصر مما كان يخالف سياسة الود التقليدية بين الحزب والملك(١٢٧) .

ومن جهة أخرى جرى اتفاق الحزب الوطنى والكتلة على تاليف جبهة مستقلة من جميع الأحزاب السياسية الأخرى على أساس رفض فكرة الدفاع المشترك ، ودعا كلاهما الى أنه لا سبيل الى اصلاح شئون البلاد الا بتطهيرها من الفساد(١٢٨) . فضلا عن ذلك فقد اتجه الحزب الى تحبيذ فكرة عقد اتفاق عدم اعتداء مع روسيا(١٢٩) . ولا ريب فى أن تلك التغيرات الجديدة لحركة الحزب كانت دليلا على تنامى التيار الجديد الناشىء داخله والذى تمثل فى نشاط اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى .

وبطبيعة الحال فان تلك الاتجاهات الجديدة داخل الحزب لم تكن تلقى قبولا من زعامته التقليدية ، ذلك أنها كانت تتعارض تماما مع مواقف القصر الملكية وسياسته . ففيما يتصل باتفاقية الدفاع المشترك فان القصر قد

---

(١٢٧) يونان لبيب : الأحزاب المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ ص ٨٢ .
(١٢٨) ارشيف الأهرام ملف بعنوان « احزاب – عام ج ١ » الاهرام ١٩٥١/٣/١٣ .
(١٢٩) المصدر السابق : الأهرام ١٩٥٠/٥/٣ .

تبنى الفكرة وكان يأمل من ورائها الكثير بما يضمن سلامة العرش ، وما فتىء الملك يلح على الجانب البريطانى لادخالها موضع التنفيذ ، ثم أن الدعوة لعقد اتفاق عدم اعتداء مع روسيا ، لم تكن لتقابل برضاء من دوائر القصر ، فالملك كان يتوجس خيفة من انتشار النشاط الشيوعى فراح يحث بريطانيا على مساعدته فى احتوائه على نحو ما سيرد ذكره تفصيلا(١٣٠) • ورغم أن زعامة الحزب قد أظهرت عجزها عن التصدى للتيارات الجديدة داخل الحزب أو مقاومتها ، الا أنها قد ظلت على ايمانها بجدوى التفاهم مع القصر وتأييده وهذا ما يفسره موقف زعامة الحزب من عريضة المعارضة المشهورة التى رفعها زعماء أحزاب الأقلية - ومنهم الحزب الوطنى - للملك فى أكتوبر سنة ١٩٥٠ والتى أشارت الى فساد الحاشية ، وتنكب الوزارة النحاسية الطريق الدستورى للحكم وامعانها فى تضليل الملك ، وخلصت الى المطالبة بتصحيح الأوضاع الدستورية - اشارة الى ضرورة اقالة الوزارة النحاسية - كأساس للعلاج • ورغم أن النحاس منع نشر العريضة وهاجم موقعيها ، الا أن ذلك لم يخفف من غضب الملك عليهم ، حتى أنه على حد تعبير هيكل - احتفظ بأصل الكتاب فى حافظة جيبه مخافة أن تنازعه يوما فكرة التسامح معهم فتصدها تلاوته عن الاستجابة لمثل هذه النزعة(١٣١) • الا أن الحزب الوطنى ما لبث أن أبدى تراجعا عن موقفه مما جاء بالعريضة ، وبتأييد من اللجنة الادارية للحزب ، طلب حافظ رمضان مقابلة الملك فى خريف ١٩٥١ وتمت تصفية ما بينهما من جفوة جاءت نتيجة لتوقيعه على العريضة ، وظهر أثر ذلك فيما كان من قيام الملك بترشيحه للتعيين عضوا بمجلس الشيوخ(١٣٢) •

---

(١٣٠) أنظر الفصل الثالث : القصر والجماعات الايديولوجية •
(١٣١) محمد حسين هيكل : المصدر السابق ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ •
(١٣٢) حسن يوسف : مذكرات ، ص ٢٥٦ •

وخلاصة القول فان الحزب الوطنى وان كان من الناحية النظرية قد عبر عن مثالية العمل الوطنى ، فانه فى مجال الممارسة العملية ظل بعيدا تماما عن واقع السياسة المصرية خاصة فيما ظهر من جمود نظرته للقضية الوطنية ولا ريب فى أن تلك المواقف التى اتخذها فى مواجهة الوجود الاحتلالى ، هى بذاتها التى شكلت التحديات فى مواجهة الحزب وفرضت قيودا على حركته فكان ضعيف الأثر فى السياسة المصرية ، فهو من جهة ظل رافضاً مبدأ التفاهم مع الوجود الاحتلالى بأى قدر الا بعد الجلاء الناجز مما أدى الى تعقيد موقف الحزب وحد من فاعليته السياسية الى حد كبير فظل عند جموده فى وقت كانت فيه العلاقات المصرية البريطانية تنتقل من طور الى طور طبقا لاتجاهات السياسة البريطانية فى غالبية الأحوال . ورغم ثبات الحزب على العداء لبريطانيا الا أن دعاويه لم تكن لتجد وقعا أو تأثيرا لدى الجماهير فظل منعزلا عنها .

ولقد عمل الحزب على توطيد علاقته بالقصر والمحافظة على استمراريتها فى الوقت الذى كان فيه فاروق يأمل فى أن يتخذ من مواقف الحزب المتشددة أداة يختزنها لصراعه ضد الجانب البريطانى لتحقيق مآربه فى السلطة بشكل أساسى . وعلى شاكلة سائر أحزاب الأقلية كان العداء بين الوفد والحزب الوطنى ، الا أنه لم يكن عملا وليدا لعلاقة الود التى ربطته بالقصر بقدر ما كان نتاجا لعوامل السخط على الحزب الجماهيرى الذى انتزع منه صدارة الحركة الوطنية بعد ثورة ١٩١٩ ، فضلا عن أن تباين نظرتهما السياسية بصدد القضية الوطنية قد أسهم فى تأصيل العداء بينهما ، الا أن ذلك كان باعثا على تقارب القصر والحزب الوطنى من جانب آخر .

ولقد سارت العلاقة بين القصر والحزب الوطنى فى هدى الوفاق والتفاهم ولم يعكر صفوها سوى تصاعد الاتجاهات الثورية من خلال

« اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى » ، والتى تبنت اتجاهات سياسية كانت تتعارض يقينا واتجاهات القصر ، ان لم تكن تحمل معنى العداء له ، مما أوقع قيادة الحزب فى مأزق سياسى بصدد علاقتها به . وكأثر لعجزها عن التفاهم مع دعاة الاتجاه الجديد بمواقفهم المناوئة للقصر عمدت الى الابقاء على مضمون علاقتها به من خلال مواقف فردية استهدفت منها ممالأته والابقاء على الصلات به طيبة .

تجربة أحزاب القصر :

جاءت نشأة أحزاب القصر فى عهد الملك فؤاد وفقا لضرورة ملكية استهدفت ارساء دعائم حكم القصر كمؤسسة سياسية ، وهى وان اتفقت مع أحزاب الأقلية الأخرى فى ضآلة رصيدها الشعبى وحكم البلاد على انقاض الدستور باسم القصر ، ألا أنه يمكن القول بأن أحزاب الأقلية على اختلاف نزعاتها قد جاءت نشأتها فى اطار الحركة الوطنية بينما كانت نشأة الأخرى باشراف من القصر وتوجيهه . فلقد تبنى حسن نشأت وكيل الديوان الملكى وقتذاك ـ الدعوة لانشاء حزب الاتحاد فى أوائل عام ١٩٢٥ وكان المحرك الرئيسى له . ولقد أريد لهذا الحزب الجديد أن يكون حزبا للموازنة داخل البرلمان يستطيع القصر أن يغلب به أحد الحزبين ـ الوفد والأحرار ـ على الآخر فيما يرى فيه مصلحة البلاد من غير حاجة الى حل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة ، على نحو ما قرره حسن نشأت(١٣٣) . ومن ثم فقد بدأ ظاهريا آن القصر قد استهدف من وراء انشاء الحزب الجديد تدعيم أصول التجربة البرلمانية ، الا ان الدور العملى الذى لعبه الحزب قد أسقط دعاوى القصر وكشف زيفها .

---

(١٣٣) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ٢٢٣ .

ولقد شارك الحزب فى الحكم اثر انقلابات دستورية ثلاثة جرت على امتداد الفترة من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٣٤ — ودون اغراق فى التفاصيل فعلى الرغم من مساندة القصر ودعمه المطلق للحزب ، فقد كان دوره هامشيا فى داخل الوزارة أو البرلمان على السواء وكان من الطبيعى أن ينعكس ذلك ليس على حجم مشاركة القصر فى السلطة فحسب ، بل وفى استدامتها أيضا . وبدأ القصر راغبا فى أن يوفر للتجربة المزيد من مقومات النجاح . فعمد الى التوسع فيها بانشاء حزب الشعب عام ١٩٣٠ ، وكان وراء هذا الحزب أيضا أحد رجال القصر وهو زكى الابراشى ناظر الخاصة الملكية . حقيقة أن اسماعيل صدقى — رئيس الوزراء وقتذاك — قد لعب دورا بارزا فى انشاء هذا الحزب لكى يدعم تجربة دستور ١٩٣٠ ، مستهدفا فى الظاهر توطيد سلطة القصر الأوتوقراطية ، الا أنه من الناحية العملية كان هدفه الحقيقى أن يوجد لنفسه قوة يستند اليها فى مواجهة القصر ذاته اذا ما تخلى عنه . وبمهارة سياسية محسوبة نجح القصر فى أن يحول الحزب الى نصرته ، اذ ما لبث أعضاؤه أن استبدلوا بصدقى سيدا آخر هو عبد الفتاح يحيى ، مما حدا بصدقى الى الاستقالة من رئاسة الحزب لينفرد القصر بالسيطرة على الحزب(١٣٤) .

وعلى شاكلة حزب الاتحاد ، لم يحظ حزب الشعب بوجود فى البرلمان الا من خلال تدخل الادارة بالتلاعب والتزوير فى الانتخابات ، ففى انتخابات ١٩٣١ التى أدارها اسماعيل صدقى حصل الحزب على ٨٤ مقعدا بنسبة

---

(١٣٤) محمد زكى عبد القادر : محنة الدستور ص ٨١ . ومما يجدر ذكره أن اسماعيل صدقى عاد الى رئاسة الحزب مرة أخرى عام ١٩٣٤ . الا أنه استقال مرة أخرى فى اغسطس ١٩٣٨ ، ولم تكن عودته تؤثر على نفوذ القصر على الحزب ، على نحو يتضح معه أن وجود صدقى زعيما للحزب كان أمرا صوريا .

٥٦٪ من اجمالى مقاعد مجلس النواب بينما حصل كل من الاتحاد والشعب على ١٤ مقعدا بنسبة ٦٪ فى انتخابات ١٩٣٦ التى أجرتها وزارة على ماهر(١٣٥) ٠

وفى عهد فاروق وان بدأ القصر راغبا فى التخلص من فكرة اصطناع الأحزاب الملكية الا أنه لم يبدد « الارث الحزبى » الذى خلفه عهد فؤاد ٠ ولقد كانت سياسة القصر فى هذا الاتجاه تصدر عن اعتبارين أولهما أن مسيرة تلك الأحزاب فى الحكم وان اتفقت وسياسة القصر الا أن أحزاب القصر ذاتها كانت تمثل موضع ضعف حقيقى فى كيانه السياسى على نحو بات معه من الميسور على خصومه أن يستهدفوا تلك الأحزاب بهجومهم طالما أنه لم يكن بمقدورهم توجيه ضربتهم « للذات الملكية » ٠ ثانيا : اختلفت سياسة أحمد حسنين رئيس الديوان الملكى والشخصية الرئيسية فى صنع سياسة القصر ، عن سياسة أى من حسن نشأت أو الابراشى ، اذ قامت سياسته على تفتيت الوفد واستخدام الأحزاب المنشقة عليه كأسلحة فى مواجهته ، مما بدأ أثره واضحا فى حكم الأحزاب اللاوفدية مؤتلفة كما حدث بين عامى ١٩٣٨ - ١٩٤٢ ، والفترة من عام ١٩٤٤ - الى عام ١٩٤٩ ، وتأكدت أفضلية تلك السياسة بالفعل بالنسبة للقصر ٠ وبطبيعة الحال فان أحزاب الأقلية التى شاركت فى الحكم من الأحرار والهيئة السعدية والكتلة الوفدية والحزب الوطنى ، لم تكن أقل استجابة لتدخل القصر عن حزبى الاتحاد والشعب ، الا أنه لم يكن من الميسور اتهام تلك الأحزاب بأنها صنائع للقصر ولها ماض سياسى حافل استندت اليه(١٣٦) ٠

---

(١٣٥) على الدين هلال : المصدر السابق : ص ٢١٤ ٠

(١٣٦) انظر يونان لبيب : الأحزاب السياسية فى مصر (١٩٧١ - ١٩٨٤) ص ١٥٨-١٥٩

على كل حال فلقد اتخذت سياسة القصر فى مجال التخلى عن فكرة أحزاب القصر مفهوما عمليا بدت أولى دلالاته عندما قام القصر بالضغط على محمد محمود أثناء تشكيله لوزارته الثانية فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٧ ، وذلك لتعيين محمد كامل البندارى وزيرا فى وزارته ونجح القصر فى مسعاه بالفعل ، فى الوقت الذى لم تكن هناك ثمة رغبة من جانب القصر فى التدخل لصالح زعيمى حزب الاتحاد والشعب - حلمى عيسى وأحمد كامل - لدى رفضهما الانضمام لوزارة محمد محمود الرابعة دون أن يكون معهما وزراء من حزبيهما(١٣٧) • على هذا النحو انتقل حزبا القصر ، وفق ارادته الى صفوف المعارضة ، خلافا لما جرت عليه سياسته فى السابق مما يعطى الانطباع بادراك القصر بعدم جدوى الاعتماد على الحزبين بشكل مؤثر وفعال •

من جانب آخر جرت المفاوضات فى أغسطس ١٩٣٨ بين حزبى الاتحاد والشعب تمخض عنها ادماجهما فى حزب «**الاتحاد الشعبى**» حيث تولى محمد حلمى عيسى رئاسته وتولى عبد الرحمن البيلى منصب نائب الرئيس• وكان من الواضح أن الادماج قد جرى بتأييد القصر ، الا أن ذلك لم يكن يعنى بالضرورة تراجع سياسته التى أشرنا اليها ، بقدر ما كان يهدف اشراك الحزب الجديد فى المعارضة البرلمانية لئلا يستأثر بها الوفد • وعلى الرغم من أنه كان للحزب ١٩ عضوا بمجلس النواب بينما كان للوفد ١٢ عضوا بالمجلس ، الا ان معارضة الأخير ظلت دائما الأقوى تأثيرا رغم هيمنة مؤيدى حكومة محمد محمود على المجلس(١٣٨) •

---

(١٣٧) Fo. 407/222 : No. 3 : Lampson to Halifax, June, 30, 1938, Tel. No. 774

(١٣٨) Ibid : No 9 : Batemen to Halifax, Nov, 8, 1938, Tel. No. 49.

وتمشيا مع سياسة القصر اعترض عبد الرحمن البيلى - نائب رئيس الحزب - على اتجاه صدقى فيما نادى به من تعديل المادة السابعة من المعاهدة ، وأظهر للسفير البريطاني تعاطف الحزب مع الاتجاه الخاص بضرورة تمسك مصر بنصوص معاهدة التحالف مع بريطانيا(١٣٩) وكان من الواضح أن هذا الاتجاه من جانب الحزب قد جاء متسقا وسياسة القصر فى ذات الوقت والتى كانت تستهدف مهادنة السفارة البريطانية واسترضاءها خاصة بعد اقالة حكومة الوفد فى نهاية سنة ١٩٣٧ .

على كل حال لم يشارك الحزب بعد ذلك فى السلطة الا فى وزارتى حسن صبرى الأولى فى يونية سنة ١٩٤٠ وحسين سرى الأولى فى نوفمبر سنة ١٩٤٠ ، وكان تمثيله فيهما من خلال رئيسه حلمى عيسى ، ويؤرخ خروج الحزب من الوزارة الأخيرة بداية لأفول نجمه السياسى ، اذ توقف نشاطه تماما وقرر رئيسه أن يستأنف نشاطه فى صفوف المستقلين(١٤٠) . وبطبيعة الحال لم يكن موقف رئيس الحزب منبت الصلة باتجاهات القصر الذى قرر أن ينهى تلك التجربة التى بدأها فى عهد فؤاد .

أما عن تقييم علاقة القصر بالأحزاب السياسية فى عهد فاروق . فينبغى الاشارة الى أن مكانة القصر السياسية فى بداية هذا العهد ، قد أسهمت بنصيب وافر فى تحديد تلك العلاقة وصياغتها . فالقصر كان يتحرك على الساحة مستندا الى رصيد من التأييد الشعبى لما يتوافر له منذ عهد عباس حلمى الثانى على نحو جعله خصما عنيدا للوفد لا يقل

---

(١٣٩) Fo. 407/223 No. 4 : Lampson to Halifax, Jan, 16, 1939 Tel. No. 41

(١٤٠) Fo. 371 : 35539 : No. 7 : Weekly Political and Economic Report, Oct, 29, 1943.

عنه اقتدارا ، فاستطاع أن يدير دفة الصراع السياسى ضد حزب الأغلبية بمهارة سياسية محسوبة • فمن جهة استغل ذلك الصراع الدائر داخل زعامة الوفد وأنهى وجوده فى الحكم رغم مظلة التأييد البريطانى له ، فخرج حزب الأغلبية مثخنا بانشقاق حاد قد أثر ولا ريب على بنيته السياسية • ومن جهة أخرى نجح القصر فى أن يستقطب الى صفوفه تلك الزعامات الخارجة على الوفد بما لها من ماض سياسى ، بل ما لبث أن استخدمها كسلاح فى مواجهة الوفد ذاته •

وتكمن الأهمية الحقيقية للدور الذى قام به القصر أثناء صراعه ضد الوفد وقتذاك فى أن الأمر لم يكن قاصرا على رد هجمات الوفد المتتالية والتى اتصلت دائما بحدود ممارسات القصر لسلطاته ، بل فيما بدأ من انتزاع القصر لزمام المبادرة بالهجوم على الوفد ذاته ومحاولة الاستيلاء عليه من الداخل • وثمة نتيجة أخرى تتصل بسياسة القصر هذه فيما أفضت اليه من احداث الوقيعة بين الوفد والانجليز اذ اعتقد بخذلانهم له فى صراعه ضد القصر ، مما حدا به الى الانقلاب على حلفاء الأمس والهجوم عليهم •

ورغم المساندة البريطانية للوفد بعد عودته للحكم فى فبراير سنة ١٩٤٢ ، فلم يلتو القصد على السراى فى محاولاتها للنيل منه ، اذ أن خروج مكرم عبيد وكتلته عن الوفد انما جرى بتدبير من القصر وتخطيطه، وبدأ ذلك واضحا فيما كان من التصاق مكرم عبيد بالقصر • ومن جانب آخر ظل القصر يتربص الدوائر بالوفد حتى أقصاه للمرة الثانية فى أكتوبر سنة١٩٤٤ ، ليظل خارج الحكم ما زاد على سنوات خمس عاد بعدها أكثر طواعية للقصر وولاء له ، الى حد راحت معه زعامته تدافع عن مفاسد القصر وتتستر على سوءاته ، مما يعطى الانطباع عن حالة الاستخذاء التى تردى فيها حزب

الأغلبية فى مواجهة القصر •

أما أحزاب الأقلية فان عداءها المشترك للوفد كان يضعها بشكل آلى فى معسكر القصر • والحقيقة أن هذا العداء لم يكن نتاجا للخلاف فى الرأى حول القضية الوطنية باعتبارها محور العمل السياسى ، بقدر ما كان يصدر عن الرغبة فى منازعة الوفد مقاليد السلطة فى البلاد • ثم أن اقتراب تلك الأحزاب من القصر كان نابعا من قناعتها بأنه السبيل الوحيد للسلطة، وفى المقابل كان عليها أن تتنكب طرق الحكم الدستورى فكان ديدنها العبث بالدستور وافساد الحياة النيابية لحساب حكم القصر خلال توليها السلطة • ومما ساعد على اقترابها من القصر أيضا أن تلك الأحزاب كانت شبه معزولة عن الجماهير ، ذلك أن غياب رؤى الاصلاح الاجتماعى عن الاطار الحركى لهذه الأحزاب قد أضعف من وقعها وتأثيرها فى البلاد على نحو صار معه القصر عملا مدخلها الوحيد للحكم •

أما أحزاب القصر فعلى الرغم من أن نشأتها كانت بمعزل عن الحركة الوطنية بالنظر الى ظروف تأسيسها ومحركيها الحقيقيين الا أنها عملا قد تشابهت فى هويتها السياسية مع ما عداها من أحزاب الأقلية الأخرى • ولقد تخلى القصر عنها بعد أن ثبت له ان مثالب التجربة قد فاقت مناقبها ، فضلا عن أنه وجد فى أحزاب الأقلية بما فيها الأحزاب المنشقة على الوفد ، عوضا له عن الاستمرار — فى تجربة تحفها المخاطر • ورغم اختفاء أحزاب القصر سياسيا من الساحة ، الا أنه تخلف عنها ظاهرة العناصر المستقلة وهذه بدورها قد استمرت على ولائها للقصر بعد أن تخلصت من حزبيتها • وعلى شاكلة أحزاب القصر كانت ظاهرة المستقلين بمثابة نبت شيطانى ضار ، تختلف وطبائع النظام الحزبى فى بلد تعددت أحزابه •

الفصل الثالث

القصر والجماعات الأيديولوجية

- الاخوان المسلمون
- الحركة الشيوعية
- مصر الفتاة

القصر والجماعات الأيديولوجية

شهدت البلاد منذ أواخر العشرينات الى الثلاثينات صراعات سياسية حادة ، اذ تبوأت قضيتا الجلاء والدستور مكانة الصدارة على الساحة ، وتعلقت آمالها على حزب الوفد لكى يقودها الى غاياتها • ولقد بدت صراعات الوفد ضد خصوم الحركة الوطنية من القصر والانجليز تدور فى حلقة شبه مغلقة ، حفلت بسلسلة متصلة من المفاوضات والانقلابات الدستورية ، ومن ناحية أخرى حال اضطرام الصراع السياسى دون الوفد وتبنيه قضايا الاصلاح الاجتماعى ، حتى أننا نكاد نلمس بوضوح فى تلك الفترة غياب البعد الاجتماعى عن الاطار الحركى للوفد باعتباره رمزا للحركة الوطنية — وعلى الرغم من النجاح المحسوب الذى حققه الوفد جماهيرها الا أن ذلك الرصيد الشعبى الذى توافر له كان متوجها بالضرورة لخدمته فى صراع طال أمده من أجل الدستور والاستقلال • وعلى الرغم من أن البلاد قد أبقت على تأييدها للوفد الا أن قطاعا كبيرا من الرأى العام كان بادى التشكك فى قدره حزب الأغلبية أو أى من الأحزاب السياسية الأخرى على احداث التغييرات المطلوبة بجناحيها السياسى والاجتماعى •

ولا ريب فى أن الظروف السائدة وقتذاك قد هيأت مناخا ملائما للجماعات الأيديولوجية كيما تظهر على الساحة المصرية بغرض النهوض بأعباء الاصلاح المنشود ، فيما عجزت عنه القوى السياسية الأخرى • من هذا فان ظهور تلك الجماعات على الساحة وبغض النظر عن منابعها الأيديولوجية ، لم يكن يعنى تأثيرا أو انعكاسا لتيارات واردة من الخارج فحسب ، بقدر ما ينظر اليها كقوى تسعى الى التصدى لمشاكل الاصلاح ، بديلة عن قوى

النظام القائم ٠

وبطبيعة الحال لم يكن ظهور تلك الجماعات على الساحة ليمر دون أن يستلفت القوى السياسية ويستثير ريبتها فضلا عن عدائها ، وكان الظن بأن صداما محتما سوف ينشأ بين هذه الجماعات بحكم مفاهيمها وتوجهاتها، وبين القوى السياسية الأخرى والتى كانت رغم تطاحنها فيما بينها الا أنها كانت تعتبر نفسها فى المقام الأخير جزءا من النظام القائم ويقع عليها عبء الدفاع عنه فى مواجهة تلك الدعاوى والتيارات الوافدة ، وكان من أثر ذلك أن تعرضت الجماعات الأيديولوجية لمحن شديدة الوطأة على يد بعض من هذه الأحـزاب من مواقعها فى السـلطة ، وكان الايعـاز بها من جـانب القصر والانجليز ٠

ويثير ظهور الجماعات الأيديولوجية على الساحة أكثر من دلالة فيما اتصل بحركتها أو علاقتها بقوى التأثير السياسى فى البلاد ، فمنها أولا : أن قيام هذه الجماعات كان يعنى أن مقدرات البلاد لن تكون قيدا أو حكرا على القوى السياسية فحسب من القصر أو الانجليز أو الأحزاب السياسية وأنه سوف تغدو على الساحة قوى أخرى تزاحمها شعبيتها وصراعاتها على السلطة وذلك بدوره كان ينبىء عن أن ثمة تغيرات جديدة سوف تطرأ على الخريطة السياسية للبلاد ٠

ثانيا : تباين هذه الجماعات فى مواقفها من القصر كمؤسسة للحكم ٠ ففى الوقت الذى اتسقت فيه دعوة الاخوان المسـلمون مع توجهات القصر الاسـلامية ، ترددت مواقف مصر الفتاة بين الدعوة للالتفاف حول الملـكية الدستورية بلغت حد التعصب ، وبين الهجوم على القصر ورجاله ٠ فى الوقت ذاته سارت الحركة الشـيوعية على نهج ثابت مبناه العداء للقصر ٠ ولقد أظهرت الممارسـة العملية أن اختلاف مواقف الجمـاعات الأيديولوجية من

القصر ، قد أثر بالسلب عليها وأضعفها فى مواجهته ٠

ثالثا : أن الخلافات الأيديولوجية بين هـذه الجماعات قد انعكست آثارها بشكل حاد على أبعاد العلاقة بينها ، فسعت كل منها لاثبات وجودها وكيانها على الساحة منفردة أو من خلال التحالف مع القوى السياسية الأخرى ٠ فالاخوان المسلمون قد غلوا أيديهم مع الالتقاء بمصر الفتاة أو تنظيمات الحركة الشيوعية ، فى الوقت الذى سعوا فيه - أى الاخوان - الى الاقتراب من القصر والانجليز والوفد ٠ وعلى شاكلة الاخوان المسلمون تقريبا كانت جماعة مصر الفتاة ٠ ولا يحد من هذا القول ما كان من دعوة القوى الشيوعية لتكوين جبهة تضمهم مع الاخوان ومصر الفتاة وبعض الأحزاب فى مواجهة القصر والانجليز ، اذ ما لبث أن خاب فأل تلك الدعوة وهى فى مهدها لاعتبارات كثيرة سوف يرد ذكرها كان من أبرزها ما اتصل بالانقسام داخل عناصر الحركة ذاتها ٠

وتكاد تتفق الجماعات الأيديولوجية - رغم اختلاف منابعها على رفض النظام القائم بقواه ونظمه الدستورية ، والسعى لتغييره وابداله بنظام آخر ٠ وبعبارة أخرى فانها لم تقبل النظام الديموقراطى الليبرالى بديلا اذ كان لها منابعها الفكرية الأخرى التى استلهمت منها حركتها ٠ يضاف الى ذلك فان «التنظيم الداخلى» لتلك الجماعات قد ترك أثره واضحا على مسيرتها ومكانتها على الساحة ٠ ففى الوقت الذى توافر فيه للاخوان تنظيم داخلى متماسك الى حد كبير فى ظل زعامة حسن البنا بوجه خاص ، بدت مصر الفتاة أقل تماسكا وأكثر تقلبا بين توجهات فاشية واسلامية ، بينما كانت الحركة الشيوعية تمزقها عوامل الانقسام والتنابذ والتى كانت تصدر فى غالبيتها عن خلافات أيديولوجية داخل تنظيمات الحركة نفسها ٠ ولقد كان هذا التباين فى التنظيمات الداخلية منتجا لاثارة فيما اتصل بعلاقات

الجماعات بقوى التأثير السياسى فى مصر • حقيقة أن تلك القوى قد تعاونت بشكل أو بآخر مع بعض من هذه الجماعات الا أنها كانت تعتبر نشاطها خارجا عن اطار المشروعية ، ومما أسهم فى تأصيل تلك الفكرة ما كان جنوح بعضها الى العمل السرى والاغتيالات السياسية ، وهى عوامل كانت فى جملتها تحد من حركة تلك الجماعات وتكشف عن مواطن ضعفها فى مواجهة القوى السياسية الأخرى •

واذا كان الصراع على السلطة هو محور العلاقة بين القصر والقوى السياسية وفى مقدمتها الوفد فان الصراع بين القصر والجماعات الايديولوجية كان مختلفا تماما من حيث طبيعته وأبعاده ، فجوهره هنا لم يكن وليدا لخلاف على الدستور أو رغبة فى الانتقاص من سلطات القصر ، بقدر ما كان يعكس ادراك القصر واقتناعه بخطورة دعاوى تلك الجماعات على اختلاف مشاربها وفى اقتناعها الأصيل بفساد نظام سياسى قائم ، كان القصر ذاته أحد ركائزه الأساسية • على الجانب الآخر كان بمقدور القصر أن يحدد توقيتات ضرب تلك الجماعات واجهاض حركتها ، مما لم يكن ليتوافر له فى صراعه ضد القوى السياسية الأخرى •

وعلى الرغم من المصاعب التى واجهت الجماعات الايديولوجية وحدت من حركتها على الساحة الا أنها تركت آثارا لا يمكن التهوين من شأنها فى مجالات الاصلاح المختلفة ، فيما قصرت عنه الأحزاب السياسية التقليدية ، وأسهمت بدعاواها فى تهيئة الرأى العام للتغيرات المتوقعة •

الاخوان المسلمون :

كان ظهور جماعة الاخوان المسلمون عام ١٩٢٨ كجماعة دينية دليلا على تصاعد المد الاسلامى بعد أن خبت جذوته أو كادت اثر ثورة ١٩١٩ • ذلك أن تيار الثورة كان بمثابة المجرى الرئيسى الذى التقت فيه روافد

الحركة الوطنية بكافة اتجاهاتها الدينية والعلمانية بصدد المطالبة باستقلال البلاد . وفى اطار ثورة ١٩١٩ تراجع التيار الاسـلامى فى مواجهة التيار القومى الليبرالى الا أنه بانتهاء أحداث الثورة وتفككها ، بدأ الاتجاه الاسلامى فى الظهـور مرة أخرى وكان ذلك من خلال الدعوة للخلافة الاسـلامية ، خاصة بعد أن ألغت تركيا الخلافة فى عام ١٩٢٤ .

ولقد قيض لفـكرة الخلافة الاسـلامية ذاتها أن تكون محورا لفـكر رشـيد رضـا صاحب مدرسة المنـار ، فقد دافع عن وحدة السلطان الدينى والسلطان العلماني فى الاسـلام ، ودعا الى تأليف جمعية اسـلامية تمتد فروعها فى الأقطار الاسـلامية تقوم على مبدأ أن الاخوة فى الاسـلام تمحو الفوارق الجنسية والوطنية وتؤلف بين المسـلمين باعتبارهم أمة واحدة .

وبدت جماعة الاخوان كامتداد طبيعي لفكر رشيد رضا ، وظهر ذلك من خلال تبينهم نهجه الفكرى والفلسفى للمفهوم الاسـلامى وان تفوقت دعوتهم بالتركيز على الأهمية الاجتماعية للقرآن والسنة(١) .

على هذا انطلقت الجماعة فى بـدء حركتها من فهم اسـلامى محدد ، رأت فيه علاجا للمشاكل الاجتماعية والسياسية للبلاد . ولقد رفض الاخون

---

(١) وينبغى الاشارة الى أن تمسك الاخوان بفكرة الخلافة كان يرتبط ارتباطا وثيقا ، بل وامتدادا وتواصلا لفكرة الجامعة الاسلامية التى دعا اليها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده منذ منتصف القرن التاسع عشر . وتتأكد أصول فكرة الجماعة الاسلامية فى عقيـدة الاخوان فيما ذهب اليه حسن البنا مؤسس الجماعة من أن كل أرض ارتفعت فيها راية الاسلام ، وكما أن الاسلام عقيدة وعبادة فهو وطن وجنسية أيضـا ومن ثم فان المسلمين جميعا أمة واحـدة والوطن الاسلامى وطنا واحدا . لمزيد من التفاصـيل أنظر عبد العظيم رمضان ـ الاخـوان المسلمون والتنظيم السرى ، مؤسسة روزاليوسف ـ القـاهرة ١٩٨٢ ص ٢٥ ـ ٢٩ ، طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ص ٥١ ـ ٥٣ . أنظر كذلك : نصر الدين عبد الحميـد نصر : مصر وحركة الجـامعة الاسـلامية (١٨٨٢ ـ ١٩١٤) ص ١٠ ـ ١٢ ، ص ٢٨ ـ ٣٣ .

نظرية القومية بالمفهوم ، الذى دعا اليه هتلر فى المانيا وكمال آتاتورك فى تركيا وموسولينى فى ايطاليا ، حيث نادى كل منهم بأن أمته فوق الجميع . كما رفضوا أيضا فكرة « العالمية » التى ظهرت كنقيض للقومية . فالعالمية بدعوتها لتجاوز الحدود والارتفاع بالبشرية الى مستوى أرحب من العلاقات الانسانية لم تكن من وجهة نظر الاخوان سوى محاولة من الغرب لفرض هيمنته على الشعوب الأخرى .

من هذا الرفض « للقومية » و « العالمية » راح حسن البنا - مؤسس الجماعة - يحاول وضع اطار نظرى لفكرة « القومية الاسلامية » وهى محاولة توفيقية بين القومية والعالمية ، والفكرة بهذا المفاد جاءت متسقة فى مجملها مع اتجاهات القصر الاسلامية وتطلعاته نحو الخلافة . وبالفعل انطلق الاخوان بدعوتهم وانتشرت فروع الجماعة فى الأقاليم ، بالاضافة الى ما كان من انشاء فرق شبه عسكرية باسم « الجوالة » ، توفر على تدريبها أحد الضباط وهو الصاغ محمد لبيب . وفى عام ١٩٣٨ قرر البنا النزول الى العمل السياسى ، فأصدر مجلة النذير مجلة سياسية أسبوعية ، وجاء أول عدد منها يحمل فى افتتاحيته « اتجاه الاخوان المسلمين الوطنى وابتداء اشتراكهم فى الكفاح السياسى فى الداخل والخارج »(٢) .

بدأ الاخوان مشاركتهم فى العمل السياسى بالهجوم على الأحزاب السياسية والنظام الحزبى وكانت تلك ولا ريب سقطة كبرى للاخوان فى بدء حركتهم ، فلقد جاهروا بعدائهم للأحزاب السياسية وعدوها نظما

---

(٢) أنظر عاصم الدسوقى : فكرة القومية عند الاخوان المسلمين (١٩٢٨ - ١٩٣٨) مطبعة عين شمس - القاهرة ١٩٧٦ - ص ١٥٣ وما بعدها ، كذلك أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ص ٨٣ - ٨٤ ، أنظر كذلك عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ الى سنة ١٩٤٨ - بيروت ١٩٧٣ ج ١ ص ٣١٧ .

واردة من الخارج(٣) ، بل واعتبروها من أسباب تفرق كلمة البلاد وانقسامها . ولقد عبر هذا الاتجاه عن نفسه بما كان من موقف النذير لسان حال الاخوان ازاء ما تردد عن احتمالات الاتحاد بين الأحرار الدستوريين والهيئة السعدية وتكوين ما يسمى « بالوفد السعدى الحر » وامتد هذا الهجوم على الأحزاب السياسية وتعددها الى القول بانه لا حزبية فى الاسلام ، ودعت - النذير - الزعماء الى الاعتصام بحبل الله(٤) .

ولقد أوغلت الجماعة فى هذا الاتجاه بالتدليل على فساد الحزبية فى مصر وافساد أحوال البلاد على يد قادتها ورأت أن انقسام مجلس النواب بين وفدى وسعدى ودستورى ووطنى ، وأن كل منهم يدعى العمل لخير مصر وصالحها مع أنه ليست هناك فروق جوهرية فى مبادىء ولا أعمال ولا عقائد هؤلاء(٥) . يضاف الى ذلك فقد اظهر الاخوان نبذهم للدساتير ، والقوانين الوضعية وانتهوا الى فشلها وأنه لا بديل عن القرآن والسنة(٦) . وأخيرا ما كان من موقفهم من المعاهدة والقول بعدم صلاحيتها لتكون أساسا للعلاقة بين مصر وانجلترا(٧) . ولا شك فى أن مواقف الجماعة هذه فى جملتها قد باعدت بينها وبين الأحزاب السياسية وفى مقدمتها الوفد ، بل وأورثتها ريبتها وشكوكها . ومن الناحية الايديولوجية فان انتماء الاخوان للتيار الاسلامي بكل قيمه ونظرياته ، فضلا عن دعوتهم للقومية الاسلامية،

---

(٣) Marlowe, J, The Anglo Egyptian Relations, P : 350.

(٤) النذير : العدد ٢٦ : ٢٩ رمضان ١٣٥٧ - مقال لصالح عشماوى بعنوان « اتحدت أحزاب الشيطان فمتى يتحد حزب الله » .

(٥) النذير : العدد ٢٨ : ١٣ شوال ١٩٥٧ - مقال لحسن البنا عن الفكرة القومية ومؤتمر لندن لبحث قضية فلسطين .

(٦) النذير : العدد ٣٢ : ١٨ ذى القعدة ١٩٥٧ - مقال لمحمد السكرى بعنوان « لا نزال نتحدى ونعلن » .

(٧) الدستور : ١٥/١٠/١٩٤٥ .

مما كان يتعارض تماما مع التيار القومى الليبرالى الذى تبنته الأحزاب المصرية والتى ضمت بين كوادرها عناصر غير اسلامية .

ولقد بدأ الاخوان خصما عنيدا للأحزاب السياسية ، فاذا كانوا قد تفردوا بانكار الحزبية فهم قد امتازوا عن الشيوعيين ومصر الفتاة بصعوبة توجيه العمالة أو الالحاد اليهم وهو ما دأب خصوم الماركسيين ومصر الفتاة على اتهامهم بها . فالاخوان بتمسكهم بالطابع الدينى وبأنهم المدافعون الوحيدون عن الاسلام قد وضعوا خصومهم فى مأزق العداء للاسلام(٨) .

أما عن موقف الاخوان من القصر فقد كان جد مختلفا ، فمن ناحية كان تباعدهم عن الأحزاب محسوبا لعلاقتهم بالقصر الذى وجد فيهم غايته المنشودة اذ اتفقت مواقفهم مع أهدافه ، ثم أن اقترابهم منه كان يجنبهم الوقوع فى مأزق الحزبية التى عارضوها ويهيىء لهم أسباب التأييد والمساندة ومما شجعهم على ذلك ما ظهر من توجهات القصر الاسلامية فى أوائل عهد فاروق . فضلا عن ذلك فلقد أثمرت جهود على ماهر والشيخ المراغى فى توثيق الصلات بين الطرفين(٩) . وبعبارة أخرى فان التحالف بين القصر والاخوان كان ضرورة أملتها مصلحة كلا منهما رغم تباين المقاصد . فلقد كان واضحا منذ البداية أن الاخون قد وجدوا فى القصر ظهيرا سياسيا يقوى من شوكتهم ويمدهم بالعون المادى . ثم أن التصاقهم بالقصر دون سواه لم يكن يتعارض مع مواقفهم المعلنة وبطبيعة الحال لم يكن القصر أقل طلبا للتحالف مع الاخوان سواء بصدد تقوية مكانته السياسية على الساحة فى مواجهة خصومه السياسيين أو لاضفاء الصبغة الدينية على حكمه ، وكان قطبه فى

---

(٨) يونان لبيب رزق : الأحزاب السياسية فى مصر (١٩٠٧ - ١٩٨٤) ص ١٨٥ .

(٩) زكريا سليمان بيومى : الاخوان المسلمين والجماعات الاسلامية - مكتبة وهبه - القاهرة ١٩٧٩ - ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .

ذلك هو علي ماهر رئيس الديوان ٠

ولقد كانت هناك عوامل أخرى ساعدت على توثيق عرى التحالف بين القصر والاخوان ، فمن جهة ظهر تأييد الأخوان لزعامة مصر الاسلامية على نحو ما كان يتجه اليه فكر القصر ، ووضح ذلك فيما ذهب اليه صالح العشماوى - أحد أقطاب الاخوان - من أن مصر لا قيمة لها فى ذاتها وانما قيمتها فى قيادتها للعالم الاسلامى ، وقد أكد حسن البنا على هذا المضمون(١٠) ٠ وامتد هذا الاتجاه من جانب الاخوان الى الدعوة للخلافة باعتبارها جمعا لكلمة المسلمين ودفعا للظلم الذى يحيق بهم ويهدد أقطارهم(١١) ٠

يفهم من هذا أن حركة الاخوان فى ذلك الوقت جاءت متسقة تماما مع أهداف القصر ومراميه ٠ وكان من الطبيعى أن يسبغ القصر حمايته وتأييده للجماعة ولقد اتخذ ذلك مفهوما عمليا عندما أصدرت وزارة محمد محمود فى ٨ مارس ١٩٣٨ مرسوما بقانون يحظر نشاط الجمعيات أو الجماعات التى يكون لها صور التشكيلات شبه العسكرية ٠ وقد طبق ذلك القرار على فرق القمصان الزرقاء الوفدية وفرق القمصان الخضراء التى أنشأتها جماعة مصر الفتاة دون أن يمتد هذا الحظر الى فرق الجوالة التابعة للاخوان(١٢) ٠ وفى اطار الشرعية التى أضفاها تأييد القصر على الجماعة ، راحت تنتشر فى البلاد حتى بلغ عدد شعبها المسجلة فى الوزارة ما يزيد على خمسين شعبة ، كانت كلها تمنح اعانات أو بسبيل أن تعان وكانت مجالس المديريات والبلديات

---

(١٠) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنية ، ص ٥٠٤ ٠

(١١) النذير : العدد ٢٨ : ٢٠ شوال ١٣٥٧ هـ/١٤ ديسمبر ١٩٣٨ : مقال للمفكر الاسلامى عيسى عبده بعنوان « الخلافة أمل عزيز فاعملوا على تحقيقه » ٠

(١٢) عبد الرحمن الرافعى : فى إعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ٦٤ ٠

تسارع فى كل مكان الى مساعدتها(١٣) . ويؤرخ تشكيل على ماهر لوزارته الثانية فى اغسطس ١٩٣٩ فاتحة لعهد الامتيازات وحرية الحركة للاخوان ، اذ ضمت وزارته ثلاثة من المدافعين عن العروبة والاسلام . وعرض الاخوان على رئيس الوزراء الاشتراك فى قيادة الجيش المرابط والمساهمة فى الشئون الاجتماعية(١٤) .

ولقد انتعشت الحركة بالفصل فراحت تعقد المؤتمرات فى القاهرة والأقاليم فضلا عن نشر الدعوة بحرية مطلقة ، دون أن يكون هناك ما يعكر صفو الحركة . يضاف الى ذلك ما تلقاه الاخوان من عون مادى من المصروفات السرية لوزارة الداخلية التى كان يتولاها على ماهر الى جانب رئاسته للوزارة ، ورغم استقالة الوزارة الماهرية فلقد استمر القصر على تأييده لهم .

بيد أن المحنة الأولى للاخوان كانت على يد وزارة حسين سرى ، فلقد ناصر الاخوان الموقف الرسمى للقصر بعدم التورط فى الحرب ، مما أثار قلق الانجليز وقامت السفارة البريطانية بالضغط على الحكومة فصادرت مجلتى التعارف والشعاع الأسبوعيتين وكذا مجلة المنار الشهرية وأغلقت مطبعتهم وعمدت الى تشريد رؤساء الجماعة ، فنقل البنا الى قنا ووكيل الجماعة الى

---

(١٣) حدث أن منع رشدى الغمرى مأمور قسم الخليفة جوالة الاخوان من السير فى منطقته واصطدم بها تنفيذا للتعليمات التى كانت لديه بحظر التجمعات ، ولكن السلطات عاقبت المأمور على هذا الموقف وسمحت لجوالة الاخوان باقامة حفل ضخم امام قسم الخليفة كمظهر للانتصار وفرض السلطان - انظر طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) ص ٥١ .

(١٤) ولقد ضمت وزارة على ماهر الثانية كلا من صالح حرب رئيس جماعة الشبان المسلمين وزيرا للدفاع الوطنى ، عبد الرحمن عزام وزيرا للأوقاف ثم الشئون الاجتماعية ثم قائدا للجيش المرابط ، وعزيز المصرى رئيسا لأركان حرب الجيش المصرى وهم فى جملتهم من المتشيعين للاتجاهات الاسلامية والعربية . انظر ريتشارد ميتشيل ، الاخوان المسلمون ، مكتبة مدبولى - القاهرة ١٩٧٧ ص ٥٢ . كذلك زكريا سليمان بيومى : المصدر السابق ص ٢١٠ .

دمياط(١٥) . ومما زاد الأمر سوءا ما كان من قيام الوزارة باعتقال العديد من قيادات الاخوان(١٦) .

لم يلبث القصر أن تحرك لانقاذ الاخوان ، واضطر حسين سرى الى الافراج عن حسن البنا واحمد السكرى فى ١٣ نوفمبر أى قبل مضى شهر واحد على الاعتقال - وكذلك تم الافراج عن عبد الحكيم عابدين . أما عن الموقف البريطانى من الجماعة فيمكن تفسيره على ضوء ادراك السفارة البريطانية للمخاطر المتوقعة من وراء تأييد القصر للاخوان ومؤازرته لهم ، رغم قيامهم بترويج الدعاية المحورية والكراهية للانجليز فضلا عن نشاط الجماعة المتزايد فى تدريب تنظيماتها ونشاطها ومن ثم كان الايعاز لحسين سرى بحلها(١٧) .

وعلى الرغم من أن المحنة الأولى التى تعرض لها الاخوان ما لبثت أن انتهت سريعا ، الا أنها خلفت آثارا عديدة ليس على مسيرتها السياسية وعلاقتها بالقصر أو القوى السياسية الأخرى فحسب بل وعلى الكيان التنظيمى للاخوان فلم يكن بناء التنظيم السرى للاخوان سوى أثر لمحنتهم التى تعرضوا لها أثناء وزارة حسين سرى الثانية(١٨) . ولقد أنشىء الجهاز السرى للاخوان « النظام الخاص » وتولى قيادته عبد الرحمن السندى وكان تابعا للمرشد العام ولقد رسم « قانون التكوين » كيفية تنظيم « النظام الخاص » وكوادره وشروط الالتحاق به وكان له جهاز مخابرات على جانب

---

(١٥) رؤوف عباس : الاخوان المسلمون والانجليز ، مجلة فكر للدراسات والأبحاث - العدد الثامن - ديسمبر ١٩٨٥ ص ١٤٥ ، جابر رزق : أسرار اغتيال البنا ص ٢٣ .

(١٦) Kirek, G, Ashart History of the Middle East, P : 200.

(١٧) Fo. : 371/41318:No. 86 Weekly Political and Economic Report, 26, 1944.

(١٨) عبد العظيم رمضان : الاخوان المسلمون والتنظيم السرى ، ص ٤٢ - ٤٣ .

كبير من المهارة والانتشار اذ امتد نطاقه ليشمل جميـــع الأحزاب المصرية والجمعيات والنقابات المختلفة وكذا الجامعة والأزهر • وفيما يبدوا أن فكرة الجهاد فى أذهان أفراد « الجهـــاز الخاص » كانت منصرفة فى البـداية الى الانجليز ، الا انه ما لبث أن تحول مفهوم الجهاد لديهم ليكون ضد كل مسلم خائن كافر لتوجيه قيادتهم ، مما جعل « النظام الخاص » يقدم على اغتيال محمود فهمى النقراشى • أما عن تسليح الجهاز السرى فقد اعتمد على ميزانية الاخوان فضلا عن الأسلحة التى أمكان يتم تهريبها اليه بواسطة بعض العناصر بالجيش المنتمية للاخوان(١٩) •

بيد اننا سوف نرى كيف أصبح « النظام الخاص » أو «الجهاز السرى» للاخوان وبالا على حركتهم وكيف أدى جنوحه الى الاغتيالات السياسية الى محنة أخرى كانت أشد وطأة على الجماعة من سابقتها • ويشكل حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ منعطفا حادا فى مسيرة الاخوان وعلاقتهم بالقصر • ذلك أن تراجع التأثير السياسى للقصر قد انعكس أثره بشكل واضح على تأييده للاخوان ، فضلا عن بروز الوجود الاحتلالى ومخاطره على حركتهم ، يضاف الى ذلك ما كان من تولى الوفد مقاليد السلطة وهو المعروف بعدائه الشديد للاخوان • فى وسط تلك المحاذير بدا موقف الاخوان بالغ الحرج ، فأرادوا أن يدعموا موقفهم فى ظل غياب تأييد القصر من خلال خوض الانتخابات التى تقرر اجراؤها وقتذاك • وكان لاعتزام البنا ترشيح نفسه عن دائرة الاسماعيلية ، مما أثار مخاوف النحاس وشكوكه وباعثا على اعتقـاده بأن ذلك قد يؤدى الى تقوية شوكة الاخوان والقصر من ورائهم ، وذلك بدوره سوف يفضى الى مزيد من المصاعب أمام حكم الوفد •

---

(١٩) لمزيد من التفاصيل عن الجهاز السرى للاخوان وتسليحه ، أنظر عبد العظيم رمضان : المصدر السابق ص ٤٨ — ٥١ ، كذلك أنور السادات : أسرار الثورة المصرية ص ٦١ •

راح أمين عثمان يوضح للسفير البريطانى ما اعتزم عليه النحاس من الالتفات الى الاخوان بعد ما تبين له خطورة نشاطهم من خلال التقارير التى وصلت اليه بعد انعقاد البرلمان(٢٠) . انتهز السفير البريطانى تلك السانحة لكى يحفز النحاس على حل الجماعة الا أن الأخير خشى بدوره العواقب المتوقعة من وراء ذلك ، فاستدعى البنا وطالبه بالتنازل عن ترشيحه لنفسه فى الانتخابات(٢١) . على هذا كان يتعين على الاخوان أن ينتهجوا سياسة مبناها مهادنة الحكومة الوفدية والجانب البريطانى والتقارب معهما ، خاصة وأن السفارة البريطانية كانت وراء تحريض الحكومات المتعاقبة على التصدى للاخوان وعرقلة نشاطهم(٢٢) ، مما كان راجعا الى تقدير الجانب البريطانى لتعاظم نفوذ الاخوان كقوة سياسية يجب وضعها فى الحسبان(٢٣) . على كل حال فقد راح البنا يبدى رغبته فى مقابلة السفير البريطانى لكى يظهر مشاعر الصداقة نحو بريطانيا العظمى واستعداده لتأييد قضية الديمقراطية ، الأمر الذى رفضه لامبسون ، حتى تظل المسائل العقائدية خارج السياسة البريطانية(٢٤) .

واذا كان الجانب البريطانى قد أعرض عن محاولات الاخوان للتقارب ، فلقد أثمرت محاولاتهم مع الحكومة النحاسية ، اذ ظهرت دلالات عديدة على هذا التقارب ، أولا قيام الجماعة فى ١٨ مايو باستقبال عدد من الوزراء

---

(٢٠) Fo. : 371/31769 : Lampson to Fo, Mar. 21, 1942

(٢١) Fo. : 371/35534 : No. 24, Weekly political and Economic Report, May, 24, 1934.

(٢٢) Fo. : 371/45930 : Summary of Egyptian Affairs : Jan, 10 to Feb. 6, 1945.

(٢٣) Fo. : 371/41319 : No. 100 Weekly Political and Economic Report, Nov. 3, 1944.

(٢٤) Fo. 371/35534 : No. 24 : Weekly Political and Economic Report May, 21, 1943.

الوفديين فى مقرها ، وطبقا لتقارير البوليس تحدث فى الاجتمـــاع وزير الزراعة الوفدى عن اهتمامات الحكومة بنشر المبــادىء الدينية وأعلن وزيرا التموين والشئون الاجتماعية قرارهما بالانضمام للجماعة • وأشاد البنــا بمحاولات الحكومة للتوفيق بين الجماعة وأغراضها(٢٥) • ومن هذه الدلالات أيضا أن وزير الداخلية عرض أحد المناصب فى وزارته على أحمد السكرى - نائب حسن البنا - وأنه تمت الموافقــة على العرض(٢٦) • ومنها أخــيرا ما كان من قيام حسن البنا بارسال برقية للنحاس أثناء اجتماعه مع نورى السعيد بالقاهرة لبحث مسألة الجامعــة العربية ، يبارك فيها جهــوده التى يبذلها لتحقيق الوحدة العربية ، مما أعطى دلالات على سياسة الجماعة فى المحافظة على العلاقات الودية مع الوزارة(٢٧) •

ولا شك أن استجابة الحكومة الوفدية على هـــذا النحو كان الغرض منها تطويع الجماعة أساسا والسيطرة عليها لتحويلهــا عن نصرة القصر • على الجانب الآخر كان الاخوان مدركين لحقيقــة موقف الحــكومة نحوهم بما فرضته على نشاطهم من رقابة ضـــاغطة ومستمرة فضلا عن تراجعهــا عن وعودها مما جعلها موضع ريبتهم وشكوكهم(٢٨) • بهذا المفــاد فقــد كان التقارب الحادث بين الوفد والاخوان محض مناورة سياسية أملتها الظروف والأوضاع القائمة وقتذاك • فالاختـــلافات السياسية والايديولوجيــة بين

---

(٢٥) Fo. : 371/355535 : No. 25 Weekly Political and Economic Report May, 28, 1943.

(٢٦) Fo. : 371/35536 : No. 31 Weekly Political and Economic Report July, 9, 1943.

(٢٧) Fo. 371/35537 : No. 36 Weekly Political and Economic Report Aug. 13, 1943.

(٢٨) Fo. 37/35539 : No. 48 : Weekly Political and Economic Report, Nov. 5, 1943.

الطرفين لم يكن من الميسور التغلب عليها ، ثم أنه لم يكن بمقدور الاخوان أن يواجهوا منفردين عداء الحكومة الوفدية والانجليز من ورائها ولما تكتمل للاخوان أسباب القوة ، يتأيد ذلك بأنه ما أن غادر الوفد الحكم حتى عاد الاخوان للهجوم عليه بل والصدام معه اذ قتل أحد الوفديين ببور سعيد فى يوليو ١٩٤٦ ، وجاء الرد على ذلك باحراق مركز الاخوان هناك ، وأصبح الاخوان على حد تعبير صالح العشماوى ، - أحد زعمائهم - يواجهون الصهيونية فى فلسطين والوفديين فى مصر(٢٩) ٠

ومهما يكن من أمر فقد وضح للاخوان أن تخبطهم بين القوى السياسية بما فيها القصر ، من شأنه أن يزيدهم ضعفا ويحول دون انتشار دعوتهم ، ومن ثم تحولوا الى الاعتماد على قوتهم الذاتية ودعمها ، فانتشرت فروعهم فى العديد من الدول العربية مثل الأردن وسوريا وفلسطين ، كما وصل عدد أعضاء الجماعة فى مصر نحو المليون فى عام ١٩٤٦(٣٠) ٠ ووطد البنا علاقته بالملك ابن سعود حيث قابله مرتين خلال زيارته لمصر فى فبراير ١٩٤٦ وشرح له أهداف الجماعة ، ولقى تشجيعا منه(٣١) ٠ على الجانب الآخر عمدت الجماعة الى اقامة عدد من الشركات الاقتصادية كانت مصدرا لتمويل الجماعة باحتياجاتها المالية وقاموا بتنظيم شعبهم تنظيما دقيقا(٣٢) ٠

الى جانب ذلك سعت الجماعة فى تلك الحقبة الى توسيع نشاطها فى أوساط العمال بتكوين شعبة عمالية تتولى تشكيل جبهة من نقابات العمال بمعاونة رؤساء النقابات من أعضائها ولكن الحملة التى شنتها (الوفد

---

(٢٩) زكريا سليمان بيومى : المصدر السابق ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ٠

(٣٠) Vatikiotis, P. J : The Egyptian Army in Politics p. 30

(٣١) Fo.:371/53286: Killearn to Fo, Feb., 27, 1946, Tel. : No. 941

(٣٢) جابر رزق : المصدر السابق ص ٢٦ ٠

المصرى) التى كانت تنطق بلسان الجناح اليسارى للوفد فى صيف سنة ١٩٤٦ ، قد أدت بدورها الى احباط مساعى الجماعة لتكوين جبهة عمالية(٣٣) • أما عن فريق الجوالة التابعة للاخوان فقد بلغ عددها نحو عشرين الفا عام ١٩٤٥ ، وكان توغلها فى التدريب العسكرى ينبىء عن النية لتحويلها الى قوة عسكرية • يضاف الى ذلك فقد سمح للاخوان فى عهد وزارة النقراشى بعقد مؤتمرهم العام لنواب الأقاليم فى وقت كانت تمنع فيه كل المؤتمرات والاجتماعات(٣٤) •

ولم يطل الأمد حتى عاد الاخوان الى سابق تقاربهم من القصر ، فناصروا اسماعيل صدقى وروجوا لما قاله فى البداية عن عزمه على خدمة البلاد وعدم استعمال العنف • وفى المقابل حصل الاخوان على ثمن هذا التحالف بمنحهم ترخيص لاصدار جريدة (الاخوان المسلمين) التى بدأت تصدر من مايو ١٩٤٦ ، فضلا عن السماح للجوالة باستخدام المعسكرات واعانة الجماعة ماليا عن طريق وزارتى المعارف والشئون الاجتماعية ، وبدا منحى الاخوان فى العمل السياسى وقتذاك هو الوقوف فى وجه الشيوعيين والوفديين ومعارضة التجمعات الطلابية التى تنتمى لهذين الفريقين ، وهو منحى كان يخدم أهداف القصر بشكل مباشر(٣٥) •

ورغم مظاهر التأييد والتحالف بين القصر والاخوان الا أن تزايد قوتهم بشكل ملحوظ كان من بواعث قلق القصر واضطرابه ، خاصة وأن فترات الوفاق مع القصر قد هيأت المناخ الملائم للاخوان كيما يظهروا قوتهم • يضاف الى ذلك ما تردد عن دعوة الاخوان من أن يكون الملك بالمبايعة وليس

---

(٣٣) رؤوف عباس : الحركة العمالية فى مصر ، ص ٢٠٨ •

(٣٤) طارق البشرى : عام ١٩٤٦ فى التاريخ المصرى ، مجلة الطليعة - فبراير ١٩٧٦ •

(٣٥) عبد العظيم رمضان : الاخوان المسلمون والتنظيم السرى ، ص ٦٦ - ٦٧ •

بالوراثة(٣٦) • وعلى هذا النحو بات الاخوان مظهرا لتهــديد العرش على نحو دعا الملك الى التراجع عن تأييدهم وعمل على التضييق عليهم وحصارهم• وبالفعل اتخذت تلك السياسة من جانب القصر مفهوما عمليــا بدت أولى مظاهره بأن شنت حكومة صدقى حملة ضارية عليهم ، قابلوها بحملة مماثلة وقعت خلالها انفجارات عديدة فى القاهرة والاسـكندرية كرد فعل للقبض عن قيادتهم ومصــادرة جريدتهم ، فما كان من الحكومة الا أن عمــدت الى تصعيد حملتها عليهم فجوصرت دورهم وتعرضت الجماعة لسلسلة من النقل والتشريد ، تناولت خلصاءها من الموظفين فى شتى المصالح والوزارات(٣٧)•

وبطبيعة الحال لم يكن القصر منبت الصلة بما حاق بالاخوان • وعلى الرغم من المحاولات التى بذلها حسن البنا لاعادة جسور الثقة والتفاهم مع القصر واحتواء الخلاف معه الا أن الأخير سار فى طريقه لا يلوى على شيء ، وبصدد احكام العزلة على الاخوان راح القصر يعمد الى تأليب الانجليز عليهم فيخبر عبد الفتاح عمرو - سفير مصر فى لندن - وزير خارجية بريطانيــا بأن الاخوان يقفون وراء الشـعور العـدائى المتزايد نحـو الانجليز فى مصر وأرجع قوتهم الى وجــود دلائل قوية على تلقيهم عونا ماليــا كبـيرا من روســيا(٣٨) • وكانت حملة صحف الاخوان عــلى الانجليز قد أوغرت

---

(٣٦) أنور السادات : صفحات مجهولة ، ص ٩٩ •

(٣٧) جابر رزق : المصدر السابق ص ٢٧ •

(٣٨) وبصدد محاولته للتفاهم مع القصر ، طلب حسن البنا من أنور السادات بعــد خروجه من المعتقل - التوسط لدى يوسف رشاد قائد الحرس الحديدى لمـا بينهما من صداقة ومودة لكى يقوم باقناع الملك بمقابلة البنا ووافق يوسف رشــاد على ابلاغ الملك بذلك ، وبينما كان السادات فى منزل يوسف رشاد اتصل الملك بالأخير فمــا كان منه الا أن الغى ترتيبات المقابلة بناء على أوامر الملك • وبايعاز من البنا عاود السادات الاتصــال بيوسف رشاد مكررا محاولته حيث وافق على أن يقابل يوسف رشاد البنا ليستمع له ، وحدث بالفعل أن قام يوسف بنقل فحوى حديثه مع البنا للملك ، الذى استمر على شكوكه نحو البنا ، =

صدورهم على الجماعة ، فقد اتهمتهم صحيفة الاخوان بأنهم السبب فى تدهور الأوضاع فى فلسطين وأنهم بتخاذلهم فى مواجهة اليهود وغدرهم وتبرؤهم من وعودهم قد ضربوا العرب ضربة قاصمة(٣٩) ٠ ثم ما كان من هجوم الاخوان على الحاكم العام وهو غير مسلم وعدم حرصه على كرامة الاسلام وحرمته ونوهت الى جهوده لفصل السودان عن مصر وضمه للتاج البريطانى وطالبت بعزله لأنه خان الأمانة ، وامتد هجومها على الاحتلال البريطانى ، ووصفته « باللصوصية » وطالبت باعادة النظر فى المعاهدة(٤٠) ٠ على هذا النحو يمكن القول بأنه قد امتنع على الاخوان تأييد كافة القوى السياسية على الساحة فاستدار القصر منتهزا تلك السانحة كيما يوجه للاخوان ضربته القاصمة ، فاصدر النقراشى بصفته حاكما عسكريا أمرا عسكريا فى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ بحل جماعة الاخوان المسلمين وشعبها وذلك بناء على مذكرة وكيل وزارة الداخلية للأمن العام عبد الرحمن عمار ، أوضح فيها أن من أسباب الحل هو رغبة الجماعة فى الوصول للحكم وقلب النظم المقررة فى البلاد(٤١) ٠ فقامت الحكومة بمصادرة أموال الجماعة وتصفية شركاتها وحاصرت الشرطة المركز العام للاخوان واعتقلت كل المجتمعين فيه باستثناء البنا ، رغم أن قانون الجمعيات لم يكن قد صدر بعد ومن ثم جاء قرار الحكومة ينطوى على مخالفة صريحة للقانون ٠ ولقد كان البنا من جانبه

= ورغم أنه يبدو أن الملك كان على اتصال بالاخوان عن طريق يوسف رشاد ـ لفترة قصيرة خلال عام ١٩٤٦ ـ الا أنه تخلى عن هذا الموقف بعد حرب فلسطين ٠ أنور السادات : صفحات مجهولة ، ص ١٠٠ ـ ١٠٤ ٠

(٣٩) Fo. : 371/69212 : Fo (Minutes) — top secret, Dec. 29, 1948 No. 933.

(٤٠) الاخوان المسلمون ١٩٤٧/١/١٤ ، مقال لصالح عشماوى بعنوان : « اخرجوا من بلادنا »

(٤١) سميرة بحر : الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ـ مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٤٢ ٠

مدركا لمغبة هذا الاضطهاد الذى تعرضت له الجماعة وبدت مخاوفه من أعضاء الجهاز السرى للجماعة بشكل أساسى. وحاول دون جدوى مقابلة النقراشى لاثنائه عن قرار الحل تحسبا للنتائج(٤٢) · ردا على موقف الحكومة قام عبد الحميد أحمد حسن أحد أعضاء الجهاز السرى للاخوان باغتيال النقراشى فى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ وكان واضحا فى تلك الفترة أن الجهاز السرى للاخوان قد خرج عن طواعية قيادتها · فمن جهة كان الجهاز وراء الاعتداء على العديد من المنشآت والممتلكات اليهودية فى القاهرة(٤٣) ، فضلا عن محاولة نسف محكمة الاستئناف فى ١٣ يناير ١٩٤٩ ، مما دعا البنا الى نشر بيان استنكر فيه تلك الأعمال ووصف أعضاء الجهاز بأنهم ليسوا أخوانا وليسوا مسلمين(٤٤) ·

ولم يكن اغتيال النقراشى سوى ارهاص لمحنة أخرى للجماعة حيث جرى اغتيال البنا المرشد العام للجماعة فى عهد وزارة ابراهيم عبد الهادى وذلك وفق خطة من تدبير الاميرالاى محمود عبد المجيد مدير المباحث الجنائية وبعض رجاله · وبطبيعة الحال لم يكن أى من فاروق أو قيادات الحزب السعدى بمنأى عن التحريض على الحادث · ورغم محاولات الوزارات المتعاقبة التستر على الجناة ، فقد جرت محاكمتهم بالفعل فى أغسطس سنة ١٩٥٤ صدرت

---

(٤٢) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ٢٦٩ - ٢٧١ ، أنظر كذلك زكريا سليمان بيومى : المصدر السابق ، ص ١١٦ وما بعدها ·

(٤٣) Fo. 37/69211 : Campbell to Fo, Dec., 12, 1948, No. 1679
انظر كذلك : Nutting, A, the Arabs : p : 384.

(٤٤) يونان لبيب : الأحـزاب السياسية فى مصر (١٩٠٧ - ١٩٨٤) ص ١٨٥ وما بعدها · أنظر كذلك مرتضى المراغى : مذكرات ، شاهد على حكم فاروق وسنوات ما قبل الثورة - مجلة أكتوبر - العدد ٤٩٦ ، ٢٧/٤/١٩٨٦ ·

ضدهم أحكام بالسجن(٤٥) يفهم من ذلك أن قرار حل الجماعة كان فاتحة لصراع مستتر مع القصر مبناه الاغتيال والارهاب ، خاصة وأن القرار بهذا المفاد قد وصم نشاط الجماعة بانه خارج الشرعية . ثم أن غياب حسن البنا وهو الشخصية الأكثر تاثيرا على الجماعة واعتقال غالبية زعمائها قد أصابها بوهن حقيقى أدى الى أفول نجمها .

بيد أن الجماعة ما لبثت أن عادت من جديد لممارسة نشاطها ، فلقد أصدر مجلس الدولة فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٥١ حكما بعدم مشروعية قرار حل الجماعة ومصادر ممتلكاتها(٤٦) . الا أن الظروف الجديدة لعودة الاخوان لممارسة نشاطهم كانت جد مختلفة عن سابقتها . فالقصر راح يسعى من جديد لازالة أسباب الخلاف مع الاخوان ، أملا فى أن يجد منهم التأييد فى مواجهة الحكومة النحاسية التى تولت الحكم . وانتهز القصر بالفعل فرصة الانقسام الحادث داخل الجماعة على مسألة اختيار مرشد عام خلفا للبنا ، وكان تعيين حسن الهضيبى مرشدا عاما للجماعة من شأنه أن يحظى بتأييد القصر لما سوف يترتب على ذلك من تحسن للعلاقة بين الطرفين(٤٧) . يتأيد ذلك بما كان من مقابلة الهضيبى للملك فى ٢٠ نوفمبر حيث أكد له أنه ليست لديه أى نوايا لاتباع أى نشاط ارهابى ، وأنه سوف يناوىء الشيوعية

---

(٤٥) انظر عبد اللطيف بغدادى ، مذكرات ج ١ - المكتب المصرى الحديث - القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٣٧ ، كذلك جورج فوشيه - جمال عبد الناصر وصحبه ج ١ ص ٢٢٨ ، جمال سليم - البوليس السياسى يحكم مصر (١٩١٠ - ١٩٥٢) القاهرة للثقافة العربية ١٩٧٥ . ص ١٩٢ ، طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٤٦) Fo. : 371/96870 : Stevenson to Eden, Jan. 1, 1952, Tel. No. 1.

(٤٧) وكان حسن الهضيبى يعمل مستشارا بالقضاء ومتزوجا من شقيقة نجيب سالم ناظر الخاصة الملكية . انظر طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) : ص ٢٧٠ وما بعدها .

وأنه يؤيد الملك فى اقامة حكم نظيف وأمين(٤٨) ٠

على الجانب الآخر جرت مفاوضات بين مصطفى مؤمن أحد قيادات الاخوان وفؤاد سراج الدين وزير الداخلية الوفدى ، بغرض التنسيق لاعادة نشاط الجماعة اثر صدور حكم مجلس الدولة ، وكان من الواضح أن تلك الاتصالات قد تمت دون علم قيادة الجماعة مما أدى الى فصل مصطفى مؤمن من عضوية الجماعة ٠ وعلى الرغم من ذلك فقد جرت اتصالات أخرى بين جماعة الاخوان والوفد بهدف عقد صفقة التحالف بين الطرفين وقام فريق من الاخوان بتدمير خط أنابيب المياه النقية الخاص بالقوات البريطانية كجزء من مخططهم لتنفيذ نصيبهم فى صفقة التحالف مع الوفد(٤٩) ٠ يضاف الى ذلك فان ألفا من الاخوان قاموا بالتدريب تمهيدا للعمل فى منطقة القناة بتأييد من صلاح الدين وزير الخارجية الوفدى(٥٠) ٠

كان من الواضح أن اتصالات الاخوان بالوفد واشتراك فريق منهم فى أعمال الكفاح المسلح بمنطقة قناة السويس قد جرت بمبادرات فردية من جانب بعض أعضاء الجماعة دون أن تعبر عن الاتجاه الرسمى للاخوان ، بل وتعارضت معه ومما يؤكد ذلك ما كان من قيام زعامة الاخوان بفصل أحد الأعضاء لاتصالاته بالوفد على نحو ما مر بنا ٠ يضاف الى ذلك فان المرشد العام كان يتحسب لفكرة اشتراك الاخوان فى الكفاح المسلح ويتضح ذلك فيما صرح به من أنه « اذا طلبت منا الحكومة ارسالهم – أى المتطوعين – الى منطقة القناة سوف نرسلهم ، ولكن يجب أن نحصل أولا على ضمانات ،

---

(٤٨) Fo. : 371/96870 : Stevenson to Eden, Jan. 1, 1952, Tel. No. 1.

(٤٩) Ibid

(٥٠) Fo. : 371/90117 : G.H.O. of Middle East, Land force to Ministry of Defence, Oct, 27, 1971.

فنحن نتردد حتى لا يحدث لنا ما حدث فى الماضى »(٥١) ٠على هذا النحو بدت زعامة الاخوان الجديدة وقد استوعبت الدروس المستفادة من أزماتها مع القصر ، وما أصابها من محن على يد الحكومات المتعاقبة بايعاز من الانجليز ٠ ومن ثم فان ما أعلنه المرشد العام للاخوان لم يكن مغزاه ليخفى على الانجليز ، اذ قصد به امتصاص عوامل الثورة الكامنة فى نفوس شباب الاخوان خاصة أن بعضهم قد خرج على قرار قيادة الجماعة وانضم الى كتائب التحرير ، مما كان يسبب حرجا شديدا لقيادة الاخوان أمام الانجليز والقصر(٥٢) ٠

أدى توطد العلاقة بين القصر وقيادة الاخوان الى تزايد حدة الشقاق والانقسام داخل صفوف الجماعة ، بل وبدأ الخلاف بين اقطابها يتخذ طابعا علنيا ٠ فعندما جرى تعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان الملكى سارت مظاهرات من الاخوان تهتف ضد الملك وحافظ عفيفى ، وشنت مجلة الدعوة التى كان يصدرها صالح عشماوى - عضو مكتب الارشاد - هجوما على رئيس الديوان الجديد ٠ فما كان من عبد الحكيم عابدين سكرتير الجماعة الا أن سارع باذاعة بيان أعلن فيه أن مجلة الدعوة لا تعبر عن وجهة نظر الاخوان وحسبها تعبر عن آراء صاحبها(٥٣) ٠ وفى نفس الوقت أرسل حسن الهضيبى - المرشد العام للاخوان رسالة تهنئة لحافظ عفيفى لتعيينه رئيسا للديوان

---

(٥١) رؤوف عباس : الاخوان المسلمين والانجليز ، ص ١٤٨ ٠

(٥٢) المصدر السابق : نفس المكان ٠

(٥٣) ومما يذكر ان عبد الحكيم عابدين كان احد ستة من أعضاء الاخوان الذين صدر بشانهم قرار جمهورى من مجلس قيادة الثورة قضى باسقاط الجنسية المصرية عنهم ٠ وقد نشر بالوقائع المصرية رغم رفض اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية وقتذاك التوقيع عليه ، أنظر محمد نجيب ، كلمتى للتاريخ ص ١٠٠ ، احمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو - ج ١ دار الموقف العربى - القاهرة - بدون تاريخ ص ١٥٢ ٠

فضلا عما كان من زيارته للقصر للتهنئة بمولد ولى عهد أحمد فؤاد(٥٤) ٠

وعلى الرغم من مظاهر تقارب الاخوان والقصر ، الا أنه لا يمكن التهوين من شأن الاتجاهات الموالية للوفد داخل صفوف الاخوان ، وهى التى عجزت زعامة الاخوان عن احتوائها ٠ ومما ساعد على تقوية تلك الاتجاهات جهود فؤاد سراج الدين وزير الداخلية ومحمد صلاح الدين وزير الخارجية فى التقارب مع الاخوان حيث كانا همزة وصل معهم ٠ على هذا يمكن القول بأنه كلا من القصر والوفـد قد سعى لاجتذاب الاخوان الى صفوفه خاصة وأن الاخوان - رغم شقاقهم -فهم كما تؤكد الوثائق البريطانية كانوا أفضل تنظيم فى البلاد(٥٥) وفيما يتصل بالعلاقة بين القصر والاخوان فلقد وضع السفير البريطانى يـده مقدما على خماثر انقلاب تلك العلاقة ، فكان يرى باستحالة قيام مثل هذا التحالف بين الطرفين ٠ ذلك أن حياة الملك الخاصة ومسلكه الشخصى فى مناسبات عديدة ، كان من شـأنها أن تجعل موقف الاخوان حرجـا ، ثم أن الملـك نفسـه كان يرى فى الاخوان حليفـا غير مـلائم على الاطلاق(٥٦) ٠

ويضـاف الى ذلك فان عداء الاخوان للسـعديين - حلفـاء القصر - وكراهيتهم للمحيطين بالملك كان عاملا آخر لتباعد الاخوان وتحولهم عن نصرة القصر(٥٧) ٠ ومن ثم فان جوهر العلاقة مع القصر لم يكن ينبىء عن تأييد حقيقى من الاخوان أو تعضـيد له ٠ الا أن الأمر كان جد مختلف بصـدد

---

(٥٤) ريتشارد ميشيل ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ - ١٩٦ ٠

(٥٥) Fo. : 37/96870 : Stevenson to Eden, Jan, 1, 1952. No. 1.

(٥٦) Ibid : Stevenson to Bawker, Jan, 26, 1952.

(٥٧) Ibid : British Embassy to African Department, Apr. 18, 1952 Tel. : No. 1012.

العلاقة مع الحكومة الوفدية التى أظهرت تأييدها للاخوان أثناء اشتراكهم فى الكفاح المسلح بمنطقة القنــاة · ولقد استمر التقارب قائما بين الطرفين حتى بعد أن أقيلت حكومة الوفـد فى أعقاب حادث حريق القـاهرة · فعلى الرغم من أن الاخوان قد أعلنوا أنهم لن يشتركوا فى الانتخابات التى قررت وزارة الهلالى الأولى اجراءها ، كحزب أو أفراد لعدم ثقتهم فى ادارتها(٥٨) ، الا أن تصريحاتهم المعلنة كانت تحمل معنى التأييد للوفـد ، فضلا عن ذلك فان ثمـة اتفاق محـدد تم بين الوفـد والاخوان تعهـدوا فيه بتأييـده فى الانتخابات(٥٩) · هذا التقارب مع الوفـد كان يعنى من جانب آخر افلاس علاقتهم بالقصر وذلك يرجع أساسا الى أنهم قد حفظوا للقصر والسعديين تلك اليد السيئة فى التنكيل بالجماعة وزعمائها ·

وعلى الرغم من ذلك فيمكن القول بأن تدهور علاقة الاخوان بالقصر ، لم يكن ليؤثر عليهم كقوة محسوبة الجانب فى ذلك الوقت · فالظروف السائدة آنذاك قد هيأت الأسباب لتنامى قوة الاخوان ، من ذلك فان انصراف الأحزاب السياسية عن مطالب الاصلاح الاجتماعى ، رغم ما ظهر من حاجة البلاد اليها خاصة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حيث انهارت القيم الأخلاقية بظهور جماعة من الرأسماليين من أثرياء الحرب وما صاحب ذلك من انتشار الآفات الأخلاقية قد أفسح المجال للدعوة الدينية · وبعبارة أخرى فقد وجدت ، دعوة الاخوان مجالا حيويا لها فى المطالبة بالعودة لمنابع الاسـلام وأصوله طلبا للاصلاح ، ولقد اجتذبت بالفعل قطاعا جماهيرها عريضا · يضاف الى ذلك فان اشتراك الاخوان فى حرب فلسطين ثم فى الكفاح المسلح بمنطقة

---

(٥٨) Fo. : 371/96875 : Notes on Egyptian Political Parties, April 15, 1952 (Section II)

(٥٩) Ibid

القناة ، كان له وقع جماهيرى شديد فى مصر لم يكن بمقدور أى من القوى السياسية فى البلاد أن تستوعبه(٦٠) ٠

أما عن تقييمنا للعلاقة بين القصر والاخوان فيمكن القول بأن المراحل الأولى منها قد أظهرت اتساقا بين مسيرة الاخوان الفكرية وتوجهات القصر الاسلامية ٠ ولقد ظهر واضحا أن حركة الاخوان منذ بداية حكم فاروق قد ظللها تأييد القصر ومساندته ، مما ساعدهم على نشر دعوتهم وهيأ لهم أسباب القوة ٠ يضاف الى ذلك فان نبذهم للحزبية والنظم الديمقراطية فى جملتها باعتبارها أنماط غربية ، هذا الموقف وان أسهم فى انحيازهم الى جانب القصر ، الا أنه من ناحية أخرى قد وضعهم فى صف العداء للأحزاب السياسية ٠

ولقد تصور القصر منذ البداية أن بمقدوره توجيه الاخوان وجهة سياسية مضادة لضرب الوفد أساسا على نحو يخدم قضيته فى الحكم ، ولقد نجح فى ذلك الى حد كبير ، الا أنه من جانب آخر كان ذلك يعنى دفعا للجماعة نحو الساحة ، ولما يكتمل نضجها السياسى بعد ، مما ألجأها الىمهادنة الأحزاب ومحاولة الاقتراب منها طبقا لمواقعها من السلطة ، خاصة فى فترات غياب التأثير السياسى للقصر ، وهذا ما طبع مسيرة الجماعة بالتناقض٠ ثم أن محاولاتها المشاركة فىالانتخابات بهدف الوصول الىالسلطة

---

(٦٠) ومما يجدر ذكره انه كاثر لتزايد قوة الاخوان ، فقد تكونت جماعة الأمة القبطية للدعوة لاحياء القومية القبطية فى مواجهة الدعوة الاسلامية التى روج لهسا الأخوان ، وهى جماعة اسسها محامى مسيحى فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٥١ ، كان مركزها بالقاهرة وبلغ عدد أعضائها ٩٢٠٠٠ ، واستمر نشاطها عام ونصف العام الا أن قيامهسا بخطف البابا يوساب الثانى حتى أحفظ الاقباط على تلك الجماعة « جماعة الأمة القبطية » ، أنظر سميرة بحر ، المصدر السابق ص ١٤٣ - ١٤٥ ، وأنظر كذلك أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة : ص ٨٣ - ٨٤ ٠

قد أكد على هذا التناقض ٠

ولقد اضطربت علاقة الجماعة بالقصر خاصة بعد أن تزايدت قوتها أثر حرب فلسطين ، أذ أضحت مصدر تهديد للعرش ذاته ، ليبدأ صراعا حادا بينهما حسمه القصر لصالحه بحل الجماعة ومصادرة نشاطها ٠ ولعل تتبع مسيرة الجماعة قد أظهر بوضوح أنها كانت دائما بحاجة الى ظهير سياسى تلتمس نصرته ، مما جعلها تتخبط بين القصر والأحزاب وكشفت بذلك عن عجزها الحقيقى فلا هى أوغلت فى الدعوة الدينية الخالصة ، ولا كان بمقدورها ممارسة العمل السياسى بشكل مؤثر وهى لا تملك مقوماته مما عرضها الى محن عديدة متواترة كانت أشدها وطأة على يد القصر ٠

بهذا المفاد يمكن القول بأن القصر والاخوان المسلمين لم تكن لتجمعهما أرض مشتركة ، رغم ظاهر حسن العلاقة بينهما فى غالبية أطوارها ٠ ذلك أن فضائح القصر وتهتكه لم تكن لتحرج موقف الاخوان منه فحسب ، بل وتحد من اطلاق تأييدهم له ٠ ومما يؤكد زيف تلك العلاقة عملا أن الاخوان كانوا من أولى القوى السياسية التى أيدت تنظيم الضباط الأحرار وباركت حركته لتقويض دعائم حكم القصر ٠

مصر الفتـاة :

كان ظهور جماعة مصر الفتـاة بمثابة انعكاس لتأثير المـد الفاشى على السياسة المصرية ٠ فلقد استقت الجمـاعة أيديولوجيتها وتنظيماتها شبه العسكرية من منابع فاشـية ، وتأكدت صبغة الجماعة بهذا اللون من خلال صلاتها بتلك القوى فضلا عما أظهره تتبع أطارها الحركى منذ نشأتها فى أكتوبر سنة ١٩٣٣ ٠ ولقد دارت أيديولوجية مصر الفتـاة فى اطار الدعوة الى تأسيس امبراطورية من مصر والسودان وبعث أمجاد الأمة المصرية ومحالفة الدول العربية واحياء الدين الاسـلامى واستعادة أمجاده ٠ ونكاد نتبين تلك

المسحة الدينية ظاهرة فى محاضرات وندوات أحمد حسين مؤسس الجماعة ، وبدأ فى ذلك كمن يحاول تقليد الاخوان ومنازعتهم ذلك التيار(٦١) ·

ولقد اتضح التوجه الفاشى للجماعة فيما ظهر من عدائها للنظم الدستورية والحكم النيابى شان الاخوان ـ وذهب أحمد حسين الى الاعتقاد بفساد التجربة الدستورية التى خاضتها البلاد منذ صدور دستور ١٩٢٣ ، واعتبرها « مجرد عشر سنوات ضاعت وتأخرت بها الأمة عشرين عاما الى الوراء ·· ضاعت بين خطب ومناقشات ومفاوضات وبين خلافات حزبية ونيران مستعرة وبرلمان يشاد وبرلمان يهدم »(٦٢) · وراحت الجماعة تتفاخر بانفرادها بالدعوة الى الديكتاتورية طالما أن النظام البرلمانى لم ينجب سوى الوزارات الفاسدة والضعيفة فى مصر(٦٣) · ومن جهة أخرى فقد تبلور الاتجاه الفاشى للجماعة بتشكيل جماعة « القمصان الخضراء » على غرار القمصان السوداء فى ايطاليا والقمصان البنية فى ألمانيا لتكون أداة للتهييج والاضطرابات السياسية · ولكى تؤكد الجماعة على مضمون صلاتها بالقصر راحت ترفع شعارها « الله · الوطن · الملك » ومن ثم اكتملت لها أسباب التقارب مع القصر ·

وعلى شاكلة القوى السياسية المؤيدة للقصر كان الصدام مع الوفد هو مجال تأكيد الولاء والتأييد للقصر · ثم أن الصبغة الملكية والتوجه

---

(٦١) لمزيد من التفاصيل عن نشأة مصر الفتاة أنظر احمد حسين: ايمانى ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة الرغائب ـ القاهرة ١٩٣٦ ، ص ١٠٠ ـ ١١٢ ، أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ، معهد الدراسات والبحوث العربية ـ القاهرة ١٩٧٣ : ص ٨٢ـ٨٣ ، عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ج ١ : ص ١٨٢ ـ ١٨٤ ، ويونان لبيب رزق : الأحزاب المصرية قبل ثورة يوليه ١٩٥٢ : ص ١٣ وما بعدها ·

(٦٢) جريدة الصرخة : ١٩٣٣/١٠/٧ ·

(٦٣) رفعت السعيد : أحمد حسين ، كلمات ومواقف : العربى للنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٩٧٩ : ص ١١٣ ·

الفاشى للجماعة قد حركا وبشكل تلقائى عداء ومخاوف الحكومة النحاسية الثالثة ، فراح النحاس يهاجم مصر الفتاة واعتبرها خروجا على اجماع الإمة ، وسخر كل أدواته للهجوم على دعوتها ، الى حد أن وصفها مكرم عبيد بأنها أخطر الدعوات وأخبثها(٦٤) . ولم تكتف الحكومة الوفدية بالهجوم على الجماعة بل وعمدت الى بث العراقيل أمامها ، فعندما حاول أحمد حسين وفريق من الجماعة التجول فى مناطق الصعيد ، حال رجال الادارة دونهم وتصدوا لهم ، وعندما أثيرت المسألة فى مجلس النواب اتهم النحاس الجماعة بأنها تعمل لحساب دولة أجنبية وأن الوزارة لديها الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع ، الا أنه عندما طلب النائب فكرى أباظة اطلاع المجلس على الوثائق فى جلسة سرية ، رفض النحاس وقرر بأنه لا يمكن للوزارة أن تقدم الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع أمام أى جهة(٦٥) .

ولا شك أن اتهام مصر الفتاة بالعمالة ، كان بمثابة ضربة قوية لها ، مما جعلها فى المقابل تعمد الى النيل من الوفد وحكومته من خلال الهجوم على المعاهدة ومن ورائها فوصفتها بأنها كارثة وطنية وجريمة لا تغتفر(٦٦) . على كل حال فقد كان اتهام مصر الفتاة فاتحة لصراع حاد بينها وبين الوفد لتخدم بذلك موقف القصر من خصمه العنيد ، فما أن تحولت مصر الفتاة الى حزب سياسى فى أوائل عام ١٩٣٧ حتى راحت تشدد من هجومها على الحكومة الوفدية ، فنشر أحمد حسين عدة مقالات فى جريدة الحزب بعنوان « برنامجنا السريع ، اسقاط صاحب المقام الرفيع » ، ثم خطا بعد ذلك خطوة

---

(٦٤) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ، ج ٢ : ص ١٨٨ .
(٦٥) مضابط مجلس النواب ، دور الانعقاد الاول - الجلسة السادسة ١٩٣٦/٦/٢٢ .
(٦٦) مجدى أحمد حسين : مصر الفتاة (١٩٣٣ - ١٩٣٨) ج ١ - القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٦٤ .

أبعد فرفع هو وأعضاء حزبه التماسا للملك مطالبين باقالة الوزارة(٦٧) ٠

وراح الصراع بين مصر الفتـاة والوفـد يتخذ طابعا أكثر حدة وتمثل ذلك فيما جرى من صدامات متواترة بين جماعة القمصان الخضراء التابعة لمصر الفتاة والقمصان الزرقاء الوفدية ، وبلغ الصدام ذروته عندما أقدم عز الدين عبد القادر على محاولة اغتيال النحـاس فى ٢٨ نوفمبر ١٩٣٧ ، فما كان من الوزارة الا أن انتهزت الفرصة لتسوغ لنفسها التخلص من خصم متآمر كثير الشغب يعظم خطره فى يد القصر ، فاعتقلت زعماءها وصادرت نشاطها(٦٨)٠ وعلى الرغم من اقالة القصر للحـكومة الوفدية ، فقد مضت مصر الفتـاة فى هجومها لا تلوى على شىء واعتبرت الوفـد « وباء يتعين تخليص البلاد نهائيا منه » ووصفت رجاله بأنهم «رعاع من سيدهم وصنمهم الأكبر مصطفى النحاس الى كاهنهم مـكرم عبيد »(٦٩) ٠ وبلغ الهجوم على الوفـد ذراه ، بأن صرح أحمد حسين بأن الأمور لن تستقيم فى مصر الا باقصاء الوفـد نهائيا عن ميدان السياسة ، وأن تلك هى مهمة مصر الفتاة(٧٠) ٠

وبطبيعة الحال لا يمكن الافتراض بأن القصر كان منبت الصلة بموقف مصر الفتـاة ، خاصة إذا تبين لنا أن علاقة أحمد حسين بالقصر قد توطدت الى حد كبير وقتذاك ٠ ونكاد نلمس ذلك من خلال سلسلة مقالات لأحمـد حسين عبر فيها عن ولائه للملك بقوله « نحن أشخاص نتعصب لوطننا ونحن نتعصب لمليكنا كذلك اذا كان الملك بذاته هو موضع الاكبار والاجلال عند كل مصرى،

---

(٦٧) على شلبى : مصر الفتاة ودورها فى السياسـة المصرية ، دار الكتاب الجامعى — القاهرة ١٩٨٢ : ص ٨٢ — ٨٣ ٠

(٦٨) مجدى أحمد حسين : المصدر السابق ص ٧٨ ، وأنظر كذلك :
Jankawshi, J. P. : Egypt's young Rebels : p. 35.

(٦٩) مصر الفتاة : ١٩٣٨/٧/٤ ٠

(٧٠) المصدر السابق : ١٩٣٨/٧/١٨ ٠

فهو يجرى عندنا مجرى العقيدة التى نموت فى سبيلها(٧١) • وراح يدعو لحكم جديد على رأسه الملك فاروق « سيد شباب هذا العصر »(٧٢) •

فى اطار هذا التفاهم مع القصر ، راحت مصر الفتاة تنفذ دورها فى مخططه فتصطدم بوزارة محمد محمود ، وازاء ما أعلنته الحكومة عن نيتها لاجراء انتخابات عامة ، تقدم أحمد حسين بطلب لانقاص سن النائب فى مجلس النواب الى خمسة وعشرين عاما الأمر الذى لم تستجب له الحكومة(٧٣) •

راحت الجماعة تنعت الوزارة بأنه لا هدف لها ترمى اليه ولا غاية تفهمها وتسعى للوصول اليها(٧٦) • بل وراحت تتهمها بموالاة الانجليز والاذعان لمطالبهم وتطلب من الملك اقصاء الوزارة وتشكيل وزارة قومية برئاسة على ماهر(٧٥) • ومن ثم فان مصر الفتاة بصدد حملتها على الحكومة ، كشفت فى جانب منها عن توطد صلاتها بعلى ماهر الى حد المطالبة به رئيسا للوزارة •

ومن المناسب أن نشير الى علاقة مصر الفتاة بعلى ماهر والبندارى باعتبارهما قطبى علاقتها بالقصر • أما على ماهر فلقد سعت مصر الفتاة الى توطيد صلاتها به حتى من قبل توليه رئاسة الديوان ، وقامت بالدعاية لتعيينه ، وكانت تعتبره الأب الروحى لها الذى أمدها بالمال وظل يتابع

---

(٧١) مصر الفتاة : ١٩٣٩/٦/١٩ (سلسلة مقالات احمد حسين من اجل الله والوطن ومن أجل الملك •

(٧٢) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ج ٢ : ص ٢٢٧ - ٢٢٩ •

(٧٣) على شلبى : المصدر السابق : ص ٣٣٠ •

(٧٤) مصر الفتاة : ١٩٣٨/٧/١٤ •

(٧٥) Jankwshi, J.P. : op. cit. : p. 35

نشاطها باهتمام وحماس بالغين(٧٦) ٠

أما البنداري فقد بدأت صلاتها به منذ أن تولى الدفاع عن زعمائها فى قضية الاعتداء على النحاس واستمرت هذه الصلات بعد أن أصبح وزيرا للصحة في وزارة محمد محمود الثانية وكان انتقاله الى الديوان الملكى ، يعني تدعيما لمكانة مصر الفتاة ونفوذها بالقصر ٠ وغدا واضحا أن البندارى أصبح محورا لاهتمام مصر الفتاة وأنه يتحدث مع قادتهم باسم الملك لا باسمه هو ، وكان أخطر ما فى الأمر كله أن فاروق أصبح أسيرا لفكرة الدم الجديد الذى يجرى فى عروق مصر الفتاة ٠ وكان من الطبيعى أن يشده هذا المعسكر الذى يتخذ الملك ركنا ركينا فى شعاراته ، والذى تقوم خطته على تزعم الملك الشاب للنظام الجديد وأن يؤثر هذا المعسكر على المعسكر الذى يتزعمه على ماهر(٧٧) ٠

على كل حال فما أن نشب الصراع على السلطة داخل القصر بين على ماهر والبندارى على نحو ما سيرد فى ذكره تفصيلا ، حتى راحت مصر الفتاة تسعى فى محاولة للتوفيق بينهما بدافع صلاتها الوثيقة بهما(٧٨) ٠ وما أن بدأت كفة الصراع ترجع لصالح على ماهر ، حتى كشفت الجماعة عن تعاطفها مع البندارى ، واعتبرت خروجه من القصر بمثابة « آخر محاولة للديمقراطية للدفاع عن نفسها » ٠ ومن جهة أخرى راحت تشتط فى الهجوم على على ماهر ووصفته بأنه « لم يعد يحرك خيوط السياسة الحكومية ، وأن مركزه قد انتقل الى الدرجة الثانية ولعلها الثالثة »(٧٩) ٠على هذا النحو ، ودون وعى سياسى

---

(٧٦) مصر الفتاة : ١٩٣٩/٦/٢٢ (سلسلة مقالات احمد حسين من أجل الله والوطن ومن أجل الملك) ٠

(٧٧) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ج ٢ : ص ٢٢٤ — ٢٢٥ ٠

(٧٨) مصر الفتاة : ١٩٣٩/٤/٢٩ ، ١٩٣٩/٥/١ ٠

(٧٩) المصدر السابق : ١٩٣٩/٧/٢١ ٠

أوغلت مصر الفتاة فى الصراع الداخلى فالقصر فى مخاطرة غير محسوبة النتائج · ذلك أن حسم الصراع لصالح على ماهر بطرد البندارى من القصر جاء مخيبا لآمال مصر الفتاة ودلالة على سوء تقديراتها السياسية مما ترك أثره واضحا على حركتها ·

عند هذا الحد ينبغى الاشارة الى مساعى القصر لتوحيد القوى الموالية له ، من ذلك انه جرت فى أوائل عام ١٩٣٩ ، محاولة مصر الفتاة - بايعاز من على ماهر - للاندماج مع الاخوان المسلمين · وكان من الطبيعى أن يلقى هذا الاتجاه تأييدا واسعا من جانب القصر(٨٠) بيد أن البنا قد رفض الفكرة بدعوى أن مصر الفتاة هو حزب وطنى لا يؤمن بالجامعة الاسلامية ويضم أقباطا فى صفوفه ، فضلا عن نزعته القومية وهذه عوامل فى جملتها تحول دون التعاون بينهما وتجعله غير ممكن أو مفيد · هذا الموقف من جانب الاخوان كان باعثا لسخط مصر الفتاة عليهم ، فاستهدفتهم بهجومها ، وذهبت الى أن احتكارهم للدين لا يتفق وتعاليم الاسلام(٨١) · ورغم أن محاولات أخرى جرت بعد ذلك من جانب أحمد حسين وحزبه للاندماج فى تنظيمات الاخوان ، الا أنها قوبلت أيضا بالصدود وبرفض اليد الممدودة(٨٢)· والواقع أن هذا الموقف من جانب الاخوان كانت تحركه ريبة أساسية فى مسيرة مصر الفتاة وتذبذبها السياسى ، فضلا عن رغبة الاخوان فى المحافظة على تجانس تنظيمهم واحتفاظهم بزمام الدعوة الاسلامية دون منازعة من أية قوة أخرى وان تعارض ذلك مع سياسة القصر ·

---

(٨٠) Jankwshi J. P.P. : 39 - 40

(٨١) طارق البشرى : المسلمون والاقباط فى اطار الجماعة الوطنية : ص ٥٣٢ - ٥٣٣ ، انظر كذلك زكريا سليمان بيومى : المصدر السابق : ص ٢٤٠ ·

(٨٢) Fo. 371 : No. 117. Weekly Political and Economic Report Mar. 3, 1945.

على كل حال ففى محاولة للخروج من العزلة السياسية ، التى فرضها على مصر الفتـاة ، خروج البنـدارى من القصر وتحول على ماهر عن نصرتها ، قام أحمـد حسين في مارس ١٩٤٠ بتغيير اسـم الحزب الى الحزب الوطنى الاسـلامى • وهذا التغيير كان فى الواقع تعبيرا عن دلالتين أولاهما تبلور الاتجاه الاسـلامى بشكل واضح لدى أحمـد حسين خاصة بعد عودته من أداء فريضة الحج ، ثانيتهما محاولاته لاعادة جسور الثقة والتفاهم مع القصر بعد أن اضطربت العلاقة معه •

بدأ أحمد حسين نشاط حزبه بخطاب مفتوح للملك متضـمنا برنامج الحزب الجديد الذي كانت أبرز سماته تنامى التوجه العربى والاسلامى دون التخلى عن مضمون القومية المصرية(٨٣) •

ومن الناحية العملية لم يكن هذا التغيير بمثابة بعث جديد لمصر الفتاة

---

(٨٣) تضمن برنامج الحزب الجديد النقاط التالية :
أ ـ تحرير مصر من التزامات المعاهدة التى تقيد سيادتها •
ب ـ توحيد البلاد العربية تحت زعامة مصر •
جـ ـ أن الحزب سوف يدخل البرلمان لضمان وصوله للسلطة •
د ـ تعديل نظام الدولة وقوانين البلاد لتطابق الشريعة الاسلامية •
هـ ـ اغـلاق المدارس التبشيرية وعدم السـماح للمؤسسـات التعليمية الأجنبية بفتـح مدارس •
و ـ عدم تمليك الأراضى الزراعية للأجانب •
ز ـ تمثيل السودانيين فى البرلمان المصرى •
حـ ـ محاربة الاستعمار بكافة صوره وأشكاله فى البلاد العربية •
وقد قام أحمد حسين بطبع نسخ من هذا الخطاب لتوزيعها على الصحف ونشرها : انظر :
Fo : 407/224 ; No : 18 : Lampson to Halifax, Mar, 21, 1940, Tel. No : 50
ونحن نختلف مع ما ذهب اليه بعض المؤرخين من أن تغيير اسم الحزب كان باعثا على التقارب مع الانجليز ، خاصة بعد أن صرح زعماؤه بأنهم ضد النازى وأنهم يؤيدون الانجليز ، فالثابت من الوثيقة المشار اليها آنفا أن الرقيب العام قد قرر للامبسون أنه كان من الناشرين ـ لبرنامج الحزب ـ عميل للايطاليين على صلة بدادون الملحق الايطالى ، ثم أن ما تضمنه البرنامج من تبنى للتيار الاسـلامى واظهار العداء للمعاهدة والوجود الاحتلالى ، أمور لم تكن لتقابل برضاء الجانب البريطانى • راجع رأى الدكتور عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر : ج ٢ • ص ١٣١ •

أو عامل فعال للتقارب مع القصر ، ذلك أن النتائج كلها جاءت مخيبة للآمال ، اذ ما لبثت وزارة حسين سرى أن قامت بحل الحزب الجديد - بايعاز من السفير البريطاني ، وأوقفت نشاطه وصادرت جريدته ، وعادت جذوة مصر الفتاة تخبو من جديد وامتد ذلك طوال سنى الحرب . فكل ما أمكن رصده من نشاطه ما كان متصلا بالقصر ، هو ذلك الدور الذى لعبه مصطفى الوكيل - نائب رئيس الحزب - فى منتصف عام ١٩٤٢ ، عندما تولى نقل وابلاغ رسائل حكومة النازى للملك فاروق ، وعمل مساعدا للمفتى - أمين الحسينى - أثناء المفاوضات مع الايطاليين والألمان(٨٤) .

وفى عام ١٩٤٨ وضعت الجماعة لنفسها برنامجا اشتراكيا وسميت بالحزب الاشتراكى وكان برنامج الحزب يدل على أن تفكيره كان لا يزال خاضعا للفكر الوطنى السائد قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ، بل وامتدادا له . وتبدو هذه الروح المحافظة فى برنامج الحزب الجديد عندما أبقى على الشعار التقليدى له وهو « الله ، الوطن . الملك نعظمه ونلتف حول عرشه » ، وفى أنه لم يكتف بالمطالبة بحماية الدستور القائم بأركانه ومبادئه ، وهو مطلب كافة القوى الوطنية فى ذلك الوقت ، ولكنه حرص على القول بأن حجر الزاوية فى هذا الدستور هو « الملكية الدستورية »(٨٥). الى جانب ذلك فان الطابع الاشتراكى للحزب قد ظهر من خلال المطالبة بالعديد من الاصلاحات الاجتماعية مثل تحديد الملكية الزراعية بخمسين فدان ومجانية التعليم وضرورة وضع نظام للتأمينات الاجتماعية .

ويهمنا فى هذا المجال أن نشير الى أنه برغم ما ظهر من تركيز الحزب على احترام الملكية الدستورية ، وتأييدها باعتبارها من ركائز النظام

---

(٨٤) Jankawshi, P. J : Op. Cit : P. 86

(٨٥) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) ص ٢٢٧ .

الأساسية ، الا أن الاطار الحركي للحزب كان جد متناقضا مع شعاره وبرنامجه بصدد علاقته بالقصر ، فوجهت صحيفة الاشتراكية ـ لسان حال الحزب ـ هجومها على أحمد حسنين ، واتهمته صراحة بأنه قد جمع ما يمكن أن يسمى « بالعصابة » وهذه جعلت مصر مسرحا لآثامها وشرورها ، وأنه بعد وفاة حسنين حل محله ابراهيم عبد الهادى ، وتزعم العصابة التى ألفها حسنين باسم الملك ، وبدأت نجوم تلمع مثل كريم ثابت ، بوللى والنقيب بالاضافة الى انضمام حزب السعديين الى هذه العصابة ، واتهمت وزارة النحاس بالتقصير فى محاسبتهم(٨٦) ومن جانب آخر راحت تلمح بالهجوم على الملك فاروق لتعيينه حافظ عفيفى رئيسا للديوان ، ونعت على الوزارة تهاونها فى تلك المسألة كما طالبت بتنحية عبد الفتاح عمرو سفير مصر فى انجلترا وراحت تسخر من اندراوس وتصفه بأنه « كنز جديد من العبقرية »(٨٧) ٠

كان من الواضح أن الحزب الاشتراكى بصدد الهجوم على الحاشية كان يعمد الى الوقيعة بين القصر والوزارة النحاسية التى كانت قد توثقت علاقتها بالقصر الى حد بعيد ٠ على كل فقد راح الحزب يوسع قاعدة المواجهة ليمتد هجومه مباشرة الى الملك نفسه ، فراحت جريدة الشعب الجديد ـ احدى الصحف المعبرة عن آراء الحزب ـ تهاجم فاروق وتصرفاته تحت عناوين مختلفة لاتخلو من مغزى مثل « فضيحة جديدة » ، « نصيحة من مقامر كبير للاعبى القمار » وغير ذلك من الاشارات الى الملك ٠ أما جريدة الاشتراكية فراحت تنشر مجموعة من صور البؤساء تحت عنوان « رعاياك

---

(٨٦) جريدة الاشتراكية : ٢٩/٥/١٩٥٠ مقال بعنوان « حيدر ، كريم ثابت ، بوللى ، النقيب ٠٠٠ وأمثالهم يجب تطهير أداة الحكم من هذه العصابة » ٠

(٨٧) المصدر السابق : ٨/١٢/١٩٥٠ ٠

يا مولاى » مثل شهير فى الهجوم على الملك(٨٨) ·

وبالفعل أثارت تلك الحملة مخاوف القصر والوزارة النحاسية ، وفى محاولة لترضية الجماعة راح رئيس القسم المخصوص بوزارة الداخلية يعرض على أحمد حسين أن يمده بالأموال من المصروفات السرية مقابل أن يوقف هجومه على الحكومة(٨٩) · الا أن ذلك لم يحل دون استمرار أحمد حسين وعزمه فى الهجوم على القصر ورجاله ، ذلك أن التوجه الثورى الظاهر للحزب كان من شأنه أيضا أن يباعد بينه والقصر ، فعندما قام أحمد حسين بجولة فى منطقة الدلتا فى سبتمبر ١٩٥٠ ، وراح يحذر من أن الثورة قادمة اذا ما استمرت الحالة الحاضرة على ما هى عليه(٩٠) · ولا شك فى أن التلويح بالثورة أو التهديد بها كان موجها للقصر بشكل مباشر ، والذى زادت مخاوفه ازاء قيام الحزب بتشكيل كتائب للمتطوعين بالشرقية كان يرأسها اللواء عبد الغنى مرسى ، وأشرف على تدريبها البكباشى جلال ندا وتعمل تحت اشراف اللواء صالح حرب(٩١) · الى جانب ما ظهر من دلائل عن الاستعدادات الخاصة بالنشاط الفدائى للحزب ، حيث دخل ابراهيم شكرى وثمانين من زملائه المسلحين الى منطقة القناة(٩٢) ·

على كل حال فلقد ساق حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ ، فرصة ذهبية للقصر لكى يوجه ضربة قاصمة لحليف الأمس ، فتم تجميد نشاط الحزب

---

(٨٨) يونان لبيب : الأحزاب المصرية (١٩٠٧ – ١٩٨٤) ص ١٩٠ ·

(٨٩) مرافعة أحمد حسين فى قضية التحريض رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا : ص ٨٨ – ٨٩ ·

(٩٠) Jankowshi, J : Op Cit : P : 96

(٩١) مرافعة أحمد حسين فى قضية التحريض رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا : ص ٥٦ ·

(٩٢) Fo : 371/96117 : G. HQ. Middle East Land Forces to Ministry of Defence, Oct., 27, 1951

وصودرت صحيفته وأغلقت داره بعد أن جرى اعتقال زعمائه على ضوء ما أحاط بالحزب من شبهات عن تورطه فى الحادث فسقط سقطة لم يقم منها أبدا • وعلى الاجمال فقد جاء حريق القاهرة مؤرخا نهاية لدوز مصر الفتاة فى السياسة المصرية(٩٣) •

وخلاصة القول فان الاطار الحركى لمصر الفتاة كان التذبذب سمته الأساسية ، فمن الناحية الايديولوجية ، راحت تتقلب بين التيارات الفاشية تارة والاسلامية أخرى والاشتراكية ثالثة ، ومن الناحية السياسية فيمكن القول بعدم وجود نهج سياسى ثابت لها أو رؤية موضوعية محددة ، تصبغها بلون سياسى ثابت يتحدد به موقعها بين قوى التأثير السياسى وقتذاك • وهذا راجع فى تقديرى الى ارتباط الحركة أساسا بشخص مؤسسها • فالتغيرات الحادثة فى مسيرة مصر الفتاة كانت عملا نتاجا لتقلبات آراء وأفكار أحمد حسين ، وعلى الاجمال فقد اصطبغت حركتها بالنفعية والعشوائية • حقيقة أنه ينبغى أن نسجل لمصر الفتاة أنها كانت أكثر القوى على الساحة جنوحا للثورة ودعوة اليها ، بيد أن عجزها عن صياغة اطار ثورى محدد الأهداف واضح المعالم قد ألجأها الى أعمال التهييج السياسى والصخب وعدتهما مظهرا للثورة •

وكان من الطبيعى أن تترك كل هذه التناقضات آثارها على علاقة مصر الفتاة بالقصر فتذبذبت دعوتها بين الالتفاف حول الملكية وتعظيمها الى الثورة على النظام القائم والقول بفساد مؤسساته • وكان هذا التناقض بطبيعة الحال منتجا لآثاره وخاصة بصدد علاقتها بالقصر • فلقد بدأت حركة مصر الفتاة فى ظل حماية القصر وتعضيده ، وتهاوى كيانها السياسى أيضا

---

(٩٣) Jankowshi, P. J : Op. Cit : P : 106

على يده ، فراح يقلب لها ظهر المجن مستغلا فى ذلك شبهات تورطهــا فى حادث حريق القاهرة فى يناير سنة ١٩٥٢ ٠

الحركة الشيوعية :

منذ نهاية الحرب العالمية الأولى شهدت البلاد تزايدا ملحوظا للنشاط الشيوعى ، كأثر مباشر لاندلاع الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ ، وقيام الاتحاد السوفيتى بالدعوة الى مبادئها من جانب ، فضــلا عن التغيرات الاقتصــادية والاجتماعية والفكرية التى ظهرت كنتيجة للحرب من جانب آخر ، وبطبيعة الحال لم تكن مصر بمنأى عن تلك التغيرات ، بل وكانت أشد تأثرا بهــا اذ كانت الحركة الوطنية قد اشتد ساعدها مما ظهر أثره واضحا فى اندلاع ثورة ١٩١٩ والتى ضمت بين جوانحها كافة القوى والاتجاهات السياســية والايديولوجية بما فيها القوى الشيوعية ، بصدد المطالبة باستقلال البلاد ٠

عمدت القوى الشيوعية فى تلك الفترة الباكرة الى تنظيم صفوفها فيما أسمى « بالحزب الاشتراكى المصرى » الذى تم تأسيسه عام ١٩٢١ ، بيــد أنه ما لبث أن تعرض لضربة قاصمة عام ١٩٢٤ على يد حكومة الشعب التى كان يرأسها سعد زغلول ، كأثر لاتهــام الحزب الاشتراكى المصرى بتدبير الاضطرابات العمالية التى جرت فى البلاد خــلال شهرى فبراير ومارس ، فما كان من الحكومة الا أن اعتقلت زعمــاء الحزب وصدرت ضــدهم أحكام متفاوتة بالسجن فى أكتوبر سنة ١٩٢٤ بهدف « قطع دابر الشيوعية » ، ولقد نجحت الحكومة فى ذلك الى حد كبير ٠

وعلى الرغم من أن تلك الفترة قد شهدت قيــام تجمعات ماركسية أخرى ، الا أن الحركة الشيوعية قد استمرت على ضعفها ، وممــا أسهم فى ذلك أن قيادتها قد تركزت فى يد عناصر غير مصرية فى غالبيتها فيما كان

من اعتمادها على العناصر اليونانية والايطالية والشامية . الا أنه فى خلال الحرب العالمية الثانية ، قيض للحركة الشـــيوعية أن تزدهر تارة أخرى ، وساعد على ذلك تلك الانتصارات التى حققتها روســـيا على قوى المحور . يضاف الى ذلك ما كان من ازدهار الاقتصاد المصرى فى مجالات الصـــناعة والتجارة والزراعة خاصة أمام اختفاء المنافسة الأجنبية . ويلاحظ أنه بينما ازداد ثراء شرائح طبقية معينة من المجتمع وارتفع دخلها وفى مقدمتها طبقة كبار الملاك ورجال الصناعة والتجارة فان الغالبية العظمى من المجتمع ظلت تعانى من الفاقة وشظف العيش .

وفى المقابل سعت حركة الرأسمالية المصرية فى تلك الفترة الى الحفاظ على مكاسبها والعمل على تنميتها وزيادتها ، وزاد تطلعها للسلطة السياسية بهدف احكام قبضتها على مقدرات المجتمع وضمانا لمصالحها ، كما اتجهت الى مقـــاومة كافة المحـــاولات الاصـــلاحية التى جرت من جانب الحكومات المتعاقبة . على هذا النحو استفحلت مظاهر التناقض الطبقى مما ظهر أثره واضحا فى مرحلة ما بعد الحرب فساءت حالة الفلاحين بشكل ملحوظ ، ولم يكن عمال الصناعة والتجارة بالمدن بأفضل حالا منهم . وبطبيعة الحال فان تلك الظروف السائدة وقتذاك بتناقضاتها كانت تشكل مجالا حيويا للحركة الشيوعية كيما تنتشر أهدافها ومبادئها . وبالفعل شهدت بداية النصف الثانى من الأربعينيات من هذا القرن ظهور العديد من التنظيمات الشيوعية على الساحة .

ولقد نظرت القوى الشيوعية الى الكيان السياسى القائم بمؤسساته وقتذاك ، باعتباره حائلا يقف دونها ونشر مبادئها وأفكارها مما كان ينبىء عن حتمية الصدام معه . الا أنه من استعراض الحـــركة الشيوعية فى مصر وصولا الى قدراتها على خوض الصراع ضد قوى النظام القائم ، يتبين لنا أن

هناك سمات أساسية قد اتسمت بهــا تلك الحركة • أولها أن الانقســام والتشرذم كانا بمثابة صبغة أساسية للحركة الشــيوعية فى مصر غالبية أطوارها ، حتى أن تنظيماتها قد انقسمت على نفسها حـدا بلغ معه اتهامها لبعضها البعض بالبوليسية والعمالة للسلطة ، مما أضعفها فى مواجهــة القوى السياسية الأخرى وبخاصة القصر• ومنها أيضا أن الاطار الايديولوجى الذى تحركت فيــه التنظيمات الشيوعية قد جعلهــا تنظر الى الأحـزاب السياسية والقصر على أنها قوى رجعية وصنائع للامبريالية ، باعتبــار أن الطبقة العاملة هى وحدها القادرة على خوض النضال ضد الوجود الاحتلالى ، فى وقت كانت فيه تهمة « الالحاد » قـــد جعلت من تلك التنظيمات هـدفا يسهل على قوى السلطة معه أن توجه اليه ضرباتها فى أى وقت شـاءت • ومن تلك السمات أخيرا ، أن القوى الشيوعية بحكم أيديولوجيتها أيضــا وبرغم خلافاتهــا قد جمعهــا خط ثابت عمــاده العــداء للقصر ، والوجــود الاحتلالى ، فلا نكاد نلمح انحيازا لأى من تنظيمات الحركة عن هذا المضمار اذ كان انهاء الوجود الاحتلالى من وجهة نظرها هو المقدمة الحتمية والطبيعية للتغيير الشامل ولتقويض دعائم الكيان السياسى بكل قواه ومؤسساته وعلى رأسها القصر(٩٤) •

---

(٩٤) لمزيد من التفاصيل عن نشاط الحركة الشيوعية فى مصر وتنظيماتها ، أنظر مجموعة مؤلفات رفعت السعيد : تاريخ المنظمات اليسارية المصرية (١٩٤٠ ـ ١٩٥٠) دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٦ : ص ١٢٨ وما بعدها • كذلك منظمات اليســار المصرى (١٩٥٠ ـ ١٩٥٧) دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٨٣ : ص ٢٦ وما بعدها • وكذلك لنفس المؤلف : الصحافة اليســارية فى مصر ، الجزء الثــانى ، (١٩٥٠ ـ ١٩٥٢) ، دار الثقــافة الجديدة ، القاهرة ١٩٨٠ : ص ٢١ وما بعدها • يونان لبيب رزق : الأحزاب المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ ص ٨٤ ـ ٨٨ ، كذلك طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ ـ ١٩٥٢) : ص ٤٠٦ وما بعدها ، عاصم الدسوقى مصر فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) : ص ١٨٣ •

والواقع أن انقسام التنظيمات الشيوعية وتنافرها لم يكن ليغرى الأحزاب السياسية فى مصر على اقامة الصلات معها أو الاعتراف بشرعية وجودها على الساحة ، حتى أن اقدام الوزارة النحاسية السادسة على اقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى عام ١٩٤٤ لم يكن سوى أثر لاستجابة قيادة الوفد لضغوط الجناح التقدمى فيه فيما عرف « بالطليعة الوفدية » دون أن يكون ذلك اعترافا ضمنيا بالشرعية الدستورية لتلك التنظيمات • ورغم ذلك فلقد توافرت للحركة الشيوعية حريات واسعة مع غيرها من التنظيمات السياسية الأخرى ابان فترات الحكم الوفدى بشكل خاص •

أما عن القصر فينبغى الاشارة الى تسرب عناصر « ملكية » للحركة الشيوعية من خلال صفوف العمال ، وان جرى ذلك بشكل بالغ الوهن • فكان هناك حزب العمال الذى تزعمه النبيل عباس حليم • وعلى الرغم من أنه كان من الناحية العلمية حزبا ضعيفا ، بل وموضع لسخرية عناصر الحركة وريبتها فاعتبرته « حزبا للعمال رغم أنف العمال » وتارة أخرى أطلقت عليه الصحف الشيوعية اسم « حزب أفندينا » اشارة الى هيمنة النبيل عباس حليم عليه»(٩٥) • ولقد تأكدت بالفعل النوايا والشكوك فى عباس حليم ومآربه وذلك من خلال ضبط أحد التقارير بخطه مرفوع للسراى أبلغ فيه الملك عن عدد الممارسين للنشاط الشيوعى فى مصر بين الأوساط العمالية(٩٦) •

أما عن جوهر موقف القصر من الحركة الشيوعية ، فلقد جرت محاولاته

---

(٩٥) رفعت السعيد : الصحافة اليسارية فى مصر ج ٢ (١٩٥٠ - ١٩٥٢) ص ٤٤ •

(٩٦) محمود متولى : مصر والحركة الشيوعية خلال الحرب العالمية الثانية ، دار الموقف العربى للصحافة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٧٩ ص ١١٥ •

متواترة لتقليم أظافرها بل والقضاء على دعاويهـــا باعتبـارها كانت خطرا مباشرا يتهدد العرش ، حتى أنه في عهـــد وزارة أحمد ماهر الأولى ، بدأ نشاط أعضاء البعثة الدبلوماسية الروسية واضحا ، فيما كان من صلاتهم المباشرة بعـــدد من المرشحين ، فمـــا كان من رئيس الوزراء الا أن بادر باستدعاء الوزير المفوض الروسى ، لكى يحذره من التدخل فى الشـــئون الداخلية للبلاد(٩٧) • وعلى الرغم من هذا التحذير فقد قامت الاضطرابات العمالية فى القاهرة والاسكندرية والتى أرجعتها تقارير الأمن العام الى تأثير الدعاوى الشيوعية بين صفوف العمال(٩٨) •

راح القصر ينفذ خطته لمحاصرة النشاط الشيوعى فى مصر بغية القضاء عليه ، وبصدد التمهيـــد لتلك الخطوة استصدرت حكومة صدقى الثـالثة تشريعا يعاقب بالحبس على من يقوم بتأسيس التنظيمات التى تدعو للثورة أو من يقوم بالدعاية بأية وسيلة ضد المبادىء الأساسية للدستور ، أو من يقوم بدعم هذه التنظيمات ماليا • بدا أن التنظيمات الشيوعية مستهدفة من وراء ذلك التشريع ، ولم تكن تلك الخطـــوة سوى مقـــدمة لضرب الحركة الشيوعية وتنظيماتهـــا فى مصر فى ١١ يوليو ســـنة ١٩٤٦ فيما عرف « بقضية الشيوعية الكبرى » فقامت الحكومة باعتقال قادة الحركة وصادرت صحفها • وكان من الواضح أن القصر قد استغل تلك الظروف كيما يؤكد لبريطانيا نواياه نحو الحركة الشيوعية ورغبته فى القضاء عليها يراوده فى ذلك أمل انجاح مفاوضات صدقى - بيفن التى كانت قد تعثرت بالفعل على

(٩٧) Fo : 37/45930 : Weekly Political and Economic Report (26*th* April-2*nd* May, 1945, No : 126

(٩٨) Fo : 371/45931 : Weekly Political and Economic Report (3*rd* -9*th* May) 1945 No : 127

صخرة « السودان » ، حتى أن صدقى قطع مفاوضاته بالاسكندرية وعاد الى القاهرة لمدة يومين لاتخاذ الاجراءات اللازمة لمقاومة النشاط الشيوعى فى البلاد(٩٩) .

ومن ناحية أخرى استغل فاروق تلك الفرصة التى تهيأت له بضرب النشاط الشيوعى ، فى التلويح لبريطانيا بالمخاطر المتوقعة من وراء الخطر الشيوعى واظهار رغبته فى التعاون معها ، فقابل وكيل الخارجية البريطانية أثناء زيارته لمصر وطلب منه ابلاغ حكومته بأنه - أى فاروق - يعتبر روسيا العدو الأول له(١٠٠) .

هيأ فشل المفاوضات صدقى - بيفن الفرصة لروسيا فى محاولة لتخفيف الضغوط التى تعرضت لها الحركة الشيوعية وتنظيماتها على يد وزارة صدقى ، فقام مولوتوف (Molutove) وزير خارجية روسيا باستدعاء كامل البندارى السفير المصرى فى موسكو فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٦ ونصحه بأن تقوم مصر بعرض قضيتها على عصبة الأمم ، وانه بمقدور مصر أن تعتمد على تاييد روسيا ، كما وعد باستخدام نفوذه لتجنب استخدام بريطانيا حق « الفيتو »(١٠١) . وبطبيعة الحال فان تلك الاتصالات التى أجراها البندارى وكيل الديوان الملكى السابق والمعروف بعدائه لبريطانيا ، قد آثارت قلق السفير البريطانى فى مصر ، فأرسل الى حكومته يقترح مفاتحة الملك فاروق فى أمر صلات البندارى مع الروس ، باعتبار أن الملك كان مسئولا عن اعادته الى السلك الدبلوماسى ، فضلا عن تعيينه سفيرا فى موسكو بصدد ترضيته اثر نزاعه مع على ماهر بالقصر فى عام

---

(٩٩) Fo : 371/53306 : Compbell to Fo, July 11, 1946

(١٠٠) Fo : 371/62972 : R. Howe to Bevin, May 10, 1947

(١٠١) Fo : 371/6260 : From Moscow to Fo, Jan. 1, 1947, No : 11

١٩٣٩(١٠٢) ٠

ولقد تركزت مخاوف الجانب البريطانى فى احتمالات أن تؤدى اتصالات البندارى بدوائر موسكو الى تقوية دعاوى الشيوعية فى مصر على نحو يؤثر بالسلب على النفوذ البريطانى ، الا أنه كان واضحا أن جهـــود القصر فى تتبع الحركة الشيوعية ودعاتها قد أثمرت الى حـــد كبير حتى أن الوثائق البريطانية أشارت الى أن تأثير النشاط الشـــيوعى فى الموقف الداخلى لم يصبح قويا بدرجة كافية تؤهله لكى يكون عاملا جديدا فى اثارة حـــركة وطنية على غرار ثورة ١٩١٩(١٠٣) ٠

ولقد صحت بالفعـــل التقـــديرات البريطانية عن موقف الحـــركة الشيوعية ٠ فرغم أنها قد سارت مع بداية عام ١٩٤٧ فى طريق التوحيد ودل على ذلك تلك الوحــــدة التى قامت بين الحركة المصرية للتحرر الوطنى وبين منظمة الشرارة « أســكرا » ، فى تنظيم الحركة الديمقراطيـــة للتحرر الوطنى « حدتو » ، الا أن الحركة ما لبثت أن واجهت من جديد موجة أخرى من التفتت فى أواخر نفس العام ، وقوى الصراع بين المنظمة الجديدة «حدتو» وبين التنظيمات اليسارية الأخرى التى لم تندمج فيها مثل « الفجر الجديد » و « العصبة المـاركسية » ، ولقد بقى هــــذا التفكك قائما الى أواخر عام ١٩٥٢(١٠٤) ٠ وعلى الرغم من ذلك فقد كانت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى « حدتو » وهى أكثر التنظيمات الشيوعية فاعلية على الســـاحة وفى مواجهة القصر بشكل أساسى ٠

---

(١٠٢) Fo : 371/62960 : Compbell to F.O., Jan. 11, 1947, No : 71

(١٠٣) Ilid : Same to Same, Jan. 11, 1947, No : 85

(١٠٤) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) ص ٤١٧ - ٤١٩ ٠

بدأت « حدتو » أولى موجات صدامها مع القصر فأصدرت منشورا فى ١١ فبراير سنة ١٩٤٧ بعنوان « ١١ فبراير عيد الملك ٠٠ عيد الخونة ؟ واتهمت فيه السراى بفرض سلطانها الديكتاتورى على البلاد والاستجابة لمطالب الاستعمار ، وانتهى البيان الى القول : « فلنمرغ التيجان فى التراب ٠٠ ليحيا نضال الشعب لاسقاط الاستعمار وديكتاتورية السراى »(١٠٥) ٠ الى جانب ذلك فقد نجحت « حدتو » فى تكوين تنظيم لها داخل صفوف القوات المسلحة باسم « الاتحاد العام للصولات وضباط الصف » ، وتقدموا بعريضة فى ديسمبر سنة ١٩٤٧ مطالبين بتصحيح أوضاعهم مهددين بأنه اذا لم تجب مطالبهم فانهم سوف يتجهون الى ساحة عابدين فى مظاهرة عسكرية رهيبة ٠ بيد أنه سرعان ما تمت تصفية تلك الحركة ، فتناولت الحكومة أعضاءها بالفصل والنفى ، وفى أوائل عام ١٩٥٠ أتمت السراى تصفية حساباتها مع الحركة باغتيال الضابط عبد القادر طه شقيق أحمد طه أحد قيادات « حدتو »(١٠٦) ٠

سعى فاروق مرة أخرى لاستثارة الجانب البريطانى وحفزه على مساعدته ، فراح يكرر على مسامع السفير البريطانى المخاطر الشيوعية التى تتهدد البلاد(١٠٧) ، وأوضح موقف مصر المؤيد لبريطانيا اذا قامت الحرب مع روسيا والتى يتوقع قيامها فى الربيع القادم(١٠٨) ٠ كان الأمر واضحا أنه مجرد مناورة مكشوفة من جانب فاروق ، فقد كان ينشد تعضيد بريطانيا لموقفه المتداعى فى الداخل فى ذلك الوقت اذ فقد الكثير من شعبيته

---

(١٠٥) رفعت السعيد : تاريخ المنظمات اليسارية المصرية (١٩٤٠ - ١٩٥٠) دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧٦ ص ٤١٣ - ٤٠٤ ٠

(١٠٦) المصدر السابق : ص ٢٣٣ - ٢٣٨ ٠

(١٠٧) Fo : 371/69244 : Compbell to Fo, Feb. 12, 1948, No : 24

(١٠٨) Fo : 371/69194 : Same to Same, Oct. 29, 1948, No : 1484

واضحى موقفه غاية فى الصعوبة عما كان عليه من قبل بسبب أحـــداث فلسطين ، فضلا عن عجزه الواضح عن مواجهة المشاكل الداخلية للبـــلاد واضطراب أحوالها(١٠٩) • وانتقل فاروق الى الضغط على دوائر الخارجيـة البريطانية نفسها بشكل مباشر من خلال عبد الفتاح عمرو السفير المصرى هناك ، الأمر الذى ترك انطبـاعا لدى المسئولين هنـاك بأن الملك شـغوف للتعاون معهم(١١٠) • على هـــذا النحو بدا واضحا أن الملك قد اتخـذ من الحركة الشيوعية ذريعة لطلب تأييد بريطانيا وتعضيدها لموقفه ، فى الوقت الذى رأت فيه بريطانيا أنه ليس هنـــاك عملا ثمة مخاطر حقيقية تتهـدد وجودها ونفوذها فى مصر من وراء هذه الحركة •

وعلى النحو السابق الاشـــارة اليه لم يقيض للحـــركة الشيوعية الاستمرار فى « التوحيد » اذ عادت الى سابق ضعفها وانقسامها • وممـــا ساعد على ذلك أنه منذ بداية حرب فلسطين تعرضت الحركة لضربة بالغـة الشدة على يد وزارات القصر على النحو الحادث فى عهـــد وزارة النقراشى الثانية ثم زادت قسوتها عندما تولى عبد الهادى الوزارة فى نهاية ١٩٤٨ • ولقد أثرت حملة الاعتقالات على الحركة الشيوعية كلها بالاضعاف ، وتركت الحملة أثرا هاما فى الفترة التالية فى تفكير الشيوعيين له جانباه الايجابى والسلبى ، أولهما الاهتمام بالتنظيم والاجتهاد فى بنائه لكى يكون قادرا على مواجهة بطش السلطة والوان الاضـــطهاد • وثانيهمـــا نمو روح التطرف والمبالغة فى السرية الى حد مفرط يشل فاعلية الجمـــاعة فى النشاط بين الجماهير • وبعد أن كان المنطق السائد هو أن الكيان السرى للتنظيم يجب

---

(١٠٩) Fo : 371/69193 : Memorandum of Egyptian Department, Aug. 3, 1948

(١١٠) Fo : 371/62960 : Compbell to Fo : Jan. 10, 1947, No : 71

أن يخدم النشاط العلنى ، انتكس هذا الأسلوب وانغمست الكثير من التنظيمات الشيوعية فى السرية وحدها وفقدت الكثير من العناصر ايمانها بالعمل العلنى . وبطبيعة الحال فقد كان لنمو تلك الروح من الانعزال وفقدان الثقة أثره فى المبالغة من الحذر من النشاط البوليسى داخل صفوف الحركة(١١١) .

وعلى الرغم من مظاهر التفكك والضعف التى اعترت تنظيمات الحركة بوجه عام ، فانه يمكن القول بأن « حدتو » قد بدت أفضلها تماسكا وتنظيما ، الا أن نشاطها - شأن التنظيمات الأخرى - لم يخرج عن دائرة العمل السرى فى مواجهة خصومها من القصر والانجليز وفى هذا المجال أصدرت « حدتو » نشرة المقاومة تحت شعار « فى سبيل كفاح مسلح لطرد الاستعمار والقضاء على الملكية والرأسمالية المصرية الخائنة واقامة نظام الديمقراطية الشعبية » ، وكانت « المقاومة » توجه نداءاتها الى الشباب للمشاركة مع « حدتو » فى المعركة ضد النظام القائم وديكتاتورية السراى ؛ كما أصدرت نشرة عمالية أخرى باسم « كفاح شبرا الخيمة » كانت موجهة للعمال وأكدت على مضمون نشرة المقاومة أيضا(١١٢) .

على الجانب الآخر نجحت « حدتو » فى اجتذاب عناصر عديدة من داخل الجيش ، وكونت بالفعل « قسم الجيش » الذى أعطى اسما حركيا هو « قسم الأحذية » ، وتكون من عدد كبير من الضباط ممن انضموا الى «حدتو» ولو بشكل مؤقت مثل لطفى واكد ووجيه أباظة وخالد محيى الدين وآمال المرصفى وغيرهم . بيد أنه مما يؤخذ على « حدتو » أنها لم تكن تعول على

---

(١١١) رفعت السعيد : المصدر السابق ص ٤٤٨ وكذلك
طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) ص ٤٢٠ .
(١١٢) رفعت السعيد : المصدر السابق ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

انتشارها فى الجيش ، أمل القيام بانقلاب عسكرى ، كما أكد أحمد حمروش - وانما كانت تنشط فى صفوف الجيش باعتباره مؤسسة بالغة الأهميــة وبهدف خلق مناخ ديمقراطى واشتراكى ، داخل صفوفه(١١٣) ٠ يضاف الى ذلك فقد كانت هناك مجموعة أخرى من الضباط قد انضمت الى « حدتو » دون أن تكون لها صلات بتنظيم الضباط الأحرار ، اذ حرصت « حدتو » على ألا تقدم كل هذه الكوادر الى تنظيم الضباط ، وخاصــة وأن من بينهم من عمل فى مواقع حساسة مثل الطيار عبد المجيد نعمان الذى كان ضابطا فى السرب الملكى وتولى نقــل المطبوعات والرسـائل السرية فى طائرة الملك الخاصة ، كما أنه أبلغ التنظيم عن قيام الملك باعداد مطار سرى خاص به فى الواحات استعدادا لهروبه(١١٤) ٠

ونكاد نلمس دلالات التناقض واضحة فى مسيرة الحركة الشيوعية فى « حدتو » فيما بين جنوحها الى العمل السرى وعزوفها عن تبنى فكرة الثورة فى وجه نظام القصر على نحو ما قرره أحمد حمروش أحد كوادر حدتو ٠ بيد أن هذا التناقض يمكن تفسيره فى اطار ادراك قيادة الحركة بضعفهـا وعدم قدرتها عملا على التصدى - من خلال العمــل الثورى - لنظام حكم القصر ، ومن ثم فقد كان السعى لاعادة تنظيم صفوف الحركة والخروج بها من عزلتها من خلال الاتصال بالقوى السياسية الأخرى ٠

جرت بالفعل فى يناير سنة ١٩٥٠ محاولة من جانب « حدتو » لدعوة القوى السياسية على الساحة لاقامة جبهة وطنية ، ووجهت الدعوة للوفد

---

(١١٣) محضر نقاش أجرته الباحثة الامريكية سيلما بوتمان مع أحمد حمروش فى ١٩٨٠/٤/١٣ ، نقلا عن رفعت السعيد منظمات اليسار المصرى (١٩٥٠ - ١٩٥٧) ص ٨٨ ٠

(١١٤) محضر نقاش أجراه رفعت السعيد مع عبد المجيد نعمان فى ١٩٦٩/١١/٨ المصدر السابق : نفس الصفحة ٠

والاخوان والاشتراكيين « مصر الفتـاة » والحزب الوطنى . وكانت القوتان السياسيتان المبعدتان هما السعديون والدستوريون ، ولقـــد تصور قادة الحركة الشـــيوعية أنه بالامكان استقطاب تلك القوى فى جبهـة متحدة ، يدفعهم فى ذلك الظن بعدائها للقصر . الا أنه سرعان ما بدت نذر الفشـل تحيط بالدعوة ، فعلى الرغم من اصرار « حدتو » فان الجبهة لم تشكل ، طبقا للتصور المطروح وقتذاك ، اذ كان الاشتراكيون والاخوان والحزب الوطنى كقوى سياسية منشغلة بالكفاح ضد الوفد وليس بالتعاون معه أو مع أى قسم فيه . ثم أن تلك الدعوة من جانب « حدتو » وان وجدت آذانا صاغية من أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكى وفتحى رضوان من الحزب الوطنى ، الا أن الاخوان قد غلوا يدهم عن الالتقاء بهـا ، ثم أن الوفد ذاته كأحـــد أطراف الدعوة كان قد انغمس فى علاقة تحالف حقيقية مع القصر وهـــو الهدف الأساسى للتحالف . ومما زاد الفتق على الراتق أن الخلاف ما لبث أن نشب بين كوادر حدتو ذاتها بصدد تلك الدعوة بين مؤيد ومعارض(١١٥) .

ازاء هذا الفشل من جانب « حدتو » راحت تقلب ظهر المجن للحكومة النحاسية الأخيرة ، فخاضت « الملايين » لسان حال « حدتو » ، هجوما ضاريا على الحكومة ازاء قيامها بتقديم مشروع قانون الجمعيات للبرلـان ووصفت الحكم الوفدى بأنه « امتداد يصل بين حزب الشعب وهو حزب القصر الذى أقامه صدقى عام ١٩٣٠ وحزب الوفد »(١١٦) . وتارة أخرى تصف المعاهدة بأنها « وبالا على الشعب المصرى ووصمة عار فى جبين الثـــلاثة عشر الذين وقعوها »(١١٧) . وأوغلت « الملايين » فى الهجوم على الحـكومة النحاســية

---

(١١٥) رفعت السعيد : المصدر السابق ص ٧٥ ـ ٨٠ .
(١١٦) صحيفة الملايين : ١٩٥١/٨/٦ .
(١١٧) صحيفة الملايين : ١٩٥١/٨/٨ .

عندما صرحت بأنها لا تعتزم الغاء المعـــاهدة(١١٨) ، وكان من الواضح أن الحركة الشيوعية كانت بمنأى عن نوايا الحكومة النحاســية واتجاهاتها فى هذا الصدد ، فسرعان ما قامت الحـكومة بالغـاء معاهدة ١٩٣٦ فى مناورة سياسية بارعة ، مما أصاب « حدتو » بالحرج الا أنها لم تتوقف عن هجومها على الحكومة فاتهمتها بأنها قد خدعت الشعب الذى اعتقد أن حكومة الوفد ستقود بصدر رحب الكفاح الثورى للشعب المصرى ، ونعت عليها مواقفهــا السلبية من الاستعمار البريطانى(١١٩) ٠

ومن الغريب أنه ما أن ظهر ضعف موقف الحكومة الوفدية فى الحكم ، وظهرت أبعاد المؤامرة التى كان يدبرها القصر والانجليز للاطاحة بها ، حتى نلحظ انقلابا فى موقف « حدتو » من الحكومة النحاسية فيما بدأ من جنوح لتأييدها ، حتى أن « حدتو » ما لبثت أن أنهت تحالفها مع الحزب الاشتراكى عندما طلب اسقاط حكومة الوفد فى يناير ســـنة ١٩٥٢ ، واتخذت خطا مبناه تأييد الوجود الوفدى فى الحكم ورفعت شعارا « لن نسمح باقالتها ، ولن نتركها تستقيل » ـ اشارة الى حكومة الوفد(١٢٠) ٠ الا أن القصر كان أسبق الى الاستفادة من تلك التناقضات اذ انتهز فرصة حريق القاهرة فى يناير سنة ١٩٥٢ كيما يطيح بالوفد خارج الحـــكم ، ويوجه ضربة أخرى للحركة الشيوعية بتنظيماتها بدعوى تورطها فى الحادث ٠

والظاهرة الأساسية التى نخلص الى تسجيلها على النشاط الشيوعى أنه قد اتسم بحالة شديدة من الانقســـام والتفتت ، وكان من الطبيعى أن ينعكس ذلك بشكل واضح على موقف العناصر الشيوعية فى مواجهة القصر ٠

---

(١١٨) صحيفة الملايين : ١٩٥١/٩/٢ ٠

(١١٩) صحيفة الملايين : ١٩٥١/١٠/٢٨ ٠

(١٢٠) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ ـ ١٩٥٢) ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ٠

ذلك أن الضعف الذى أصابها قد سوغ للقصر أن يوجه اليها ضربات عديدة متتالية ، قد أثرت ولا ريب على كيانها وحدت من حركتها على الساحة بشكل ملحوظ مما أدى الى جنوحها الى العمـــل السرى • ولقـــد فشلت الحركة الشيوعية بتنظيماتها فى توحيد صفوفها ، وبطبيعة الحال لم تكن دعوتهـا للقوى السياسية الأخرى لتوحيد جهـــودها فى جبهة وطنية ضـد القصر والوجود الاحتلالى لتقابل بخطوات ايجابية من جانب تلك القوى ، فالفكرة كانت تصدر عملا عن رؤية غير موضوعية لواقع الســياسة المصرية ، اذ اغفلت الحركة الشيوعية وهى بصدد دعوتها هذه ، طبيعة العلاقات البينية للقوى السياسية الأخرى سواء الأحزاب السياسية أو الجماعات الايديولوجية الأخرى ، ومن ثم فقـــد كان الفشل هو المحصلة الطبيعية لمحاولة جمـــع الأضداد ، مما أدى الى عودة الحركة الشـــيوعية الى عزلتها فى مواجهـــة خصومها •

وعلى الرغم من اختلاف تقـــديرات القصر والانجليز لحجم النشـــاط الشيوعى ومخـــاطره الا أنه كان من المحقق أن القـــوى الشيوعية بحكم ايديولوجيتها كانت أكثر القوى تهديدا للكيان السياسى القـــائم وقتذاك ، وادراك القصر لتلك الحقيقة قد جعله يستهدفها بخصومة حادة امتدت أصولها منذ أن بدأت الحركة نشاطها ، وأسهمت فى اضعافها • فضلا عما كان من أمر انقسام تنظيماتها وتطاحنها فيما بينها وتلك عوامل كانت فى جملتها تحد عملا من فاعلية الحركة وأضعفت تأثيرها على الساحة •

وبصدد تقييم العلاقة بين القصر والجمـــاعات الايديولوجية ، فينبغى القول بأنه لم تكن هناك أرض مشتركة تضم تلك الجمـــاعات بحكم ما كان بينها من اختلافات ايديولوجيـــة ، ومن جانب آخر تباينت فى مواقفهـــا وعلاقاتها بالقصر • فاذا كانت القوى الشيوعية قد تمايزت عما سواها من

القوى الايديولوجية الأخرى - الاخوان المسلمون ومصر الفتاة - بموقفهـا العدائى الثابت نحو القصر ، فان علاقة مصر الفتـاة والاخوان المسلمين به قد تذبذبت بين العداء والتحالف • ولقد استطاع القصر أن يستخدم كلاهما فى فترات التحالف معهمـا ، ليس فى توطيد دعائم حكمـه فحسب ، بل وكأدوات لصراعه السياسى •

ولا يعد من قبيل المبالغة القول بأن الجماعات الايديولوجية على اختلاف مشاربها كانت فى التحليل الأخـير شبه منعزلة جماهيريا ، ممـا تفسره محاولاتها المتواترة للاقتراب من القوى السياسية الأخرى التماسا لتاييدها ، مما جعل هذه الجماعات تنساق الى العمـل السياسى وهى لا تملك عمـلا مقوماته فى وقت كان من الميسور على خصومها أن يتهموا نشاطها بأنه خارج عن الشرعية الدستورية ، وكان القصر دائما أسبق هؤلاء الخصوم لضربها •

الفصل الرابع

القصر بين الاتجاهات الإسلامية والعربية

- التيار الاسلامى وأثره على علاقة القصر بالأزهر
- القصر والفكرة العربية
- اتجاهات القصر العربية وأثرها على نشأة الجامعة العربية
- القصر وآخر محاولات الزعامة العربية « المشكلة الفلسطينية »

القصر بين الاتجاهات الاسلامية والعربية

برز الاتجاه الاسلامى لدى القصر واضحا منذ أوائل عهد فؤاد ، كرد فعل طبيعى لمواجهة الأفكار الليبرالية والتكتلات السياسية التى شهدتها البلاد فى أعقاب ثورة ١٩١٩ وما تلا ذلك من اعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ، وفى مواجهة القوى الوطنية واتجاهاتها لتأكيد حقوق الأمة فى مواجهة العرش بشكل خاص ، فضلا عن مطالبتها باستقلال البلاد • فى هذه الظروف كان من المقدر على القصر أن يسعى لتوطيد مكانته السياسية ، بيد أن تزايد حدة الصراع بين الحركة الوطنية والقصر ، كان يحد عملا من مساعيه فى هذا الصدد •

على هذا النحو كان الاتجاه الاسلامى يمثل « حاجة ملكية » أملتها دوافع سياسية وليست دينية تتصل بالقصر • ولقد تبلور الاتجاه الاسلامى عند القصر فى عهد فؤاد بشكل واضح من خلال تبنيه لفكرة « الخلافة الاسلامية » اذ رأى فيها تأكيدا لسلطته الدينية والزمنية فى مواجهة خصومه السياسيين فى الداخل ، دون أن يغيب عن تقديراته السياسية ما يمكنه تحقيقه من وراء تبنى الفكرة من زعامة للعالم الاسلامى • وعلى الرغم من المصاعب التى اعترت سبيل القصر بصدد الفكرة وامكانية تطويعها لخدمة أهدافه ، الا أننا سوف نرى كيف قيض للاتجاه الاسلامى أن يمتد أثره ليؤدى دورا بارزا فى سياسة القصر فى عهد فاروق •

ومن المناسب أن نلقى الضوء — فى ايجاز — على الظروف التى أدت الى تنامى التيار الاسلامى وكيف انتقلت تأثيراته الى القصر والدور الذى لعبه فى سياسته • فمنذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر تبلور الاتجاه

الاسلامى من خلال الدعوة لفكرة الجامعة الاسلامية ٠ ولقد قيض للفكرة أن تجد سبيلها للظهور من خلال دعوة جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده على صفحات جريدة « العروة الوثقى » التى أصدراها أثناء نفيهما فى باريس اثر فشل الثورة العرابية ، فهاجمت الجريدة الاستعمار الذى كان يتهـــدد الأقطار الاسلامية ودعت الى تضامن المسلمين فى اطار « الجامعة الاسلامية » باعتبارها نوعا من التأكيد على الذات ضد أوروبا على أساس قومى ، ممـــا نلمس معه أن الاســـلام لدى مفكرى المسلمين وقتذاك كان مرادفا للقومية ، فى الوقت الذى كانت فيه بلدان مسيحية أجنبية تحكم الأقطار الاسلامية ٠ ومن هنا نجد أن حق تقرير المصير قد اتخذ طابعا دينيا وأن حركة الجامعة الاسلامية كانت سبيلا آخر الى الاستقلال عن السيطرة الأجنبية ٠

وقد أوغل محمد عبده فى تبنى فكرة « الجامعة الاسلامية » ، وشاركه الأفغانى فى حماسته لها وذهب الى أنه « لا جنسية للمسلمين الا فى دينهم » بصدد التأكيد على الجانب الدينى للدعوة ٠ وبطبيعة الحال وجدت الدعـــوة تأييدا من السلطان التركى عبد الحميد الثانى ، خاصـــة أنه سعى بدوره لاحياء الخلافة الاسلامية فى شخصه وعمل على توحيد المسلمين ليستعين بهم على درء الخطر الأوروبى عن أملاك دولة الخلافة ٠

على هذا النحو ارتبطت فكرة الجامعة الاســـلامية بشكل وثيق بدولة الخلافة « الدولة العثمانية » ، حتى أن محمد عبده اعتبر المحافظة عليها – أى على دولة الخلافة – ثالثة العقائد بعد الايمان بالله ورسوله ٠ بهذا المفاد دارت فكرة الجامعة الاســـلامية فى اطار تجديد واصلاح الخلافة العثمـانية وليس ازالتها أو التخلى عنها باعتبارها القوة الاسلامية الروحية التى تقف فى وجه الزحف الأوروبى ٠

أما عن انتقال تأثيرات الدعوة لفكرة الجامعة الإسلامية الى مصر ، فيتضح من محاولات مصطفى كامل ربط الحركة الوطنية المصرية بحركة الجامعة الاسلامية ، اذ رأى فى الاسلام الجذوة التى يجب أن تحرك وتدعم القومية المصرية والتى بدأت تصطبغ بالايديولوجية الغربية ، وعزا اضمحلال عظمة المسلمين الى انقسامهم وابتعادهم عن الدين ٠

ومن ثم فقد دعا مصطفى كامل الى التقارب مع تركيا وانحاز الى حركة الجامعة الاسلامية ، وانتقد الاتجاهات العربية فى المشرق العربى التى كانت تدعو للانفصال عن تركيا كما سعى من جانب آخر الى كسب تأييد الخديو عباس حلمى للفكرة ونجح فى ذلك الى حد كبير رغم تباين المقاصد[١] ٠

والواقع أن فكرة الجامعة الاسلامية ، كانت تحمل فى مضمونها خلافات جوهرية مع « الفكرة العربية » التى روج لها مفكروا الشام بوجه خاص منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وذلك فى محاولة لتخليص البلاد العربية من السيطرة التركية ، وجاءت أيضا كرد فعل مباشر لمقاومة النزعة الطورانية « تمجيد العنصر التركى » ، فشهدت البلاد العربية حركة نشاط واضحة تكونت من خلالها العديد من الجمعيات التى انتشرت فروعها فى البلاد وراحت تدعو للفكرة العربية وتروج لها[٢] ٠

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن فكرة الجامعة الاسلامية : انظر ، احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة ص ٣٥ وما بعدها ، جورج انطونيوس : يقظة العرب ـ تعريب على حيدر الركابى ، دمشق ١٩٤٦ ص ٦٧ وما بعدها ، زكريا سليمان : التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددين والمحافظين ـ الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٣ ص ٨٦ ـ ٨٩ ، انظر كذلك نصر الدين عبد الحميد نصر : مصر وحركة الجامعة الاسلامية (١٨٨٢ ـ ١٩١٤) ص ٩ وما بعدها ٠

(٢) ومما يجدر ذكره أنه قد تشكلت ٤ جمعيات رئيسية منها اثنتان كانتا تعملان بشكل سرى هما جمعية المنتدى الادبى والجمعية القحطانية وقد تاسستا فى القسطنطينية عام ١٩٠٩ بالاضافة الى اثنتين علنيتين هما العربية الفتاة وتاسست عام ١٩١١ فى باريس وحزب اللامركزية =

والحقيقة ان فكرة العروبة لم تتخلص من اسارها « العثمانى » ، اذ أنها كانت تستهدف تحويل دولة السلطنة الى مملكة ذات تاج مزدوج فتشكل الأجزاء العربية مملكة واحدة ذات برلمان خاص وادارة محلية خاصة وتكون العربية لغتها ، وتكون هذه المملكة جزءا من مملكة تركية وعربية · ولقد حمل هذا التعارض الواضح بين فكرة الجامعة الاسلامية ، وفكرة العروبة ، دعاة الأخيرة الى الجنوح للعمل السرى خوفا من عسف السلطات التركية واضطهادها ، على نحو ظلت معه الغلبة للتيار الاسلامى ، دون الفكرة العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ·

بيد أنه ما أن تفككت ثورة سنة ١٩١٩ وهدأت جذوتها ، حتى قيض للتيار الاسلامى الظهور من جديد من خلال الدعوة للخلافة الاسلامية ، وكان من الطبيعى أن ينتهز القصر تلك السانحة ، مستغلا فى ذلك زوال الخلافة عن تركيا ، وذلك التأييد من جانب الأزهر والاخوان المسلمين بعد ذلك لمساعيه نحو الخلافة · ولسوف نرى كيف أن اصطدام « فكرة الخلافة » بالعديد من المصاعب فى الداخل والخارج ، قد حدا بالقصر الى التراجع عنها مؤقتا — فى عهد فؤاد — لكى يجدد الدعوة اليها فى مستهل عهد فاروق فى محاولة لاضفاء الطابع الدينى على حكمه ·

والواقع أن بروز توجهات القصر العربية ، لا يمكن تفسيرها بتراجع التيار الاسلامى فيه ، على العكس ففى تقديرنا كان التيار الاسلامى بالضرورة مدخلا أساسيا وضروريا للقصر الى الفكرة العربية · ولسوف نرى كيف أسهمت القضية الفلسطينية فى ذلك التحول الحادث فى توجهات القصر ،

= الادارية العثمانى بالقاهرة وقد تاسس عام ١٩١٢ · بالاضافة الى ذلك فقد كانت هناك جمعيات أخرى انتشرت فروعها بالبلاد العربية · أنظر جورج أنطونيوس : المصدر السابق ص ١١٦ وما بعدها ·

اذ هيأت له فرصة الظهور على الساحة العربية ومهدت لدوره فى الدعوة للجامعة العربية ٠

التيار الاسلامى وأثره على علاقة القصر بالأزهر :

استهدفت توجهات القصر الاسلامية تأصيل دعائم حكمه وتوطيد مكانته السياسية على الساحة فى مواجهة خصومه السياسيين ، فلا شك فى أن التغييرات السياسية والتشريعية التى شهدتها البلاد عشية اعلان تصريح ٢٨ فبراير كانت تحمل فى اطارها العام نذر تراجع دور القصر كمؤسسة سياسية ، رغم سعى فؤاد للحد من آثار تلك التغييرات على العرش ٠ وفى اطار الصراعات السياسية بين الحركة الوطنية والقصر ، بدا من المتعذر عليه أن يحرز عليها نصرا حاسما خاصة فى ظل غياب تأثيره الجماهيرى ٠ على هذا بدا الاتجاه الاسلامى يمثل المجال الحيوى لاهتمامات القصر بأمل أن يحقق من ورائه رصيد شعبى يدعم موقفه فى مواجهة خصومه السياسيين فى الداخل ، ويهيىء له مكانة متميزة بين الأقطار الاسلامية ٠ وبعبارة أخرى فان توجهات القصر الاسلامية لم تكن انعكاسا لعقيدة ترسخت بين جنباته ، أو استجابة لنازع حقيقى للدفاع عن الاسلام ، بل ان حركته فى هذا المضمار كانت بواعثها سياسية أكثر منها دينية ٠

ولقد تبلور المفهوم الاسلامى عند القصر منذ عهد فؤاد من خلال اتجاهين ، أولهما : بسط هيمنته على المعاهد الدينية بما فيها الأزهر والاستئثار بالسلطة المطلقة عليها ، ثانيهما : تبنى فكرة الخلافة الاسلامية والتشيع لأحقية عرش مصر فيها ٠

وفيما يتصل بالاتجاه الأول فلقد حرص فؤاد من خلال دستور ١٩٢٣ على أن يستبقى لنفسه أمر تنظيم المعاهد الدينية وكذا تعيين الرؤساء

الدينيين ، على أن تكون تلك التعيينات بمقتضى مرسوم ملكى بناء على ما تعرضه الوزارة (م ١٥٣)(٣) • ولقد أوغل القصر في هذا الاتجاه كيما يستأثر بالأمر كله ، فاستصدرت وزارة اسماعيل صدقى مرسوما بالقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ ، نص على أن اختيار شيخ الأزهر وتعيينه وكذا اختيار شيوخ المذاهب الأربعة وشيوخ الكليات وتعيينهم منوط بالملك وحده ، فسلب بذلك حق مجلس الوزراء فى اختيارهم(٤) •

ولقد كان الأزهريون يعتقدون بأن في التصاقهم بالعرش صونا لحقوقهم ، وابعادا لهم عن منحى الصراعات السياسية والنزاعات الحزبية ، الا أن القصر قد استخدمهم كأداة ضغط فى مواجهة خصومه السياسيين ، بعد أن نجح فى تحويل الأزهريين لنصرته على نحو بدا معه الأزهر جزءا من بنية النظام السياسى للقصر • وتتضح تلك الحقيقة فيما كان من تحريك القصر لمظاهرات الأزهر بغية اثارة المتاعب فى وجه وزارة الشعب - وزارة سعد زغلول - فى محاولة لاحراجها • وأخرى راح يحرض هيئة كبار العلماء لضرب وجود حزب الأحرار الدستوريين فى الحكم وطردهم من الوزارة عندما أثيرت أزمة كتاب « الاسلام وأصول الحكم »(٥) •

---

(٣) دستور الدولة المصرية : صادر بالمرسوم الملكى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣ - القاهرة ١٩٢٣ •

(٤) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ٢ ص ١٣٧ •

(٥) وتعود الأزمة التى فجرها كتاب « الاسلام وأصول الحكم » الى أن المؤلف قد تناول مفهوم الخلافة شرعا واعتبر الخليفة مقيدا فى سلطاته بحدود الشرع لا يتخطاها وأنه اذا جار أو فجر انعزل من الخلافة • وذهب الى أن الزعم بان الخلافة مقام دينى ونيابة عن صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام ، أمر درج عليه السلاطين والملوك حتى يتخذوا من الدين دروعا تحمى عروشهم ، وانتهى الى أن أنظمة الاسلام دينية وليست سياسية ، وأن مبدأ فصل الدين عن الدولة يتطابق مع تعاليم القرآن والسنة • وكان من الواضح أن الكتاب لم يهاجم الخلافة أو الحكومة الدينية فحسب ، بل والنظام الملكى أيضا فى وقت انشغل فيه القصر بالدعوة للخلافة - وكان مؤلف الكتاب هو الشيخ على عبدالرازق من أسرة ضمت العديد من زعامات حزب =

وفيما يتصل بالاتجاه الثـــانى والخـــاص بتبنى القصر لفكرة الخلافة الاسلامية ، فالحاصل أن تركيا قد قامت بالغاء الخلافة فى عام ١٩٢٤ ، اثر قيام الزعيم التركى مصطفى كمال أتاتورك بخلع السلطان عبد الحميـــد . وكان من الطبيعى أن ينتهز القصر تلك الفرصة السانحة كيما يحاول نقل الخلافة الى القاهرة ، تراوده فى ذلك آمال زعامة العالم الاسلامى ، فرجاله من أمثال محمد سعيد باشا وحسن نشأت وكيل الديوان الملكى وقتذاك ، راحوا يروجون لفكرة مبايعة الملك فؤاد للخلافة - فى عهد وزارة الشعب سنة ١٩٢٤ - وشارك الأزهر أيضا بعلمائه فى تبنى الدعوة والترويج لها .

أظهرت الوزارة الوفدية تحمسها لفكرة الخلافة فى بدايتها ، باعتبارها قضية تثير اهتمام الأقطار الاسلامية بما فيهـــا مصر . الا أن الوزارة ما أن أدركت البواعث الحقيقية لتبنى القصر للفكرة ، وأنها ترجع أساسا لمحاولة تقوية كيانه السياسى ودعم شعبيته على حسابها ، حتى امتنعت عن تأييدها بل وحاربتها . على الجانب الآخر تراجع القصر مؤقتا عن الدعوة للخـــلافة باعتبار أن تشدده فى الدفاع عنها من شأنه أن يزيد من صلابة هجوم الوفد عليها ، مما قد يقضى على الفكرة فى مهدها .

ومن الناحية العملية ظل القصر متمسكا بالفكرة الى أن بدت الظروف أكثر ملاءمة فى عهد وزارة زيور الثانية عام ١٩٢٥ ، حيث عقد بالقـــاهرة مؤتمر الخلافة فى ١٣ مايو سنة ١٩٢٦ ، بيد أن الشـــكوك ساورت بعض حكام الدول الاسلامية الأخرى فى نوايا مصر ، وظنوا أن اثارة المسألة ، انما

= الأحرار الدستوريين ، فما كان من القصر الا أن أوعز الى هيئة كبار العلماء بطرد المؤلف من زمرتها ، وعمد فؤاد الى تصعيد الأزمة فى مواجهة حزب الأحرار الدستوريين الذى شارك فى الحكم مؤتلفا مع غيره من أحزاب الاقلية فى وزارة زيور الثانية سنة ١٩٢٥ ، الى أن تمكن من حسم الأزمة لصالحه بطردهم من الوزارة . انظر الشيخ على عبد الرازق : الاسلام وأصول الحكم ، القاهرة ١٩٢٥ ص ٥ وما بعدها .

كان بغرض ضم الخلافة الى عرش مصر ، ومما ضاعف من تلك الشكوك ما كان من ترحيب بريطانيا بالفكرة • ومن ثم فقد بدا واضحا أن مسألة الخلافة قد قوبلت بمصاعب عديدة فى الداخل والخارج ، على نحو غاضنت معه أحلام القصر فيها ، الا أننا سوف نرى كيف قيض للقصر احياء الفكرة فى عهد فاروق فى ظروف كانت أكثر ملاءمة عن سابقتها •

ومهما يكن من أمر فقد أفضت سياسة القصر نحو الأزهر الى فرض هيمنته على تلك المؤسسة الدينية ، ودفعت بها خارج اطارها الدينى الى المعترك السياسى ، وامتدت آثار تلك السياسة الى عهد فاروق ، اذ خاض بالأزهر الصراع ضد الوفد - خصم السراى العنيد - والذى راح يحاربه بنفس سلاحه ، فعمد الى انشاء « اتحاد الأزهريين » ، الذى تشكل تحت راية الوفد ، وما لبث حزب الأحرار أن حذا حذوه فتألفت « لجنة الأحرار الدستوريين بالأزهر » ، فى الوقت الذى نجح فيه فاروق في استمالة الشيخ المراغى - شيخ الجامع الأزهر - اليه منذ البداية ، والذى أولاه ولاء الأزهر التام(٦) •

أما مسألة التتويج الدينى فلم تكن سوى امتداد لتبنى القصر للاتجاه الاسلامى ومحاولة لاحياء فكرة الخلافة والتمهيد لها فى عهد فاروق • وبطبيعة الحال فان الظروف السياسية السائدة وقتذاك كانت مواتية اذ وجدت الفكرة تأييدا بين صفوف الاخوان والأزهر(٧) •

وفيما يتعلق بالاخوان فقد برز حسن البنا - المرشد العام للجماعة - ليكشف عن تأييدهم صراحة للفكرة ، فيما كان من قوله « كان المسلمون فى

---

(٦) عفاف لطفى السيد : تجربة مصر الليبرالية (١٩٢٢ - ١٩٣٦) ص ٢٨٠ •

(٧) وتجدر الاشارة الى أن الأمير محمد على ، وليس الأزهر كان هو صاحب فكرة التتويج الدينى ، أنظر محمد التابعى : مصر ما قبل الثورة ص ٥٧ وما بعدها •

الخلاف يرجعون الى الخليفة .. فاين هو الآن ؟ لابد أن نعمل جميعا على ايجاده »(٨) . بهذا المفاد دعا الاخوان الى الفكرة من منظور ديني ، اذ لم يكونوا قد أعلنوا بعد عن بدء اشتغالهم بالسياسة ، وان كانت دعوتهم تحمل تلميحا بالخلافة لفاروق ، فضلا عن ذلك فان حركة الاخوان كانت تتحسب وقتذاك الصدام مع القوى السياسية الأخرى وفى مقدمتها الوفد ، ولما تكتمل للحركة أسباب القوة بعد .

أما الأزهر فقد رأى فى فكرة التتويج الدينى مجالا لاثبات مظاهر التأييد والمساندة للقصر ، فتعهدها علماؤه وتشيعوا لها وعلى رأسهم الشيخ المراغى . وكان فريق المدافعين عن الفكرة يرى أن الملك لا يحلف اليمين أمام البرلمان ليتلقى بذلك سلطاته منه ، وانما بغرض احترام الدستور والقوانين والمحافظة على استقلال الوطن وسلامته . أما حق الجلوس على العرش فهو يتلقاها أولا بحكم الوراثة ، وأن القول بأن الملك يملك سلطته من البرلمان الذى يمنحه جلوسه على العرش بعد اليمين التى يحلفها أمامه ، لأصبح الأمر شبيها بالنظام الجمهورى أكثر منه بالنظام الملكى الوراثى .

ومن الناحية العملية اتخذ الخلاف حول أزمة الحفلة الدينية الشكل الايديولوجى بين من تشيعوا لها وعلى رأسهم الأزهر ، وبين من عارضوها ونعنى بهم الوفد ومؤيديه . الا أن الحكومة الوفدية قد حسمت الخلاف لصالحها باصرارها على ضرورة أداء الملك اليمين الدستورية أمام البرلمان . فقد كان النحاس يرى فى اقامة الحفل الدينى ، اقحاما للدين فيما ليس من شئونه وايجاد سلطة دينية بجانب السلطة المدنية . بيد أن البواعث الحقيقية لموقف النحاس وان تعددت فقد كان أبرزها محاصرة النفوذ الملكى

---

(٨) الاخوان المسلمون : ١٩٣٦/٦/٢٣ .

والحد من مقومات تعاظمه · هذا الموقف من جانب النحاس لم يكن ليقربه من الملك بطبيعة الحال ، وكان على الاجمال موقفا يفتقد الى الحكمة على حد تعبير السفير البريطانى(٩) ·

ومهما كان من أمر النتائج ، فلقد أفضت الأزمة الى توثق العلاقة بين القصر والأزهر ، وما لبث فاروق أن كشف لرعاياه عن ورعـــه الدينى ، وبايعاز من الشـــيخ المراغى راح ينتظم فى زيارة المســاجد لأداء صلوات الجمعة ، حيث كان يختلط بجماهير المصلين مستكملا بذلك مظاهر تدينــه وورعه ، فأطلق عليه لقب « الملك الصالح »(١٠) · وينبغى الاشارة الى أن تأييد الأزهر ـ كمؤسسة دينية ـ للقصر قد تعدى حدوده الى النـــاحية السياسية ، فلقد أوغل الشيخ المراغى فى النشاط السياسى بشكل ظاهر ، على نحو جعله طرفا فى الخصومات السياسية ، وظهر ذلك من انحيازه المطاق للقصر فضلا عن توثيق صـــلاته بالأحرار الدســتوريين ، الا أنه كان من الواضح أن صلات المراغى بالقصر كانت بمثابة القطب الثابت فى نشــاطه السياسى(١١) ·

بات ظاهرا أن كلا من القصر والأزهر قد حفظ للحـكومة النحاسية موقفها المناوىء من مسألة التتويج الدينى ، واتفق رأى المراغى والقصر على ضرورة اقصاء الوزارة النحاسية واستبدالها بأخرى يرأسها آحمـــد ماهر ويكون النقراشى آحد وزرائها ، آما المسوغ لذلك التغيير فيكون بطلب الملك

---

(٩) Fo : 407/221 : No : 12 : Lampsan to Eden, Aug. 9, 1937, Tel. No : 90

(١٠) مارسيل كولومب : المصدر السابق ص ١٠٥ ·

(١١) طارق البشرى : المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنية ص ٣٨٠

من النحاس حل تنظيمات القمصان الملونة ، بما فيها القمصان الزرقاء التابعة للوفد ، واذا رفض يقوم الملك باقالته(١٢) •

بيد أنه كان من الواضح أن طرفى التحالف قد أغفلا الاعتبارات البريطانية والرغبة فى الابقاء على الحكم الوفدى ، خاصة وأن بريطانيا لم تكن حتى ذلك الوقت قد تخلت عن تأييدها ...حاس فى اطار سياستها الرامية الى تحقيق التوازن بين القصر والوفد ، دون اغفال تجنيب بريطانيا التدخل بشكل سافر فى الصراع بين الطرفين • يتأيد ذلك بما كان من محاولات الجانب البريطانى لتهدئة الأزمة واحتوائها ، فبادر السكرتير الشرقى بالسفارة البريطانية الى مناقشة الاقتراح مع على ماهر والشيخ المراغى - كل على حده - محاولا أن يظهر خطورة تنفيذه والمصاعب المتوقعة من وراء ذلك • وكان السكرتير الشرقى يحاول بذلك اثناء القصر عن نواياه ، وفى الوقت الذى أظهر فيه على ماهر تفهما ، كان الشيخ المراغى يرى بأنها فرصة ذهبية يتعين عدم اهمالها بحال فى الوقت الحاضر(١٣) •

كرد فعل لنوايا القصر نحوها ، راحت الوزارة تعمل على تأكيد شرعية وجودها وتأييد الجماهير لها ، فلجأت الى أسلوبها التقليدى لاستعراض القوة فى مواجهة القصر ، فخرجت جموع الوفديين فى مظاهرات صاخبة تتحدى الملك وتهتف « الشعب مع النحاس » ، وجاء الرد الملكى سريعا اذ عمد المراغى فى المقابل الى تحريك مظاهرات ضخمة من الأزهريين والاخوان تهتف « الله مع الملك » لتؤكد بذلك الصبغة الدينية لحكم القصر(١٤) • على هذا النحو كان القصر - فى عهد فاروق - قادرا على استغلال التيار الاسلامى

(١٢) Fo : 407/221 : No : 21 : Kelly to Eden, Aug. 28, 1937, Tel. No : 480

(١٣) Ibid

(١٤) رفعت السعيد : مصطفى النحاس ص ٧٦ •

بتأييد من الأزهر والاخـــوان ، والتحرك بفـــاعلية تحت ســتار الدعوة الاسلامية ، فى مواجهة مبادىء الوفد الليبرالية ودفاعه عن الدستور ، مما يعد عملا من أعمال المهارة السياسية التى تحتسب للقصر .

بيد أن اقالة حكومة الوفد ، لم تؤرخ نهـــاية للعداء بينه من جانب والقصر والقوى الاســـلامية المؤيدة له من جانب آخر . ففى خطبته بعيـد الفطر ، راح الشيخ المراغى يهاجم بشــدة البعثات التبشيرية ونشــاطها ، وتحول بهجومه الى الأقباط فى شخص مكرم عبيد وأصدقائه منهم ، وامتد هجومه الى النحاس وزملائه من المسلمين ، ودعا المراغى الى توحيـــد كافة المذاهب السنية والزيدية والشيعة حتى لا تتبدد قوة الاسلام فى نزاعات مذهبية(١٥) . وعلى الأثر نظمت « الوفد المصرى » حملة على الشيخ المراغى واتهمته بأنه لا يفهم من أمر الدين شيئا ويسعى الى تفريق كلمــة الأمة ، فانبرت جريدة الاخوان ترد عــلى الحملة وتصف زعمـــاء الوفـد بأقذع الأوصاف(١٦) . على هذا النحو أدرك الوفد ـ خارج الحكم ـ فاعلية الأزهر بشكل خاص كأداة فى يد القصر ، ومن ثم كان سعى زعامته الى فصم عرى التحالف بين القصر والأزهر . وبالفعل فما أن عاد الوفد الى الحـكم فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، حتى بذل السعى لتخفيف قبضة الملك على المعـــاهد الدينية ، أملا فى احتوائها أو تحويلها عن نصرة القصر على أقل تقـدير ، واتخذت الحكومة النحاسية بالفعل العديد من الاجراءات لذلك ، فأنشـأت

---

(١٥) Fo : 407/222 : No : 17 : Lampson to Eden, Feb. 1938, Tel. No : 172

(١٦) وقد بلغ من حدة هجوم الاخوان على الوفد أن تصدر صـحيفتهم مقال بقلم صـالح عشماوى بعنوان « الاسلام بين أنصاره وخصومه » تتضمن بيتا من الشعر جاء فيه :

قوما اذا صفعت النعـال وجوههم
شـكت النعـــال لأى ذنب تصـفع

انظر زكريا سليمان بيومى : الاخوان المسلمين ص ٢٢٢ .

فى مجلس الوزراء ادارة للشئون الدينية وعين الشيخ محمد البنا مديرا لها وكان معروفا بميوله الوفدية وأصبح همزة الوصل بين النحاس وقيادات الأزهر · كما قامت بتوثيق صلات الإتحاد الأزهرى بالسكرتارية العامة للوفد ، ومن هذه الاجراءات أخيرا قيامها باعداد مشروع لتحسين أحوال العلماء والمدرسين والخريجين من المعاهد الدينية ، الا أنها علقت تنفيذه على اقصاء المراغى عن مشيخة الأزهر(١٧) ·

ولم تدخر الحكومة النحاسية وسعا فى محاولاتها للقضاء على مظاهر تأييد الأزهر للملك ، ففى مناسبة عيد ميلاد فاروق تحركت جموع من الطلبة الأزهريين الى قصر عابدين يوم ١٣ فبراير لتهنئته ، وكانت الحكومة قد وافقت فى البداية على أن يذهب وفد منهم الى عابدين ، دون السماح بتجمع حشودهم · الا أنه ما أن وصل طلاب الأزهر الى عابدين ، حتى طلب البوليس منهم التفرق ، وقام باطلاق النيران عليهم فاعتصم الطلبة بالأزهر(١٨) ·

بدت الفرصة سانحة للحكومة لكى تقتص من قيادات الأزهر الموالية للملك ، وكانت المناسبة ما جرى من اعتصام طلبة الأزهر ، وتأييد بعض المشايخ للطلبة ، فأصدر النحاس فى ١٦ فبراير أمرا بالقبض على خمسة من مشايخ الأزهر منهم أحمد حسن الباقورى عميد معهد شبين الكوم وعبد اللطيف دراز عميد معهد الزقازيق وسكرتير شيخ الأزهر والشيخ عبد العزيز نوار من معهد القاهرة ، وكانت التهم الموجهة اليهم هى عجزهم

---

(١٧) حسن يوسف ، مذكرات ص ٢٣٢ ·

(١٨) Fo : 371/25530 : No : 11 : Weekly Political and Economic Report, Feb. 16, 1943

عن المحافظة على النظام فى معاهدهم ، مما أثار نقمة الملك وسخطه(١٩) • وفى مواجهة سياسة الوزارة المتشددة ، بدأ القصر يتراجع ويعمد الى المهادنة فمن جهة راح أحمد حسنين يتوسط لدى النحاس لاطلاق سراح المشايخ المعتقلين(٢٠) •

ومن جهة أخرى راح أحمد حسنين يبدى اعتراضه للنحاس على محاولاته لاقحام الأزهر فى السياسة اشارة الى تشكيل الاتحاد الأزهرى تحت اشراف الوفد ، ولم يكن الشيخ المراغى بدوره أقل اعتراضا على انشاء تنظيم وفدى بين طلاب الأزهر(٢١) • وامتدت تلك المهادنة من جانب القصر الى مسألة تعيينات الأزهر ، فرغم أن السفير البريطانى كان يتوقع صداما حادا بين القصر والحكومة ، باعتبار أن هذه المسألة سوف تكون بمثابة اختبار قوة لكلا الطرفين ، وبات التساؤل المطروح هو ما اذا كان الملك سوف ينفرد بالتعيينات الجديدة للمجلس الأعلى للأزهر ، أم أنها سوف تتم بواسطة الملك بناء على طلب الحكومة ؟(٢٢) • وعلى الرغم من حرص القصر دائما على الانفراد بهذه التعيينات دون الرجوع للوزارة مهما كان لونها السياسى ، الا أنه أحنى رأسه للعاصفة بتعيين من رشحهم النحاس لعضوية المجلس الأعلى للأزهر وصدر المرسوم الملكى بأسمائهم(٢٣) •

والحقيقة أن هذه السياسة من جانب القصر قد أغرت الحكومة الوفدية

---

(١٩) Ibid

(٢٠) Ibid

(٢١) Fo : 371/35532 : No : 18 : Weekly Political and Economic Report, April 10, 1943

(٢٢) Fo : 371/35529 : No : 5 : Weekly Political and Economic Report, Feb. 3, 1943

(٢٣) Ibid : No : 8 : Weekly Political and Economic Report, Feb. 3, 1943

على التمادى فى محاولاتها لبسط نفوذها على الأزهر فضلا عن احتواء النفوذ الملكى به ، فيعمد النحاس الى زيارة الأزهر وتستقبله مجموعة من المدرسين ، وذلك بدوره حرك مشاعر الولاء للوفد بين أوساط العلماء والطلبة ، وأشارت تقارير البوليس الى أن بعضا منهم قد أظهر اعتراضه على تلميحات زملائهم الموالين للقصر(٢٤) .

عند هذا الحد ينبغى الاشارة الى الاعتبارات الموضوعية التى انبنت عليها سياسة القصر فى مواجهة محاولات الحكومة الوفدية التى بذلتها للاستيلاء على الأزهر . فمن هذه الاعتبارات **أولا** : ادراك القصر بأن مساعى الوفد للتدخل فى الأزهر وبسط نفوذه عليه ، انما هى فى الواقع رهن ببقائه فى الحكم ، وأن نفوذ القصر على تلك المؤسسة الدينية سوف يعود حتما حالما يخرج الوفد من الوزارة . ومنها **ثانيا** : أن أية محاولة من جانب القصر للقضاء على نفوذ الوفد فى الأزهر فى هذا الوقت سوف يكتب لها الفشل طالما استمر التأييد البريطانى للحكومة الوفدية قائما . ومن هذه الاعتبارات أخيرا أن أحداث ليلة ٤ فبراير ١٩٤٢ وآثارها ، كانت من الناحية العملية من عوامل التثبيط للقصر ، لا يمكن التقليل من شأنها . وعلى الاجمال فلم يكن القصر بحاجة الى مزيد من الصدام مع الحكومة الوفدية تحسبا لمخاطر غير محسوبة النتائج .

وعلى الرغم من ذلك فيمكن القول بأن القصر قد استمر فى محاولاته لتدعيم علاقته بالأزهر دون أن يؤدى ذلك الى الصدام مع الوفد الذى لم يكن بدوره أقل حرصا على ترسيخ وجوده بالأزهر . وبدأ بالفعل التسابق بين

---

(٢٤) Fo : 371/35336 : No : 30 : Weekly Political and Economic Report, July 2, 1943

الطرفين فى هذا المجال ، فيحضر الملك وبصحبته الشيخ المراغى احتفالات الأزهر بمناسبة بدء العام الهجرى الجديد ، فى الوقت الذى بعث فيه النحاس برسالة اذاعية من قصر الزعفران الى العالم الاسلامى بهذه المناسبة(٢٥) . ومن ناحية أخرى راح المراغى - بايعاز من الملك - يلقى دروسا فى التفسير بالمساجد حافلة بالهجـوم المستتر على الوفد . وفى المقـابل عمد الوفد لتحريك أنصاره داخل الأزهر ضـد المراغى فتجددت الاضرابات ضده فى يناير ١٩٤٣ . وراحت الحكومة تتخذ الخطوات العملية لابعـاد المراغى عن مشيخة الأزهر ، باعتباره رأس الولاء للقصر فى الأزهر ، وتقدم بالفعل عدد من شيوخ الأزهر باقتراح للملك بتعيين شيخ جديد للجامع الأزهر(٢٦) . وكان من الواضـح أن هـذا الاقتراح تم الترتيب له واعـداده بمعرفة الحكومة(٢٧) .

على الجانب الآخر راح الشـيخ المراغى يوضح أبعاد هـذا الاقتراح للمستشار الشرقى بالسفارة البريطانية ، من أن الخلاف لم يكن معه - أى مع المراغى - ولكنه بين الملك والنحاس ، الذى وجه دفة الخلاف مع القصر بطلب تعيين شيخ جديد للأزهر(٢٨) . وكان أن رفض الملك الموافقة عـلى اقصاء المراغى ، بينما أصر النحاس على موقفه بدعوى أن التعيينات فى مثل هذه المناصب أو الاقالة منها ، انما هى شأن من شئون الحكومة ، وذلك لكى يظهر بمظهر المدافع عن الدستور(٢٩) .

---

(٢٥) Fo : 371/35529 : No : 5 : Weekly Political and Economic Report Feb. 3, 1943

(٢٦) طارق البشرى : المصدر السابق ص ٣٨٠ .

(٢٧) Fo : 371/41318 : 83 : Weekly Political and Economic Report, July 7, 1944

(٢٨) Ibid

(٢٩) Vatikiotis, P. J : The Modern History of Egypt : P : 353

يفهم من هذا أن الحكومة الوفدية قد أوغلت فى الأزهر على نحو تهددت معه عملا ركائز نفوذ القصر فيه ، خاصة وأن القضية هنا تتصل بشكل أساسى بالمراغى شيخ الأزهر ورجل القصر • على ذلك يمكن القول بأن القصر بدأ يتخلى عن سياسة المهادنة مع الحكومة فى هذا الصدد ، وراح يتحرك من جديد فى اتجاهين ، **أولهما** : محاولة جذب الجانب البريطانى الى دائرة الأزمة من خلال التقارب معه ، **والثانى** : استعادة التوازن المفقود فى وجه محاولات الحكومة الوفدية لتدعيم نفوذها بالأزهر •

وفيما يتصل بالاتجاه الأول فتشير الوثائق البريطانية الى ظهور دلالات عدة على رغبة حارة للشيخ المراغى فى تحسين علاقاته مع السفارة البريطانية(٣٠) • وراح يظهر اذعانه لفكرة استمرار الوفد فى الحكم ، طالما أنه لن تكون هناك فى الوقت الحالى حكومة أخرى أقل سوءا من الحكومة الوفدية(٣١) • وذلك فى محاولة منه لتهدئة خواطر السفارة البريطانية عن عدائه والقصر للحكومة • بيد أنه لم يقيض النجاح لهذا الاتجاه ، وذلك بسبب اعراض الجانب البريطانى عن التدخل فى شئون الأزهر باعتباره مؤسسة دينية(٣٢) •

أما عن الاتجاه الثانى ، فينبغى الاشارة الى أن تحرك القصر فيه كان أكثر فاعلية عن سابقه • من ذلك فقد تمخضت محاولات الوزارة الرامية لاضعاف مركز الشيخ المراغى ، عن تقديم الشيخ استقالته احتجاجا على أعمال

---

(٣٠) Fo : 371/35336 : No : 32 : Weekly Political and Economic Report, July 15, 1943

(٣١) Ibid

(٣٢) Fo : 371/41318 : No. : 83 : Weekly Political and Economic Report July, 1944

الحكومة ضده ونتيجة لرفض القصر للاستقالة ، فقد تم التوصل الى اتفاق منح الشيخ بمقتضاه أجازة مرضية مفتوحة(٣٣) . وعلى الرغم من ذلك فقد أصر الملك على حضور الشيخ المراغى لصلوات الجمعة التى كان يؤديها الملك فى المساجد ، مما أعطى الانطباع بأن المراغى لا يزال شيخا للأزهر ، الأمر الذى كانت تعارضه الحكومة ، خاصة وأنها اذا ما أقرت القصر على مسلكه ، فان ذلك يعنى صراحة اعترافها بأن المراغى لا يزال شيخا للأزهر(٣٤) .

على كل حال كانت الوزارة قد قررت حسم المسألة ، وبناء على توصيات النحاس سأل أمين عثمان السفير البريطانى النصيحة ، والذى قرر بدوره أنه لا يمكنه التدخل فى مثل هذا النزاع الدينى بين القصر والحكومة ، وأنه يتعين على رئيس الوزراء ابعاد الأزهر عن الخلاف بين الطرفين باى شكل(٣٥) . على هذا النحو بدت السفارة البريطانية عازفة عن التدخل بين الطرفين فى النزاع حول الأزهر وعمدت الى اتخاذ موقف محايد ازاء الأزمة ، وهذا بدوره كان باعثا للحكومة لكى تتراجع عن موقفها بعد أن أدركت مخاطر الصدام مع القصر ، دون تأييد بريطانيا لها .

الا أنه باقالة الوزارة النحاسية فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ، بدت الفرصة سانحة للقصر لتقويض النفوذ الوفدى بالأزهر . اذ قامت وزارة أحمد ماهر ، التى خلفت الوزارة النحاسية فى الحكم ، باعادة الشيخ المراغى لمباشرة أعماله وساد اعتقاد بين أوساط الطلبة ، بأن تامين بقائه فى منصبه سوف يكون حافزا للطلبة اللاوفديين لكى يقوموا بالدعاية ضد الوفد فى قراهم

---

(٣٣) يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٥٤ .

(٣٤) Fo : 371/41318 : No : 90 : Weekly Political and Economic Report, Aug. 26, 1944

(٣٥) Ibid

وبلادهم ، وذلك فى الانتخابات التى قررت الوزارة اجراءها(٣٦) • على هذا النحو بدأ القصر فى استعادة نفوذه على الأزهر والمعاهد الدينية مرة أخرى • وظهر ذلك فى تعيين الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخا للأزهر خلفا للمراغى بعد وفاته ، وكانت عائلته من زعامات حزب الأحرار الذين ارتبطوا بالقصر بروابط الولاء وقتذاك(٣٧) •

ويلاحظ أنه بوفاة المراغى كادت الساحة أن تخلو من أى صراع دار حول الأزهر وكان القصر طرفا فيه ، وذلك مرجعه الى أن الوزارات التى تولت الحكم بعد ذلك وحتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، كانت وزارات ذات صبغة ملكية خالصة ، استمدت من القصر سلطاتها فى الحكم ومقومات استمرارها فيه ، ومن ثم لم تكن لتخرج عليه أو تنازعه نفوذه على تلك المؤسسة الدينية • ثم أن القصر كان قد أحكم رقابته على الأزهر من خلال البوليس السياسى ، الذى كان يرفع تقاريره للملك بشكل دورى(٣٨) • يضاف الى ذلك فان مشيخة الأزهر ذاتها لم تشهد رجالا أمثال المراغى والظواهرى من حيث ايغالهم فى النشاط السياسى لصالح الملك(٣٩) ، انما تولاها نمط من الشيوخ انحصر اهتمامهم فى شئون الأزهر دون العمل السياسى(٤٠) •

---

(٣٦) Fo : 371/45930 : No : 107 : Weekly Political and Economic Report, Dec. 11, 1944

(٣٧) الكتلة : ١٩٤٦/١/١ •

(٣٨) جمال سليم : البوليس السياسى يحكم مصر ١٩١٠ - ١٩٥٢ ص ١٠٣ •

(٣٩) طارق البشرى : المصدر السابق ص ٢٨١ •

(٤٠) عندما توفى الشيخ مصطفى عبد الرازق خلفه الشيخ محمد مامون الشناوى فى يناير ١٩٤٨ ، حيث كان الأزهر يموج بفتنة طائفية بين ابناء مصر السفلى وأبناء مصر العليا ، الا أنه استطاع القضاء عليها • وفى ٧ أكتوبر ١٩٥٠ تم تعيين الشيخ عبد المجيد سليم شيخا للأزهر •
انظر عبد المتعال الصعيدى : تاريخ الاصلاح فى الأزهر ، مطبعة الاعتماد - القاهرة ١٩٥٠ ص ١٢٥ - ١٣٩ •

وحتى عند عودة الوفد الأخيرة للحكم فى عام ١٩٥٠ ، بدا أكثر لينا وميلا لممالاة القصر ، وكان من الطبيعى أن ينعكس ذلك على علاقة الطرفين بالأزهر ، وبدا ذلك واضحا عندما وافق الملك فى ٨ أكتوبر ١٩٥٠ على تعيين الشيخ عبد المجيد سليم شيخا للأزهر ، وكانت الوزارة قد أعدت مشروعا لتحسين أحوال الأزهريين ومساواتهم برجال التعليم فى الجامعات والوزارات الأخرى ، الا أن المشروع تعثر مما أهاج الرجل ، ونشرت الصحف حديثا له فى ٢٩ أغسطس ١٩٥١ ، أشار فيه الى أن الحكومة تضن بالمال على رجال الأزهر ومشروعاته ، وألمح بهجومه الى مباذل الملك واسرافه بقوله « تقتير هنا واسراف هناك » مما عده الملك هجوما عليه ، فأمر بعزله وكانت الوزارة قد أوعزت اليه بالاستقالة ، فاستقال بالفعل فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٥١(٤١). يفهم من هذا أن علاقة الحكومة النحاسية الأخيرة بالأزهر لم تكن سوى جانب من سياستها نحو القصر وتتذاك ، وهى سياسة كان مبناها التفاهم والممالأه ، دون أن يعنى ذلك تراجعا لأهمية الأزهر كمؤسسة دينية .

ولا شك فى أن نجاح القصر فى فرض هيمنته على الأزهر ، جاء فى وقت كان الاتجاه الاسلامى يحتل مكانته فى سياسة القصر بصدد محاولة تقوية مكانته السياسية . ولقد أسهم الأزهر بشكل حيوى فى صياغة سياسة القصر الاسلامية بالترويج لها مما بدا واضحا عندما أثيرت مسألة الخلافة ، اذ تمكن القصر من أن يستخدم الأزهر بمهارة محسوبة فى صراعاته السياسية وبخاصة فى مواجهة القوى الوطنية باتجاهاتها الليبرالية وفى

---

(٤١) وكان الملك فى هذا الوقت يصطاف بالخارج فارسل اشارة لاسلكية من اليخت الملكى الى الديوان يأمر فيها بعزل شيخ الأزهر ، وعينت الوزارة الشيخ ابراهيم حمروش بدلا منه ، والذى أصدر فتوى باباحة دم الانجليز فى منطقة القناة ، فأبعد بدوره عن المشيخة ، ليعود اليها الشيخ عبد المجيد سليم مرة أخرى فى عهد وزارة على ماهر الثالثة فى ١٠ فبراير سنة ١٩٥٢ . انظر محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ١٧٥ ، كذلك حسن يوسف ، مذكرات ص ٢٣٦ - ٢٣٨ .

مقدمتها الوفـد • حقيقة أنه منذ أوائل عهد فاروق شهدت الساحة تصاعدا للتيار الاســلامى من جديد وبشكل قوى من خلال دعوة التتويج الدينى للملك فاروق ، فى محاولة لجذب مزيد من التأييد الشعبى للقصر باضــفاء الطابع الدينى على حـكمه •

ورغم المصـاعب التى واجهتها تلك الدعوة من جانب الحـكم الوفدى بعد أن أدرك نوايا القصر من ورائها ، الا أن ذلك لم يكن ليقلل من حجم الدور الذى لعبه الأزهر بصدد التأكيد على الطابع الاسـلامى لحـكم القصر وقتذاك ، وهذا بدوره قد أغرى الوفـد على منازعة القصر نفوذه على تلك المؤسسة الدينية ، حقيقة أن نجاح الوفـد فى هذا الصدد كان رهنا بالفترات المحدودة التى تولى فيها الحـكم ، وهذا قد هيأ الاستمرار لهيمنة القصر على الأزهر ، ولا ينبغى فى المقابل اغفال ذلك الدور الذى لعبه الاخوان المسلمون - الى جانب الأزهر - فى مساندة التوجهات الاسـلامية للقصر والتى مهدت بالضرورة لظهوره على الساحة العربية •

القصر والفـكرة العربية :

منـذ منتصف الثلاثينات بدأت الفـكرة العربية تجد سبيلها الى القصر الذى كان يموج وقتذاك بالتيار الاسـلامى على نحو ما مر بنا • والواقع أن تأخر ظهور الفـكرة العربية فى مصر بشكل عام كانت له أسبابه الموضوعية وبواعثه • فمن ناحية كان هناك اعتقاد سـائد مؤداه أن الفـكرة العربية تتناقض بروح الاسـلام وعلى ذلك فقد كانت الوحدة الاسـلامية وليست العربية هى الهدف ، ومما سـاعد على تقوية هذا الاعتقاد أن الفـكرة العربية التى نشأت فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، بما كانت تعنيه من توحيد البلاد العربية ، قد وجدت اهتماما واسـعا بين مفـكرى بلاد الشـام وبين مسيحى لبنـان بوجه خاص نظرا للظروف التى كان يمر بها وباقى بلاد

الشام من حيث وقوعها تحت ضغط الاستعمار الأوروبى الذى مارس صنوفا من القهر والاستعباد عليها ٠

ومن ناحية أخرى فان حصول مصر على الاستقلال الذاتى بمقتضى معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ قد أضفى عليها طابعا متميزا الى حد ما عن الأقطار العربية الأخرى الخاضعة للحكم العثمانى ، وان ظلت مصر على تعاطفها معه ٠ ولقد كان ارتباط مصر بالحكم العثمانى يمثل لها مظهرا للخلافة الاسلامية ، ولا ريب فى ان الارتباط بحركة الجامعة الاسلامية والحكم العثمانى وان كان يشكل لمصر وسيلة للنضال ضد الاحتلال البريطانى ، الا أنه كان من جانب آخر يباعد بينها وبين الفكرة العربية ٠ حقيقة أننا نكاد نرصد اهتمامات مصر فى أعقاب الحرب العالمية الأولى بأحداث سورية وفلسطين وبرقة ، الا أنها لم تكن لتنبىء عن توجه عربى ، بقدر ما أملتها بواعث اسلامية ٠ ثم ان انصراف القوى السياسية فى مصر الى قضية الجلاء بشكل أساسى قد ساعد أيضا على تزايد عزلتها عن التأثيرات العربية ٠

وتبدو المفارقة كبيرة فى أن التيار العربى قد قيض له أن يظهر فى مصر بشكل أكثر وضوحا من خلال التيار الاسلامى ذاته ٠ فلقد تكونت جمعية « الرابطة الشرقية » فى مارس ١٩٢٢ وكان يرأسها شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، وكان الشيخ رشيد رضا — وهو من أبرز دعاة الاتجاه الاسلامى — نائبا لها ٠ وكان من أغراض الجمعية التى تحددت فى صلب قانونها توثيق روابط التعارف والتضامن بين أمم الشرق على اختلاف أجناسها وتحقيق الرقى لها ٠ ولقد ضمت الرابطة العديد من رجال الدين والأدب والقانون والصحافة وبعض الموظفين والتجار ٠

والملاحظ أن مجلس ادارة الجمعية هو أول مجلس يتكون من عناصر وأجناس مختلفة حيث ضم المصريين الى جانب الأتراك والفرس والسوريين ،

مسلمين ومسيحيين ورغم وجود عناصر اسـلامية قوية ـ على نحو ما مر بنا ـ كافية لصبغ الجمعية بالصبغة الاسـلامية ، فقد كانت هناك عناصر علمانية تكفى لاضفاء الصبغة العلمانية عليها مثل أميل زيدان ومحجوب ثابت وأحمد شفيق باشا • الى جانب ذلك كانت هناك عناصر عربية تكفى لاضفاء الصبغة العربية عليها مثل أميل زيدان وأحمد زكى •

ولقد لقيت الفـكرة الشرقية ارتياحا بين قطاعات كبيرة من المثقفين الذين رأوا فيها حلا توفيقيا بين الفـكرتين العربية والاسـلامية ، فى وقت كانت فيه الفـكرة العربية قد بدأت تنتشر فى مصر من خلال الجمعيـات والنوادى ، فتكونت جمعية الوحدة العربية عام ١٩٣٨ وكذا رابطة العروبة ، بينما تأسس الاتحاد العربى سنة ١٩٤٢ وضم كبار الشخصيات السياسية أمثال على ماهر ومحمد على علوبة وتوفيق دوس وغيرهم وكان من الواضح أنه قد جرى انشاؤه بمبادرة ملـكية بالنظر الى الدور البارز الذى لعبه لخـدمة القصر •

واذا كانت « مصر الرسمية » قد ظلت حتى عام ١٩٣٦ بعيدة عن مجال الحركة العربية بشكل فعال ، فينبغى الاشارة الى أن التوجه الاسلامى للقصر الذى ظهر واضحا فى تلك الفترة كان عاملا حيويا لجذبه ـ أى القصر ـ الى دائرة العـروبة ، ولقد ظهر ذلك من خـلال تبنيه للدعوة الى عقـد المؤتمر البرلمـانى العربى والاسـلامى لنصرة قضية فلسطين بالقـاهرة فى أكتوبر سنة ١٩٣٨ ، وكذا ايفاد على ماهر ـ رئيس الديوان الملـكى ـ الى لنـدن سـنة ١٩٣٩ لحضـور مؤتمر الدائرة المسـتديرة الذى اشتركت فيه مصر والعراق والمملكة العربيـة السعودية واليمن وشرق الأردن • والواقـع أن على ماهر لم يكن بمنأى عن توجيه سياسة القصر وجهة عربية ، يتأيد ذلك بأن وزارته الثانية قد ضمت بين صـفوفها ثلاثة من المدافعين عن العروبة

والاسلام وهم عبد الرحمن عزام وصالح حرب ومحمد على علوبة(٤٢) ٠

ومن الناحية العملية بدت الفكرة العربية تشكل مجالا حيويا للتنافس بين القصر والوفد ، وظهر ذلك واضحا فيما كان من تصريح النحاس فى ١٦ فبراير سنة ١٩٤٢ بأن مصر ترتبط بصلات وثيقة بالشعوب العربية ، ولقد تأكد « الاتجاه العربى » لدى الوفد فيما أشار اليه النحاس بخطاب العرش أمام مجلس البرلمان فى ٣٠ مارس من نفس العام ، حين أعلن أنه قد آن لمصر أن توجه قسطا أكبر ونصيب أوفى من العناية بتوطيد صلاتها مع الدول العربية ٠ وبالفعل شهد عام ١٩٤٣ تحولات حاسمة فى موقف الوفد تمثلت فى المطالبة بتكوين اتحاد عربى ٠

واذا كنا بصدد رصد هذه التحولات من قبل الوفد ، فيمكن القول بأنها قد بدأت بزيارة الوفد الصحفى الفلسطينى للقاهرة فى يناير عام ١٩٤٣ بناء على دعوة محمود أبو الفتح نقيب الصحفيين وكان وفديا ٠ يضاف الى ذلك ما كان من قيام النحاس بزيارة فلسطين فى ٩ يونية ١٩٤٣ ، وهذه بدورها قد أظهرت اهتمامات الدوائر العربية هناك بدعوة الوفد العربية ٠

ولا ريب فى أن تحركات الوفد العربية على هذا النحو كانت وثيقة الصلة بمشروع الانجليز وخطتهم لاقامة الجامعة العربية ، دون أن تكون بحال تحركات ذاتية للوفد ويتأيد هذا القول بأنه ما أن ترك الوفد السلطة حتى

---

(٤٢) لمزيد من التفاصيل عن نشأة الفكرة العربية وتطورها أنظر عاصم الدسوقى : مصر والحرب العالمية الثانية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٦ ص ٢٧٠ ، محمد جمال الدين المسدى وآخرين : مصر والحرب العالمية الثانية ص ٢٨٠ وما بعدها ، أحمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة المجلة التاريخية « الموسم الثقافى » ١٩٧٢ — ١٩٧٣ ص ١٩٦٣ — ١٩٦٤ ، عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩٣٧ — ١٩٤٨) ج ٢ ص ٣٢٥ وما بعدها ، أنظر كذلك هيوج ماكليف : الملف السرى للملك فاروق ص ٦٥ ٠

انحسر اهتمامه عن القضـايا العربية وانصرف الى مشـاكله وصراعاته فى الداخل .

على الجانب الآخر استمر القصر على اهتماماته بتبنى الاتجاه العربى وتدعيم مكانته على الساحة العربية ، ومن الدلائل على ذلك أنه فى أواخر عام ١٩٤٦ أرسل الملك فاروق احتجاجه للسلطات الفرنسية فى لبنان على اعتقال الشيخ بشارة الخورى وبعد الافراج عنه أرسل اليه كبير الياوران للتهنئة مع أربعة من رؤساء تحرير الصحف فى مصر ، وامتد نشاط البعثة فاستقبلت وفدا من المراكشيين هناك كانوا قد وفدوا الى لبنـان للمطالبة بالغاء الحماية الفرنسية والأسبانية(٤٣) .

ومن هذه الدلائل أيضا أنه ما أن وقع انقلاب حسنى الزعيم فى سوريا فى ٣ ابريل سنة ١٩٤٩ ، حتى حضر قائد الانقلاب الى مصر وقابل الملك فاروق فى ٢١ ابريل بانشاص وانتهى الاجتماع الى الموافقة بالمناداة بفاروق ملـكا على سـوريا وأن يكون حسنى الزعيم نائبه فى دمشق ، على أن يعين عبد العزيز بدر - محافظ القناة وقتذاك - ليكون وزيرا مفوضا لمصر فى دمشق . وعندما انتخب حسنى الزعيم رئيسا لسوريا بالتزكية فى ٩ يونية سنة ١٩٤٩ أرسل الملك فاروق بعثة للتهنئة برئاسة ياوره الفريق عمر فتحى فالقى كلمة فى الاحتفال أشار فيها الى أن الملك فاروق عندما يتحدث عن سوريا فهو لا يريد ضما أو فتحا بل يريد اتحادا معها(٤٤) . واذا كانت تلك

---

(٤٣) حسن يوسف : المصدر السابق ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٤٤) وقد لعب كل من نذير فنصه سكرتير حسنى الزعيم وكريم ثابت المستشار الصحفى للملك الدور الأساسى فى التقارب مع سوريا ، الا أن فشل الفكرة كان راجعا الى تعارضها مع النظام الأساسى للجامعة العربية الذى نص على استقلال كل دولة من دولها. بالاضافة الى =

الدلائل تعكس جانبا من اهتمامات القصر العربية ، فاننا سوف نرى كيف سعى الى تأكيد مكانته العربية من خلال الجامعة العربية والقضية الفلسطينية .

- اتجاهات القصر العربية واثرها على نشأة الجامعة العربية :

كان قيام الجامعة العربية نتاجا طبيعيا لاختمار الفكرة العربية وبلوغ التيار العربى ذراه ليس فى مصر فحسب بل وفى الأقطار العربية الأخرى ، وعلى الرغم من ذلك فان المقدمات التى سبقت اعلان قيام الجامعة العربية والتمهيد لها قد جعلتها تبدو وكأنها « نبت بريطانى » ، فقد صرح وزير خارجية بريطانيا فى ٩ مايو ١٩٤١ بأن انجلترا تنظر بعين العطف الى دعوة بين العرب لتقوية وحدتهم الثقافية والاقتصادية والسياسية ، على أن يكون هذا التمهيد نابعا من العرب أنفسهم وراح يؤكد على هذا المضمون فى تصريح آخر مماثل فى ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٣ مما كان يعنى أن بريطانيا تدعو الدول العربية الى الانتظام فى منظمة اقليمية واحدة « جامعة الدول العربية » وواقع الحال أن تلك الدعوة من جانب انجلترا لم تكن سوى محاولة منها لامتصاص موجة الغضب العربى والعداء لها خلال أزمة الحرب العالمية الثانية وتسليما من جانبها بقوة الفكرة ، داعيها فى ذلك أمل السيطرة على تلك المنظمة حفاظا على مصالحها فى المنطقة اذا ما اضطرتها الظروف الى التخلى عن مصر وبقية مناطق النفوذ ، وهذا بدوره كان احتمالا قائما خلال الحرب العالمية الثانية(٤٥) .

= أن الدستور المصرى لايجيز للملك تولى أمور دولة أخرى الا بموافقة البرلمان ، وأخيرا فان انقلاب الكولونيل سامى الحناوى فى سوريا فى ١٤ اغسطس سنة ١٩٤٩ قد قضى على الفكرة تماما . أنظر المصدر السابق : ص ٢٠٨ - ٢١٠ ، كذلك حسنين كروم : عروبة مصر قبل عبد الناصر ، ج ٢ : ص ٨١ وما بعدها .

(٤٥) أنظر عاصم الدسوقى ، المصدر السابق ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

والتصريح البريطـاني بهذا المفاد لم يكن عملا سوى مزايدة سياسية اقتضتها ظروف الحرب ، اذ أعلنت الحكومة الألمـانية أنه فى حالة كسبها للحرب فانها تضمن سلامة الدول العربية وتؤيد استقلالها وتعمل على ايجاد اتحاد فيما بينها • وعن توقيت التصريح الألمـاني فينبغى الاشارة الى أنه قد صدر فى وقت كانت فيـه القوات الألمـانية تحاول احتـلال جزيرة كريت تمهيدا لاحتلال سوريا والعراق اذا ما نجحت ثورة رشيد على الكيلانى فى العراق ، الأمر الذى دعا بريطانيا الى اصدار تصريحات لكى تهدىء من روع الدول العربية(٤٦) •

ولا شك فى أن صدور التصريح البريطـاني على هذا النحو ، كان خليقا بأن يورث الفـكرة ريبة العرب وشكوكهم نحو المقاصد الحقيقية لبريطـانيا من وراء تلك الدعوة بيد أن هذا الاتجاه كان يلقى من يعارضه من أنصـار الفكرة العربية ذاتها ، فلقد رأى عبـد الرحمن عزام ـ أول أمين للجامعـة العربية ـ أن الجامعة العربية لم يكن بوسعها أن تقوم ما لم يعمـل العرب أنفسهم على انشائها(٤٧) •

---

(٤٦) وحيد الدالى : اسرار الجامعة العربية ، مكتبة روزاليوسف ـ القـاهرة ١٩٨٢ ، ص ١٦ •

(٤٧) جميل عارف : صفحات من المذكرات السرية لعبد الرحمن عزام ، ج ١ : المكتب المصرى الحديث ـ القاهرة د• ت : ص ٢٦١ •

ويؤيد بعض المؤرخين هذا الاتجاه ، فيشير مارسيل كولومب الى أن ما تردد عن أن الجامعة العربية تدين بوجودها لوزارة الخارجية البريطانية هو فى واقـع الأمر حكم مبتسر لا يمكن الأخذ به أو الاسهام فيه ، فما وعدت به بريطانيـا من دعمها الكامل لأية خطوة يمـكن أن تحوز موافقة عربية عامة ، لم يكن سوى تمش مع مقتضيات الحال ، بعـد أن خمدت الثورة العراقية بالكاد • فى ذلك الوقت كان الفيلق الافريقى يهدد مصر ، فضـلا عن تزايد دعاية المـانيا مما حدا ببريطانيا الى اصدار التصريح • انظر مارسيل كولومب : المصدر السابق ، ص ٢١٢ •

عند هذا الحـد يتعين الاشارة الى أن مفهوم « الوحـدة العربية » كان قائما بالفعل فى مصر كدعوة روجت لها الجماعات الأيديولوجية بشكل خاص فالحزب الوطنى الاسـلامى « مصر الفتاة » قد جعل من تحقيق الوحدة العربية ثانى أهدافه التى تضمنها برنامجه الذى أعلنه فى مارس ١٩٤٠ والاخوان المسلمون بدورهم قد شجعوا تلك الدعوة على أساس وحدة العقيدة الاسلامية باعتبار أن العرب هم أمة الاسـلام الأولى وشعبه المتميز . وبعبارة أخرى فان تقدير الاخوان لدعوة الوحـدة العربية جاء باعتبار أنها أداة رئيسية لتحقيق الوحدة الاسـلامية يسبقها تحرير كل الأقطار الاسلامية(٤٨) .

هذا بدوره كان كافيا للتدليل على أن الفـكرة كانت لها جذورها فى مصر ولا يحد من ذلك أن أيا من الاخوان المسلمين أو مصر الفتـاة لم يطرح برنامجا أو تصـورا للشـكل الذى تنتظم فيه البلاد العربيـة لتحقيق تلك الوحدة .

ومهما يكن من أمر فلقد وجد القصر فى الدعوة للجامعة العربية فـكا لاساره ومحاولة للخروج من الجمود الذى فرض عليه بعودة الوفـد الى الحـكم فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ . وكانت الساحة العربية هى المكان الذى اختاره القصر فى مواجهة الحـكومة الوفـدية وبرلمانها . وينبغى الاشارة الى أن عدة عوامل قد تجمعت فى الأفق كانت تشجع القصر على التحرك بخطى واسعة نحو الاتجاه العربى وقتذاك ، فمنها **أولا** : أن فكرة توحيد الأقطار العربية كانت محورا لتأييد ودعوة القوى الأيديولوجية ممثلة فى مصر الفتاة والاخوان المسلمين ، دون اغفـال لطبيعة علاقة تلك القوى بالقصر ، فقـد كان من المحقق أن تاييدها لتحركاته العربية سوف يسهم فى انجاحها .

---

(٤٨) عاصم الدسوقى : المصدر السابق ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٧ .

ومنها **ثانيا** : أن توجهات القصر العربية لم تكن لتلقى معارضة الجانب البريطـانى أو تثير شكوكه ، على العكس فقد كانت موضع تأييده ، خاصة وأن بريطـانيا قد سبق لها أن أعلنت عن تعاطفها مع فـكرة الجامعة العربية ، ولم تكن حركة القصر لتخرج بحال عن الاطار العام لتلك الفـكرة ٠

ومن هذه العوامل **ثالثا** : أن القصر كان يأمل أن يجد فى ذلك المجال متسعا كيما ينتحل لنفسه سوابق دستورية يؤكد بها سلطاته فى توجيه السياسة الخارجية ، وذلك فى مواجهة عناد الحكومة الوفدية فى الداخل بشكل أساسى ، ومنها **أخيرا** أن الوفد ـ وهذا أساسى ـ كان قد شرع بالفعل فى التحرك على الصعيد العربى ـ على نحو ما مر بنا ـ ومع تسليمنا بأن حركته هذه كانت استجابة لدعوة بريطـانيا ، الا أن ذلك لم يكن ليحد من خطورتها وما يتوقع من ورائها من تدعيم لشعبيته داخليا وخارجيا على حساب القصر ٠

بدأ القصر تحركاته بالفعل فعهد الملك الى على ماهر ومحمد على علوبه وفؤاد أبـاظة وخليـل ثـابت بتكوين الاتحـاد العـربى فى أوائل مارس سنة ١٩٤٣(٤٩) ٠ وأوفد فؤاد أباظة الى بعض الدول العربية لاسـتطلاع رأيها فى انشاء اتحاد أو تجمع عربى ٠ ومن جهة أخرى نشر الاتحاد العربى أول بيان له فى جريدة المقطم ، وكان ذلك كفيلا باثارة الشبهات حوله ، لأن

---

(٤٩) ومن الغريب أن محمد على علوبة كان يرى بأن فكرة الجامعة العربية أو الجامعـة الاسلامية ، هى فكرة خاطئة وغـير قابلة للتنفيذ ، وأن ضررها يفوق نفعها ودلل عـلى رأيه باختلاف الثقافة وتباعد المسافات ، الا أنه ناقض نفسه مرة أخرى وذهب الى القول باتفـاق تلك البلاد فى عقائدها ولغاتها وان تلك الروابط تجعل هذه الأقطار وثيقة الارتباط ٠ انظر : محمد على علوبة : مبادىء فى السياسة المصرية ص ٣١٤ ـ ٣١٥ ٠

الجريدة وصاحبها قد عرف عنهما التعاون مع الاحتلال البريطـانى منذ زمن بعيد ، مما قضى على فـكرة الاتحـاد فى مهدها .

ومن جهـة أخرى انتهزت الحـكومة النحاسـية الفرصة لكى تنتزع زمام المبادرة من القصر والانتقال بفـكرة تكوين الجـامعة العربية الى المستوى الرسمى ، ساعدها على ذلك أنه فى أواخر مارس ١٩٤٣ ، وصل الى مصر جميل المدفعى — أحد رؤساء وزراء العراق السابقين للاعداد لزيارة ملك العراق ، وكان النحـاس يرى بأن تبدأ المحادثات بشكل رسمى بين الحكومات وصرح بهذا المعنى فى البرلمـان فى ٣٠ مارس اظهارا لنواياه للاحتفاظ بقيادة الحركة لنفسه(٥٠) .

راحت الحـكومة النحاسـية تسعى حثيثا لادخال فـكرة الجامعة العربية الى حيز التنفيذ وتوالت اتصالاتها مع الدول العربية المستقلة ، حقيقة أن بعض الدول الأخرى مثل مراكش وباقى دول المغرب لم تكن قد حصلت على استقلالها بعد ، ولم يكن مقدرا لها بالتالى أن تنضم الى الجـامعة حال حصولها على استقلالها . ومما عزز من موقف الوفد عربيا ما كان من اعترافه بلبنان كدولة مستقلة فى أكتوبر ١٩٤٣(٥١) . على كل حال فلقد تمخضت مساعى الحـكومة الوفدية عن اجتماع وفود مصر وسوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن فى الاسكندرية فى ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤ بهيئة لجنة تحضيرية وتوالت اجتمـاعاتها لعقـد ميثاق الجـامعة العربية ، وانتهت الى وضـع بروتوكول الاسكندرية وتم التوقيع عليه فى ٧ أكتوبر بالاسكندرية(٥٢) ، وفى اليوم

---

(٥٠) صلاح العقاد : الفكرة العربيـــة فى مصر ، مجلة الجمعيـــة التاريخية المصرية (١٩٧٢ — ١٩٧٣) ص ١٦٥ ، أنظر كذلك حسن يوسف ، مذكرات ص ١٩٥ — ١٩٦ .

(٥١) حسنين كروم : عروبة مصر قبل عبد الناصر ، ج ٢ ، ص ٢٦ — ٢٨ .

(٥٢) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ، ص ١٤٢ .

التالى أقال الملك الحكومة الوفدية . ولا شك أنه كان من بواعث تلك الاقالة أن القصر قد حفظ للحكومة تلك اليد السيئة بمحاولات ابعاده عن تولى أمر الدعوة للجامعة العربية أو المشاركة فيه على أقل تقدير . وقد ظهرت نوايا القصر واضحة ، عندما أبدى الملك عبد العزيز رغبته فى تأجيل النظر فى عقد اللجنة التحضيرية الى أن يتم الاتفاق على مشروع الوحدة والتفاهم مع الحكومة البريطانية حول مشكلة الفلسطينيين ، فوافق الملك فاروق على ذلك ، ويرجع السبب فى هذا الى أنه كان يفكر وقتها « ابريل ١٩٤٤ » فى عزل النحاس ، وكان يأمل أن يتم انشاء الجامعة العربية على يد وزارة يرضى عنها(٥٣) .

بدت السبل مهيأة أمام القصر لكى يستأنف سعيه فى هذا الصدد . من ذلك أن السعودية رغم استقلالها لم تكن قد انضمت الى الجامعة ، فأرسل الملك فاروق وأحمد ماهر رئيس الوزراء والنقراشى وزير الخارجية بثلاث رسائل للملك عبد العزيز آل سعود حملها اليه عبد الرحمن عزام ، يستحثونه للتوقيع على ميثاق الجامعة(٥٤) . وكان عبد الرحمن عزام قد ندب أميرا للحج من قبل الحكومة المصرية فى هذا العام فاستغل الفرصة لاقناع الملك عبد العزيز بالتوقيع على البروتوكول ، ونجحت جهود عزام بالفعل عندما قام يوسف ياسين بالتوقيع على البروتوكول بناء على تعليمات الملك عبد العزيز(٥٥) .

ومن جهة أخرى سافر الملك فاروق الى السعودية فى ٢٢ يناير ١٩٤٥ ، وكانت تلك الرحلة أول ظهور علنى لفاروق على الساحة العربية ، وكانت

---

(٥٣) حسن يوسف : مذكرات ، ص ١٩٧ .
(٥٤) حسنين كروم : المصدر السابق ، ص ٥٢ .
(٥٥) الأهرام : ١٩٤٥/١/٨ .

بغرض التفاوض مع الملك عبد العزيز فى العديد من المسائل العربية ، ولأضفاء الأهمية على الرحلة وافق مجلس النواب فى ٣٠ يناير على فتح اعتماد قدره ثلاثون ألف جنيه من المصروفات غير المنظورة لانشاء مستشفى فى الأراضى الحجازية(٥٦) .

على كل حال فقد قررت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى تأليف لجنة فرعية لاعداد مشروع النظام الأساسى لمجلس الجامعة العربية ولبحث المسائل السياسية ، وقد تكونت هذه اللجنة فى عهد وزارة أحمد ماهر وكان الرئيس هو النقراشى وزير الخارجية وعبد الرحمن عزام الوزير المفوض للشئون العربية بالخارجية أحد أعضائها وقد عقدت اللجنة ستة عشر جلسة على امتداد الفترة من ١٤ فبراير حتى ١٣ مارس وتناوب النقراشى وعزام على رئاستها ، وتناولت فى اجتماعاتها شروط عضوية الدول فى مجلس الجامعة وأسلوب حل النزاعات بين الأعضاء ، وكذا أسلوب تمثيل فلسطين(٥٧) . يضاف الى ذلك فقد أقرت اللجنة ميثاق الجامعة العربية فى صورته الجديدة ، وفى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ قام جميع المندوبين بالتوقيع عليه وصدر قرار بتعيين عبد الرحمن عزام أمينا للجامعة لمدة سنتين وصدق البرلمان على هذا التعيين فى ٧ ابريل سنة ١٩٤٥(٥٨) .

---

(٥٦) المصدر السابق : ١٩٤٥/١/٣١ .

(٥٧) وحيد الدالى : المصدر السابق ، ص ٤٥٣ وما بعدها .

(٥٨) الأهرام : ١٩٤٥/٣/٢٢ ، وتجدر الاشارة الى أن فكرة الجامعة العربية قد لقيت قبولا وترحيبا من جانب الولايات المتحدة ، وأوفد الرئيس الامريكى روزفلت مبعوثه هارولد هوبكنز لمقابلة الملك فاروق فى الأسبوع الأخير من يونيه ١٩٤٤ لينقل اليه وجهة نظر الرئيس الامريكى . كذلك أظهرت فرنسا تعاطفها مع الفكرة فى الوقت الذى كانت فيه دعاية الاتحاد السوفيتى مشبعة بالنقد وعابت على الجامعة أنها من صنع بريطانيا وانها تمثل فى جوهرها مصالح الرجعية . انظر حسن يوسف : المصدر السابق ، ص ١٩٨ ، الأهرام ١٩٤٥/٣/٢ ، انظر كذلك : Kirk, G, : Ashort History of Middle East : P : 266

ولقـد جاء ميثاق الجـامعة العربية متسقا فى غالبيته مع مساعى القصر نحو الزعامة العربية ، وذلك من خلال ما أضفته نصوصه على مصر من مكانة خاصة ، فنصت المـادة العاشرة منه على أن تكون القـاهرة هى المقر الدائم لجـامعة الدول العربية ، فضلا عما قررته المـادة الخامسة عشرة منه على أن ينعقد المجلس للمرة الأولى بدعوة من رئيس الحـكومة المصرية وبعد ذلك بدعوة من الأمين العام ، مما كان يعنى تأكيدا على مكانة القـــاهرة كعاصمة للعـالم العربى(٥٩) • ومن جانب آخر راح القصر يعمل على توثيق صلاته بالدول العربية ، فقدم الملك عبد العزيز الى القـاهرة فى يناير سنة ١٩٤٦ بدعوة من الملك فاروق للتشاور فى أمور الجـامعة ، وفى أثناء الزيارة قابل الملك عبد العزيز أعضاء اللجنة التنفيذية العربية الأرثوذكسية فى فلسطين وامارة شرق الأردن الذين حضروا الى مصر • وفى نفس الوقت أرسل رئيس وزراء سوريا برقية للملكين وصف فيها لقاءهمـا بأنه خطوة نحو الوحـدة العربية(٦٠) •

وبالفعل صدر بيان عن الملـكين ، أشـار الى أهمية الجـامعة العربية والتركيز على ضرورة بقاء فلسطين عربية ، وممارسة الفلسطينيين لحقوقهم ، ولا شك فى أن ذلك كان يعكس نجاحا عربيا لفاروق بشكل خاص كأثر لسياسته على نحو وصف معه السفير البريطـانى هذه الزيارة بأنها نصر للملك فاروق(٦١) •

---

(٥٩) راشد البراوى : مجموعة الوثائق السياسية : المركز الدولى لمصر وقناة السويس ج ١ : ص ١٩٧ - ١٩٨ •

(٦٠) Fo : 371/45930 : Weekly Political and Economic Report, Feb. 2, 1946

(٦١) Fo : 371/53286 : Killearn to Fo, Feb. 6, 1946 No : 944

وبترتيب من عبد الرحمن عزام وكريم ثابت ، سافر فاروق بعد ذلك بشهرين الى السعودية حيث قابل الملك عبد العزيز فى « رضوى » ، وعرض الأخير اقامة اتحاد بين مصر والسعودية برئاسة ملك مصر • الا أن عزام ورغم صلاته بفاروق — عارض الأمر بدعوى أن الفارق الحضارى بين البلدين كبير ، مما قد يؤدى الى فشل التجربة ، بالاضافة الى مخاوفه من أن يفسر هذا الاتحاد من جانب الهاشميين « الأردن والعراق » بأنه تكتل من مصر والسعودية ضدهم ، مما قد يؤدى الى تصدع كيان الجامعة ويؤثر على فاعليتها(٦٢) •

ومن الناحية العملية انفرد القصر دون الحكومة الصدقية بالتحرك فى المجال العربى ، وظهر ذلك واضحا من خلال متابعة الاجتماعات والاتصالات التى كانت تجرى على المستوى الرسمى فى اطار الجامعة العربية • ويعترف كريم ثابت فى مذكراته بأن الملك قد أبلغه بشكل شخصى عن اعتزامه دعوة الملوك والرؤساء العرب الى الاجتماع فى انشاص ، أسوة بما حدث عند زيارة الملك عبد العزيز آل سعود فى السنة الماضية ، وذلك بصدد التدليل على استئثار القصر بالتحركات العربية دون الحكومة(٦٣) • وبالفعل شرع القصر فى الاعداد للمؤتمر وعقد فى انشاص خلال شهر مايو سنة ١٩٤٦ ، حضره حكام البلاد العربية الأعضاء فى الجامعة • ويهمنا فى هذا المجال أن نشير الى نتائج هذا المؤتمر فيما يتعلق بموقف القصر من قضيتين كانتا غاية فى الأهمية بالنسبة للقصر احداهما داخلية وتتصل بالمفاوضات المصرية البريطانية والأخرى خارجية ونعنى بها القضية الفلسطينية •

---

(٦٢) وحيد الدالى : المصدر السابق : ص ٧٣ — ٧٤ •
(٦٣) كريم ثابت ، مذكرات جريدة الجمهورية ١٩٥٥/٦/١٦ •

وفيما يتصل بالموقف العربى من قضية المفاوضات المصرية — البريطانية فقدكانت مصر وقتذاك بصدد التمهيد لجولة جديدة من المفاوضات مع بريطانيا عرفت بمفاوضات « صدقى — بيفن » ولا شك فى أن الدوائر البريطانية كانت تضع فى تقديراتها أن الحكام العرب سوف يمارسون نفوذهم بشكل معتدل لانجاح تلك المفاوضات(٦٤) ·

وبالفعل بدأ اهتمام الجامعة العربية واضحا بالمسألة حتى أن الأمير ابن سعود وعبد الرحمن عزام كانا يلحان على الملوك العرب لاصدار بيان تفصيلى يتضمن أفضل السبل التى يجب أن تتبعها الحكومة المصرية بصدد تلك المفاوضات(٦٥) ·

وبطبيعة الحال كان فاروق مؤيدا لهذا الاتجاه لكى يظهر نفسه بمظهر قائد العالم العربى على حد تعبير السفير البريطانى(٦٦) · وأهم ما فى الأمر أن تلك الخطوة كانت تعنى أن القضية المصرية قد بدأت تستحوذ على اهتمام عربى من شأنه أن يخرج بها عن اطارها الاقليمى الى اطارها العربى ، وهذا بدوره كان يشكل نجاحا محسوبا للقصر على حساب القوى الوطنية فى الداخل ، خاصة وأن الأخيرة كانت تجد فى القضية الوطنية عضدا يكفل لها دائما القوة فى مواجهة أوتوقراطية حكم القصر ·

أما القضية الفلسطينية فكانت مثارا للخلاف بين مصر والدول العربية الأخرى · ففى الوقت الذى أراد فيه ملوك ورؤساء تلك الدول اعلان الجهاد المقدس ضد الحركة الصهيونية لانقاذ فلسطين ، لم يكن بمقدور مصر أن

---

(٦٤) Fo : 371/53300 : Campbell to Fo : Jun. 1, 1946 No : 1005

(٦٥) Ibid : Same to same, Jun. 1, 1946, No : 1002

(٦٦) Ibid

تثير جانب الانجليز بهذا الاعلان حتى لا تتعقد المفاوضات معهم ، وتم تأجيل الاعلان حتى تنتهى المفاوضات المصرية ـ البريطانية · ومما زاد تحرج الموقف ما كان من وصول مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى الى مصر فجأة طالبا من فاروق الاذن بالبقاء فيها ، رغم ما كان معروفا عنه من تحالفه مع قوى المحور أثناء الحرب العالمية الثانية ·

تمخضت اجتماعات الملوك والرؤساء العرب فى انشاص يومى ٢٨ و٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ عن بيان ختامى جاء فيه « أنهم قد تداولوا قضية فلسطين من شتى نواحيها فرأوا أن قضيتها ليست قضية خاصة بعرب فلسطين وحدهم ، بل هى قضية العرب جميعا وأن فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها ، كما تناولوا مسألة برقة وطرابلس واتفقوا على ضرورة استقلال هذه البلاد · وأيدوا مطالب مصر فى استكمال سيادتها وجلاء القوات البريطانية عنها » ·

وعلى الرغم من أن البيان جاء خلوا من أى خطوات تنفيذية أو اجراءات محددة جرى الاتفاق عليها بشأن فلسطين ، الا أنه كان خطوة لا بأس بها أظهرت اهتمام دول الجامعة وتوحدها بشأن القضية الفلسطينية · وينبغى الاشارة الى أن موقف مصر فى ذلك الوقت كان أحد العوامل الرئيسية التى حالت دون اتخاذ الجامعة العربية لقرار حاسم ازاء تلك القضية ، اذ كانت مصر بصدد الدخول فى مفاوضات مع بريطانيا لتسوية العلاقات معها ـ على نحو ما مر بنا ـ وكان من أثر ذلك أن الخلاف قد ضرب أطنابه بين المجتمعين فيما بين مؤيد ومعارض لاتخاذ موقف حاسم من بريطانيا والحركة الصهيونية ، حتى أن الملك عبد الله قد أراد فى اللحظة الأخيرة أن يؤجل الموافقة على البيان الختامى للمؤتمر وانسحب الى جناحه الخاص ، فلحق به الملك فاروق وانتزع منه التوقيع على البيان ، على حد تعبير وكيل الديوان

الملكى(٦٧) ٠

وعلى الرغم من تلك الخلافات التى دارت فى أروقة الجـامعة العربية ، الا أنه ينبغى أن نشير الى جانب من الاهتمامات العربية بالقضية المصرية ، كأثر لجهـود القصر ، وردود الفعـل البريطـانية ازائها ٠ فمن ناحية أبلـغ نورى السعيد رئيس وزراء العراق وقتذاك المعروف بصلاته الوثيقة بالانجليز - السفير البريطانى فى بغداد بأنه بصدد مساعى الجـامعة العربية لمساندة مصر والسودان ، توجه الشيخ يوسف ياسين - الممثل الشخصى لابن سعود وعبد الرحمن عزام الى الرياض لمقابلة بن سعود لحثه على اصدار بيان يؤيد فيه مطالب مصر فى السودان ٠ وطلب نورى السعيد من السفير البريطانى هناك التحـرك لمناقشـة الأمر مع ابن سـعود لاقنـاعه بعـدم الاقـدام على تلك الخطوة(٦٨) ٠ وكان من الواضح أن فاروق لم يكن بمنأى عن تلك المساعى بالنظر الى صلاته الوطيدة بعزام والشيخ يوسف ياسين ٠

بادرت بريطـانيا الى احباط مساعى عزام ويوسف ياسين ، فارسل السفير البريطـانى فى بغـداد رسالة سرية وشخصية لابن سـعود فى أول فبراير سنة ١٩٤٧ حذره فيها من محاولات عزام لانتزاع تصريح منه لتأييد ادعاءات مصر فى السودان ، واقترح عليه ألا يكون البادىء بمثل تلك الخطوة بين القادة العرب ، وطالبه بالا يستخدم نفوذه الكبير ضد الحكومة البريطانية فى هذا الأمر ملوحا له بأن مساهمة الشيخ يوسف ياسين فى تلك التحركات انما ترجـع الى صـلاته الوثيقة بقصر عابـدين وأن فـاروق يعتبره أحـد رجاله(٦٩) ٠ والحقيقة أن بريطانيا كانت تخشى المخاطر الحقيقية المتوقعة من

---

(٦٧) حسن يوسف : المصدر السابق ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ ٠

(٦٨) Fo : 371/62962 : From bagded to Fo : Jan. 31, 1947, No : 95

(٦٩) Fo : 371/62962 : Same to same Feb. 2, 1947, No : 47

وراء تلك التحركات من احتمال قيام تكتل عربي داخل الجامعة تكون القضية المصرية أولى أهدافه ، على نحو سوف تتهدد معه المصالح البريطانية في المنطقة العربية . ثم أن انتقال القضية المصرية الى المستوى العربي سوف يزيد من المصاعب أمام بريطانيا ويقوى موقف مصر سواء فيما اتصل باستقلالها أو بمسألة السودان .

كان من الواضح أن الضغط البريطاني قد ترك أثره على تحييد موقف ابن سعود ، والذى أرسل الى رئيس الوزراء البريطاني موضحا له أنه يدرك تماما المصاعب التى تواجه بريطانيا بصدد مصر وفلسطين . فرد عليه بقوله بأن المصاعب الحقيقية سوف تكون من نصيب أولئك الذين يصطادون في « الماء العكر » اشارة الى مساعى فاروق وعزام والشيخ يوسف ياسين(٧٠) . ترتب على ذلك أن أرسل ابن سعود برسالة شخصية مع الشيخ يوسف ياسين الى الملك فاروق نصحه فيها بأن يفكر مرتين قبل أن يقدم على أى اجراء يسىء لعلاقته مع الحكومة البريطانية ، باعتبار أن الصلات الطيبة بين انجلترا ومصر هى مثار اهتمام العرب تماما كما هى بالنسبة لمصر(٧١) .

ورغم فشل القصر في مساعيه لدى ابن سعود ، في مواجهة نجاح بريطانيا في احتواء تلك المساعى ، الا أن السفير البريطاني في مصر ظل على مخاوفه من نشاط عزام وجهوده المتوقعة لنصرة القضية المصرية في مواجهة الجانب البريطاني ، وما يمكن أن يترتب على ذلك في الأمم المتحدة ، وينصح حكومته بسرعة التحرك وعدم الانتظار حتى ينسق عزام ومصر مع

---

(٧٠) Fo : 371/62963 : FO to Jedda, Feb. 1947, No : 43

(٧١) Fo : 371/62964 : Jedda to Fo : Feb. 12, 1947 No : 60

الدول العربية سبل التحرك ضد بريطانيا(٧٢) ٠ وعلى الجانب الآخر كان موقف سوريا ولبنان أكثر وضوحا ازاء نوايا مصر لعرض قضيتها على الأمم المتحدة ٠ وبصدد التنسيق معها أرسل فاروق أحد أمناء القصر الملكى على متن طائرة خاصة لتسليم رسائل شخصية الى كل من رئيسى سوريا ولبنان(٧٣) ٠ ولسوف نرى كيف آثمرت مساعى القصر العربية فى الحصول على تأييد غالبية الأقطار العربية للقضية المصرية عندما جرى عرضها فى الأمم المتحدة فى عهد وزارة النقراشى الثانية ٠

وينبغى أن نسجل للجامعة العربية بعضا من مواقفها ازاء قضايا الدول الاسلامية والعربية ٠ فقد كان تأييدها لنضال أندونيسيا للحصول على استقلالها من هولندا واعتراف مجلس الجامعة بالحكم الوطنى هناك مما أدى الى اعتراف الكثير من دول العالم بهذا النظام ، رغم الضغوط التى مارستها بعض الدول الكبرى خدمة للمصالح الاستعمارية الهولندية ٠ يضاف الى ذلك ما كان من موقف الجامعة من فرنسا ازاء محاولتها استرداد نفوذها فى سوريا ولبنان بموجب صك الانتداب ، اذ تمسكت الأخيرتان بما لهما من حق فى الاستقلال قد كسبناه فى سنة ١٩٤١ ، واعترفت به مصر والدول العربية الأخرى ، فكان أن وقفت الجامعة العربية الى جانبهما وأيدتهما بكل قوة واعترفت بحقهما فى السيادة والاستقلال كاملين(٧٤) ٠ وصفوة القول فان قيام الجامعة العربية كان فى جانب منه نتاجا لتبنى القصر للفكرة العربية وتأييده لها ، ودلالة على تبوؤ الاهتمامات العربية مكانتها فى سياسة القصر ٠ حقيقة أن مصر قد حققت صدارة عربية من خلال الجامعة العربية ،

---

(٧٢) Fo : 371/62963 : Campbell to Fo : Feb. 1, 1947, No : 203

(٧٣) Fo : 371/62963 : Same to same, Feb. 7, 1947, No : 347

(٧٤) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٣ : ص ٢١ - ٢٢ ٠

الا أن تلك الصدارة كانت محسوبة لصالح القصر بشكل أساسى . وتتفق تلك النتيجة مع ما بدا من حرص القصر على الانفراد بتوجيه سياسة مصر العربية دون منازع من القوى السياسية الأخرى فى الداخل . ورغم أن الوجود الوفدى فى الحكم كان يحد عملا من فاعلية القصر على الساحة العربية ، كأثر لمحاولات الوفد تقليم أظافره ، الا أنه ما أن نجح القصر فى انهاء الوجود الوفدى فى الحكم فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، حتى بدأ يستعيد نشاطه على الساحة العربية ، وراح يترسم الخطى من جديد نحو زعامة عربية، وكانت الجامعة العربية هى مدخله الحيوى لتلك الزعامة .

وفيما يتصل بالمسألة المصرية فقد سعى القصر الى جذبها الى دائرة الاهتمامات العربية ، ونجح فى ذلك الى حد كبير ونكاد نلمس تحركات عربية فى اطار المسألة المصرية كأثر لنشاط القصر فى هذا السبيل ، الا أن تحدياً واضحا قد واجه القصر فى مسعاه تمثل فى تلك الصلات التى كانت تربط بريطانيا وبعض الدول الأعضاء بالجامعة العربية ونشاط الدبلوماسية البريطانية فى احتواء مساعى القصر . ثم أن حركة القصر ذاتها فى هذا الصدد لم تكن لتنبىء عن تعاطفه مع القوى الوطنية فى الداخل أو تعضيد لسعيها نحو حل القضية بشكل يحقق مصلحة البلاد ، بقدر ما كانت البواعث الحقيقية للقصر فى تقديرنا - ترجع الى نواياه فى أن يسلب تلك القوى - وفى مقدمتها الوفد بشكل أساسى - أهم مقومات حركتها وهى المطالبة باستقلال البلاد ، يراوده فى ذلك الأمل فى أن تتنازل بريطانيا لمصر العربية وشقيقاتها - بصدد القضية الوطنية - ما كانت تضن به على القوى الوطنية المصرية .

والواقع أن حركة القصر فى اطار الجامعة العربية وأن حققت له مكانة عربية متميزة الا أنها لم تكن تعنى حسما لقضية زعامته العربية ، فى وقت

بدأت فيه القضية الفلسطينية تفرض نفسها بصورة أكثر حدة على الساحة العربية ، وهي وان كانت أول اختبار قوة حقيقي للجامعة العربية ، فانها كانت من جانب آخر تعنى حسما لمحاولات القصر لتأكيد زعامته العربية •

القصر وآخر محاولات الزعامة العربية « المشكلة الفلسطينية » ،

احتلت القضية الفلسطينية مكانة بارزة فى سياسة القصر ، وذلك فى اطار توجهاته الاسلامية أو العربية على السواء • ولقد اتخذ ذلك مفهوما عمليا منذ أوائل حكم فاروق ، عندما تبنى القصر أمر الدعوة لعقد المؤتمر الاسلامى العربى لنصرة فلسطين فى أكتوبر سنة ١٩٣٨ ، اذ اشترك فيه عدد كبير من ساسة البلاد الاسلامية والعربية للنظر فى أحوال هذا القطر العربى ، وأبدى رئيس الوزراء محمد محمود فى كلمته أمام المؤتمر رغبة مصر فى أن توافق الحكومة البريطانية لايجاد حل عادل ينصف أبناء هذه البلاد ويرضيهم • ومن جهة أخرى أرسل محمد محمود كتابا الى رئيس وزراء بريطانيا أشاد فيه بموقفه من « أزمة ميونخ » وأهاب به أن يبذل لحل مسألة فلسطين جهدا جريئا على نحو ما بذله فى أزمة ميونيخ ، فرد عليه رئيس الوزراء البريطانى ذاكرا أنه كان جهدا « مسرحيا » لا يجدى مثله فى حل مشكلة فلسطين(٧٥) •

ولا شك فى أن الرد البريطانى كان خليقا بأن يلفت الأنظار الى موقف بريطانيا من المشكلة الفلسطينية ونواياها فى تلك الفترة الباكرة • بيد أن

---

(٧٥) وكان نيفل تشمبرلين رئيس وزراء بريطانيا قد استطاع أن يلتقى بهتلر فى ميونيخ ، وأبرم معه اتفاقية بهدف ترضية المانيا بضم بلاد السوديت اليها • وكان الظن أن هذا الاتفاق من شأنه تجنيب العالم كارثة حرب عالمية ثانية ، الا أنه تبين فيما بعد أن هذه الاتفاقية لم تكن تحقق أطماع المانيا التوسعية ، مما أفضى فى النهاية الى اندلاع الحرب العالمية الثانية • أنظر : محمد حسين هيكل ، المصدر السابق ، ص ١٦ - ١٨ •

هذا التشبيط من جانب بريطانيا لم يكن ليوقف مساعى القصر الرسمية وجهوده فى هذا الصدد • ففى أوائل عام ١٩٣٩ أوفد الملك فاروق على ماهر رئيس الديوان الملكى الى لندن لحضور مؤتمر المائدة المستديرة للنظر فى المشكلة الفلسطينية على ضوء التقارير التى وضعتها اللجان البريطانية والتى جاء فى آخرها أن الهجرة اليهودية بلغت الحد الذى لا تستطيع فلسطين بعده أن تستوعب مهاجرين آخرين • وكان المأمول أن يتم التوصل الى اتفاق مع انجلترا على هذه المشكلة ، الا أن المؤتمر انعقد ثم انفض دون أن يصل الى نتيجة ايجابية • وبغض النظر عما تمخضت عنه مساعى القصر فى هذا الصدد ، فانها قد تركت انطباعا لدى دوائر السفارة البريطانية ، بأن تلك المساعى هى جزء من سياسة القصر الاسلامية(٧٦) •

ومما ساعد على تعضيد موقف القصر ، ما أظهرته الجماعات الايديدلوجية كمصر الفتاة والاخوان المسلمين – هى وثيقة الصلات بالقصر – من اهتمام بالمسألة الفلسطينية ، وما بدا من سخطها الواضح على تزايد الخطر الصهيونى وموقف بريطانيا المتخاذل ، مما دفع بالسفير البريطانى لأن يكتب لحكومته موضحا أن سياستها سوف تلقى مزيدا من الصعاب فى مصر ما لم تحل المسألة الفلسطينية ، وراح يدلل على حيوية القضية بأن رئيس الوزراء محمد محمود لم يدع فرصة فى محادثاته معه دون أن يثير تلك القضية(٧٧) • يضاف الى ذلك فان الصحف على اختلاف نزعاتها قد لعبت دورا بارزا فى الدعوة للقضية وشرح أبعادها ، مما ساعد على قيام رأى عام مصرى متعاطف مع القضية الفلسطينية • وهذا بدوره

---

(٧٦) Fo : 4071222 : No : 48 : Lampson to Halifax, Nov. 7, 1938
Tel. No : 1197

(٧٧) Ibid

قد دفع لامبسون الى أن يكرر على مسامع حكومته أن القضية الفلسطينية سوف تجعل من مصر محورا أساسيا للعداء لانجلترا ، حتى تحل القضية على نحو يرضى العرب مشيرا بذلك الى دور مصر الرائد فى تبنى القضية وامتداد تأثيره الى البلاد العربية الأخرى(٧٨) .

بيد أن انحسار الحركة السياسية للقصر اثر أزمة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ قد ترك أثره على اهتمامه بالقضية الفلسطينية ، حتى أن تلك الاتصالات التى جرت بين فاروق ومفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى قد جاءت فى اطار توجهات القصر المحورية وقتذاك ، دون أن تكون محسوبة لصالح القضية الفلسطينية . ومن الناحية العملية انتقل لواء القضية الى الوفد ، اذ راح النحاس بدوره يسعى الى منافسة القصر بصدد آماله فى الزعامة العربية . وذلك من خلال ابراز اهتماماته بالقضية الفلسطينية فزار القدس فى ١٢ يونية سنة ١٩٤٣ بشكل غير رسمى - على نحو ما مر بنا حيث قوبل هناك بحماس بالغ وبينما كانت الجماهير الفلسطينية تهتف بحياة النحاس « زعيم العروبة » هتفت بدرجة أقل بحياة الملك فاروق ، وانبرت صحف فلسطين ترحب بالنحاس باعتباره زعيم مصر الأعلى(٧٩) .

عاد القصر الى ممارسة الدور العربى من خلال الجامعة العربية من جديد ، بعد أن نجح فاروق فى انهاء الوجود الوفدى فى الحكم فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ ، واستطاع أن يوطد مكانته على الساحة العربية بشكل ملحوظ فى وقت كانت فيه القضية الفلسطينية قد بدأت تشغل اهتمامات الدول الأعضاء بالجامعة ، كأثر لتطور الأحداث فى فلسطين وتزايد هجرة اليهود .

---

(٧٨) Fo : 4071223 : No : 4 Same to same, Jan. 16, 1939
Tel. No : 41

(٧٩) حسنين كروم : عروبة مصر قبل عبد الناصر ج ٢ ، ص ٢٠ - ٢٣ .

وعلى نحو ما مر بنا ظهر التناقض واضحا بين امكان تبنى مصر لموقف محدد ، أسوة بغالبية الدول العربية ، وذلك فى مواجهة الحركة الصهيونية وما سوف يترتب على ذلك من احتمالات الصدام مع بريطانيا ، فى وقت كانت فيه مصر بصدد الدخول فى مفاوضات مع الجانب البريطانى لتعديل المعاهدة ومحاولة الوصول الى اتفاق بشأن السودان .

الا أنه ينبغى الاشارة الى بروز عاملين قد ساعدا بشكل مباشر على حسم موقف القصر من القضية الفلسطينية : أولهما ما كان من قرار حكومة النقراشى الثانية بعرض القضية المصرية على الأمم المتحدة ، وهذا كان يعنى اشتراك أطراف أخرى فى النزاع بين بريطانيا ومصر وخروج المسألة المصرية عن اطار المفاوضات الثنائية وتراجع احتمالات المواجهة المباشرة بين القصر - بشكل خاص - والجانب البريطانى .

أما العامل الثانى : فيتمثل فيما أعلنته بريطانيا عن نواياها لسحب قواتها من فلسطين يوم ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وهذا الاعلان وان أسهم فى تدهور الأوضاع الداخلية فى فلسطين وكان دالة على تنصل بريطانيا من دورها فى الأزمة ، الا أنه على الجانب الآخر كان يهيىء للقصر فرصة طيبة للتداخل فى الأزمة كيما يكون أحد أطرافها الأصيلة فى غيبة احتمالات المواجهة مع بريطانيا ، على نحو تتأكد معه الزعامة العربية له دون منافس .

عند هذا الحد يتعين علينا أن نعرض للخلفية السياسية لقرار القصر بدخول الجيش المصرى عمليات حرب فلسطين . فمن الثابت أن أحداث فلسطين قد حفزت جماعة الاخوان المسلمين والحزب الاشتراكى الاسلامى « مصر الفتاة » على تنظيم الصفوف فى كتائب للاشتراك فى القتال هناك تحت اشراف الجامعة العربية ، وذلك قبل اعلان مصر رسميا قرارها

بالاشتراك في القتال في فلسطين(٨٠) • وعلى الرغم من أنه ليس هنـــاك ما يشير الى أن ثمة تنسيق قد جرى بين القصر من جانب والاخوان ومصر الفتاة من جانب آخر ، الا أنه لا يمكن القول بأن القصر كان منبت الصلة بنشاط الفريقين في هذا الصدد بالنظر الى الصـــلات الوطيدة التى كانت تربطه بهما ، بل ومن المرجح أنهما كانا يحظيان بتأييد القصر ودعمـــه في هذا الصدد •

ومن جانب آخر كان هنـــاك تيـــار تزعمه اسماعيل صـــدقى ، وكان معارضا لفكرة دخول الجيش المصرى الى فلسطين ، واستند في ذلك الى عدم كفاية الاحتياطيات اللازمة لتأمين دخول البلاد للحرب• وكان دعاة هذا الاتجاه يرون بوقوف الدول الكبرى خلف السياســـة اليهودية ، ثم ان اشـــتغال المصريين بالأمور العربية والقضية الفلسطينية سوف يصرفهم عن القضايا المصيرية المعلقة التى سوف تزداد تعقيدا مع الوقت(٨١) • ولقد امتد هذا الاتجاه في معارضته حتى الى فكرة الوحدة العربية والجامعة العربية ، بل ولأى محاولة لربط مصر بأمتها العربية • ولقد بدأ هذا الاتجاه من صدقى واضحا منذ عهد وزارته الثالثة عندما أسند وزارة الخارجية الى أحمد لطفى السيد ، والذى كان بدوره من دعاة « مصر للمصريين » وكان كارها للوحدة العربية والعروبة(٨٢) • ومن الغريب أيضا أن النقراشى رئيس الوزراء ،

---

(٨٠) وتجدر الاشارة الى أن اشتراك القوات التى تشكلت من الاخوان ومصر الفتاة كان بشكل غير رسمى وذلك راجع الى ما اتجه اليه تفكير الحكومات العربية لتشكيل قوات عرفيـــة من اهل فلسطين ومن المتطوعين من الدول العربية ، على أن تمدهم بالسلاح وتسمح لضباط من جيوشها أن يستقيلوا من هذه الجيوش وأن يتولوا قيادة هؤلاء المتطوعين • وبدء في تنفيذ هذه السياسة بالفعل قبل ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ • وكان قرار الدول العربية في هذا الصدد بهدف الا يكون تدخلها بجيوشها بمثابة خروج على قرار هيئة الأمم المتحدة بما لا يتفق وعضوية هذه الدول فيها • أنظر الاخوان المسلمون ١٩٤٨/٤/٣ كذلك

(٨١) سنية قراعة : نمر السياسة المصرية ص ٥٩١ وما بعدها •

(٨٢) حسنين كروم : المصدر السابق ص ٩٣ •

كان حتى ذلك الوقت من أشـــد المتحمسين لعدم اشتراك الدول العربية بجيوشها فى القتال • وكان يرى أن مصر لا يجوز لها أن تدفع بجيشها الى فلسطين فتكون القوات البريطانية المرابطة على القناة حائلا بينه وبين أرض الوطن • الا أنه تخلى عن موقفـــه فجـــأة وأسر الى هيكل - رئيس مجلس الشيوخ - بطلب الحكومة لعقد جلسة سرية لكى تعرض قرارها بدخـــول القوات المصرية الى فلسطين لقتال اليهود(٨٣) •

وتراجع النقراشى عن موقفـــه من مسالة دخـــول الجيش المصرى الى فلسطين ، لم يكن نتيجة لتغير قناعته بالأمر ، بقدر ما كان راجعا الى قرار الملك فى هذا الشأن والذى أثرت فيه بشكل مباشر عوامل داخلية وخارجية عديدة منها أن الملك قد وجد فى مسالة فلسطين ما يمكنه من استرداد بعض سمعته التى كانت قد انهارت الى حد كبير ومن ثم فقد أراد أن يدعم بدخول الحرب هيبته بعد أن نال منه السخط الداخلى • ومنها أيضـــا ما كان من تدهور الموقف الداخلى ، اذ أضرب رجال البوليس عن العمل فى ١٥ ابريل سنة ١٩٤٨ بسبب عدم اهتمام الحكومة بتحسين أحوالهم المعيشية ونتج عن ذلك وقوع العديد من الحوادث فى القاهرة والاسكندرية مما اضطر الحكومة للاستعانة بقوات الجيش لاستعادة النظام(٨٤) • ومنها أخيرا حرص فاروق على أن يبنى لنفسه زعامة عربية كانت تنازعه فيهـــا العائلة الهاشمية فى العراق وشرق الأردن ، وقيل وقتها أن فاروق كان يتسابق مع الملك عبد الله فى أيهما يصلى الجمعة أولا فى المسجد الأقصى(٨٥) •

على كل حال راحت الأحداث تتوالى سراعا ، فبادر الملك فى اليـــوم

---

(٨٣) محمد حسنين هيكل : المصدر السابق ص ٤١ - ٤٢ •

(٨٤) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٢ ص ٢٥١ •

(٨٥) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) ص ٢٦٧ •

السابق لعرض الأمر على البرلمـان ، بالادلاء بحديث الى « اليونايتدبرس » تجاوز فيه اختصاصاته وقال انه سوف يمد العرب بكل مساعدة عسكرية ومالية واقتصادية ، وأنه لن يقبل قيام دولة صهيونية على حدود مصر ، ولذا فلابد من استعمال القوة(٨٦) . على هـــذا النحو بدأ القصر يروج الدعاية لنفسه ، ولكى يظهر بمظهر من يســـتأثر بالأمر كله دون الحكومة . وراح هيكل يدلل على ذلك فى مذكراته بأن محمد حيدر وزير الدفاع وياور الملك الخاص قد تلقى أمرا من الملك مباشرة بأن تقوم فرق الجيش المصرى باجتياز الحدود الى أرض فلسطين دون أن يعلم رئيس الوزراء ومن غير أن ينتظر قرار البرلمـان أو قرار مجلس الوزراء(٨٧) . والحقيقة أن تلك المقولة لا تخلو من أوجه للنقد فمن الثابت أن الجيش المصرى لم يشترك فى الحرب الا فى يوم ١٥ مايو أى بعد دعوة البرلمـان المصرى يوم ١٢ مايو لاصدار موافقته على دخول الجيش المصرى الى فلسطين ومن الثابت أيضا أن البرلمـان قد وافق يوم ١٠ مايو على اضافة أربعة ملايين من الجنيهات الى مشروع ميزانية وزارة الدفاع لمواجهة المصروفات الاضافية اللازمة لقوات الجيش المصرى المرابطة على الحدود بين مصر وفلسطين(٨٨) . وبعبـــارة أخرى يمكن القـول بأن قرار فاروق باشتراك الجيش المصرى فى عمليات فلسطين لم يدخل الى حيز التنفيذ الا بعد موافقة البرلمـان عليـــه وكذا استصـــدار التشريعات الخاصـة بتدبير الاعتمادات المـالية اللازمة لمقابلة نفقات اعداد الجيش وتجهيزه للاشتراك فى الحرب(٨٩) .

---

(٨٦) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يولية ج ١ ص ١٢٥ .

(٨٧) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٣٣١ .

(٨٨) مضابط مجلس الشيوخ : دور الانعقـاد الثالث والعشرين - الجلسة السـابعة : ١٩٤٨/٥/١٠ ص ٩١١ .

(٨٩) وتجدر الاشارة الى أن مجلس الشيوخ قد قام فى ١١ مايو بتشكيل لجنة خاصة =

اما عن حالة الجيش المصرى فقد كانت بالغة السوء ، ولم تكن تمكنه من الاشتراك بشكل فعال فى الحرب سواء من ناحية التدريب أو التسليح • ومما زاد الأمر سوءا أن قيادات الجيش لم تكن على دراية بطبيعة مسرح العمليات فى فلسطين ، ولم يكن لديها أصلا أية معلومات عن تنظيم وتسليح القوات اليهودية هناك ، وهى أمور جوهرية بصدد تحديد خططها المستقبلية فى القتال • ومن ناحية أخرى فقد كان هناك اعتقاد سائد بين صفوف الجيش المصرى بأن هذه الحرب سياسية بالدرجة الأولى ، وكان لذلك ما يبرره عملا فيشير جمال عبد الناصر فى مذكراته عن حرب فلسطين بأنه « لم يكن معقولا أن تكون هذه حرب ، فلا قوات تحتشد ولا استعدادات فى الأسلحة والذخائر ولا خطط ولا استكشافات ولا معلومات ومع ذلك فنحن فى ميدان قتال ــ فهى اذن حرب سياسية »(٩٠) • وراح يكشف فى جانب آخر من مذكراته عن عجز القيادة العسكرية فى فلسطين وافلاسها مما انعكس أثره واضحا فيما بدأ من تدهور أحوال القتال هناك وانقطاع طرق الامداد ووسائل الاتصال(٩١) •

ومما يؤكد غلبة الاعتبارات السياسية على ما سواها من اعتبارات حربية ، دون النظر لما يترتب على ذلك من خسائر ، أن الفريق حيدر قد أصدر تعليماته للواء المواوى قائد القوات المصرية فى فلسطين للاستيلاء على بير سبع ، وذلك بالنظر الى ما سوف يترتب على ذلك من آثار سياسية مطلوبة ، رغم اعتراض اللواء المواوى لكبر حجم الخسائر المتوقعة من وراء

= للنظر فى مسالة فلسطين انتهت الى تقرير دخول مصر مع الجيوش العربية لايقاف المذابح هناك • المصدر السابق : الجلسة الثامنة : ١٩٤٨/٥/١١ ص ٩١٣ •

(٩٠) مذكرات جمال عبد الناصر : آخر ساعة ــ العدد ١٠٦٣ يوم ١٩٥٥/٣/٩ •

(٩١) المصدر السابق : العدد ١٠٦٥ يوم ١٩٥٥/٣/٢٣ •

ذلك ، اذ لم تكن الاستعدادات اللازمة قد أجريت بعد • بالاضافة الى ما كان من نسف بارجة مصرية بفعل طوربيد اسرائيلى ، حيث كانت قد اتخـــذت أوضاع الهجوم فى مواجهة ساحل فلسطين • وعندما طلبت الاذن بالهجوم طلبت منها القيادة البحرية الانتظار لحين تلقى الأوامر من القــاهرة ، وفى خلال دقائق الانتظار أطلق عليهـــا طوربيد اسرائيلى صـــاروخا فدمرها ، واضطرت بارجة مصرية أخرى كانت مرافقة للأولى الى الانسحاب كى لا تواجه بنفس المصير(٩٢) •

ورغم أن القصر كان يأمل الـكثير من وراء اشراك الجيش المصرى فى حرب فلسطين الا أن النتائج جاءت مخيبة تماما لآماله ذلك أن الهزيمة التى لحقت بالجيش المصرى فى جبهة القتال هنـــاك كانت نتاجا طبيعيا لضعف كفاءته وقدراته على القتال • ولقد كان من الواضح أن القصر كانت تحركه دوافع سياسية خاصة كانت منبته الصلة تماما بالاعتبارات الحربية ، فراح دون وعى يدفع الجيش الى مخاطرة لـما تحسب نتائجها قبـلا ، ولا يمـكن القول بأن نتائج حملة الجيش المصرى فى فلسطين قد وقفت عند حـدود هزيمته ، فمن الناحية العملية قد ترتب عليهـا نتيجتان غاية فى الأهميـة يتعين الاشارة اليهما • فمن جهة ثارت كوامن السخط والغضب فى صفوف الجيش ، مما ساعد على تكوين رأى عام قوى بداخله مبناه القول بفســاد حكم القصر ومؤسساته ، ومن جهة أخرى أرخت تلك الهزيمة نهـاية لآمال القصر فى تحقيق زعامة عربية ، وبات من المقدر عليه أن يواجه تحـديات جديدة فاقت مخاطرها ما سواها ، تمثلت فى خروج الجيش عن طاعة العرش

---

(٩٢) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٢ ص ٤٦ ـ ٤٧ ، عبد الرحمن الرافعى المصدر السابق ص ٢٥٢ وما بعدها •

وولائه ، لأول مرة منذ عهـــد فؤاد ، ليكون الأداة الرئيسية التى تتهـدد سلامته ٠

وخلاصة القول فان تبنى القصر للاتجاهات الاسلامية أو العربية ، كان بغرض خدمة أهدافه السياسية وتوطيد دعائم حكمه بشكل أساسى ، دون أن يكون ذلك انعكاسا لرغبة حقيقية فى الدفاع عن الاســلام أو تجاوبا صادقا مع الفكرة العربية ٠ ذلك أن بروز الاتجـاه الاســلامى واضحا فى أوائل عهد فاروق ، كان يستهدف من ورائه اضـفاء الصبغة الدينية عـلى حكمه ، دون أن يكون ذلك بغرض تحقيق فكرة الخلافة بمفهومها الاســلامى الواسع على نحو ما كان يسعى اليه أبوه فؤاد ٠ ولا يحـد من هـذا القول تلك المظاهر والألقاب الدينية التى خلعهـــا على فاروق رجال الأزهر ومن تشيع للفكرة من القوى الايديولوجية الأخرى ٠ وتتضح تلك الحقيقة تماما من خلال متابعة الجانب الاسلامى فى سياسة القصر ، فلا نكاد نلمس لفكرة الخلافة — فى عهد فاروق — وجوداً حقيقيا أو فعليـــا فى تقديرات القصر السياسية ٠ وبعبارة أخرى فان تبنى القصر للاتجاهات الاســلامية ، كان موجها بالضرورة لتدعيم مكانته فى الداخـل وفى مواجهة علمـانية الوفـد بشكل أساسى ٠

ومن الخطأ الاعتقاد بأن تصاعد التيـــار العربى فى القصر كان نتاجا لانحسار التيار الاسلامى فيه ، اذ أن الأخير كان بالنســبة للقصر مدخـلا طبيعيا وضروريا الى الساحة العربيـــة ، دون اغفـــال الظروف السياسية الداخلية والخارجية التى أسهمت فى تنامى توجهات القصر العربية بشكل واضح ، ويتأيد ذلك بأن القوى الداخليـــة التى ســاندت سياسة القصر الاسلامية كالاخوان المسلمين ومصر الفتاة والأزهر ، هى أيضــا التى أيدت وباركت سياسته العربية ٠

والحقيقة أن القصر كان يأمل فى أن يحقق من وراء توجهاته العربية تلك المكانة السياسية التى فشـل فى أن يحققها من خـلال توجهاته الاسلامية • وبالفعل كانت النتائج الملموسـة بل ومشجعة ، فلقد قيض للقصر أن يلعب الدور البارز في الدعوة لانشاء الجامعة العربية ، فضلا عن الصلات التى أقامها مع القادة والحكام العرب ، هذا بدوره قد أغرى فاروق على السعى حثيثا تراوده فى ذلك آمال الزعامة العربيـة ، بيـد أن حرب فلسطين ونتائجها لم تقض على آماله فى تلك الزعامة فحسب ، بل وكشفت عن ضعف الكيان السياسى القائم فى البلاد وتصدعه وكانت على الاجمـال ارهاصا بانهياره •

الفصل الخامس

الصدام بين القصر والإنجليز

- تطور العلاقة بين القصر والسفارة البريطانية بعد ابرام المعاهدة
- محاولات القصر موازنة النفوذ البريطاني بالقوى الأجنبية
- موقف القصر من مسألة دخول مصر الحرب العالمية الثانية
- حادث « ٤ فبراير ١٩٤٢ » بين القصر والسفارة البريطانية
- القصر والغاء معاهدة ١٩٣٦

الفصل الخامس

الصدام بين القصر والانجليز

غلبت طبيعة القصر الأوتوقراطية ، منذ عهد فؤاد على علاقته بالجانب البريطانى . فنشأة العداء بين الطرفين لم تكن نتاجا لتفاعل القصر والحركة الوطنية ، أو لرغبة حقيقية فى الدفاع عن حقوق البلاد ومصالحها ، بقدر ما كان هذا العداء راجعا لهيمنة الوجود الاحتلالى واستئثاره بالنفوذ الحقيقى فى البلاد دون القصر ، فى وقت كان الأخير يسعى فيه لاقامة حكم ملكى عماده الاستبداد والانفراد بمقاليد السلطة فى البلاد .

وبطبيعة الحال لم يكن القصر وقتذاك يملك مقومات التحرك السياسى ضد الوجود الاحتلالى ، خاصة بعد أن أسهمت السياسة البريطانية ذاتها فى تثبيت النظام الملكى أملا فى استخدامه كعامل معادل للقوى الوطنية فى البلاد .

ومن الناحية العملية ظل الوجود الاحتلالى طرفا أصيلا ينازع القصر السلطة فى البلاد ولا يحد من هذا القول ما كان من وفاق ظاهرى بين الطرفين، ذلك أنه ما أن تفاقم نفوذ القصر فى نهاية العهد الصدقى « ١٩٣٠ - ١٩٣٣ » حتى بات أمر عزل فؤاد عن العرش مطروحا من جانب دار المندوب السامى ودوائر لندن على السواء . بيد أنه ينبغى أن نقرر أن ذلك لم يكن يحمل معنى العداء للنظام الملكى فى مصر أو تراجعا عن تأييده ، بقدر ما كان يمكن تفسيره على ضوء مقتضيات السياسة البريطانية من أن يكون الجالس على العرش أكثر تفهما وتجاوبا مع اتجاهاتها .

والحقيقة أنه لا يمكن القول بثنائية العلاقة بين القصر والجانب البريطاني ، اذ أن القوى الوطنية - ممثلة فى الوفد بشكل أساسى - كانت تمثل تحديا مفروضا على تلك العلاقة ، بل أنه لا يمكن انكار أن القوى الوطنية قد أسهمت بنصيب وافر فى صياغة شكل العلاقة بين الطرفين وتحديد أبعادها • والملاحظ أنه فى اطار الانقلابات الدستورية الثلاث التى جرت فى عهد الملك فؤاد ، وما صاحب ذلك من تزايد لنفوذ القصر بل وانفراده بالحكم، أنها - أى هذه الانقلابات الدستورية - قد جاءت بموافقة الجانب البريطانى ونتيجة لصدامه مع القوى الوطنية أثناء توليها مقاليد السلطة بشكل أساسى، وكان القصر هو أداة الانقلاب • وبعبارة أخرى فقد ظل القصر وسيلة السياسة البريطانية لتقليم أظافر الحركة الوطنية على امتداد عهد فؤاد • وينبغى الاشارة الى أن ثمة تغيرات قد طرأت على أوضاع الطرفين بعد ابرام المعاهدة ، قد أثرت وبشكل جوهرى على العلاقة بينهما • ذلك أن القصر قد افتقد - فى عهد فؤاد - لأى قدر من التأييد الشعبى يكفل له مواجهة الجانب البريطانى أو الصدام معه ، ومن ثم فقد كان من الطبيعى أن يتجنب مخاطر المواجهة مع دار المندوب السامى • ويختلف الأمر تماما فى مرحلة ما بعد المعاهدة ، اذ استطاع القصر أن يستفيد من كافة المتغيرات السياسية الحادثة فى تلك الفترة ، من ذلك فقد ظهرت الجماعات الأيديولوجية على الساحة مثل - الاخوان المسلمين وجماعة مصر الفتاة - ونجاح القصر فى جذب تلك التجمعات الى صفوفه ، ثم ما توافر له من تأييد شعبى ظاهر كأثر لمحاولات رجاله اضفاء الصبغة الدينية على العرش فى مواجهة علمانية القوى الوطنية ، يضاف الى ذلك ما أمكن رصده من تراجع للمد الوطنى فى مواجهة الوجود البريطانى كأثر لابرام المعاهدة ، كل تلك العوامل قد أدت الى تقوية مكانة القصر السياسية فى مواجهة الجانب البريطانى ، مما كان ينبىء عن أن القصر بصدد تخطى دائرة العداء للوجود البريطانى الى الصدام معه •

ويتمثل التغيير الحادث فى جوهر العلاقة بين الانجليز والقصر ، فى بروز الطرف الأخير كمصدر أساسى لتهديد الوجود البريطانى وسلامته فى البلاد • فلم تعد محاور الخلاف بين الطرفين محصوره فى تحديد اللون السياسى للوزارة التى تلى الحكم ، أو حدود تداخل القصر فى أعمالها ، بل فيما ظهر من توجهات القصر وصلاته بالمحور وتأييده للقوى المعادية لبريطانيا • حقيقة أن تلك السياسة من جانب القصر كانت انعكاسا لعدائه للانجليز ورغبة منه فى موازنة نفوذهم فى البلاد من خلال النفوذ المحورى ، بأمل التخلص من الوصاية البريطانية على العرش • على الجانب الآخر لم يكن السفير البريطانى على استعداد لمسايرة القصر أو مداهنته لما قد يترتب على ذلك من اضعاف للوجود الاحتلالى فى البلاد فضلا عن احتمالات التأثير على مصالح بريطانيا الحيوية فيها •

على ضوء سياسة القصر هذه لم يكن بوسع بريطانيا سوى أن تستعرض قدراتها فى مواجهة القصر ليس من خلال اتباع سياسة متشددة ضده فحسب ، بل أنها لم تتورع عن توجيه لطمة قوية للنفوذ الملكى وهيبته على النحو الحادث فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ • ولسوف ترى أثر ذلك على تحول العلاقة بين الانجليز والقصر ، وكيف أن الأخير عمل على تحسين علاقته بالجانب البريطانى أملا فى تأييده ومؤازرته مما كان ينبىء عن تغير جوهرى آخر فى العلاقة بين الطرفين •

تطور العلاقة بين القصر والسفارة البريطانية بعد ابرام المعاهدة :

كانت معاهدة ١٩٣٦ تمثل نهاية مرحلة من سلسلة المفاوضات المصرية البريطانية التى جرت على امتداد سبعة عشر عاما • وكان من الواضح أن تطورات الموقف الدولى ، فضلا عن التغيرات الحادثة على الساحة المصرية قد تركت آثرها على تلك الصياغة التى تحددت بها العلاقة بين الطرفين • ذلك أن

بروز الخطر الايطـالى كان يحمل معنى التهـديد المبـاشر للمصـالح المصرية والبريطـانية على السواء ٠ ففيما يتعلق بمصر كان البديل الوحيد للاحتلال البريطـانى هو احتلال ايطـالى ٠ أما بريطـانيا فلم تكن على استعداد للتخلى عن مصر لكى تتركها غنيمة باردة لايطـاليا ، وتتأكد حقيقة نوايا بريطـانيا فيما أشار اليه لوردن كيللرن ــ سير مايلز لامبسون ــ فى مذكراته من أنه كان هناك اعتقاد سائد لدى دوائر لندن بأن ضم مصر لبريطانيا كان هـو الحل الأمثل لحسم مسألة العلاقات المصرية ــ البريطـانية ، حتى وبافتراض أنه قد تم ابرام مثل تلك المعاهدة فأن ذلك لا يغنى عن الحل الآخر وهو ضم مصر لبريطـانيا ٠ وبعبارة أخرى فقد أملى الموقف الدولى على بريطـانيا أن تلجأ للوسائل الدبلوماسية بصدد قضية علاقتها بمصر ٠

والقول باشتراك غالبية الأحزاب المصرية فى ابرام المعاهدة والتوقيع عليها لا ينفى بحال أن الوفد ــ برصيده الشعبى ــ كان له القدح المعلى عمليا فى هذا الصدد ٠ ولا ريب فى أنه قد أراد استغلال التطورات التى حدثت فى الموقف الداخلى وخاصة غياب فـؤاد عن الساحة لكى يحقق هدوءا نسبيا فى صراعه ضد الانجليز وليحشد أسلحته فى صراعه ضد القصر لكى يحاصر وجوده فى قاعدة معزولة عن التأثير فى شئون البلاد وتحريك سياستها ٠ ودون اغراق فى التفاصيل فأن المعاهدة قد اعترفت ببقاء القوات البريطانية فى مناطق الأراضى المصرية ، وسوغت لها حقا قانونيا فى التدخـل بالقوة المسلحة للمحافظة على المصالح البريطانية ٠ واذا قيل أن بقاء هذه القوات فى مصر لا يمثل احتلالا فهو تناقض يصعب فهمه لا تبريره ، من ذلك أيضا أنها قد أوجدت نوعا من المحالفة الدائمة والدفاع المشترك عن مصر فضلا عن أنها أبقت على الوضع الشاذ للسودان ، الذى خلقته اتفاقية ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ ٠

ولا ريب فى أن انجلترا قد حققت مطالبها الاستراتيجية فى مصر من وراء المعاهدة فقيود الاستقلال فى تصريح ٢٨ فبراير أوحت بمعاهدة ١٩٣٦ وكان التصريح ذاته تصفية للحماية البريطانية التى أعلنتها بريطانيا سنة ١٩١٤ ، وكانت الحماية بدورها تصفية للاحتلال العسكرى الذى بدأ فى سنة ١٨٨٢ ، ومن ثم فانه يمكن القول بأن المعاهدة لم تغير فى التحليل الأخير من موقف الوجود الاحتلالى فى « مصر المستقلة »(١) ٠

وفيما يتصل بالعلاقة الثنائية بين القصر والانجليز بعد المعاهدة فكان من الواضح أن المعاهدة لم تغير من توجهات القصر الاستبدادية وجنوحه نحو الحكم المطلق كما أنها لم تحد تماما من طبيعة « القهر السياسى » لممارسات الوجود الاحتلالى على الساحة ، فى وقت رأت فيه غالبية الأحزاب السياسية

---

(١) ومما يجدر ذكره أن بريطانيا قد وقعت فى تلك الحقبة سلسلة من المعاهدات فى المنطقة العربية فعقدت مع العراق معاهدة عام ١٩٣٠ ، وأخرى مع الأردن فى عام ١٩٣٤ ٠ وأخيرا المعاهدة مع مصر عام ١٩٣٦ ، مما كان يوضح حرص بريطانيا على استقرار علاقتها مع مصر وغيرها من الأقطار الحيوية بالنسبة لها ، ولم يكن لكل تلك المعاهدات من أثر سوى أن سلطة انجلترا قد كانت مباشرة تمارس من خلال دولة مستقلة ذات سيادة ٠ لمزيد من التفاصيل عن معاهدة ١٩٣٦ انظر مجلس الشيوخ : قانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٣٦ بالموافقة على معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا العظمى - القاهرة - المطبعة الأميرية سنة ١٩٣٧ ، عاصم الدسوقى : مصر فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ص ١٨ ، أحمد عبد الرحيم مصطفى : العلاقات المصرية البريطانية (١٩٣٦ - ١٩٥٦) ، معهد الدراسات والبحوث العربية ، القاهرة ١٩٦٨ ص ١٦ ، نفس المؤلف : مشكلة قناة السويس (١٨٥٤ - ١٩٥٨) ، معهد الدراسات والبحوث العربية ص ٦٤ ، فؤاد كرم : الأجانب فى مصر : « الجنسية المصرية والطوائف الدينية » ، مكتبة عبد الله وهبه ، القاهرة د٠ت ص ١٦ ، طارق البشرى : المسلمون والاقباط فى اطار الجماعة الوطنية - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٠ ص ٥٥٣ - ٥٥٦ ، راشد البراوى : حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ص ١١٩ ، بيانات حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى رئيس الوزراء ورئيس وفد مصر أمام مجلس الأمن ، بيان النقراشى أمام مجلس الأمن فى « ١١ أغسطس سنة ١٩٤٧ » ص ٤٩ وأنظر كذلك The Killearn Diaries : P : P : 7172, Marlowe J : Anglo Egyptian Relation (1800-1953) : P : P : 300-301, Kirk, G, A Short History of Middle East P : 173

أنها معاهدة « الشرف والاستقلال » والواقع أن استقرار تلك المفاهيم فى فكر القصر والسفارة البريطانية ، كان ينبىء عن عود الى الصراع التقليدى بين الطرفين بل وحتميته ٠

أما عن الظروف والاعتبارات الموضوعية التى أثرت على القصر وتوجهاته السياسية عشية ابرام المعاهدة وتولى فاروق سلطاته الدستورية ، فينبغى الاشارة الى أنه كان على الانجليز بمقتضى المعاهدة أن يمتنعوا عن التدخل فى شئون مصر الداخلية مما كان يعنى أن حرية الحركة قد غدت مكفولة للقصر أكثر من قبل ، ومن ثم كان على الجانب البريطانى وليس القصر أن يهيىء نفسه لتقبل المستوى الجديد من العلاقات مع الطرف الآخر ٠ ثم أن الوفد خصم القصر العنيد فقد فقد الكثير من مقومات فاعليته ونشاطه السياسى بعد أن حلت قضية الاستقلال ، فضلا عما تعرض له من انشقاقات متتالية ، قد أثرت ولا ريب على بنيته السياسية كحزب جماهيرى ٠ وفوق كل ذلك فأن القصر نفسه قد راح يتحرك مستندا الى رصيد شعبى ضخم لم يتوافر له قبلا منذ بداية الاحتلال وذلك بفضل رجاله المخلصين أمثال على ماهر والشيخ المراغى ٠

وواقع الحال أن التناقض قد بدا واضحا فى السياسة البريطانية ، من ذلك فقد قضت تعليمات حكومة لندن بأن يكون التدخل فى السياسة المصرية قاصرا على حالات تجاهل المعاهدة أو نقض نصوصها وعدم الاستجابة لمطالب بريطانيا الدفاعية وتدهور أوضاع الأمن الداخلى بما يهدد أرواح وممتلكات الأجانب(٢) ٠ الا أن الممارسة العملية فى اطار تلك السياسة قد

---

(٢) Fo : 407/222 : No : 14 : Eden to Lampson, Feb. 10, 1938, Tel. No : 166

أثبتت أنه لم يكن بمقدور السفير البريطانى اسداء « النصائح الودية » دون أن تقترن « بأنذار » أو « بتدخل عسكرى » على نحو ما ظهر واضحا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية • ومن صور التناقض أيضا أنه كان على السفير البريطانى ، أن يصدر تعليماته للمسئولين بشكل غير رسمى - قدر الامكان - على أن يجعلهم يشعرون أنه يتحدث بتفويض من حكومته لكى توضع تلك التعليمات موضع الاعتبار من المسئولين المصريين ، وتجنب التدخل بشكل رسمى(٣) •

على الجانب الآخر لم يتغافل السفير البريطانى عن الملك فى محاولة لاحتوائه فينصحه بضرورة الابقاء على صلات الود مع النحاس رئيس الوزراء . ويحذره من مغبة استخدامه - أى الملك - كمخلب قط لأى فريق(٤) • ومحاولة كبح جماح الملك على هذا النحو ، لم تكن تتم بطبيعة الحال لحساب الوفد ، وانما جرت فى اطار الرغبة فى احداث التوازن لكى لا تتفوق قوة على أخرى • يضاف الى ذلك فقد أراد الجانب البريطانى أن يختزن القصر لنفسه كمعامل معادل للوفد ذاته ، خاصة بعد ما أبدته الحكومة النحاسية الثالثة من مظاهر عدم الاكتراث ازاء المطالب البريطانية - على نحو ما مر بنا - فلقد وضع لامبسون يده على خمائر الصراع المرتقب بين القصر والوزارة من أن « الصدام بين‌الطرفين قد غدا وشيك الوقوع حالما يتولى الملك سلطاته الدستورية فى نهاية يولية القادم • فالملك يعتزم تعيين على ماهر رئيسا للديوان الملكى رغم معارضة الوفد •• وعلى ماهر واثق من أن

---

(٣) Fo : 407/221 : No : 1 : Same to same, July 1, 1937, Tel. No.: 765

(٤) Ibid : No : 9 : Lampson to Eden, July 28, 1937, Tel. No : 98

الخريف القادم سوف يكون ملائما لاقالة حكومة الوفد واجراء انتخابات في ظل حكومة محايدة »(٥) ٠

وبصدد تحديد أسلوب التعامل مع الوزارة أوضح لامبسون لأحمد حسنين أن المخاطر الحقيقية التى تواجهها انما تكمن فى الوزارة ذاتها ، وأن الاهتمام الحقيقي يكون بتركها فى الحكم حتى يثبت عجزها وفشلها ، وأنه يتعين على الملك أن يكون حريصا لئلا يتخذ منه مخلبا لأى حزب من الأحزاب فالوقت فى صالحه اذا لعب دوره بعناية وبشكل دستورى(٦) ٠

على كل حال ما لبث أن تفجر الصدام بين القصر والوزارة النحاسية الرابعة من خلال العديد من القضايا التى فرضت نفسها على العلاقة بين الطرفين ـ كما مر بنا ـ وبدت توجهات القصر الأوتوقراطية واضحة للجانب البريطانى ، على نحو فاق توقعاته ٠ وبدأ القصر يسير حثيثا نحو اقالة الوزارة مما كان يعنى أنه سوف يغدو له القدح المعلى فى الحكم وكان ذلك بدوره خروجا عن الدور الذى أراده له الجانب البريطانى فى اطار سياسة التوازن ٠

وعلى الرغم من التحذيرات التى ساقها السفير البريطانى لرئيس الديوان الملكى على ماهر من أنه سوف يغدو من المؤسف أن يسود دوائر لندن اعتقاد بأن فاروق يعانى من نفس نقائص أبيه ، وأن الحكومة البريطانية تقف ضد اقالة رئيس الوزراء الذى يتمتع بالأغلبية البرلمانية ، مما قد يؤدى فى النهاية الى القضاء على الملك وأسرته وطلب منه أن ينقل فحوى حديثه

---

(٥) Fo : 407/221 : No : 11 : Lampson to Eden, Feb. 16, 1937, Tel. No : 209

(٦) Fo : 407/221 : No : 8 : Lampson to Eden, July 27, 1937 Tel. No :902

للملك(٧) . ورغم أن لامبسون راح يعيد على مسامع الملك - فى نفس اليوم - تحذيراته من الاقالة وينصحه أن يترك الأحداث تجرى فى سيرها الطبيعى على النحو الدستورى(٨) . الا أن لامبسون نفسه كان فى ريبة من نوايا الملك عبر عنها فى مذكراته بقوله « أنه ليس من الواضح فى ذهنى تماما تلك النتائج التى يمكن أن تترتب على حديثى مع الملك(٩) .

ولقد كان السفير البريطانى محقا فى مخاوفه ، فرغم تحذيراته راح الملك يسير فى طريق الاقالة لا يلوى على شىء وبادر بالفعل الى اقالة الوزارة النحاسية فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ ، ليسجل بذلك أول انتصار سياسى له على الزعامة الوفدية والسفارة البريطانية فى اطار معاهدة ١٩٣٦ . وفى تقديرى فان الاقالة على هذا النحو جاءت فى المقام الأول بمثابة اختبار حقيقى للعلاقة بين القصر من جانب والانجليز - وليس الوفد - من جانب آخر ، كما أنها كانت تعنى فشلا محسوبا للسياسة التى كان لامبسون قد اعتزم تنفيذها بتأييد من حكومته ، فى مواجهة القصر بشكل أساسى .

عند هذا الحد يتعين أن نعرض بالتحليل للدوافع التى حددت حركة القصر فى مواجهة السياسة البريطانية خلال الأزمة . فمن هذه الدوافع **اولا :** أن القصر فى تعامله مع الأزمة كان مستندا لرصيد شعبى كبير ، ثم أن توجهه الدينى قد ساعده على أن يستقطب لصفوفه الجماعات الأيديولوجية التى ظهرت على الساحة مثل الاخوان المسلمين ومصر الفتاة فضلا عن أن أحزاب الأقلية التى ساءتها مسيرة الوفد فى الحكم ، قد

---

(٧) The Killearn Dairies : P : 89

(٨) Fo : 407/221 : No : 82 : Lampson to Eden, Dec. 20, 1937, Tel. No : 725

(٩) The Killearn Diaries, P : 90

أظهرت بعدائها للحزب الشعبى انحيازا الى صفوف القصر • ومن هذه الدوافع أيضا أن القصر بحس سياسى ماهر قد أدرك نقطة انقلاب العلاقات وتدهورها بين الحكومة النحاسية والسفارة البريطانية ، فانتهز تلك السانحة لكى يعضد من مكانته السياسية ويؤكد حقه الدستورى فى اقالة الوزارات وتعيينها • ومنها أخيرا ما كان من تقديره من أن الجانب البريطانى لن يغامر بالتدخل المباشر لنصرة قضية الوفد فى الحكم أو يتورط فى شأن هو من شئون مصر الداخلية على نحو يجعله موضع اتهام القوى الأخرى بنقضه للمعاهدة •

ورغم ذلك فقد بدا موقف السفير البريطانى حرجا بعد الأزمة ، فأتهمه فريق من الأحزاب السياسية بمحاولة التدخل فى شئون مصر الداخلية ، دون أن يكون هناك مساس بالمعاهدات ، واتهمه فريق آخر — الوفد — بالعداء والتخاذل المحسوب عن التدخل لصالحهم • وكان من الطبيعى أن يكون ذلك باعثا لحكومة لندن كيما تعيد تقديراتها قبل القصر وسياسته ، فأرسلت تعليماتها للامبسون تفوضه التصرف حسبما يتراءى له فى المواقف العاجلة ، دون انتظار لتعليمات من حكومته ، خاصة وأنها قد تصل بعد الوقت المناسب ، فى حالة تغير المواقف السياسية بشكل سريع(١٠) • ومن جهة أخرى حددت التعليمات قواعد التدخل بشكل عام لتكون بغرض حماية اهتمامات بريطانيا •• وأكدت على ضرورة اختيار الوقت المناسب لتقديم النصائح بما يضمن عدم تجاهلها(١١) •

وفى اطار تلك السياسة بدا الجانب البريطانى حريصا على تحسين

---

(١٠) Fo : 407/222 : No : 47 : Halifax to Lampson, May 5, 1938, Tel. No : 553

(١١) Ibid

علاقته بالقصر وتجنب الصدام معه فى اطار عدم المساس بالمصالح الحقيقية لبريطانيا . فعندما طلبت الخارجية المصرية استطلاع رأى الحكومة البريطانية فيما اذا كانت توافق على تعيين حسن نشأت سفيرا لمصر فى لندن ليخلف حافظ عفيفى ، أرسل لامبسون الى حكومته يطلب منها الموافقة على اقتراح الخارجية المصرية(١٢) . ويصل رد الخارجية البريطانية بأنها سوف تطرح تلك المسألة أمام ملك بريطانيا مقترنة بالتزكية(١٣) .

وبصدد تلك السياسة أيضا وقع حادثان أثناء وزارة محمد محمود الرابعة كان لهما دلالتهما ، أولهما : أن القصر قد طلب من محمد محمود الغاء حرس السفير البريطانى من راكبى الموتوسيكلات ، وهو مظهر من المظاهر التى كان يحاط بها السفير البريطانى قبل معاهدة ١٩٣٦ عندما كان مندوبا ساميا ، وتركت حكومته هذا المظهر للسفير بصفة استثنائية تقديرا لدوره فى المعاهدة . وكان الملك يرى أن هذا المظهر هو حق له كملك للبلاد لا يجب أن يشاركه فيه أحد ، ونجحت مساعى القصر لدى حكومة محمد محمود فى اقناع السفير البريطانى بالتنازل عن ذلك المظهر .

أما الحادث الثانى فكان عند زيارة السفير البريطانى لأسوان حيث استقبله مديرها استقبالا رسميا جريا على المتبع من قبل للمندوب السامى مما أثار حفيظة القصر ، فكتب البندارى الى وزير الداخلية وقتذاك - محمود فهمى النقراشى - يطلب اليه انذار هذا المدير واخطار المديرين الآخرين عن سبب هذا الانذار والتهديد بايقاع العقاب على المسئول فى حالة تكرار

---

(١٢) Fo : 407/222 : No : 27 : Lampson to Halifax, Mar. 23, 1938, Tel. No : 173

(١٣) Fo : 407/222 : No : 31 : Halifax to Lampson, Mar. 29, 1938, Tel. No : 164

الحادث(١٤) ·

وبرغم من أن الحادثين قد تما بايعاز من البندارى - الذى تولى رئاسة الديوان الملكى أثناء غياب على ماهر والمعروف بميوله الفاشية وعدائه للانجليز · الا أنه يمكن القول بأن رد الفعل البريطانى جاء فى اطار السياسة البريطانية بتجنب تصعيد الأزمات مع القصر واحتواء الخلافات معه ·

عند هذا الحد ينبغى الاشارة الى مساعى القصر لتحسين علاقاته بالجانب البريطانى فى تلك الفترة والتى جرت على يد على ماهر والذى كان تعيينه سببا فى حدوث أزمة بين القصر والحكومة النحاسية الرابعة ، الا أنه لقى قبولا من الجانب البريطانى · فلقد اكتسب على ماهر ثقة لامبسون أثناء توليه وزارته الأولى نتيجة سلسلة الاصلاحات الداخلية التى قام بها(١٥) · وحتى تولى فاروق سلطاته الدستورية كان هناك اعتقاد سائد لدى السفارة البريطانية بأن هناك عاملا هاما سوف يؤثر على فاعلية القصر واستعادة نفوذه وتأثيره السياسى وهذا العامل يتوقف على اتجاه الملك فاروق بما سوف يتلقاه من نصائح مباشرة أو غير مباشرة من على ماهر(١٦) ·

والحقيقة أن على ماهر أثناء عمله بالقصر قد تنازعه ولاء موروث للقصر ، والرغبة فى بناء مجد شخصى له · واذا كان قد ظهر بمظهر المدافع عن حقوق الملك فى وجه الوزارات المتعاقبة ، فلسوف نراه يخوض صراعا حادا ضد

---

(١٤) أنظر عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ج ١ (١٩٣٧ - ١٩٤٨) بيروت ١٩٧٣ ص ٢٤٨ - ٢٥٠ ·

(١٥) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٢ - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٥١ ص ٥٢ ·

(١٦) Fo : 407/221 : No : 21 : Lampson to Eden, July 28, 1937, Tel. No : 209

البندارى داخل القصر ، لكى يحقق غايته فى الاستئثار بالنفوذ المطلق على الملك . فلقد عمل على ماهر بنشاط سياسى فائق أثناء رئاسته للديوان الملكى ، وكان همزة الوصل بين القصر والسفير البريطانى . واثر اقالة الوزارة النحاسية الرابعة راح يوضح للامبسون أن الملك يعتمد تماما على انجلترا وأنه يجب أن يستمر فى ذلك ، وأنه بصدد أن يقترح على الملك زيارة انجلترا فى الصيف أو الخريف القادم(١٧) . وانتهز على ماهر فرصة زيارته للندن لحضور مؤتمر المائدة المستديرة لبحث القضية الفلسطينية ، ولكسب المزيد من ثقة الحكومة البريطانية راح على ماهر يوضح للمسئولين هناك أنه يتفق تماما مع وجهة نظرهم بأهمية المعاهدة لكل من مصر وبريطانيا وأنه من الأهمية بمكان تنفيذها نصا وروحا . كما أوضح لهم أن الملك فاروق يعى تماما أن آمن مصر مرتبط بأمن الامبراطورية البريطانية(١٨) .

ومن ثم فاذا كانت مناورات على ماهر هذه قد استهدفت فى جانب منها تحسين العلاقة بين القصر والانجليز ، فأنها على الجانب الآخر كانت تعبيرا عن اتجاهات على ماهر لكسب مزيد من ثقة الجانب البريطانى بغرض تقوية مكانته فى القصر فى صراعه ضد البندارى ، ولو أدى ذلك الى جذب الجانب البريطانى الى دائرة الصراع الداخلى بالقصر . الا أن انتقال على ماهر من رئاسة الديوان الملكى الى رئاسة الوزارة فى ٨ أغسطس ١٩٣٩ ، كان ايذانا بانقلاب العلاقة بين القصر والانجليز ودون اغراق فى التفاصيل ، فقد أسهم على ماهر بنصيب وافر فى هذا الانقلاب من خلال تبنيه لفكرة تجنيب مصر ويلات الحرب والدعوة الى حيادها ازاء الصراع الدولى القائم ، مما دعا السفير

---

(١٧) Fo : 407/222 : No. 9 : Lampson to Halifax, July, 22, 1938. Tel. No. 134

(١٨) Fo : 407/223 : No : 9 : Halifax to Lampson, Mar, 10, 1939, Tel. No. 243

البريطانى الى توجيه تبليغ الى الملك لاقالة على ماهر فيما يمكن تسميته « بحادث ٤ فبراير الصغير » وبالفعل قدم على ماهر استقالة وزارته فى ٢٣ يونية ١٩٤٠(١٩) ٠

ومما يجدر ذكره أن شائعات قوية قد سرت اثر استقالة على ماهر عن نية الملك فاروق في مغادرة البلاد ٠ ويشير لامبسون « لورد كيللرن » فى مذكراته يوم ٢٥ يونية ١٩٤٠ الى اعتراض الجنرال ويفل « قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط » على استبقاء فاروق بمصر ، وأنه يتعين السماح له بمغادرة البلاد ، خلافاً لما كان يراه لامبسون ، والذى أخبر ويفل أن تعليمات الخارجية البريطانية تقضى باستبقاء فاروق بمصر وعدم السماح له بمغادرتها الى ايطاليا حيث يكون بمقدوره المطالبة بعرش مصر ، الا أن ويفل أصر على موقفه(٢٠) ٠ يفهم من هذا أن خلافاً قد جرى بين السلطات العسكرية فى مصر والسفارة البريطانية حول موقف الملك فاروق انتهى بترجيح رأى الطرف الأخير ٠

وفيما يتصل بحقيقة نوايا فاروق ، فقد كان من الواضح أنه لم يكن ليفكر بالفعل فى مغادرة البلاد ، حتى لا تنتهز بريطانيا تلك الفرصة فتقدم على خلعه مثلما فعلت فى السابق مع الخديو عباس حلمى ٠ ولقد أوضح فاروق فيما بعد للسير ريتشارد هاو وكيل الخارجية البريطانية ، أنه كان قد قرر البقاء فى مصر لكى يقاتل مع شعبه(٢١) ٠

---

(١٩) The Killearn Diaries, P : 123

(٢٠) Fo : 407/224 : No : 22 : Halifax to Lampson, June 22, 1944 Tel. No : 493

(٢١) عاصم الدسوقى : مصر والحرب العالمية الثانية ص ٩٢ وانظر كذلك :
Fo : 371/62972 : R : Howe to Bevin, May 10, 1947

على كل حال فان خروج على ماهر من رئاسة الديوان ورئاسة الوزارة ، لم يؤرخ نهاية لنفوذه فى القصر ، فرغم أن أحمد حسنين قام - بموافقة الملك - بتطهير القصر من على ماهر وصنائعه ، الا أن الأخير استطاع أن يملأ المناصب الادارية العليا بأعوانه فوزارة الخارجية شغل مناصبها الرئيسية لفيف من اعوانه الذين كانوا يرسلون اليه كافة البرقيات التى ترسل للقصر ، وكذا مدير الأمن العام ووكيل وزارة التجارة وغيرهم(٢٢) • بل أن أحمد حسنين راح يسأل لامبسون عن امكان تعيين على ماهر رئيسا للوزارة من جديد خلفا لحسن صبرى بعد وفاته ، الأمر الذى رفضه السفير البريطانى بشكل حاسم(٢٣) • كل تلك الدلائل تشير الى أن القصر لم يكن جادا فى مسألة التخلص من على ماهر ونفوذه ، وأن ما جرى كان بغرض استرضاء السفارة البريطانية فحسب •

ولا شك ان انسياق القصر وراء نفوذ على ماهر قد قاده الى مخاطر غير محسوبة النتائج فى مواجهة الجانب البريطانى • فلقد كان موقف القصر من أزمة قطع العلاقات مع حكومة فيشى - كما سيرد ذكره - نابعا من تقدير على ماهر ورجاله فى القصر لانتصار المحور فى برقة بعد نزول قوات هتلر هناك ، وفى ظل الظروف العسكرية غير المرجحة لكفة الحلفاء فى الصحراء الغربية ، حتى اذا استطاع روميل أن يخترق وادى النيل فان الملك يمكنه الاحتفاظ بعلى ماهر لكى يتولى وزارة تستطيع أن تلتقى مع المحور وهى الفكرة التى كان على ماهر يتحرك فى اطارها فى يونية ١٩٤٠ وقت الأزمة

---

(٢٢) Fo : 407/224 : 150 : Lampson to Halifax, Nov. 13, 1940
Tel. No : 1506

(٢٣) Ibid : No : 155 : Same to same, Nov. 14, 1940,
Tel. No : 1526

التى أدت الى استقالته(٢٤) ولسوف نرى كيف مهدت تلك السياسة أيضا من جانب على ماهر والقصر الى أزمة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ٠

على كل حال فأن نهاية الحرب العالمية الثانية قد أرخت بداية لتغير جذرى فى العلاقة بين القصر والانجليز وذلك كان راجعا فى تقديرى الى عاملين **أولهما** : أن القصر قد استوعب تماما الدرس الذى تلقاه من الانجليز فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، **ثانيهما** : أن استعادة القصر لمقاليد السلطة وحكم البلاد من خلال وزارات موالية بعد انهاء الوجود الوفدى فى الحكم فى نهاية عام ١٩٤٤ ، كان باعثا آخر له للتقارب مع الانجليز ٠ ولقد انصرف فكر القصر ليس الى مجرد تحسين علاقته بالانجليز فحسب بل والانتقال بها الى « مرحلة التحالف » باعتبار أن تحالفا مع بريطانيا يكون للقصر فيه اليد الطولى من شأنه أن يهيىء له ثباتا واستقرارا ، بل ومزيدا من القوة فى مواجهة خصومه السياسيين وفى مقدمتهم الوفد ذاته ٠

أما عن التحالف فقد كان مبناه ابرام اتفاقية للدفاع المشترك بين مصر وبريطانيا ٠ وينبغى الاشارة الى أن القصر لم يأت بجديد فى هذا المضمار ، ذلك أن الظروف الدولية التى سادت العالم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وما ترتب عليها من الانقسام الى كتلتين قد حدا بالولايات المتحدة فى ذلك الوقت الى تبنى الدعوة - من خلال تركيا واليونان - لمشروع تكوين حلف يضم دول حوض البحر الأبيض المتوسط تنضم اليه ايران اضافة للدول العربية ، ونشط فى هذه الدعوة وزير خارجية اليونان المستر «تسالداريس» كذلك ظهرت دعوة أخرى فى أوروبا الغربية لعمل ميثاق دولى لمكافحة الشيوعية ووقف انتشارها فى العالم ، ونشر أن الدعوة ستوجه الى مصر

---

(٢٤) محمد أحمد أنيس : ٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى ص ٩٠ - ١٠٠ ٠

للانضمام اليه(٢٥) . وكان من الواضح أن الولايات المتحدة - فى أعقاب الحرب العالمية الثانية - قد اتجهت تحت ستار تلك الدعوة الى تحقيق غرضين هامين **أولهما** : منازعة النفوذ البريطانى والفرنسى فى المنطقة ، **ثانيهما** : محاصرة الخطر الشيوعى باعتباره كان أداة التهديد الرئيسية للسياسة الأمريكية فى منطقة البحر الأبيض المتوسط .

وعلى ضوء ما تقدم يبقى السؤال المطروح وهو هل كان للولايات المتحدة دور فى الايعاز لفاروق بفكرة اتفاقية الدفاع المشترك ؟ . والواقع أن الباحث لم يعثر فى أى من المصادر بما فيها الوثائق البريطانية على امتداد الفترة من عام ١٩٤٥ - ١٩٤٨ الى ما يشير الى هذا الدور تصريحا أو تلميحا . الا أنه ينبغى الاشارة الى أن كيرميت روزفلت - رجل المخابرات المركزية - ومندوب وزارة الخارجية الأمريكية ، قد عمل فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية وتوطدت صلاته بفاروق ووقف الى جانبه فى أزمة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، كما قام بترتيب مقابلة فاروق مع الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت خلال زيارته لمصر عام ١٩٤٥(٢٦) . على هذا فلا يكون من المستبعد أن تكون قد جرت بالفعل مناقشة الفكرة أثناء الاتصالات التى تمت بين فاروق والجانب الأمريكى ، الا أنه ينبغى الاشارة الى أن فاروق لم يكن بقادر على التجاوب مع الفكرة بشكل مطلق باعتبار أن المعاهدة المصرية - البريطانية المبرمة عام ١٩٣٦ سوف تقف حائلا دون ابرام مثل تلك الاتفاقية مع الولايات المتحدة ما لم توافق بريطانيا . ثم أن الجانب الأمريكى لم يكن حتى ذلك الوقت يمثل ثقلا رئيسيا على الساحة المصرية على نحو ما توافر لبريطانيا ،

---

(٢٥) حسنين كرام : عروبة مصر قبل عبد الناصر : ج ٢ ص ٢٨ .
(٢٦) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يولية : ج ٢ ص ١٢ .

ومن ثم اتجهت نوايا فاروق الى بريطـانيا وليس للولايات المتحدة لتكن طرفا فى تلك الاتفاقية٠٠

حتى هذا الاتجاه الأخير كان يتعارض أيضا مع مكانة مصر ووضعها فى الجامعة العربية خاصـة وأنها قد وقعت مـع باقى الأعضاء مشروعا للدفاع المشترك ، والذى كان يعتبر بمثابة حلف عسكرى عربى ، ومن ثم فلم يكن هناك مبرر للارتباط بحلف آخر مع انجلترا(٢٧) يضاف الى ذلك فأن اتجاه القصر نحـو ابرام الاتفـاقية مع بريطـانيا كان يتناقض مع سـياسة مصر المعلنة ، اذ أعلنت وزارة النقراشى الثانية أن القواعد المرسومة لسياسة مصر الخارجية فى هذه الآونة تقضى بأن تقف البلاد فى المضمار الدولى موقف الحياد الدقيق(٢٨) • وجـاء موقف الوفـد متسـقا مع موقف الحـكومة فى هـذا الصدد ، اذ أعلن النحـاس فى عيد الجهاد الوطنى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٨ أن الخطة السليمة التى تمليها ظروفنا الخاصة وتقتضيها مصلحتنا ٠٠ هى أن تكون اذا ما حاقت الكارثة وشبت نار الحرب العالمية الثالثة ـ مطلقى الأيدى ـ فى تكييف سياستنا وتوجيه خطانا وفقا للظروف القائمة وتطوراتها وعلى هدى حقوقنا الوطنية ومصالحنا القومية دون غيرها • ولا ريب فى أن النحاس كان فى ذلك يعكس رأى الأغلبية فى البلاد(٢٩) • ولقد تأكدت تلك السياسة بالفعل عندما تولى النحـاس الحـكم فى عام ١٩٥٠ اذ استمر فى سياسته برفض فـكرة الأحلاف العسكرية • هذا الاتجاه من الوفـد جاء متسقا مع سـلامة التقدير خاصة وأن سـياسة الحـكومة الوفدية الأخيرة اتجهت الى التحلـل من التزاماتها نحو بريطـانيا فى محـاولة للتخلص من التبعية لها

---

(٢٧) حسنين كروم : المصدر السابق : نفس الصفحة •

(٢٨) المصرى : مقال بعنوان « تصريح لمسـئول مصرى كبير » فى ١٩٤٨/٣/٢ •

(٢٩) حسنين كروم : المصدر السابق ص ٤٥ •

مما تمخض عنه الغاء معاهدة ١٩٣٦ وكان من الطبيعي والأمر هكذا أن تعارض الفكرة • أما الملك فراح يطرح على السفير البريطاني فكرة اتفاقية الدفاع المشترك مع بريطانيا ، من خلال تبنيها لفكرة اقامة نظام دفاعي مشترك عن الشرق الأوسط بالاتفاق مع جامعة الدول العربية • على أن تمهد بريطانيا لذلك بمفاوضات ثنائية بينها وبين كل دولة عضو بالجامعة العربية(٣٠) • وبصدد اغراء بريطانيا على قبول الفكرة ، راح الملك يدلل على امكان نجاح الفكرة بقيام روسيا بعقد اتفاقيات دفاع مع سبع دول خلال عشرة أسابيع ، ولم تكن هذه الدول قد اصطبغت بالصبغة البلشفية تماما مثل تشيكوسلوفاكيا(٣١) •

أما عن الجانب البريطاني فقد كان مدركا للبواعث الحقيقية للقصر من وراء طرح الفكرة ، وأنه ليست هناك ثمة جدوى لمثل هذه الاتفاقية بالنسبة لبريطانيا • كأثر لذلك وصلت التعليمات للسفير البريطاني بأن يوضح للملك أن بريطانيا ترتبط بالفعل بالعديد من المعاهدات مع مصر والعراق وشرق الأردن ، وأنها تلبي مطالب بريطانيا بالفعل(٣٢) • وعلى الرغم من ذلك راح الملك يلح على السفير البريطاني بضرورة اتخاذ الترتيبات والاجراءات العسكرية للدفاع المشترك مع بريطانيا ، الأمر الذى فهمته دوائر لندن ، طبقا لتعليق مدير الادارة الافريقية بالخارجية البريطانية على مذكرة

---

(٣٠) Fo : 371/69244 : Campbell to F.O. Feb. 11, 1948, Tel. No : 182

(٣١) Fo : 371/69244 : Campbell to F.O. Feb. 12, 1948, Tel. No : 24 saving

(٣٢) Fo : 371/69244 : FO to Campbell, Feb. 14, 1948, Tel. No : 255

كامبل ، بانها رغبة مصر فى أن تكون قوة عسكرية مؤثرة(٣٣) ٠

الا أن ذلك لم يكن يغير من موقف الجانب البريطانى ، والذى أظهر تمسكا واضحا بمعاهدة ١٩٣٦ ٠ وكان أن أبلغ كامبل عبد الفتاح عمرو بأن الملك فى مقدوره ، بعد موافقة زعماء البلاد اجراء أى ترتيبات عسكرية يتم الاتفاق عليها ، باعتبارها ترتيبات ادارية تجرى فى اطار معاهدة ١٩٣٦ ٠ وأنه يتعين على الملك ألا يعلن عن هذه الأفكار فى الوقت الحالى خوفا من اثارة مسألة اعادة النظر فى المعاهدة(٣٤) ، ومن ثم كان على القصر أن يتخلى عن الفكرة مؤقتاً ٠ والحقيقة أن الرفض البريطانى لفكرة الدفاع المشترك قد حكمته اعتبارات موضوعية عدة ، ذلك أن فشل مفاوضات صدقى - بيفن التى بدأت فى منتصف ابريل سنة ١٩٤٦ ، ثم ما تلا ذلك من فشل مصر فى عرض قضيتها أمام مجلس الأمن فى أغسطس ١٩٤٧ ، قد أوضح بجلاء رغبة بريطانيا فى الابقاء على معاهدة ١٩٣٦ دون المساس بها باعتبارها تحقق لها مطالبها الدفاعية فى مصر وتضمن انفرادها عملا بالسيادة على السودان ، ومن ثم كان اصرارها على أن أية ترتيبات تتصل بالدفاع عن مصر يجب أن تجرى فى اطار المعاهدة أساسا وليس خارجها ٠

بيد أن ذلك لم يؤرخ نهاية لمحاولات القصر فى هذا الصدد ، أذ ما لبثت أن تجددت مساعيه وكانت المناسبة هنا ما ظهر من احتمالات قوية لعودة الوفد الى الحكم ، على نحو كان يتعين معه على القصر التحرك صوب بريطانيا لاحداث التوازن مع مساعى الوفد للتقارب معها ٠ ذلك أن تشكيل وزارة حسين سرى الثالثة فى ٢٥ يولية ١٩٤٩ والتى شارك فيها الوفد مؤتلفا مع الأحزاب الأخرى لم تكن فى واقع الحال سوى خطوة نحو عودة الوفد إلى الحكم ٠

---

(٣٣) Fo : 371/69195 : Campbell to FO Nov. 27, 1948.

(٣٤) Fo : 371/69195 : Campbell to F.O/Nov. 29, 1948.

راح القصر من جديد يتخذ الخطوات العملية لاحياء فكرة اتفاقية الدفاع المشترك فبعث الملك برسالة سرية لوزير خارجية بريطانيا ، حملها عبد الفتاح عمرو وتضمنت الآتى :

أ - أن مصر يجب أن تقف الى جانب بريطانيا فى أى حرب ضد روسيا .

بَ - أن توقعاتنا من تهديدات هذه الحرب والاجراءات الضرورية التى يتعين اتخاذها لمقابلة هذه التهديدات ، هى أمور حقيقية يتعين الترتيب لها .

جـ - أن الجانب الحيوى والهام من هذه الاجراءات يتمثل فى ضرورة استمرار بقاء القوات البريطانية فى مصر(٣٦) .

وأشارت مذكرة الخارجية البريطانية الى أن الملك يرى أن اتفاقية الدفاع على هذا النحو هى ضرورية لمصر ، وهو يرغب فى أن يكون الاتفاق شخصى وسرى بينه وبين بعض كبار المسئولين من جانبنا مثل ملك انجلترا(٣٧) . وراح الملك فاروق يوطد السعى فى هذا المجال أثناء مقابلاته للجنرال ويليام سليم - رئيس أركان الجيش البريطانى - عند زيارته لمصر وأوضح له أهمية مثل هذه الاتفاقية وأنه سوف يبذل أقصى ما فى وسعه لتحقيق المطالب البريطانية(٣٨) . الا أن قيام الوزارة النحاسية الأخيرة بالغاء المعاهدة كان بمثابة تقويض لجهود القصر تماما فى هذا المجال .

وعن تقييم العلاقة بين القصر والسفارة البريطانية اثر ابرام معاهدة

---

(٣٦) Fo : 371/73505 : Memorandum Of Secretary of States, Oct. 18, 1949

(٣٧) Ibid

(٣٨) Fo : 371/73050 : War Office to F.O. Nov. 4, 1949

١٩٣٦ ، فيمكن القول بأن الساحة قد شهدت تزايدا لنفوذ القصر وجنوحه نحو الانفراد بالحكم . ولقد تبلور هذا الاتجاه باقالة الوزارة النحاسية الرابعة ، اذ راح القصر يحكم البلاد من خلال وزارات أقلية عرفت غالبيتها بالتبعية له . أما السياسة البريطانية فقد عولت فى اطار المعاهدة على تجنب التدخل فى شئون البلاد ، ألا بالقدر الذى يمس الوجود البريطانى أو يهدد مصالحه .

ولقد سارت هذه السياسة فى هدى « النصائح الودية » فلا نكاد نرصد خروجا عليها سوى تدخل بريطانى لاسقاط وزارة على ماهر الثانية فى يونية ١٩٤٠ ، وآخر لفرض وزارة وفدية فيما عرف بحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، والذى كان بمثابة نقطة انقلاب فى العلاقة بين الطرفين ، أدرك القصر بعدها أنه يتعين عليه أن ينأى بنفسه عن الصدام بالوجود الاحتلالى بشكل أو بآخر ، ومن ثم كان حرصه على تحسين العلاقة معه بل وحاول الوصول بها الى مستوى التحالف ، فاتجهت نوايا القصر فى هذا الصدد الى تبنى فكرة اتفاقية الدفاع المشترك مع بريطانيا ولقد كان الجانب البريطانى مدركا بدوره للبواعث الحقيقية لحركة القصر ، فضلا عن أن إثارة الفكرة كان من شأنه تجديد دعاوى القوى الوطنية ومطالبها باعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ والتى كانت تعتبرها بريطانيا ركيزة سياستها فى البلاد والتى تحقق لها الهيمنة الفعلية . ومن ثم كان احجام بريطانيا بل ومعارضتها لاتجاهات القصر الذى كانت الآمال لا تزال تراوده فى امكان اقناع دوائر لندن بالفكرة ، الا أن قيام الوفد بالغاء المعاهدة قد قضى تماما على مساعى القصر بصدد فكرة اتفاقية الدفاع المشترك .

محاولات القصر موازنة النفوذ البريطانى بالقوى الأجنبية :

من متابعة أطوار العلاقة بين القصر والانجليز منذ احتلالهم للبلاد ،

يتبين بوضوح أن القصر قد خضع للوصاية البريطانية بشكل شبه مطلق • واذا كان القصر - كمؤسسة للحكم - قد اضطر الى خوض الصراع ضد القوى الوطنية بهدف الاستئثار بمقاليد السلطة فى البلاد ، الا أن صدامه مع الوجود الاحتلالى انما كان بهدف فك اساره من الوصاية البريطانية • والملاحظ أن القصر - على امتداد عهد فؤاد - قد اعتمد فى حركته على العناصر والقوى الداخلية التى كانت تدور فى فلكه كالأزهر وأحزاب الأقلية أو تلك الأحزاب التى اصطنعها القصر لنفسه كحزبى الاتحاد والشعب •

واذا كانت معاهدة ١٩٣٦ قد انتقلت بالعلاقة بين مصر وبريطانيا الى مستوى « نظرى » من التحالف فأن ذلك لم يكن يعطى دلالات حقيقية عن طبيعة العلاقة بين القصر والجانب البريطانى • فقد اتبع القصر فى عهد فاروق سياسة جديدة مبناها محاولة الاستعانة بقوى أجنبية بهدف احداث التوازن مع النفوذ البريطانى أملا فى الخروج من دائرة وصايته ، وهذا ما يفسر توجهات القصر المحورية وصلاته التى أنشأها مع دول المحور •

وينبغىالاشارة الى أنه اذاكان «الوجود الايطالى» موروثا بالقصر منذعهد اسماعيل وعلى امتداد عهد فؤاد - بحكم نشأته وصلاته - فأن « النفوذ الايطالى » له قد تزايد فى عهد فاروق وكان يمثل ركيزة سياسية هامة فى مواجهة النفوذ البريطانى • على هذا النحو كان من الطبيعى أن تجد الدعاية المحورية أصداء واسعة لها داخل القصر •

عند هذا الحد يتعين علينا أن نعرض لركائز النشاط المحورى فى مصر ومقوماته • فالجالية الايطالية بمصر قد وصل عددها فى عام ١٩٣٧ الى نحو خمسين ألف ايطالى ، وكانوا يشكلون نسبة قدرها ٢٦٪ من اجمالى الأجانب فى مصر والبالغ عددهم ١٨٦٥٠٠٠ ، بل أن عددهم كان يفوق الجالية

البريطانية التى كانت نسبتها ١٠٪ الى مجموع الأجانب فى مصر[٣٩] .

وعن الوجود الايطالى داخل القصر ، فعندما تولى فؤاد الحكم كان معه عدد من الايطاليين مثل أنطون بوللى الذى كان كهربائيا ثم انضم للحاشية ، وجارو الحلاق وكافوتشى (Cavutcci) مدرب الكلاب وميلانيزى (Milanizzi) رئيس فرقة الموسيقى وفيروتشى (Verucce) كبير مهندسى القصور وانجلوسان ماركو المؤرخ . يضاف الى ذلك فان الجالية الايطالية قد شاركت فى الحركة الوطنية منذ عام ١٩١٩ ، حيث قام بالدى (Baladi) بوضع أو كتاب عن الثورة المصرية والوفد المصرى عام ١٩٢٠ ، فضلا عن مصرع الموسيقار الايطالى مارانجونى (Marienguni) فى أحداث الثورة . تم ما كان من النشاط الثورى لبعض أفراد الجالية مثل رايموند مالتس المدرس بالمعهد الايطالى ، حيث كان يخطب بالأزهر . وكانت هناك أيضا الجمعية المصرية الايطالية وعلى رأسها جيوفانى كولا سنتى ، والتى أيدت الحركة الوطنية . الى جانب ذلك كانت هناك العديد من الصحف الايطالية فى مصر مثل « جورنالى دى أورينتى » و « روما » ومجلة « ميديتاريانو ». وكان هناك أيضا نادى خريجى المدارس والجامعات الايطالية ويضم مصريين وأجانب .

أما المفوضية الايطالية فكان يرأسها موزو ماتسولينى (Mazzolini) الوزير الايطالى المفوض والمبعوث فوق العادة ، كان يشغل منصب سكرتير عام مساعد الحزب الفاشى فى ايطاليا . أما رجال المفوضية مثل السكرتير الأول دى مونتولتو والسكرتير الثانى مارشوسى فرانس ، فلم يكونا على كفاءة وكانا يتصرفان كمرشحين لمنصب المندوب السامى الايطالى فى مصر . الى جانب ذلك كان هناك الملحق التجارى بيفونى (Buffoni) الذى كانت له

---

(٣٩) فؤاد كريم : الأجانب فى مصر والجنسية المصرية ص ١٩ .

صلات بالمجتمع الثقافى ٠ أما رئيس مركز الاستعلامات ايكو دادون (Dadone) فقد استغل منصبه لتنظيم طابور خامس ٠

وكانت المفوضية الايطالية بمثابة العمود الفقرى لمجموعة الدبلوماسية الفاشيستية وكان فى ركابها الوزير المفوض الألمانى « فاشند فورد » وكذلك الوزير البلغارى المفوض مينتف واليابانى يوكو يونيو(٤٠) ٠ يضاف الى ذلك فمنذ عام ١٩٣٥ وطد راديو « بارى » جهود اذاعته على تحريض العالم العربى ضد بريطانيا مستغلا المسألة الفلسطينية(٤١) ٠

وفيما يتصل بموقف الجالية الايطالية من الفاشية ، فقد كان يتجاذبها فريقان ، المفوضية الايطالية بنشاطها وتنظيماتها ممثلة للفاشية ، والعناصر المعادية للفاشية وهذه كانت بدورها تضم تنظيمان هما : لجنة الايطاليين الأحرار فى مصر والحزب المعادى للفاشية ، وقد اندمج هذان التنظيمان فى مارس ١٩٤١ تحت اسم الحزب الايطالى الحر المعادى للفاشية ٠ وكانت تلك الجماعات تتلقى التأييد والمساعدة من اليهود والماسون والسلطات البريطانية والمصرية ، وكانت جريدتها « كوريردى ايتاليا » يكتب بها شبان يهود تلقوا تعليمهم فى ايطاليا ، وكان يساندهم ماديا أغنياء اليهود ومكتب الاستعلامات البريطانى(٤٢) ٠

وعن النشاط الألمانى فى مصر ، فلقد مارست المفوضية الألمانية منذ أواخر عام ١٩٣٩ ، نشاطا مكثفا ، اذ أنشأت مكتبا للصحافة بها ، وجاء جوبلز وزير الدعاية الألمانى لزيارة مصر كما جاءت اليها وفود ألمانية

---

(٤٠) محمد أحمد أنيس : ٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى : مكتبة مدبولى ـ القاهرة ١٩٨٢ ص ٦٣ وما بعدها ٠

(٤١) Kirk, George, Ashort History Of Middle East, P. 195

(٤٢) محمد جمال المسدى وآخرين : مصر والحرب العالمية الثانية ص ٧٥ ـ ٧٦ ٠

عديدة لدراسة مشروعات اقتصادية يمكن اقامتها بمصر تعزيزا للعلاقات مع المـانيا ٠ وكان مكتب الصحافة الألمـانى يبث دعايته عما حققته ألمـانيا من نجاح اقتصادى ٠ ونظرا لأن ايطـاليا كانت مقيدة بمعاهدة روما التى عقدتها مع انجلترا فى ابريل ١٩٣٨ ، فقد التزمت بموجبها بألا تمارس الدعاية في مصر وفلسـطين ، ومن ثم راحت تنشر دعايتها من خـلال المكتب الألمـانى بالقاهرة(٤٣) ٠

على الجانب الآخر كان التزام بريطـانيا بمعـاهدة روما ، قد جعلها عاجزة عن مواجهة الدعاية الايطـالية ٠ وكان تمسك انجلترا بالمعاهدة بهدف عدم اتاحة الفرصة لايطـاليا لكى تتحلل من التزاماتها بمقتضـاها(٤٤) ٠ وأكثر من ذلك فأن لامبسون نصح محمد محمود غداة توليه الوزارة بتحسين العلاقة مع ايطـاليا مع الوضع فى الاعتبار الاستعداد لمواجهة أى أخطار(٤٥) ٠ ولقد شهدت الدعاية المحورية نشاطا ملحوظا فى مصر قبيل الحرب ٠ ففى بنى غازى تسلم موسولينى « سيف الاسـلام » وأعلن أن ايطاليا ستحمى السلام فى العالم(٤٦) ، ويصف مصر وايطـاليا بأنهما الشعبان المرتبطان ببحر واحد ، كما زار المرشال بالبو الحاكم العام لليبيا مصر فى ٩ مايو ١٩٣٩ وقابل الملك فاروق ٠ ومن جهة أخرى احتفل هتلر احتفالا طيبا بالدكتور « كوتا » رئيس الغرفة التجارية المصرية أثناء زيارته لبرلين(٤٧) ٠

على هذا النحو كان النشاط المحورى فى مصر باعثا للامبسـون لكى

---

(٤٣) حسن يوسف : مذكرات ص ٣٨ ـ ٣٩ ٠

(٤٤) محمد جمال المسدى : المصدر السابق ص ٧٩ ٠

(٤٥) Fo : 407/222 ; No : 2 : Lampson to Eden, Jan. 1, 1938
Tel. No : 1

(٤٦) محسن محمد : التاريخ السرى لمصر ص ١٢١ ٠

(٤٧) عاصم الدسوقى : مصر فى الحرب العالمية الثانية ص ٢٩ ٠

يستحث حكومته لاتخاذ اجراء حاسم لملاحقته ، وتحدث مع رئيس الوزراء - على ماهر - فى امكان اتخاذ الصحف الوطنية كوسيلة لمقاومة هذه الدعاية المزدوجة(٤٨) . ومن ناحية أخرى راح لامبسون يأخذ بزمام المبادرة بالفعل ، ففى الذكرى الرابعة لتوقيع معاهدة ١٩٣٦ ، ساق تحذيره للعرب من الاستعمار الرومانى الجديد فى افريقيا ، وأكد على ثبات التحالف المصرى - البريطانى وذلك كرد فعل لما أعلنته جريدة « التلجرافو » لسان حال كونت شيانو وزير خارجية ايطاليا من قولها بأن ايطاليا تواجه موقفا شائكا بالنسبة لمصر . وغنى عن البيان ما كانت تحمله تلك الدعاوى من نكاية بالوجود الاحتلالى فى مصر(٤٩) .

أما القصر فقد كان واضحا للجانب البريطانى حتى قبل تولى فاروق مقاليد الحكم ، أن ارتباطاته بالمانيا وايطاليا أكثر قوة من ارتباط الوفد بهما ، وأنهما تباشران نفوذا أقوى على نظام القصر(٥٠) . وبعد تولى الملك فاروق سلطاته الدستورية تركزت مخاوف السفير البريطانى على احتمالات تأثير العناصر الايطالية والألمانية على الملك من خلال عملائها ، وبالتالى على حياد مصر فى حالة قيام الحرب(٥١) .

عند هذا الحد يتعين الاشارة الى تطور النفوذ المحورى داخل القصر وأثره على توجهاته . من ذلك أن محمد محمود عند اعادة تشكيله لوزارته فى ٢٣ ابريل ١٩٣٨ . قام باستبعاد محمد كامل البندارى - وزير الصحة فى

---

(٤٨) Fo : 407/223 (1) No : II : Lampson to Eden, April 1939, Tel. No : 290

(٤٩) أحمد عبد الرحيم مصطفى : العلاقات المصرية البريطانية (١٩٣٦ - ١٩٥٦) ص ٣٧ - ٣٨ .

(٥٠) Fo : 407/221 : Lampson to Eden, Feb. 16, 1937, No : 209

(٥١) Fo : 407/223 : Lampson to Helifax, Jan. 8, 1939, No : 41

الوزارة السابقة ـ من قائمة الوزارة الجديدة ، بدعوى أنه رجل الديوان فى الوزارة (٥٢) ٠ وخروج البندارى ـ الصديق الحميم لمصر الفتاة ـ على هذا النحو من الوزارة وانضمامه للقصر كان يعنى من ناحية أخرى تحول الجماعة نهائيـا عن الوزارة توجهها بالـكلية نحو القصر الذى أصـبح يضـم أقوى انصارها(٥٣) ٠

والحقيقة أن قيام على ماهر بتعيين البندارى وكيلا للديوان الملـكى ، انما كان بقصد توجيه لطمة لوزارة محمد محمود ، فضلا عن ذلك فالبندارى كان على علاقة وثيقة بالعناصر الايطـالية بالقصر وعلى رأسها فيروتشى(٥٤) ٠ ولا شك أن التحاق البندارى بخدمة القصركان من شأنه تقوية التيار المحورى داخله ٠ فما لبث البندارى أن انقلب على حليف الأمس ، ونعنى به على ماهر اذ هيأ سفره الى لندن لحضور مؤتمر المـائدة المستديرة ، الفرصة للبندارى كيما يدعم نفوذه بالقصر ، ولقد رأينا تلك المناورات التى جرت من جانب القصر ـ بايعاز من البندارى ـ فى مواجهة السفير البريطانى ذاته ٠ يضاف الى ذلك فان الدعاية المحورية قد وجدت مجالا حيويا فى الطبقة الارستقراطية المحيطة بالقصر(٥٥) ٠

يفهـم من ذلك أن التيار المحورى داخل القصر قد تهيأت له أسـباب القوة ٠ وكان ابعاد على ماهر الذى توطدت صلاته بالانجليز الى حد كبير أثناء وجوده فى لندن ، ضرورة يقتضيها انفراد البندارى بالنفوذ على الملك ، وبدأت أولى الخطوات فى هذا السبيل من خلال رسالة بالراديو فى ٢٢ فبراير ١٩٣٩،

---

(٥٢) يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ص ٤١٦ ٠

(٥٣) على حامد شلبى : مصر الفتاة ودورها فى السياسة المصرية ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ ٠

(٥٤) المصور : ١٩٣٩/٤/٧ (مقال لفكرى أباظة عن البندارى ص ١١)

(٥٥) Fo : 407/223 : Lampson to Halifax Jan. 1939, Tel. No : 41

وجهها الملك للعالم الاسلامى بمناسبة العام الهجرى الجديد اشار فيها الى استقلاله بشئون الحكم وأكد على ثقته بالله وبنفسه فى تصريف الأمور ٠

كان واضحا من مضمون الرسالة مغزاها الحقيقى وهو اعلان نهاية نفوذ على ماهر بالقصر ولم يكن البندارى بحال بمنأى عن ذلك(٥٦) ٠ وفى اليوم التالى لهذه الخطبة تلقى شيانو وزير خارجية ايطاليا رسالة من « أتوليكو » القائم بأعمال السفير الايطالى فى برلين أخبره فيها أن السفير المصرى هناك – مراد سيد أحمد – قد تحدث اليه على لسان الملك فاروق عن كراهيته للانجليز وسأل عما اذا أعلنت مصر حيادها وحاولت بريطانيا التدخل بشكل مباشر أو غير مباشر فهل يكون المحور مستعدا لتأييد موقف الملك فاروق ؟(٥٧)

كأثر لاتفاق شيانو مع الدوتشى ، راح يفوض « أتوليكو » فى أن يستمر فى محادثاته مع السفير المصرى ليوضح له أن أى جهد يبذل لاضعاف العلاقة بين لندن ومصر سوف يقابل بالرضا فى دوائر المحور(٥٨) ٠ ومن جهة أخرى واصل البندارى سعيه فى تقويض نفوذ على ماهر ونجح بالفعل فى استقطاب بعض العناصر المعادية له ومن ضمنها بعض أعضاء الأسرة المالكة الذين ساءهم نفوذ على ماهر على الملك فاروق ومحاولاته لابعاده عن الانجليز مما يحتمل معه القضاء على فاروق نفسه اذا قامت الحرب(٥٩) ٠

على كل حال فى اثر عودة على ماهر من لندن بدأ الصدام المحتوم مع

---

(٥٦) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩٣٧ – ١٩٤٨) ج ١ ص ٢٥٤ وما بعدها ٠

(٥٧) Ciano, Count Galleazzo, Cianés Diaries (1939-1943) P : 32

(٥٨) Ibid

(٥٩) Fo : 407/223 (I) No : 25 : Lampson to Halifax, May 8, 1939 Tel, No : 128 Saving

الملك - ومن ورائه البنداري - فعندما سأله على ماهر عن المغزى الذى أورده فى كلمته التى ألقاها بمناسبة العام الهجرى الجديد ، أجابه بغلظة أنه يعنى على ماهر نفسه ، لأن المقربين من على ماهر يرددون أنه يفعل كل شيء وأن الملك لا يفعل شيئا وأبلغ على ماهر أنه من المناسب أن يقوم بتشكيل الوزارة بمساعدة الدكتور أحمد ماهر بعد استقالة محمد محمود لسوء حالته الصحية الأمر الذى فهمه على ماهر بأنه محاولة للتخلص منه(٦٠) .

وفى محاولة لتثبيت مركزه داخل القصر قدم على ماهر استقالته وهو واثق من أن الملك لا زال بحاجة اليه وأنه سيرفضها ويؤازره ضد البنداري . ودون اغراق فى التفاصيل أسفرت مناورات على ماهر عن اقصاء البنداري عن القصر فى ٥مايو١٩٣٩(٦١) ، حيث تم تعيينه وزيرا مفوضا فى بروكسل(٦٢) . وتم ترشيح عبد الوهاب طلعت بدلا منه لمنصب وكيل الديوان » . بيد أن اقصاء البنداري لم يكن من الناحية العملية ليؤرخ نهاية للنفوذ الفاشى داخل القصر ، يتأييد ذلك بما كان من مساعى القصر لاقامة صلات مباشرة بالمحور . وبعبارة أخرى فان الصراع الداخلى بالقصر وان انسحبت آثاره على النفوذ الفاشى به ، الا أنه لم يكن يعنى بحال تحولا للقصر عن توجهاته المحورية .

أما على ماهر فاذا كان قد تحول مؤقتا الى تحسين علاقاته بالجانب البريطانى فذلك انما حدث بغرض تعضيد مكانته بالقصر ، واستخدام تلك العلاقة كأداة ضغط على الملك ، لكى ينقذ - أى على ماهر - نفوذه المتداعى داخل القصر . وفيما يتعلق بموقف السفير البريطانى وقتئذ ، فرغم اقتناعه

---

(٦٠) Fo : 407/223 (1) No : 17 : Lampson to Halifax, April 4, 1939 Tel. No : 83 Saving.

(٦١) Fo : 407/223 (1) : No : 28 : Same to Same, May 12, 1939, Tel. No : 560

(٦٢) المصور : ١٩٣٩/٤/٢٨ .

بأن سياسة القصر التى اتسمت بالديكتاتورية والاستقلال بالقرار ، تمضى دون الاصغاء للنصائح البريطانية • الا أنه كان يرى بأن الحكمة تقتضى عدم فرض وجهات النظر البريطانية على الملك(٦٣) • عند هذا الحد يتعين أن نوضح مساعى القصر لاقامة صلات مباشرة مع المحور ، من ذلك فقد ارتبط الملك بالعديد من الساسة المصريين ومنهم صدقى باشا الذى لعب دورا حيويا بصدد نشر أفكار الدعاية الألمانية والايطالية عن ضعف انجلترا وفكرة حياد مصر فى حالة قيام الحرب • وكان هناك أيضا عملاء المحور الذين عملوا على تشويه سمعة بريطانيا لدى الملك وبدت مخاوف لامبسون من أن الملك قد يتصرف دون وعى ضد مصالح بريطانيا ونفوذها ، خاصة وأن الحاشية التى تحيط بالعرش كانت « خليطا غريبا » على حد قول لامبسون ، وهم فى جملتهم من مصادر المعلومات للمحور ، فضلا عما يقدمونه من مقترحات للملك • والواقع أن تزايد النفوذ المحورى داخل القصر كان أمرا يصعب على الجانب البريطانى مواجهته فى ظل تشكك المصريين وريبتهم فى قوة بريطانيا ، وكان لامبسون يرى أن السبيل الوحيد للتغلب على ذلك يكون بتعضيد قوة بريطانيا فى شرق البحر المتوسط على نحو يمكنها معه التدخل بفاعلية فى هذا المجال(٦٤) •

---

(٦٣) Fo : 407/223 (1) : No : 5 : Lampson to Halifax, Sep. 3, 1939, Tel. No : 110 Conf.

ويشير لامبسون فى مذكراته الى أنه ازاء مخاوفه من النشاط المحورى والحاشية الايطالية بالقصر فقد طلب من محمد محمود رئيس الوزراء أن يفاتح الملك فى ابعاد فيروتشى عن القصر ، ورغم ما ساقه محمد محمود من تحذيرات للملك من أنه قد تأتى اللحظة التى يقع فيها - أى الملك - تحت ضغط لاقصاء فيروتشى ، الا أن رئيس الوزراء تولد لديه انطباع بأن الولد - اشارة الى الملك فاروق - لم يكن سهلا وبدا واضحا عدم جدوى تلك النصائح • انظر :
The Killearn Diaries, P : 102

(٦٤) وينبغى الاشارة الى انقسام أفراد البيت المالك الى فريقين ، فريق الأمير محمد على الذى كان ينتظر فرصة الولاية على العرش، وكان ولاؤه للانجليز هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق =

وبصدد تلك الشكوك التى ساورت الجانب البريطـانى أيضا عن صلات القصر بقوى المحور ، يشير لامبسون الى أن معلومات سرية قد وصلته من قائد الأسطول البريطـانى ، تفيد بوصول غواصة معادية مساء ٢٥ أغسطس ١٩٤٢ الى شاطىء القصر بالمنتزه ، ومن المحتمل أن يكون الملك فاروق قد هرب • الا أنه من خلال تحقيق محلى « تحقق لامبسون من عدم صحة تلك المعلومات لوجود الملك بالقاهرة فى هذه الليلة(٦٥) • ومن جهة أخرى وصلت للامبسون معلومات تفيد انبعاث اشارات ضوئية من القصر فى ساعة متأخرة من الليل ، ولدى مفاتحته لأحمد حسنين فى ذلك أكد له أنه لا صحة اطلاقا لتلك الشكوك ، وأن تلك الاضاءة ترجع الى حفل أقامه الملك والملكة لساعة متأخرة من الليل • وامعانا فى تضليل الجانب البريطـانى أبلغ أحمد حسنين لامبسون فى اليوم التالى بأستياء الملك من تلك الشكوك(٦٦) • رغم تلك التأكيدات فقد استمر لامبسون على اعتقاده بوجود صلات بين القصر والمحور، وأنها كانت تتم فى ذلك الوقت عن طريق شوقى الهان وزير تركيا المفوض فى مصر والآنسة بدروزو الملحقة بالمفوضية الأسبانية ومسيو بوتزى وزير حـكومة فيشى المفوض فى مصر(٦٧) •

على كل حال فقد كشفت الوثائق البريطـانية بشكل مؤكد ــ ولأول مرة ــ عن حقائق وتفصيلات العلاقة بين الملك وقوى المحور ، فلقد أرسل

= ذلك ، والفريق العثمانى وهم الذين ورثوا من الحرب العالمية الأولى حب الألمـان ومنهم من خدم فى جيوش ألمـانيا ، وهؤلاء طلب الانجليز اعتقالهم لميولهم المحورية وهم الأمير عمر الفاروق وعباس حليم ومحمد طاهر باشا • وقد تم اعتقالهم بالفعل فى عهد وزارة النحاس الخامسة : انظر محمد صبيح : من العلمين الى سجن الأجانب « صفحات من الحرب العالمية الثانية » ص ٤٤ وما بعدها •

(٦٥) Fo : 371/31574 : No : 2098 : Lampson to Fo. Aug. 27, 1942

(٦٦) Ibid

(٦٧) محمد التابعى : المصدر السابق ص ٢٢٨ •

اللورد «انفر شابل» سفير بريطانيا فى واشنطن ، الى القسم المصرى بالخارجية البريطـانية مقالا للصـحفى « درويبرسون » منشـورا بجريدة « واشنطن بوست » فى ٨ مايو ١٩٤٨ ، تضمن مراسـلات متبادلة بين الملك فاروق والنازى أثناء الحرب ومن بينها رسالة بتاريخ ٢٤ مارس ١٩٤٣ من الملك فاروق الى السفير الألمـانى « ايتيل » أوضح فيها أنه لا زال يأمل فى انتصار المحور . وفى نفس اليوم أرسل « ايتيل » الى وزير خارجية الرايخ أبلغه فيها أن أحد العملاء السريين قام بنقل رسالة الرايخ للملك فاروق خلال اقامته بالقاهرة ، قام باجراء مقابلتين مع الملك الذى أخبره بامتنانه لاجراءات التأمين الخاصة بشخصه التى اتخذها الرايخ ، وأخبره الملك أيضا ، بأن الشائعات التى راجت بصدد التقارب بينه وبين الديموقراطيات ، ليس لها أساس وأن الأمر لا يعدو سوى أن يكون « تحايلا سياسيا » تحتمه الظروف الحالية وطلب ابلاغ تحياته لمفتى القدس وكل الذين يعملون معه من جل نصرة المحور(٦٨) . ومن جهـة أخرى فقد قامت السـلطات البريطـانية - بعد استسلام المحور - بضبط مجموعة من الوثائق السرية بأرشيف الخـارجية الألمـانية احتوت على المراسلات المتبادلة بين فاروق وهتلر ، وكذا الاتصالات الغير مباشرة بينهما ، وأشارت الى دور الوسـاطة الذى لعبه مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى ، فى المفاوضات التى جرت بين الطرفين فى عام ١٩٤١ . وهذا يفسر أسباب هروب المفتى من معتقله بفرنسا ليجد له فى مصر ملجأ بأحد قصور الملك فاروق فى يونية ١٩٤٦ ، وقد قدمت الحـكومة البريطانية مـذكرة ضمت كافة هـذه الوثائق وترجمتهـا الى الأمم المتحـدة فى يونية

---

(٦٨) Fo : 371/69271 : British Embassy "Washington" to Egyptian Department, May, 1948

١٩٤٨(٦٩) ·

وبصدد تلك المراسلات المتبادلة بين القصر وقوى المحور وصلت فى ٣٠ ابريل ١٩٤٨ للسفير المصرى فى طهران يوسف ذو الفقار — صهر الملك — رسالة من الفوهور للملك فاروق ردا على رسالته المؤرخة فى ١٥ ابريل ١٩٤١ أشار فيها الى ثقته فى صعوبة موقف الملك وبلاده ، وطلب تحديد اسم المندوب المصرى المفوض من قبل الملك للتوجه الى أنقرة أو بوخارست لمناقشة اجراءات التعاون بينهما(٧٠) ·

ومن جهة أخرى تشير الوثائق الى مفاوضات النازى مع الملك فاروق لتهريبه الى منطقة خاضعة للنفوذ النازى · ولقد أرسل السفير الألمانى ايتيل (Ettile) خطابا الى السفير المصرى فى طهران أوضح فيه أن الدافع وراء الاقتراح الخاص بسفر فاروق الى ألمانيا جوا كان نتيجة لما تردد عن قيام الانجليز بالتخطيط للتآمر على حياته ، وأن هتلر يعتقد أنهم لن يتراجعوا عن تنفيذ ذلك · أما اشارة بدء الرحلة الجوية للملك الى ألمانيا فقد كانت بناء على شفرة معينة تذاع عبر قناة اذاعة ألمانية ، وأن الملك سوف يقابل بكل احترام وسوف يمنح كافة الامكانيات لاستئناف نشاطه السياسى هناك(٧١) · ومن جهة أخرى أشارت الوثائق الألمانية فى ٢٨ يولية ١٩٤٢

---

(٦٩) The Record of Collaboration of King Farouk Of Egypt. with The Nazis and their Ally, The Mufty. Memarandum Submmited to the United Nations, June 1948

(٧٠) أرسلت تلك الرسالة من روبنتروب الى ايتيل فى ٣٠ ابريل ١٩٤١ لتسليمها للسفير المصرى هناك ·

(٧١) Fo : 371 : Nazis Negotiation with King Farouk to fleet to German Sphare, June 1, 1942

ومما يجدر ذكره أن اشارة بدء الرحلة للملك — طبقا للوثيقة — كانت اذاعة سورة من القرآن الكريم مرتين يوميا على موجة الاذاعة عند بدء ارسالها ، ولضمان استقبال الملك لها تقرر اذاعتها لمدة ثلاثة أيام متتالية ·

الى أن السلطات العليا فى مصر قد أصدرت أوامرها الى طائرتين حربيتين بالتوجه الى مقر قيادة روميـل بعد تزويدهما بالخرائط والخطط المسـتقبلية البريطـانية نحو الألمـان ، وقد تم ذلك نتيجة لعامين من المفاوضات بين الملك والنازى وكان الحـاج أمين الحسينى مفتى فلسـطين هو الوسـيط فى تلك الاتصالات وأرسلت الخارجية الألمـانية الى رئيس أركان الفيلق الافريقى - الذى يقوده روميل تستطلع أخبار هاتين الطائرتين(٧٢) . يضاف الى ذلك فأن تحالف الملك فاروق والحاج أمين الحسينى أثناء سنوات الحرب قد أثمر عن رعاية كاملة من الملك لجهود المفتى لكى يرأس الحـكومة العربية ، اذ عارض فاروق جهود بريطـانيا لتنصيب الملك عبد الله على امارة شرق الأردن وعرب فلسطين تحت اشراف بريطـانيا(٧٣) . وهذا بدوره كان مكافأة للمفتى على جهوده فى الوساطة بين فاروق والمحور .

ولقد برزت توجهات فاروق المحورية من جانب آخر فيما ظهر من تعاطفه مع الثورة العراقية التى قام بها رشيد عالى الكيلانى ضد الانجليز ، وأرسل برقية تهنئة للوصى على العرش فى وقت بدت فيه تلك الثورة أنها قد قامت فى اطار استراتيجية ألمـانية ، عندما استهدف هتلر تقسيم الامبراطورية البريطانية الى شطرين وأن يحرم الحلفـاء من مصـادر الوقود والبترول فى العراق وايران ، فضلا عن عزل الحلفاء فى الشرق الأوسط(٧٤) .

ورغم ذلك فيمكن القول بأن توجهـات القصر المحورية لم تكن تلبية لنزعات فاشية أو انعكاسا لموقف أيديولوجى من الصراع القائم وقتذاك ،

---

(٧٢) Egyptian Planes with Military Data to Rommel, July 28, 1942.

(٧٣) The Collaboration of Egypt's King with Nazis and the Mufti (Memurandum Submitted to United Nations, June 1948

(٧٤) Ibid

بقدر ما كانت تصدر عن رغبة فى الاستفادة من تناقضات الصراع الدولى لصالح قضيته فى الحكم • ولئن كان اندحار قوى المحور ، قد أرخ نهاية لتلك الصلات الا أن آثارها لم تنحصر فى القصر فحسب ، بل تخطته الى دائرة السياسة المصرية بشكل عام ولسوف نرى أن ظهور فكرة حياد مصر وتجنيبها ويلات الحرب لم تكن الا نتاجا طبيعيا لسياسة القصر هذه •

موقف القصر من مسالة دخول مصر الحرب العالمية الثانية :

لم يكن تبنى القصر لفكرة تجنيب مصر ويلات الحرب والترويج لها سوى امتداد طبيعى لسياسته فى مواجهة النفوذ البريطانى فى البلاد • فعندما أعلنت انجلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا فى سبتمبر ١٩٣٩ ، كان على مصر أن تحدد موقفها كدولة حليفة لانجلترا مما فجر فكرة حيادها على الساحة(٧٥) • حقيقة أن الجانب البريطانى كانت تساوره الشكوك والمخاوف

---

(٧٥) تشير الوثائق البريطانية الى ان البارون « فينخندروف » سفير المانيا فى مصر هو أول من دعا لفكرة حياد مصر بين المصريين ، والتى تبناها الايطاليون أيضا الا أن المعاهدة الانجليزية - الايطالية ، قد جعلتهم يروجون للفكرة على استحياء • فى الوقت نفسه ظهر اتجاهاً فى الصحافة المصرية يطالب بتعديل المادة السابعة من معاهدة ١٩٣٦ • أنظر :
Fo : 407/222 : No : 55 : Lampson to Halifax
Dec. 13, 1938, Tel. No : 1318

ويرى فريق آخر أن على ماهر هو الذى رفع شعار تجنيب مصر ويلات الحرب ، ويرجع هذا الى أنه لم يكن بمقدور وزارته أو أى وزارة آخرى أن تتحدى انجلترا بشكل سافر ، ومن ثم فان تبنى على ماهر لتلك السياسة سوف يمكنه من الاحتفاظ بمقاليد الموقف فى يده ، فلا هو أيد بريطانيا لكى يستعدى المحور ، ولا هو جاهر بتأييده للمحور فتنقلب عليه بريطانيا • انظر : عاصم الدسوقى : مصر والحرب العالمية الثانية ص ١٦٦ - ١٦٧ ، حسن يوسف : مذكرات ص ١٠٤ •

ويرى فريق ثالث أنه كان لعبد الرحمن عزام - وزير الأوقاف فى وزارة على ماهر الثانية - رأى معارض لما كانت تتجه اليه نية حكومة على ماهر آنئذاك من اعلان الحرب على المانيا بمجرد اشتراك انجلترا فيها • وراح عزام يقنع على ماهر بعدم دخول مصر الحرب بدعوى أنها حرب « لا ناقة لنا فيها ولا جمل » فضلا عن مخاطر القبض على الرعايا الالمان فى مصر واحتمال قيام المانيا بمعاملة الرعايا المصريين بالمثل• ورغم أن الوزارة كلها - عدا عبد الرحمن عزام - =

من موقف الملك بشكل خاص فى الفترة السابقة لاعلان الحرب · هذه المخاوف قد تركزت فى احتمالات قيام المصريين والأجانب الذين يعملون فى القصر لاستخدام نفوذهم على الملك للتأثير عليه بأن يظهروا له خطورة تعهدات مصر بمقتضى المعاهدة بل واقناعه بفكرة حيادها(٧٦) ·

على كل حال فقد بدأ الملك وعلى ماهر يشكلان نقطة التقـــاء لضغط الدعاية المحورية والسياسة البريطانية · فمن جهـــة راح الوزير الايطالى المفوض يؤكد لعلى ماهر أن سياسة ايطاليا الودية نحو مصر سوف تستمر ولن تتغير(٧٧) · يضاف الى ذلك فان محطات الاذاعــة الألمـانية قد أعلنت تقديرها لموقف مصر الخاص ، ولم تعتبر ما تقدمه لانجلترا من معــاونة فى حدود المعاهدة عملا عـــدائيا ، لأن مصر لا تملك الامتناع عن ذلك فى ظل الوجود الاحتلالى(٧٨) · وغنى عن البيان ما كان ينطوى عليه ذلك من تأييد من المحور لفكرة حياد مصر وتشجيعها ·

من جهة أخرى أثار لامبسون مع الملك فاروق مسألة تزايد تدخـــل الايطاليين ونفوذهم فيما أثير حول مسألة حياد مصر وطلب منه اخمــاد تلك الدعاوى ، فأجابه الملك بأنه لا يمكنه أن يصدر « مرسوما ملكيا ، فى هذا الشأن وان كان سوف يهتم بالمسألة(٧٩) · وهــذا بدوره كان يكشف عن

= قد وافقت على اعلان الحرب الا أن اقتناع على ماهر بوجهة نظر عزام وتشيعه للفكرة ،كان من أثره أن تراجعت الوزارة عن قرارها · أنظر : جميل عارف صــفحات من المذكرات السرية لعبد الرحمن عزام ص ٢٥٢ وما بعدها ·

(٧٦) Fo : 407/223 : No : 4 : Lampson to Halifax, Jan. 16, 1939, Tel. No : 44

(٧٧) Fo : 407/224 : No : 30 : Same to Same, May 3, 1940, Tel. No : 454

(٧٨) محسن محمد : التاريخ السرى لمصر ص ١٢١ ـ ١٢٢ ·

(٧٩) Fo : 407/224 : No : 43 : Lampson to Halifax, Jun 2, 1940, Tel. No : 429

مراوغة القصر من محاولات الضغط البريطانى • أما على ماهر فقد عمد الى سلسلة من المناورات فى محاولة لاقنــاع الجانب البريطانى بأن المعــاهدة لا تلزم مصر باعلان الحرب الا اذا هوجمت حــدودها وأنه سيكتفى باعــلان الأحكام العرفية وقطع العلاقات مع ألمــانيا(٨٠) •

بطبيعة الحال لم يكن هذا الموقف لعلى ماهر ومن ورائه القصر باعثا على رضاء الخارجية البريطانية والتى رأت بعدم كفاية تلك الاجراءات لسلامة البلاد أو لتأمين القوات البريطانية ، ومن ثم كان اصرارها على أن تعلن مصر الحرب(٨١) • وينبغى الاشارة الى أن التخلص من عــلى ماهر لم يكن واردا - حتى ذلك الوقت - فى تقديرات السياسة البريطانية ، بل ان الســـفير البريطانى أظهر تخوفه من احتمال التخلص من على ماهر ، الأمر الذي سوف يقود الى صراع حاد ومباشر مـــع الملك فاروق ، وأنه يتعين ترك الحبل لعلى ماهر حتى يقضى على نفسه(٨٢) •

ازاء تشدد الجانب البريطانى ، راح على ماهر يتحرك فى اتجـــاهين أولهما : احراج الجانب البريطانى واظهار مصر - اذا أعلنت الحرب - بمظهر اذعان الكاره ، وطلب من السفير البريطانى أن ترسل الحــكومة البريطانية خطابا اليه - أى لعلى ماهر - تطلب فيه اعلان الحرب ، وأنه سوف يعرض هذا الخطاب على الوزارة لاعلان الحرب ، ووعده لامبسون بأنه سوف يرسل لحكومته فى هذا الشأن بشكل عاجل(٨٣) ، وذلك دون أن يتخلى عن اغرائه

---

(٨٠) Fo : 407/223 (II) : No : 12 : Same to Same, Sept. 7, 1939, Tel. No : 553

(٨١) Fo : 407/223 (II) : No : 13 : Halifax to Lampson, Sept. 8, 1939, Tel. No : 618

(٨٢) Fo : 407/223 : No : II : Lampson to Halifax, Oct. 1939, Tel. No : 298 Saving

(٨٣) Fo : 407/223 (II) : No : 15 : Same to Same Sept. 8, 1939, Tel. No : 543

للامبسون بجدوى حياد مصر لانجلترا واتخـــاذ مزيد من الاجراءات التى نطلبها(٨٤) ٠

أما الاتجاه الثانى فقد استهدف الضغط على الحكومة البريطانية منخلال حسن نشأت ـالسفير المصرى فىلندن، ورجل القصرـ ليوضح لها التزام مصر بنصوص المعاهدة وقيامها باعـــلان الأحكام العرفية ، اشـــارة الى مساعى لامبسون فى هذا الصدد ، وأوضح عدم جـدوى اعلان مصر الحرب ، فضـــلا عن ضرورة الحصول على موافقة البرلمـان قبل اعلان الحرب الهجومية ، طبقا لنص المـادة ٤٦ من دستور مصر ، ولم يغفل نشأت الاشـــارة الى مساعى لامبسون وضغوطه على الحكومة المصرية لاعـــلان الحرب(٨٥) ٠ ومن ثم بدا واضحا أن ثمة تنسيقا قام بين عـلى ماهر والقصر حـول تبنى فكرة حيـاد مصر ، ولم تكن الحاشية الايطالية بالقصر بمنأى عن ذلك(٨٦) ٠

أثمرت جهود على ماهر والقصر فى هذا الصدد ، بأن أرسلت حكومة لندن تعليماتها للامبسون بألا يمارس مزيدا من الضغوط على الحكومة المصرية

---

(٨٤) Fo : 407/223 (II) : No : 18 : Same to Same Sept. 10, 1939, Tel. No : 545

وكان على ماهر قد اتخذ بالفعل العديد من الاجراءات ، فبادر الى اعلان الأحـكام العرفية وانشاء مصـلحة للرقابة العامة ومراقبة النشر ، وفى ٣ سبتمبر ١٩٣٩ قطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية مع ألمـانيا وتم القبض على الرعايا الألمـان ٠ وبصدد احداث التوازن أصدر مجلس الوزراء بيانا قرر فيه حياد مصر فى الحرب بين انجلترا وألمـانيا ٠ ونقل هذا القرار للملك عبد الوهاب طلعت رئيس الديوان بالنيابة وجاء الرد على الفور بأن الملك مع الوزارة فى قرارها ٠ ومن جهة أخرى قام مراد سيد أحمد سفير مصر فى ألمـانيا بابلاغ روبنتروب قرار حـكومته ، ووافق على تسهيل عودة المصريين من المـانيا ٠ أنظر حسن يوسف : مذكرات ص ١٠٤ ـ ١٠٥ كذلك محمد صبيح : المصدر السابق ص ٢٦ وما بعدها ٠

(٨٥) Fo : 407/223 (II) : No : 20 : Lampson to Halifax, Sept. 12, 1939, Tel. No : 1033

(٨٦) الجمهورية : ١٩٥٦/١/١٤ ٠

لحملها على اعلان الحرب(٨٧) • بيد أن هذا النجاح الذى أحرزه القصر وعلى ماهر على السفير البريطانى ، لم يكن فى واقع الحـال سـوى نصر مؤقت ، اذ ما لبثت أن تغيرت الظروف السياسية باعلان ايطاليا دخولها الحرب ضد الحلفاء فى ١٠ يونية ١٩٤٠(٨٨) • وكان ذلك يعنى ببسـاطة عودة مسألة حياد مصر على الساحة مرة أخرى • ولعل ادراك لامبسون باتفاق وجهـات نظر على ماهر والقصر قد جعله يعمد الى توسيع المواجهة معهما لتشملها فى آن واحد •

وبالفعل وصلت تعليمات حـكومة لندن للامبسون لابلاغهـا لرئيس الوزراء ، مؤداها أن مصر لا يمكنها البقاء على الحياد ، اذا ما نشبت الحرب بين بريطانيا وايطاليا ، وراحت تفوضه فى اتخاذ الأسلوب المناسب لتوضيح وجهة نظرها(٨٩) • وكان لامبسون من جانبه مدركا للمصاعب التى سوف تعتور اعادة مطالبة مصر باعلان الحرب ، الا أنه كان يتحرك فى هـذه المرة بتفويض كامل من حكومته ، وكان على استعداد لاقصـاء الملك ما لم يذعن لمطالب انجلترا ، وتنصيب الأمير محمد على بدلا منه • ولقد أسفر الضغط البريطانى المتواصل عن قيام مصر بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع ايطاليـا وطلب وزير الخارجية المصرى من الوزير الايطالى المفوض ورجاله مغـادرة

---

(٨٧) Fo : 407/223 : No : 21 : Halifax to Lampson, Sept. 15, 1939, Tel. No : 669

(٨٨) ويشير شيانو فى مذكراته الى أن موسولينى أرسل الى هتلر يبلغه اعتزام ايطاليا اعلان دخولها الحرب فى الخامس من يونية ، ما لم يرى هتلر أن هناك ضرورة لارجاء الموعد لبضعة أيام • وتم الاتفاق بالفعل على أن يكون اعلان ايطاليا الحرب فى ١٠ يونية • انظر : Ciane's Diaries : P : 32

(٨٩) Fo : 407/224 : No : 38 : Halifax to Lampson, June 10, 1940, Tel. No : 435

البلاد(٩٠) .

الا أن تلك الاجراءات لم تكن تمثل بديلا مقبولا للجانب البريطانى ، عن اعلان مصر الحرب على المحور ، وبدت مراوغات على ماهر ظاهرة مرة أخرى عندما علق موافقة مصر على اعلان الحرب على شروط ثلاثة هى ضرب مواقع الجنود المصرية وضرب المدن المصرية والتوغل فى البلاد مبتدئة من غير استفزاز ، وهى شروط رأى الجانب البريطانى تعذر التعويل عليها لكى تعلن مصر الحرب(٩١) .

بدا فصم عرى التحالف القائم بين الملك وعلى ماهر ، ضرورة اقتضتها السياسة البريطانية وهذا بدوره ما جعل لامبسون يقابل الملك بعد ظهر ١٧ يونية ١٩٤٠ ، لكى يوضح له أنه لا يمكن للانجليز أو الملك نفسه أن يتعاملوا مع شخص غير جدير بثقتهم أو بثقة الشعب المصرى ، وأن على ماهر يجب أن يذهب فورا ، وأنه — أى لامبسون — لا يوافق على عودته للقصر حيث يكون بمقدوره اعاقة أى حكومة على نحو يستحيل عليها القيام بمهامها ، وطلب من الملك أن يجتمع مع رؤساء الأحزاب للتشاور فى شكل الحكومة الجديدة دون اغفال التلويح للملك باحتمالات استخدام القوة(٩٢) .

على الجانب الآخر حرص القصر على تصعيد الأزمة مع السفير البريطانى أملا فى التخلص من ضغوطه ، فأرسل فاروق فى ١٨ يونية رسالة لملك انجلترا نعى فيها على السفير البريطانى عسفه وتشدده ، وأخبر حسنين لامبسون أن التعديل الوزارى سوف يتقرر على ضوء رد ملك انجلترا ، وراح

---

(٩٠) Fo : 407/224 : No : 45 : Lampson to Halifax, Jun. 12, 1940, Tel. No : 501

(٩١) محمد صبيح : المصدر السابق ص ٢٦ وما بعدها .

(٩٢) The Killearn Diaries : P. P : 120 : — 121

حسنين يسعى فى الوقت نفسه لدى لامبسون لاعادة على ماهر الى القصر ، الا أنه استمر على رفضه(٩٣) . ثم جاء رد ملك انجلترا مخيبا لآمال فاروق ، حيث أوضح له أنه كملك دستورى لا دخل له فى هذه الأمور وأنه قد راجع حكومته الا أنها أصرت على موقفها(٩٤) .

لجأ لامبسون الى اتخاذ الخطوات العملية فى مواجهة مناورات القصر وعلى ماهر ، فأرسل تحذيرا للملك من خلال أحمد حسنين بأن الحكومة البريطانية تلح على تغيير الوزارة الحالية ، وعبر عن الموقف باختصار بأن الأمور تجرى بسرعة فى اتجاه خاطىء ، اشارة الى موقف القصر ومناورات على ماهر(٩٥) . وزاد موقف لامبسون تشددا عندما تلقى فى ٢٢ يونية موافقة حكومته على التهديد باعلان الأحكام العرفية البريطانية فى مصر ، اذا لم يستجب الملك للمطالب البريطانية وخولته أن يقبل تنازل الملك عن العرش اذا رغب فى ذلك ، وألا يترك مطلقا حتى لا يلجأ الى ايطاليا مطالبا بالعرش .

على كل حال فقد بدا واضحا أن الجانب البريطانى بدأ يتراجع عن مطلبه بارغام مصر على اعلان الحرب ، الا أنه استمر على اصراره بضرورة التخلص من وزارة على ماهر باعتبارها « نبت ضار » ، واستمرارها فى الحكم لن يزيد النفوذ البريطانى فى مصر الا ضعفا . يتأيد ذلك الاتجاه من الجانب البريطانى بأن اشترط لامبسون على الملك فيمن يرشحه خلفا لعلى ماهر ، أن يلتزم بالمعاهدة نصا وروحا وحائزا لتأييد الشعب ، وأنه لا يشترط

---

(٩٣) حسن يوسف : مذكرات ص ١١٢ .
(٩٤) محمد صبيح : المصدر السابق : نفس المكان .
(٩٥) Fo : 407/224 : Lampson to Halifax, Jun. 17, 1940, Tel. No : 536

فى من يتولى الحكم أن يعلن الحرب(٩٦) . ولقطع سبل المنـــاورة على القصر وعلى ماهر ، أرسل لامبسون تبليغا بريطانيـــا للملك فى ٢٢ يونية ، كان بمثابة انذار له بأن لا سبيل الى تعاون الحكومة البريطانية مع وزارة عـــلى ماهر ، وانتهت الأزمة باستقالة الوزارة فى ٢٣ يونية ولتخلفها وزارة حسن صبرى الأولى(٩٧) .

ونجاح الضغط البريطانى لاسقاط على ماهر ، لم يكن ســـوى مقدمة لتقليم أظافر القصر ، فأتبع لامبسون ذلك بطلب ابعاد أشخاص بذواتهم من القصر وفى مقدمتهم عبد الوهاب طلعت وكيل الديوان بدعوى أنه متشبع بسياسة على ماهر وصنيعته ، والمهندس فيروتشى والكهربائى بوللى ، وقـد رأى الملك فى ذلك الطلب من المساس بذاته ما لا يسمح بالنظر فيه ، وتدخل حسن صبرى للتغلب على الأزمة فاستبعد أحدهم - وهـــو بوللى - وبقى الآخران ، وذلك فى محاولة لتبديد ما وقر فى ذهن السفير البريطانى من أن « جلالته محورى الهوى »(٩٨) .

وينبغى الاشارة الى أن سير العمليات الحربية فى الصحراء الغربية : كان عاملا مشجعا للقصر لكى يتمسك بموقفـه من مسألة اشتراك مصر فى الحرب . فيفصح الملك للامبسون عن تحرج موقف مصر من تقدم الايطاليين ، وعندما أظهر الأخير شكوكه من امكان تحريك القـــوات المصرية فى الوقت المناسب ، كما وعده رئيس الوزراء حسن صبرى ، أخبره الملك بأن القوات

---

(٩٦) Fo : 407/224 : Lampson to Halifax, Jun, 17, 1940 Tel. No : 535

(٩٧) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ٨٣ - ٨٤ ، انظر كذلك : Mansfield, P : The British in Egypt : P : 272

(٩٨) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

المصرية لن يكن بمقدورها المقاومة لو صدرت الأوامر اليها بذلك(٩٩) ٠

على هذا النحو يمكن القول بأن تراجع السياسة البريطانية عن المطالبة بأعلان مصر للحرب ، وتحولها الى المطالبة بأن تتولى الحكم وزارة تقوم بتنفيذ المعاهدة نصا وروحا ٠ هذا بدوره قد شكل اطارا أساسيا للسياسة البريطانية حتى نهاية الحرب ٠ يتأيد ذلك بما تبدى من حرص السفير البريطانى على رصد كافة التغيرات الوزارية التى تلت استقالة الوزارة الماهرية الثانية ٠ بل أن التدخل البريطانى الحادث فى ٤ فبراير كان فى جانب أساسى منه تعبيرا عن هذا الاتجاه ٠

ورغم أن مصر فى ذلك الوقت لم تكن قد أعلنت الحرب ، الا أن دول المحور فى خلال الحرب قد اعتقلت عددا من الرعايا المصريين ، بعضهم كأسرى حرب والبعض الآخر كمعتقلين مدنيين ولقد أعيد بعض هؤلاء الأسرى أثناء الحرب بطريق التبادل الذى جرى على أساس عددى بين الرعايا المصريين فى ألمانيا والرعايا الألمان فى مصر ، والبعض الآخر عقب انتهاء الحرب ، ومن هذا الفريق من أسر فى الصحراء الغربية ٠ أما المصريون المقيمون فى اليابان والذين تم اعتقالهم هناك فقد أفرجت عنهم اليابان بعد الحرب ، واتخذت المفوضية المصرية فى واشنطن التدابير مع السلطات الامريكية لترحيلهم الى مصر(١٠٠) ٠ يضاف الى ذلك فقد بلغ عدد القتلى المصريين بفعل دول المحور أثناء الحرب ١٢٧٨ من المدنيين و ٢٠١ من العسكريين(١٠١) ٠

---

(٩٩) Fo : 407/224 : 131 : Lampson to Halifax, Oct. 7, 1949, Tel. No : 1249

(١٠٠) مضابط مجلس النواب ، دور الانعقاد الثانى العادى ، الجلسة الثانية والعشرون فى ١٩٤٦/٣/٢٥ ص ١٣٣٦ ٠

(١٠١) المصدر السابق : الجلسة الثالثة والعشرين فى ١٩٤٦/٥/٢٨ ص ٢٥٥٩ ٠

أما عن ظروف اعلان مصر للحرب ، فقد حدث فى منتصف فبراير سنة ١٩٤٥ أن اجتمع الملك فاروق مع روزفلت وتشرشل حيث عرضت قرارات مؤتمر القرم الذى عقد فى « يالتا » فى نفس العام ومن بينها القرار القاضى بألا يشترك فى مؤتمر سان فرانسيسكو الذى تحدد لانعقاده ٢٥ ابريل ، سوى الدول التى تكون قد أعلنت الحرب على المحور قبل أول مارس سنة ١٩٤٥ واقتنع فاروق بمصلحة مصر فى ذلك ٠ وفى مساء ٢٦ فبراير وافق البرلمان فى جلسة سرية على قرار الحكومة باعلان الحرب على ألمانيا واليابان ، وقد جاء الاعلان فى وقت كانت فيه الحرب عملا وشيكة الانتهاء ، بعد أن استسلمت ألمانيا فى ٧ مايـــو دون قيد أو شرط واستسلمت اليابان فى أغسطس من نفس العام ، وترتب على ذلك أن شاركت مصر فى مؤتمر سان فرانسيسكو فى ٢٦ يونيه ١٩٤٥ ووقعت على ميثاق الأمم المتحدة(١٠٢) ٠

على هذا فقد كان قرار الاعلان « مصريا » واستهدفت مصر من ورائه تهيئة الظروف المناسبة لعرض قضيتها أمام المنظمة الدولية ، ونجاح هـــذه السياسة كان ولا ريب عملا من أعمال المهارة السياسية التى تحتسب للقصر فى مواجهة السياسية البريطانية ٠

حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ بين القصر والسفارة البريطانية :

ينفرد حادث ٤ فبراير ســـنة ١٩٤٢ بمكانة خاصـــة فى تاريخ مصر السياسى من حيث الأسباب التى أدت الى الأزمة ، فضلا عن النتائج التى

---

(١٠٢) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ، ج ٣ ص ١٥١ وما بعدها ؛ ومما يجدر ذكره ان ثمة معارضة قامت فى مجلس النواب لاعلان مصر الحرب ، تزعمها النائب فكرى أباظة الذى قرر ان الخسائر لا بد وأن تلحق بالجيش المصرى لضعف امكانياته وسلاحه ، رغم تأكيد النقراشى بأن الجيش لديه سلاح وذخيرة تكفيه لمدة عام ٠ انظر مذكرات فكرى أباظة ، المصور ٢١/٤/١٩٧٨ ٠

ترتبت عليها فهو وأن كان تعبيرا عن التناقض الحاد الحادث بين اتجاهات القصر والسياسة البريطانية ، فقد كان أيضا نقطة أنقلاب حقيقية في العلاقة بين الطرفين ·

فمن الثابت أن فاروق منذ توليه الحكم قد سعى الى اتباع نهج أبيه بصدد محاولاته لاثبات تأثير القصر والتأكيد على مكانته السياسية كمؤسسة للحكم ، واذا كان نجاح القصر فى بداية عهد الملك فاروق فى اقالة الوزارة النحاسية الرابعة ، رغم تحذيرات السفير البريطانى ، بمثابة اختبار حقيقى لقوة القصر السياسية فان انفراده بالحكم زهاء السنوات الأربعة التالية من خلال وزارات عرفت فى جملتها بالتبعية للقصر ، جاء بمثابة تأكيد لقوة القصر السياسية ·

فعلى امتداد هذا المسطح الزمنى لا نكاد نتبين أثرا لردود فعل حادة من الجانب البريطانى فى مواجهة سياسة القصر سوى ما اتصل منها بالتبليغ البريطانى للملك فى يونيه ١٩٤٠ لاسقاط وزارة على ماهر الثانية · نخلص من هذا الى أن سياسة القصر فى مجملها لم تكن تحمل معنى التهديد المباشر للوجود البريطانى ومصالحه فى البلاد حتى ذلك الوقت ·

بيد أنه يمكن القول بعجز الدبلوماسية البريطانية عن المحافظة على التوازن بين قوى التأثير السياسى الأخرى فى البلاد ، ونعنى بها القصر وأحزاب الأقلية فى جانب ، وحزب الوفد فى جانب آخر· وبعبارة أخرى فان تزايد نفوذ القصر فى الحكم فى تلك الفترة ، قابله تراجع محسوب للنفوذ البريطانى وتأثيره على مجريات السياسة المصرية · ولقد تصور القصر أن بمقدوره الانفراد تماما بمقاليد السلطة فى البلاد ، بل وتوجيه البلاد وجهة مضادة تتعارض بالضرورة مع أوضاع الوجود البريطانى فى مصر والتى كانت قد تحرجت بشكل واضح ازاء تهديدات الغزو المحورى · على نحو كان

يتهدد الوجود البريطانى ذاته فى مصر بشكل مباشر . فالواقع أن توجهات القصر المحورية لم تكن باعثا لريبة الجانب البريطانى وشكوكه فحسب ، بل وقادته الى صدام مع وزارة حسين سرى - المؤيدة من الانجليز - تحركه فى ذلك الرغبة فى التخلص منها واتخذ ذلك مفهوما عمليا من خلال حادثين أولهما حادث محطة الارسال ، عندما اكتشف الانجليز وجود محطة ارسال بقصر عابدين ، فطلبوا من رئيس الوزراء انتزاعها ، مهددين بمهاجمة القصر وانتزاعها منه قسرا ، وتولى سرى باشا بنفسه الأمر مضطرا ، وذلك بدوره قد أثار حفيظة الملك على رئيس الوزراء ، واتجهت نيته لاقالته ، وكان الانجليز يعتقدون أن الملك يستخدم المحطة فى اتصالاته مع المحور(١٠٣) .

أما الحادث الثانى ، فكان وقف العلاقات السياسية مع حكومة فيشى - الموالية للمحور - واتخذ مجلس الوزراء قرارا بذلك فى ٢٥ يناير ١٩٤٢ . وقابل صليب سامى وزير حكومة فيشى فى مصر مسيو بوتزى وأبلغه بالقرار وطلب منه مغادرة البلاد وأعضاء المفوضية وقنصلياتها ، وبررت الحكومة المصرية قرارها بأنه بناء على طلب الحكومة البريطانية فى مصر ، رغم أن حكومة فيشى لم تكن فى حالة حرب مع بريطانيا ، الا أنها تعاونت بشكل مباشر وغير مباشر مع حكومات المحور ، فضلا عن قيام بعض موظفى المفوضية بأعمال تتنافى مع سلامة الجيوش البريطانية فى مصر .

وكان السفير البريطانى يؤيد الجنرال كاتزو مندوب حكومة فرنسا الحرة فى القاهرة التى كان يرأسها الجنرال ديجول ، بينما كان بوتزى محل مساندة القصر وتأييده ، وكانت الحكومة المصرية قد اتخذت قرارها أثناء غيبة الملك فى رحلة بالبحر الأحمر ، وعند عودته طلب استقالة وزير الخارجية

---

(١٠٣) صليب سامى : مذكرات (١٨٩١ - ١٩٥٢) ص ٢٦٥ .

صليب سامى الذى حاول بدوره اقناع الملك بأنه قد تحمل مسئولية قرار الحكومة تفاديا لتعريض البلاد مخاطر الرفض ، الا أن ذلك لم يثن الملك عن لوم سرى ، الذى هدد بدوره بالاستقالة تضامنا مع وزير الخارجية • وازاء تدخل السفير البريطانى تم الاتفاق على ابقاء وزير الخارجية فى منصبه مقابل ارجاء مطالب السفير باخراج عبد الوهاب طلعت وبعض الايطاليين من القصر • الا أن ذلك كان يعنى تأجيل الصدام دون القضاء على أسبابه(١٠٤) •

بيد أن الأزمة ما لبثت أن تفجرت من جديد نتيجة لاصرار الملك ـ بأيعاز من على ماهر ـ على اقالة وزير الخارجية • وبدا للسفير البريطانى أن الموقف الخطير الناجم عن أزمة فيشى قد فاق ما كان متوقعا(١٠٥) فراح يسـوق تحذيراته للملك من خلال أحمد حسنين من مغبة « اللعب بالنار »(١٠٦) •

وبدا واضحا أن تحذيرات السفير البريطانى لم تجد نفعا لدى القصر الذى راح يعمل على تصعيد الأزمة بغية احراج الوزارة ، واتخذ ذلك مفهوما عمليا باثارة طلبة الجامعة والأزهر وجماعة مصر الفتاة ، وهـذا بدوره كان باعثا لاعتقاد سرى بأنه فقد ثقة الملك ، وأنه لن يمكنه البقاء فى الحكم طويلا وأوضح للامبسون تصميمه على الاستقالة بسبب مؤامرات مجموعة على ماهر التى يرفض الملك كبح جماحها(١٠٧) •

---

(١٠٤) انظر صلاح العقاد : العرب والحرب العالمية الثانية ص ٣٥ ، مذكرات صليب سامى ص٢٦٦ ـ ٢٧٤ ، محمد أحمد انيس : ٤ فبراير فى تاريخ مصر السياسى ص ٩ وما بعدها ، الأهرام : الملف السرى الكامل لحادث ٤ فبراير ١٩٧٣/٥/٤ ، عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ج ٢ ص ١٩٢ ـ ١٩٣ ، مذكرات عبد اللطيف البغدادى ج ١ ص ١٨ ، جريدة البلاغ ١/٦ ، ١٩٤٢/١/٨ • انظر كذلك :
Malowe, J : Anglo Egyptian Relations : P : 318, Mansfield P. : The British in Egypt : P : 272

(١٠٥) Fo : 371/31566 : No : 248 : Lampson to Fo : Jan. 21, 1942

(١٠٦) Ibid

(١٠٧) Fo : 371/31566 : No : 442 : Lampson to F.O. Feb. 1, 1942

على الجانب الآخر ألقت الخارجية البريطانية اللوم على سرى لعدم ابلاغه الملك مسبقا بقرار قطع العلاقات ، الا أنها طلبت من لامبسون عدم الافصاح عن وجهة النظر هذه للملك أو رئيس الوزراء(١٠٨) ٠ كما راحت تظهر عدم اقتناعها بالمبررات التى ساقها سرى لاستقالته ٠ رغم أن دوائر لندن كانت تدرك أن موقفه يرجع أساسا الى ما كان يتعرض له من « وخزات مستمرة » ، بطريقة أصبح فيها من المتعذر على الحكومة البريطانية أو سفيرها حمايته منها(١٠٩) ٠ ورغم ذلك فقد كان واضحا أن الجانب البريطانى يحدوه الأمل فى جدوى الوسائل الدبلوماسية ٠

وفى محاولة لخروج من الأزمة أرسل وزير الخارجية البريطانية وجهة نظره وهى تتمثل فى بديلين ، أولهما : اقامة اتصال مباشر مع النحاس قبل اعلان استقالة رئيس الوزراء اذا أمكن ، على أن يوضح للنحاس تمسك بريطانيا بالمعاهدة وأن مسألة حياد مصرفى الحرب أمر يستحيل قبوله ٠ أما البديل الثانى ويأتى فى حالة رفض النحاس التعاون ـ فيكون باقناع الملك بالتصالح مع رئيس الوزراء الحالى حسين سرى ـ وابقائه فى الحكم(١١٠) ٠

الا أن السفير البريطانى وفى ضوء تطور الأحداث بشكل مفاجىء ، عجز

---

(١٠٨) Fo : 371/31566 : No : 451 : F.O. to Lampson, Jan. 25, 1942.

(١٠٩) Fo : 371/31566 : No : 446 : F.O. to Lampson, Feb. 2, 1942

ويشير ناتنج الى ان الملك حاول تثبيت حسين سرى فى الوزارة دون التشاور مع السلطات البريطانية خلافا لرغبة السفير البريطانى الذى أراد أن يعيد النحاس للحكم وذلك من قبيل اظهار القوة ٠ ونحن نرى خطأ هذا الرأى فالملك بعد أزمة فيشى راح يقلب ظهر المجن لوزارة سرى لدفعها للاستقالة ، لكى تخلفها وزارة قوية تدين بالولاء له دون الجانب البريطانى ٠ أنظر :

Nutting A, The Arabs : P : 379

(١١٠) Fo : 371/31566 : No : 447 : FO to Lampson, Feb. 2, 1942

عن التحرك فى هدى توجيهات حكومته • فنتيجة اصرار سرى على تقـــديم استقالته بعد ظهر ٢ فبراير ١٩٤٢ ، راح لامبسون يحاول السيطرة عـلى الموقف ، فيطلب من أحمد حسنين ترتيب مقابلة له مع الملك فى الواحدة بعد ظهر يوم ٢ فبراير - أى بعد استقالة سرى مباشرة - لشرح وجهة نظـــر بريطانيا • على الجانب الآخر حرص القصر على الانفراد بقرار تشكيل الوزارة الجديدة بمنأى عن أى صورة من صور التدخل البريطانى فيبدى أحمد حسنين اعتراضه على مطلب السفير البريطانى بمقابلة الملك ، بدعوى أنها سوف تترك انطباعا بتدخله فى شئون مصر ، وان هناك محاولات كبرى لتشكيل وزارة قومية • الا أن خوف الجانب البريطانى كان كبيرا من أن يواجه بوزارة يرأسها على ماهر(١١١) ، وهذا ما يفسره اصرار السفير البريطانى عـلى استطلاع نوايا الملك واتجاهاته بصدد الوزارة المقبلة •

وقبيل مقابلة الملك اجتمع لامبسون مع وزير الدولة البريطانى المقيم فى القاهرة وقائد القوات البريطانية حيث تم الاتفاق على التقـــدم بمطالب محددة للملك تتلخص فى اسناد الحـكم لوزارة قوية تحظى بتـأييد شعبى وتنفذ المعاهدة نصا وروحا ، وضرورة استدعاء النحاس زعيم حزب الأغلبيـة لمشاورته فى تشكيل الحكومة الجديدة على أن يتم ذلك ظهر اليوم التالى - ٣ فبراير - مع تحميل الملك مسئولية أى اضطرابات تحدث • يفهم من هذا أن الجانب البريطانى حتى ذلك الوقت لم يكن قد ذهب الى فرض وزارة وفدية بعينها يرأسها النحاس ، واستهدف أساسا تشـــكيل وزارة تحظى بتأييد شعبى واسع يؤمن مسيرتها فى الحكم كما أنه لم يكن يظهر اعتراضا على فكرة الوزارة القومية التى تبناها القصر •

---

(١١١) Fo : 371/31566 : No : 448 : Lampson to FO, Feb. 2, 1942

على كل حال قابل لامبسون الملك ، والذى بدا موقفه غامضا من مسألة استدعاء النحاس مما حدا بلامبسون الى أن يكرر على مسامعه طلبه باستدعاء النحاس ، خاصـــة وأن استدعاءه بشـــكل فورى يجعله يسيطر عـــلى كـــل حاليا تتجه لتشكيل حكومة مؤقته تمهيدا لتشكيل حكومة ائتلافية برئاسـة النحاس ، خاصـــة وأن استدعاءه بشـــكل فورى يجعله يسيطر عـــلى كل شيء(١١٢) ٠

والواقع أن خطة القصر التى أشار اليها حسنين ، كان هدفها الأساسى كسب مزيد من الوقت لاعداد البديل المناسب لوزارة حسين سري ، وذلك من شأنه بطبيعة الحال أن يباعد بين الوفد والحكم ، والذى كان يرفض دائما فكرة الاشتراك فى الحكم مؤتلفا مع غيره من الأحزاب القومية منـــذ فشل تجربة الائتلاف فى مارس ١٩٢٨ ، بيد أن هذه الفكرة وأن بدت جذابة - على حد تعبير لامبسون - الا أنه رأى استبعادها ما لم يستدع النحاس أولا ويوافق عليها(١١٣) ٠

على هذا النحو كان موقف القصر باعثا لشكوك الجانب البريطـــانى وريبته ، ومن ثم بدا يجنح الى سياسة أكثر تشددا فى مواجهته ٠ وعلى اثر مقابلة الملك ، راح لامبسون يجتمع مرة ثانية مساء ٢ فبراير مع وزيـــر الدولة البريطانى وقائدالقوات البريطانية ، وتم بحث الاجراءات اللازمـــة لمحاصرة القصر ومقاومة الحرس الملكى ، اذا ما دعت الحاجة الى ذلك وتم اعداد ترتيبات المواجهة على النحو التالى :

(أ) أبلاغ الملك أنه لا يمكن أن نعتبر موقفه موقف الحليف وســوف

---

(١١٢) Fo : 371/31566 : No : 449 : Lampson to FO, Feb. 2, 1942

(١١٣) The Killearn Diaries : P : 201

نطلب منه التنازل عن العرش ٠

(ب) اذا وافق - أى الملك - سندعو الامير محمد على لتولى العرش ٠

(ج) اذا رفض الملك التنازل عن العرش سأبلغه خلعه وأتصل بالامير محمد على ٠

(د) اذا رفض الامير محمد على - وهذا ما لا نتوقعه - فاننا سوف نحكم مصر حكما عسكريا بمقتضى الأحكام العرفية الى أن تستقر الأمور بقبول أحد الأمراء تولى العرش أو اعداد نظام آخر(١١٤) ٠

ذهب لامبسون الى ضرورة ابعاد فاروق عن مصر - فى حالة خلعه - الى منطقة خاضعة لنفوذ بريطانيا مثل كينيا أو موريشيوس أو سيشيل(١١٥)٠ وهذا بدوره كان يعكس مخاوف الجانب البريطانى من هروب فاروق الى ايطاليا لكى يطالب بعرش مصر من هناك ٠ على هذا النحو بدا واضحا أن حكومة لندن قد تراجعت عن موقفها السابق من مهادنة الملك ، وبات من المفضل اجراء اختبار للقوة له بشأن القضية المطروحة(١١٦) ٠

وبالفعل أرسل وزير خارجية بريطانيا الى لامبسون يؤيده فيما ذهب اليه من مقترحات ، الا أنه كان يرى أنه فى حالة اقصاء الملك ، فانه من الأفضل تعيين مجلس للوصاية بدلا من تعيين الأمير محمد على ، على نحو

---

(١١٤) Fo : 371/31566 : No : 449 : Lampson to FO, Feb. 2, 1942

(١١٥) Fo : 371/31566 : No : 451 : Lampson to FO, Feb. 2, 1942

ومما يجدر ذكره أن خطة وضعها السفير البريطانى وسير ليتيلتون وزير الدولة البريطانى وكبار القادة البريطانيين فى مصر ، تضمنت نقل الملك فاروق فى حالة رفضه لمطالبهم ، الى طراد بريطانى يرسو فى السويس ويقوم بنقله الى عرض البحر الأحمر ريثما يقرر ساسة بريطانيا مصيره ، وقرروا اخراج السيارة التى ستقل فاروق من الباب الخلفى للقصر لتتجه الى السويس ٠ أنظر هيوج ماكليف : الملف السرى للملك فاروق ص ٨٨ - ٨٩ ٠

(١١٦) Fo : 371/31566 : No : 602 : Fo. to Lampson, Feb. 3, 1942

ما كان مقررا اتخاذه فى عام ١٩٣٥ فى عهد الملك فؤاد ، ويطلب من لامبسون استشارة النحاس قبل الاقدام على اقصاء الملك(١١٧) .

أما عن موقف القيادة الوفدية ، فلقد كشفت الوثائق البريطانية عن فحوى الاتصالات السرية التى جرت بين النحاس والسفير البريطانى من خلال أمين عثمان منذ صبيحة يوم ٣ فبراير . ولسوف نرى كيف أثمرت تلك الاتصالات عن توجيه قوة الضغط البريطانى على القصر لصالح الزعامة الوفدية وفكرة الوزاة الوفدية الخالصة .

ولقد كان لامبسون يتجنب عن عمد مقابله أمين عثمان خلال الشهور الثلاثة السابقة على الأزمة تحسبا للشائعات وما يمكن أن يثار عن قيامه بتدبير الدسائس مع السفارة البريطانية ، الا أنه ازاء تطور الأزمة وتغير الموقف طلب لامبسون مقابلة أمين عثمان فى صباح ٣ فبراير حيث أوضح له نوايا الجانب البريطانى . وبعث للنحاس - من خلال أمين عثمان - يطلب منه أن يرفض الاقتراح الخاص بتشكيل حكومة انتقالية ، فهى على حد قول لامبسون ، بمثابة فخ من القصر للاقتناص ، فضلا عن أنها تهىء الفرصة لمكائده ، كما أوصى النحاس بأن يبذل ما فى وسعه لتشكيل حكومة ائتلافية(١١٨) .

وفى نفس اليوم قابل أمين عثمان لامبسون - للمرة الثانية - لينقل له وجهة نظر النحاس من أنه عند اجتماعه بالملك سوف يرفض بشكل قاطع تشكيل حكومة ائتلافية ، وسوغ النحاس موقفه هذا بأن أى حكومة ائتلافيه

---

(١١٧) Fo : 371/31566 : No : 618 : FO, to Lampson, Feb. 4, 1942

(١١٨) Fo : 371/31566 : No : 461 : Lampson to FO, Feb. 3, 1942
The Killearn Diaries : P : 201

سوف تضم وزراء من رجال الملك ، وأنه بذلك لن يكون قادرا على تحقيق الفائدة لنا(١١٩) • على كل حال فلقد أظهر لامبسون اقتناعه بوجهة نظر النحاس في رفض فكرة الوزارة الائتلافية وضرورة تشكيل وزارة وفدية خالصة ، وطلب من النحاس أن يتمسك بموقفه هذا لدى مقابلته للملك(١٢٠) •

وبصدد تلك الاتصالات أيضا أبلغ أمين عثمان لامبسون بعد ظهر ٤ فبراير بأن النحاس يعتزم أن يردد بأنه لا علم له بالتدخل البريطانى وأن الشخص الذى يستطيع أن يعين رئيس الوزراء هو الملك ، وأن البلاد قد وصلت الى مرحلة خطيرة بسبب عدم حكمها عن طريق حزب ديموقراطى ، وسيقول النحاس أنه يعتبر نفسه ممثلا لهذا الحزب الديموقراطى وأنهمستعد لتشكيل حكومة وفدية انقاذا للموقف اذا كلفه الملك بذلك(١٢١) • كان هذا هو الاطار الذى تحرك فيه النحاس عشية ٢ فبراير ، ومن ثم فيمكن القول بأن تنسيقا تاما قد جرى يومى ٣ و ٤ فبراير بين السفارة البريطانية والنحاس من خلال أمين عثمان ، على التحرك فى مواجهة القصر •

على ذلك فأن موقف الأطراف الثلاثة الرئيسة فى الازمة حتى ذلك الوقت قد أظهرت دلالات هامة ينبغى الأشارة اليها • منها أولا : أن خطة القصر لتشكيل حكومة ائتلافية برئاسة النحاس لم تكن فى واقع الحال سوى خدعة استهدف القصر من ورائها كسب مزيد من الوقت لصالحه • ومنها ثانيا : أنه كان هناك اتفاق – رغم اختلاف الغايات – بين القصر والجانب البريطانى على فكرة الوزارة الائتلافية وتحول الأخير عنها كان راجعا الى قناعتة بوجهة نظر

---

(١١٩) Fo : 371/31566 : No : 462 : Lampson to FO, Feb. 3, 1942

(١٢٠) Ibid

(١٢١) Fo : 371/31566 : No : 482 : Same to Same, Feb. 3, 1942

الزعامة الوفدية برفضها • ومنها أخيرا أن النحاس وليس السفير البريطانى ، كان صاحب فكرة الوزارة الوفدية الخالصة ، خاصة وأن النحاس سوف يكون قادرا على « تسليم البضاعة لنا » على حد قول السفير البريطانى (١٢٢) •

ولحسم الخلاف مع الملك أرسل السفير البريطانى اليه انـذارا صبيحة ٤ فبراير عن طريق أحمد حسنين ، يطلب منه تكليف النحاس بتشكيل الوزارة قبل السادسة مساء نفس اليوم ويحمله ما قد يترتب على الرفض من نتائج • ودون اغراق فى التفاصيل أسفرت الاجتماعات التى عقدها الملك مع الزعماء السياسيين بقصر عابدين - بما فيهم النحاس - عن رفضهم للانذار والاحتجاج عليه ، باعتباره اعتداء على استقلال البلاد وينطوى على المساس بالمعاهدة ، وسلموا نص الاحتجاج الى حسنين الذى سلمه بدوره الى السفير البريطانى (١٢٣) • وجاء الرد البريطانى سريعا بحصار قصر عابدين فى الساعة التاسعة الا عشر دقائق من مساء ٤ فبراير بواسطة القوات

---

(١٢٢) The Killearn Diaries, P. 204, Flower, R., the story of Modern Egypt, P : 157

(١٢٣) لمزيد من التفاصيل عن اجتماعات الملك مع زعماء البلاد بقصر عابدين يومى ٣ و٤ فبراير ونتائجها انظر :

عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٢ ص ١٠٢ - ١٠٨ ، عاصم الدسوقى : مصر والحرب العالمية الثانية ص ٧٣ - ٧٤ ، يونان لبيب : تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٣٦ - ٤٤٤ ، صالح عيسى السودانى : الأسرار السياسية لأبطال الثورة المصرية ص ٣٤٢ ، محمد محمود خليل : مذكرات عن حادث ٤ فبراير منشورة بجريدة الدستور يوم ١٩٤٥/١١/١٥ ، محمد فيصل عبد المنعم : الى الأمام يا روميل ص ١٦٧ - ١٦٨ ، أخبار اليوم ١٩٤٥/١١/١٧ ، محمد احمد أنيس : ٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى ص١٤ وما بعدها ، محمد زكى عبد القادر : محنة الدستور (١٩٢٣ - ١٩٥٢) ص ١٢٦ - ١٣٠ ، محمد حسين هيكل : مذكرات السياسة المصرية ج ٢ ص ٢٢٧ - ٢٤٦ ، عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩٣٧ - ١٩٤٨) ج ٢ ص ١٩٢ - ٢١٨ •

ويذكر جلال الحمامصى أن السفير البريطانى أصابته الدهشة عندما رأى توقيع النحاس على نص الاحتجاج ، انظر : معركة نزاهة الحكم ص ١٥ وأنظر كذلك :
The Killearn Diaries : P.P. 199 - 217

البريطانية (١٢٤) • وتوجه السفير البريطانى ومعه الجنرال ستون مباشرة الى مكتب الملك • وكان لامبسون يحمل معه وثيقتين الأولى الاعلان الذى سوف يتلوه على الملك اذا استمر على عناده ، والثانية عبارة عن خطاب العزل الذى سوف يضعه أمام فاروق ليوقعه (١٢٥) •

---

(١٢٤) وكان أحمد حسنين قد كلف عددا من موظفى القصر وضباطه الذين شاهدوا الحادث بكتابة محضر له • وقد عثر الباحث بالفعل ضمن أوراق أحمد حسنين على أصل المحضر الذى ضم اقوال وملاحظات أفراد الحاشية العسكرية ، ورفعه الأميرالاى عمر فتحى قائد الحرس الملكى الى الملك يوم ١٠ فبراير ١٩٤٢ ويقع فى ٢٨ ورقة متضمنا وصف الحادث وحصار القصر ، فطبقا لرواية شهود العيان قامت دبابتان بريطانيتان باقتحام الباب الرئيسى للقصر والدخول الى فنائه وتبعهما بعد ذلك نحو ثمانين جنديا كاملى التسليح وقاموا بفرض الحصار على القصر ، فى الوقت نفسه قامت الدبابات والمشاة البريطانيون بحصار القصر من الخارج واغلاق الطرق المؤدية اليه كما قامت بمنع الدخول أو الخروج للقصر • وعندما حضر السفير البريطانى وجنرال ستون ودخلا لمقابلة الملك فى مكتبه ، كان هناك ستة من الضباط الانجليز منهم ميجور بيرتون (ياور الجنرال ستون) والملحق الجوى بالسفارة البريطانية •

ويشير احد شهود الحادث ــ القائمقام محمد مصطفى الشعراوى ياوُر الملك ــ أنه قد سمع ضحكا صادرا من مكتب الملك فقال له أحد الضباط الانجليز الواقفين « أنها علامة حسنة » •

ويصف شاهد آخر هو ــ اليوزباشى بحرى عز الدين عاطف ياور الملك ــ السفير البريطانى حال خروجه من مقابلة الملك ، بأنه كان عابسا ولم يتفوه بكلمة لأحد خلافا لعادته وتبعه الجنرال ستون • ومما يجدر ذكره أن الملك منح لضباط الحاشية أنواط الجدارة الذهبية كما منح أوسمة لرجال الحاشية المدنية •

(أنظر الوثائق الملحقة بالبحث) •

(١٢٥) أما الوثيقة الأولى فقد تضمنت الآتى : لقد بدا جليا منذ فترة بعيدة أن جلالتك قد تأثرت بمستشارين لم يكونوا مخلصين للمعاهدة بل وعملوا بالفعل على هدمها ، وقدموا العون للأعداء ، فعلاقات جلالتك كانت تشكل انتهاكا للبند الخامس من المعاهدة ، والذى يتعين بمقتضاه ألا يدخل أى طرف من الطرفين المتعاقدين فى علاقة مع دولة أجنبية بما يتعارض مع التحالف • بالاضافة الى ذلك فقد قمتم متعمدين بتفجير أزمة دون مبرر حول قرار اتخذته الحكومة السابقة ــ اشارة الى قرار قطع العلاقات مع فيشى ــ والذى جاء بناء على طلب الحليفة طبقا للبند الخامس من المعاهدة • وفى النهاية ازاء الفشل فى تشكيل وزارة ائتلافية ، ترفض جلالتك أن تعهد للوفد بتشكيل الوزارة ، رغم ما يحظى به من تأييد البلاد ، وهو فى موقف يمكنه من أن يحافظ على استمرار روح العمل بالمعاهدة بروح الصداقة الأمر الذى كان متوقعا •

هذا التهور وعدم الشعور بالمسئولية من جانب العرش من شأنه أن يعرض أمن مصر والقوات الحليفة للخطر ومن ثم لا يتعين بقاؤك على العرش أكثر من ذلك •

أما الوثيقة الثانية : وثيقة التنازل عن العرش فقد نصت على الآتى : نحن فاروق الأول ملك مصر •• حرصا منا على مصالح بلادنا ، فاننا نتخلى ونتنازل بالنسبة لنا ولورثتنا عن =

وينبغى الأشارة الى أن المشاورات التى جرت بين ليتلتون ولامبسون بعد ظهر ٤ فبراير ، قد أظهرت تصميم الأخير على ضرورة « ذهاب الصبى » اشـارة الى وجوب عزل الملك فاروق ، حتى اذا اسـتجاب للشروط • الا أن تراجع لامبسون عن تصميمه ــ كما يشير فى مذكراته ــ كان تحسبا لردود الفعل فى مصر ولايجاد حالة من التوازن (١٢٦) •

على كل حال فقد جاء اذعان الملك لمطالب السـفير البريطانى وتكليف النحاس بتشكيل وزارة وفدية خالصة ، ليؤرخ نهاية الأزمة • عند هذا الحد يتعين أن نتناول بالتحليل مواقف القوى السياسية من الأزمة • فالقصر قد استهدف منذ البداية السيطرة على أزمة المواقف وهو بصدد اقصاء وزارة سرى عن الحكم ، وايجاد البديل المناسب وهو وزارة قصر تتجه بولائها له ، وبطبيعة الحال لم تكن حكومة وفدية خالصه تمثل هـذا البـديل • بـل ان احتمالات اشتراك الوفد فى الحـكم كان من شـأنها أن تثير مخـاوف القصر • وفى مواجهـة الضغط البريطـانى تراجـع القصر الى فـكرة الوزارة الائتلافية أملا فى احداث التوازن فى الحكم من خلال اشراك العناصر المواليه له مع الوفد حتى يحول دون انفراده بالحكم • بيد أن تزايد الضغط

= عرش مملكة مصر وعن جميع حقوق السيادة والامتيازات والسلطات على مصر ورعاياها • ونعفى بالتالى هؤلاء الرعايا من ولائهم لنا •

Fo : 371/31567 : Lampson to Fo, Feb. 5, 1942
the Killearn Diaries, P.P. : 11 - 212

(١٢٦) ومما يجدر ذكره أن وثيقة التنازل عن العرش قد أعدها « والتر مونكتون » والذى وصل الى مصر فى نهاية عام ١٩٤١ والتحق بالعمل بالسفارة البريطانية مديرا للدعاية بمنطقة الشرق الأوسط • ويشير منسفيلد الى أن فاروق بدا عاجزا ومترددا عن اتخاذ قرار وكانت ملاحظته الأولى أن الوثيقة قد كتبت على ورقة غير لائقة ، وأنه التقط قلمه لكى يوقعها ، وفى اللحظة الأخيرة سأل لامبسون أن يمنحه فرصـة أخرى ، ولم يكن للامبسون مطلب سـوى أن يتولى النحاس وزارة وفدية مقابل أن يحتفظ فاروق بعرشه •

انظر : Mansfield, P : the British in Egypt : P. P 276-277
The Killearn Diaries : P : 215

البريطانى قد أحبط بشكل نهائى مساعى القصر فى هذا الصدد . والواقع أنه لم يكن غائبـــا عن تقديرات القصر السياسية ، أن موقفه المتعنت ازاء المطالب البريطانية سوف يخدم علاقته المستقبلية مع المحور بمعنى أنه قد حرص على أن يظهر للمحور أن تنازله لمطلب بريطانيا ، كان نتيجة استخدام القـــوة ، وليس نتيجة استسلام كامل من جانبـــه . يضـــاف لذلك فالقصر بموقفه هـــذا قد نجح ولا ريب فى أن ينتزع من الوفد الكثير من شعبيته(١٢٧) .

وعن رجال القصر ، فلقد كان واضحا الـدور الـذى لعبه على مـاهر بمساعدة عبد الوهـاب طلعت والشـيخ المراغى فى تحريك مظاهرات طلاب الأزهر والجامعة والأخوان (١٢٨) ، والتى سارت بليل تهتف « الى الامـــام ياروميل ، حذاء فاروق فوق رأسك ياجورج » وذلك بغية احراج حكومة سرى وازاحتها وتهيئة الظروف لكى يتولى على ماهر الحكم (١٢٩) .

ومن جهة أخرى أكد أحمد حسنين للامبسون على ما كـان من دور على ماهر فى أزمة فيشى ، وقيامه وأعوانه بتصوير الأمر للملك عـلى أساس أن حقوقه كانت موضع تجاهل الوزارة ، ويشير لامبسون الى أنه قد حصل على المذكرة التى أرسلها على ماهر ومحمد محمود خليل بغرض اثارة حساسية

---

(١٢٧) عاصم الدسوقى : مصر والحرب العالمية الثانية ص ١٠٢ - ١٠٤ .

(١٢٨) دعا حسين سرى أعضاء وزارته للاجتماع وقال لهم : « أن هذه المظاهرات اشترك فى تدبيرها على ماهر والمراغى والبندارى ، وأنه تحت يدى تقارير تثبت أن اجتماعات عقدت فى عوامة الشيخ المراغى ، وأن الأوامر صدرت بقيام المظاهرات من هذه العوامة » . انظر جلال الحمامصى : معركة نزاهة الحكم ص ٩ - ١٠ .

(١٢٩) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ج ٢ ص ١٨٩ ، ابراهيم عامر : ثورة مصر القومية ص ٨٠ . ومن الطريف أن شائعات قد سرت فى ذلك الوقت مؤداها أنه تم بالفعل حجز « جناح » باسم روميل فى فندق شبرد لاقامته عند دخوله مصر . انظر :
Mansfield, P : Opcit : P : 275

الملك فى هذا الصدد وألمح حسنين للامبسون بأن على ماهر كان يرى بـــأن الأزمة بمثابة فرصة من الطراز الأول لأحداث شقاق بين الملك ورئيس الوزراء ويأمل وقوع تغيير فى الحكومة لصالحه ، ولقد دفع على ماهر الملك فى هـــذا الاتجاه (١٣٠) • وتكمن أهمية تلك الوثيقة ليست فيما أظهرته من تورط على ماهر فى الأحداث التى أفضت الى أزمة ٤ فبراير فحسب ، بل فيما كشفت عنه من جوانب الصراع الخفى الذى دار بين رجال القصر وأعنى بهم أحمـــد حسنين من جانب وعلى ماهر وصنائعه من جانب آخر •

والواقع أن خروج على ماهر من رئاســة الديوان الى الوزاره لم يؤرخ نهاية لنفوذه فى القصر ، وصراعه مع البندارى لكى ينفرد بالنفوذ فيه ليس ببعيد • ذلك أن على ماهر المستقل لم يكن له من ظهير سياسى سوى القصر ، وبعد خروجه من القصر استمر نفوذه فيه من خلال عبد الوهاب طلعت وكيل الديوان والشيخ المراغى • وبصدد تحقيق أطماعه السياسية لم يأل على ماهر جهدا فى اثارة كوامن القصر وشهوته للسلطة ، مما قاد الأخير الى صدام حاد مع الانجليز غير محسوب النتائج على النحو الحادث فى أزمة ٤ فبراير •

على الجانب الآخر كان أحمـــد حسنين حريصا على اصلاح العلاقة بين الانجليز والملك ــ كما مر بنا أثناء الأزمة ، بيد أن تلك المساعى من جانبه فضلا عن اقترابه المباشر من طرفى الصراع الرئيسين قد جعله موضع اتهام على ماهر بأنه كان على علم مسبق بأمر حصار القصر بالدبابات ، وأنه أى على ماهر ــ قد علم بذلك من مصدر موثوق به ومن أقرب المقربين للملك (١٣١) واتهمه

---

(١٣٠) Fo : 371/31566 : No : 290 : Lampson to Fo, Jan. 22, 1942

(١٣١) فيصل عبد المنعم : المصدر السابق ص ١٧٢ ــ ١٧٣ •

فريق آخر بأنه كان على علم برغبه الانجليز منذ بداية الحرب فى أن تتولى الحكم وزارة وفدية الا أنه كان على رأى مستشارى الملك ، يصر دائما على اقصاء الوفد بوسائل مصطنعة غير آبه بتعقيد الموقف الداخلى (١٣٢) ·

والحقيقة أن السفير البريطانى عقب تسلمه احتجاج زعماء المعارضة من أحمد حسنين قد أخبره بأنه قد يذهب للقصر الساعة التاسعة مساء ٤ فبراير لكى يقابل الملك مالم يبلغه بعكس ذلك ، وهذا ما أعلنه أحمـــد حسنين على الزعماء السياسيين عند عودته الى قصر عابدين ، ومن ثم فان قدوم السفير البريطانى للقصر لم يكن سرا استأثر به حســنين لنفســه دون الآخرين ، ولاينهض ذلك بدوره دليلا على علم حسنين بنوايا الانجليز بحصار القصر · بل أن الوثائق البريطانية بصدد الاشارة الى مقابلة الملك مع لامبسون مساء ٤ فبراير أظهرت أن حسنين والملك قد أخذا على غرة (١٣٣) · ثم أن أى من الوثائق البريطانية أو مذكرات لورد كيلرن لم تشر تصريحا أو تلميحا الى أن أحمد حسنين كان على علم بنوايا الجانب البريطانى بحصار قصر عابدين · يضاف الى ذلك فأن جلسات مجلس الحرب بالقاهرة ، والتى ضمنت السفير البريطانى ووزير الدولة المقيم وقائد القوات البريطانية ، جرت اجتماعاتها فى جو من التكتم وأحيطت قراراتها بالسرية · ومن ثم لم يكن لامبســـون ليختص أحمد حسنين - رجل القصر - بالافصاح له عن فحوى هذه القرارات أو نواياه قبل القصر ·

---

(١٣٢) فاطمة اليوسف : ذكريات ص ٢٣٤ ·

(١٣٣) Fo : 371/31566 No : 491 : Lampson to Fo Feb. 5, 1942

يرى البعض انه كان لحسنين فضل كبير فى انقاذ العرش وليس بتعريضه للاخطار ، عندما بذل النصح لفاروق بتكليف النحاس بتشكيل الوزارة بدلا من التضحية بالعرش · أنظر : هيوج ماكليف المصدر السابق ص ٩٤ : ٩٥ ·

عند هذا الحد يمكن أن نسجل تراجع سياسة القصر فى مواجهة الجانب البريطانى اثر الحادث ، بل ومما لأنه ومحاولات التقارب معه ، والدلائل على ذلك كثيرة فمنها قيام القصر بابعـــاد أكثر العنـــاصر ولاء للمحور واحالـة عبد الوهاب طلعت الى التقاعد فى ٦ ديسمبر ١٩٤٢ – وهو المعروف بعدائه للانجليز – مما جاء بأثر طيب واعطى انطباعا عن موقف القصر الودى نحو بريطانيا (١٣٤) . ومنها أن الملك بتأثير من حسنين منح مبلغ ٢٠٠٠ جنيه لكل من القوات البريطانية والامريكية للترفيـة عنهـا بمناســبة أعيـــاد الميلاد (١٣٥) . ومنها أيضا مبادرة الملك بزيارة ونستون تشرشل – رئيس وزراء بريطانيا – فى السفارة البريطانية وذلك عند حضوره لمصر واستقبله بقصر عابدين مرة أخرى(١٣٦) كما استقبل أرشيبالد سانكلير ممثـل ملك بريطانيـــا وجنرال برنارد مونتجمرى ، حيث أظهر الملك شـــعورا وديا ملحوظا(١٣٧) .

بيد أن ذلك لم يثن القصر عن السعى للقصاص من خصومه فى الأزمة . فرغم محاولات السفير البريطانى محو آثار الحادث من ذاكرة فاروق ورجالة ، فيطلب من أحمد حسنين أن تبقى أحداث تلك الليلة – اشارة الى مساء ٤ فبراير – حبيسة الجدران الأربعة (١٣٨) . الا أن القصر وان تناسى الحادث ذاته الا أنه ما فتىء يتربص الدوائر «بأبطاله» . ففيما يتعلق بالنحاس ، فلقد آل حسنين

---

(١٣٤) Fo : 371/35528 : No : 1 : Weekly Political and Economic Report, Dec. 10, 1942

(١٣٥) Ibid

(١٣٦) Fo : 371/35529 : No : 9 : Weekly Political and Economic Report, Feb. 5, 1943, Marlowe, J : Four Aspects of Egypt, P : 268.

(١٣٧) Fo : 371/35536 : No : 179 : Weekly Political and Economic Report, July 2, 1943.

(١٣٨) Fo : 371/31567 : No : 550 Lampson to Fo, Feb. 10, 1942

على نفسه أن يعمل على اخراجه من الحكم ، ولقد رأينا كيف سعى فى هذا الاتجاه فى ابريل ١٩٤٣ ، ثم فى ابريل ١٩٤٤ حيث نجح أخيرا فى مسعاه فى آكتوبر من نفس العام ٠

أما لامبسون « لورد كيلرن » فيروى فى مذكراته عن يوم ٤ فبراير ١٩٤٦ ، أنه فوجىء فى الصباح بوصول برقية شخصية من وزير خارجيته ، أخبره فيها أن الحكومة قررت تعيينه مندوبا فوق العادة فى جنوب شرق آسيا لتنسيق المسائل الاقتصادية هناك وتقديم النصح للحكام فى نواحى السياسة الخارجية ٠ ويرى لامبسون أن ذلك العرض وان بدا كنوع من التكريم ، الا أن يد القصر لم تكن ببعيدة عن السعى لدى دوائر لندن لنقله ، وأن عبد الفتاح عمرو السفير المصرى فى لندن قد قام بهذا الدور لابعاده عن مصر قبل أن تبدأ المفاوضات مع الحكومة البريطانية الأمر الذى علق عليه لامبسون بقوله بأنه « تدمير لهيبتنا فى مصر وأنه بمثابة نصر كامل للقصر على السفارة(١٣٩) ٠ وبطبيعة الحال فان مساعى القصر فى هذا الصدد لم تكن لتلقى معارضة من قبل دوائر لندن فى ظل سياسة التقارب بين الطرفين وقتذاك ٠

وفيما يتصل بموقف زعماء البلاد من رؤساء أحزاب الأقلية أو المستقلين فلا شك فى أن اصرارهم على فكرة الوزارة القومية ، انما كان يصدر عن خشيتهم من تولى وزارة وفدية الحكم تحل برلمانهم الذى عاشوا فيه منذ عام ١٩٣٨ ، واتفاقهم مع القصر على الفكرة كان يصدر عن اعتقادهم بامكان تكوين جبهة ضغط على الجانب البريطانى ، كيما يذعن للفكرة ويعمل تأثيره على الزعامة الوفدية لقبولها ٠ بهذا المفاد كان اجماعهم على رفض

---

(١٣٩) The Killearn Diaries : P : 372

الانذار بعد ظهر ٤ فبراير وارسال احتجاجهم للسفير البريطانى ، بيد أن تلك الخطة قد أصابها الفشل فى مواجهة اتفاق مسبق بين الجانب البريطانى والزعامة الوفدية ، مبناه التمسك بفكرة تشكيل وزارة وفدية خالصة .

هذا الموقف من جانب الزعماء السياسيين - فى تقدير الباحث - قد أسهم الى حد كبير فى تصعيد الأزمة . فالملاحظ أن اجتماعات قصر عابدين يومى ٣ و٤ فبراير قد أظهرت بجلاء تنامى التيـــار العدائى قبل القيـادة الوفدية ، وهذا بدوره قد زاد من مخاوفهـا من مخاطر الحـكم مؤتلفة مـع خصومها ودفعها الى الاصرار على الانفراد بالحـكم مستندة فى ذلك الى تأييد بريطانى مطلق .

على الجانب الآخر فان موقف الوفد أيضا من الأزمة ، قد شابه الكثير من التناقض . حقيقة أن الوفد كان مطلوبا للحكم من جانب بريطانيا بعـد سقوط وزارة على ماهر الثانية فى يونية ١٩٤٠ عندما صرح هاليفكس وزير خارجيتها فى مجلس اللوردات فى ١١ يولية من نفس العـام من أنه كان يسر حكومته لو كان فى الامكان اشتراك الوفد فى الحكومة الجديدة . ولابد أن هذا التصريح كان يعنى أن الانجليز قد طلبوا من الملك فعـــلا اشتراك الوفد فى الحكم ولم يكن لدى الملك ما يمنع ذلك ، ولكنه كان يرفض انفراد الوفد بالحكم(١٤٠) . ولقد اتخذ ذلك مفهوما عمليا لدى القصر - أثناء وزارة سرى - فيشير هيكل الى اتفاقه وأحمد حسنين على صـلاحية فكرة الوزارة القومية كبديل لوزارة سرى حال تنحيها عن الحكم . وأنه - أى هيكل - قد فهم من خلال بعض مقابلاته اللاحقة لرئيس الديوان أن النحاس باشا قـد فوتح فى الفكرة وقبلها بل ورحب بها(١٤١) .

---

(١٤٠) محمد أحمد أنيس : ٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى ص ٢٧ .
(١٤١) محمد حسين هيكل : مذكرات السياسة المصرية : ج ٢ ص ٢٢٣ .

أما عن قبول النحاس للفكرة فقد جاء نزولا على رغبة والحاح من بعض زعماء الوفد وعلى رأسهم مكرم عبيد ، في الوقت الذى رفضتها فيه الأحزاب الأخرى تمسكا منها بمجلس النواب القائم ، مما كان باعثا للنحاس على التخلى عن فكرة الوزارة القومية(١٤٢) . بهذا المفاد كان واضحا أن قبول الوفد لفكرة الوزارة القومية - أثناء وزارة سرى - لم تكن سوى مناورة استهدف منها الوصول للحكم ، فى اطار محاولاته للتقارب مع القصر التى جرت فى ذلك الوقت . الا أنها لم تكن سوى خطوة مرحلية غايتها الانفراد بالحكم فى ظروف أكثر مناسبة . يتأيد ذلك بأنه ما أن أظهر الجانب البريطانى مساندته للزعامة الوفدية ، حتى تحولت تماما الى تبنى فكرة الوزارة الوفدية الخالصة على النحو الحادث فى أزمة ٤ فبراير .

ولقد بدا جليا حرص الحكومة الوفدية التى تولت الحكم عقب الأزمة ، على فرض الحظر على نشر أنبائها ، فأصدر مكرم عبيد فى اليوم التالى للحادث تعليمات للرقيب بمنع النشر فى الصحف لأى أخبار تتصل بالحادث او بأمين عثمان(١٤٣) . ومن جهة أخرى تقدم محمود غالب عضو مجلس الشيوخ باستجواب الى رئيس الوزراء عن ظروف تولى وزارته الحكم ، الا أن النحاس دفع بعدم جواز مناقشة هذا الاستجواب استنادا الى المادة ٣٤ من لائحة المجلس والمادة ٤٩ من الدستور(١٤٤) . وراح النحاس من جهة أخرى ينفى عن نفسه شبهة التورط فى الحادث معللا ذلك بوجوده برحلة فى الصعيد وقت الأزمة ، وأنه عند مقابلته للملك لم يخبره بشىء عن

---

(١٤٢) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية : ج ٢ ص ١٥٧ - ١٥٨ .
(١٤٣) حسن يوسف : مذكرات ص ١٢٣ .
(١٤٤) المصرى : ١٩٤٢/١١/٣٠ .

الانجليز(١٤٥) ، بل راح فى خطبته بمناسبة عيد الجهـــاد الوطنى فى ١٣ نوفمبر ١٩٤٥ يتهم خصومه بمسئوليتهم عن الحادث بتزييفهم. ارادة الأمة ، وأنه قد رد ما ضيعوه وأدى واجبه نحو الوطن والعرش(١٤٦) .

كان خطاب النحاس هذا ايذانا بفتح المجال للمعارضة للهجوم عـــلى الوفد . فعلى سبيل المثـال ذهب مكرم عبيد ـ الذى كان قـد انفصل عن الوفد ـ الى أن النحاس كان عـــلى علم بنوايا الانجليز فى تقـديم الانذار ومحاصرة قصر الملك بل ومشتركا معهم . ومن جهـــة أخرى بادر محمـود حسن كبير المستشارين الملكيين الى نشر محاضر الجلستين اللتين عقـدتا فى قصر عابدين يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وكان حاضرا للاجتماع بوصـفه نائبـا لرئيس لجنة قضايا الحكومة(١٤٧) . ورغم أنه لا ســـبيل الى انكار تورط الوفد فى الأزمة على النحو السابق الاشارة اليه ، الا أنه ينبغى الاشارة الى أن هناك عوامل موضوعية عديدة قد أثرت على حركته خلال الأزمة منهـــا أولا : العداء التاريخى والموضوعى بـين القصر والوفد ثم أن تحمس القصر المتزايد للمحور ، كان يحدث أثرا آليا مضادا داخل دوائر الوفد . ومنهـا ثانيا : ما كان من مخاوف الوفد من احتمالات انتصـــار المحور فى الحرب عندئذ لن يكون بمقدوره منافسة القصر فى اكتساب رضاء المحور بحال ، نظرا لموقف القصر المعروف . ومن هذه العوامل أخيرا أن الوفد كان يجـــد صعوبة أقل من خصومه فى أن يتضامن مع أهداف الحلفــاء فى الحرب ذلك

---

(١٤٥) الأهـرام : ١٩٤٥/١١/٢٣ .

(١٤٦) اخبار اليوم : ١٩٤٥/١١/٢٤ « مقال لكامل الشناوى بعنوان : شهدت بنفسى ٤ فبراير » ومن الغريب ان لجنة الوفد ببور سعيد راحت توزع منشورات جاء فيها « أن حادث ٤ فبراير ليس الا مجدا للوطن .

(١٤٧) حسن يوسف : مذكرات ص ١٢٢ .

أن معارك الوفد كانت تتمثل أساسا فى الدفاع عن الدستور والحكم النيابى وكان يقف دائما من النـــاحية النظرية على الأقل مدافعا عن الديمقراطيـــة وحقوق الشعب • ومن ثم فان بقاء المبادىء الدستورية التى وقف مدافعـــا عنها لا يمكن أن تتحقق الا بهزيمة المحور(١٤٨) •

أما الجانب البريطانى فلا ريب أن موقفه لم يكن منبت الصلة بتدهور أوضاع الحلفاء فى قتالهم ضد المحور ، ذلك أن قيـام ألمـانيا بغزو الاتحاد السوفيتى فى مايو ١٩٤١ واحتمالات هزيمـــة السوفييت ، ثم ما كان من التهديد الألمـانى لحدود مصر الغربية ، كل ذلك قد ترك آثارا على السياسة البريطانية فى مصر لا يمكن التهوين من شأنها • على الجانب الآخر لم يكن غائبا عن السفارة البريطانية تجربتها المريرة مع وزارة على ماهر الثانية ، فضلا عن المصاعب التى ما فتىء القصر يثيرها فى وجـــه وزارة سرى ازاء استجابتها للمطالب البريطانية ، كل ذلك دفع الجانب البريطانى كيما يلقى بثقله الى جانب الوفد بل واسترضـــائه ومن ثم كان تحوله نهائيـــا لنصرة قضية الوفد فى الحكم كيما يضمن أن تقوم على حكم مصر وزارة تقف فى ثبات الى جانب قضية الحلفاء • وبعبارة أخرى فان وجود الوفد فى الحـكم من وجهة النظر البريطـــانية كان يعبر عن صـــيغة للتوازن بـين المطالب البريطانية واتجاهات القصر •

ولا ريب فى أن انحياز الوفد وأحزاب الأقليـــة الى طرفى الصراع لم يكن سوى استكمال لشكله ، دون أن يكون له ثمة تأثير عملى أو فعـال على مضمونه • فالحادث كان أساسا تعبيرا عن التناقضات القائمة وقتذاك بين اتجاهات القصر والسياسة البريطانية ، وهو وان كان فى جانب منه ضرورة أملتها السياسة البريطانية فى مواجهة القصر بهدف تقليم أظافره واستعادة

---

(١٤٨) عاصم الدسوقى : مصر والحرب العالمية الثانية ص ١٢٠ ــ ١٢١ •

التوازن المفقود على الساحة ، فهو فى الجـــانب الآخر قد كشف بجلاء عن افلاس الدبلوماسية البريطانية فى مواجهة سياسة القصر ومؤامراته ٠

وخلاصة القول فالقصر بصـــدد عناده وتوجهاته الأوتوقراطية قـد اصطدم بالوجود الاحتلالى دون أن يحسب مقدما نتائج ذلك الصدام ، أما ساسة البلاد على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم فقـــد كشفوا عن تكالبهم على الحكم وهم بصدد الاحتجاج على الانذار ، فهم لم يكونوا ليحتجوا على تشكيل وزارة قومية ، الا أنهم عارضوا فكرة انفراد الوفد بالحكم مع أن الأساس فى الحالتين قائم على الانذار البريطانى ٠ أما الوفد ـ خلال الأزمة ـ فلم يكن سوى أداة قهر سياسى استخدمها الوجود البريطانى لكبح جماح القصر ، ولم يقف تاريخ الوفد الوطنى حائلا دون رغبته فى الحكم ، ولو كان التواطؤ مع الانجليز سبيله الى ذلك ٠ وفيما يتعلق بالوجود البريطانى فقد اثبت بتدخله أن معاهدة ١٩٣٦ لم تمنح البلاد اسـتقلالها الحقيقى ولا جعلتهـــا تستقل بسلطة القرار السياسى ٠ بهذا المفاد كان حادث ٤ فبراير ادانة بالغة للكيان السياسى القائم بكل قواه ومؤسساته ، بل وكان بداية النهاية لهذا الـكيان ٠

القصر والغاء معاهدة ١٩٣٦ :

شكلت معاهدة ١٩٣٦ اطارا عاما للسياسة البريطانية فى مصر منذ ابرامها وحتى الغائها فى أكتوبر ١٩٥١ ٠ ولعــل رصد مقدمات ونتـائج الصراعات التى جرت فى اطارها على امتداد هـــذا المسطح الزمنى يبين أن الوجود البريطانى رغم انسحابه الظاهرى من السـاحة الا أنه لم يتخل عن أساليبه التقليدية ليفرض ارادته على مجرى الأحداث ففى مجـال التطبيق العملى أضفت المعاهدة الشرعية على الوجود الاحتلالى فى البلاد وأطلقت يده فى الســـودان ، وحصلت مصر بمقتضاها على اســـتقلال مبنـاه تحالف

لا يتضمن أى ترتيبات لتحديد مدته . بهذا المفاد تتحدد قيمة المعـــاهدة وأهميتها ليس بما حققته للبــلاد من استقلال بل فيمــا أفضت اليــه من تكريس للاحتلال البريطانى فى البلاد . واذا كانت الدعاية التى صاحبتها قد صورتها بأنها ضرورة قومية اقتضتها مصلحة البلاد فان الالغاء لم يكن سوى ضرورة « حزبية » فى محاولة لانقاذ نفوذ الوفد المتداعى واســتعادة رصيده الجماهيرى فى مواجهة خصومه السياسيين . والواقع أن فكرة الغاء المعاهدة لم تكن وليدة لأفكار وتجـــارب الوفد بل نبتت منذ عهــد وزارة صدقى الثالثة(١٤٩) . حقيقة أن النحاس قد أرســل خطابا مفتوحا فى ٢٣ يولية ١٩٤٥ أثناء وزارة النقراشى الى اللورد كيلرن طالب فيه باعادة النظر فى المعاهدة(١٥٠) ، الا أن النحاس لم يتعد ذلك الى المطالبة بالغاء المعاهدة مما كان واضحا معه أن مناورة الوفد هذه قد استهدفت تأكيد مكانته فى المعارضة بشكل أساسى .

ولقد تبنى صدقى أثناء وزارته الثالثة فكرة التفاوض من أجل تعديل المعاهدة وقوبل بمصاعب عدة وهو بصدد تشكيل وفد المفاوضين فكان عليه أن يضم كافة الأحزاب السياسية اليه ، وكان جمـــع الأضداد يكاد يكون مســتحيلا وظهر الانقســام واضحا منذ البداية بين هيئة المفاوضة(١٥١) .

---

(١٤٩) ويشير هيــكل فى مذكراته الى أنه عندما كان رئيسا لوفد مصر فى الأمم المتحدة لعرض القضية هناك علم أن السفير المصرى فى موسكو أشار على حكومته بضرورة انهاء معاهدة ١٩٣٦ بالغاء القانون الذى صدر باعتمادها حتى يكون النزاع قائما على احترام المعاهدة أو عدم احترامها وحتى لا يقال أن بقاء هذا القانون يجعل مصر مرتبطة بالمعاهدة وقد دارت الفكرة عند غير واحد من الساسة المصريين . أنظر محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ٣ ص ٧٩ .

(١٥٠) Fo : 371/45923 : Fo to Killearn, Aug. 12, 1945, Tel. No : 877

(١٥١) Fo : 371/53306 : Campbell to Fo, July 17, 1946, Tel. No : 251

ولقد اعتقد صدقى أن تأييد الملك له من شانه أن يعضد موقفه فى المفاوضات الا أن الرؤية البريطانية لصدقى كانت جد مختلفة ، اذا كان من المفهوم أن هذه الحكومة - أى حكومة صدقى - سوف تذهب آجلا أو عاجلا(١٥٢) . وظهر صدقى من وجهة نظر بريطانيا بأنه يتوق لأن يصبح زغلولا آخر(١٥٣) . وأعلن صدقى تعاطفه مع مبدأ التحالف مع بريطانيا على أساس جلاء قواتها عن مصر فى وقت السلم ، وأظهر عدم رغبته فى الابقاء على مسألة السودان معلقة خارج اطار المعاهدة . ودون اغراق فى التفاصيل تمخضت محادثاته مع بيفن عن موافقة بريطانيا على الجلاء عن مصر فى نهاية عام ١٩٤٩ ، وأن يبرم بروتوكول خاص للسودان ، وتترك له حرية تقرير مصيره . الا أنه ازاء ما تردد من شائعات حول موافقة بريطانيا على ضم السودان لمصر مما دعا المستر « اتلى » الى التصريح بأنه لا تغيير فى الوضع القائم فى السودان(١٥٤) . وذلك بدوره قد أرخ نهاية للمفاوضات ، مما دعا صدقى الى تقديم استقالة وزارته فى ١٨ ديسمبر ١٩٤٦(١٥٥) . وعندما تولت وزارة النقراشى الثانية الحكم خلفا للوزارة الصدقية انتقلت بالقضية المصرية الى مجلس الأمن لمناقشاتها فى أغسطس ١٩٤٧ م ، الا أنه أرجأ اتخاذ قرار حاسم فيها على نحو باتت معه القضية معلقة دون حل كأثر لتدخل

---

(١٥٢) Fo : 371/53311 : Same to same, Spet. 11, 1946, Tel. No : 120

(١٥٣) Fo : 371/53305 : Same to Same, Jun. 1, 1946, Tel. No : 1003

(١٥٤) Marlowe, J, Anglo-Egyptian Relations, P. P : 341-342

(١٥٥) لمزيد من التفاصيل حول مفاوضات صدقى - بيفن ونتائجها . انظر : عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ١٩٥ وما بعدها ، راشد البراوى ، مجموعة الوثائق السرية (المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس) ج ١ ص ١١٧ ، سنية قراعة : نمر السياسة المصرية ص ٤٥١ - ٤٥٦ ، أنظر كذلك :
Kirk, G, The Middle East : P. P : 124-128

بريطانيا واستعمالها لنفوذها فى المجلس ٠

الا أنه بعودة الوفد الى الحكم فى يناير ١٩٥٠ ، بدا أن زعامته قد استوعبت دروس الماضى وتجاربه ، ومن ثم كان عليها أن تحارب خصومها من الأحزاب الأخرى بنفس سلاحهم ، ألا وهو اصلاح العلاقة مع القصر ، وتجنب تحدى الملك والصدام معه ٠ هذه السياسة من جانب الوفد قد أفقدته ولا ريب رصيدا من جماهيريته وقدرا من شعبيته ، وبصدد محاولاته استعادة هذا الرصيد المفقود ، عمد النحاس فى خطاب العرش يوم ١٦ يناير ١٩٥٠ ، الى اثارة قضية الجلاء ٠

وبدأت بالفعل المباحثات الأولية التى أجراها النحاس مع بيفن فى يناير ١٩٥٠ ، ومن بعده المارشال سليم رئيس الأركان البريطانى فى مايو من نفس العام ٠ هذه المباحثات قد أوضحت بجلاء عدم استعداد بريطانيا لقبول مطالب مصر القومية(١٥٦) ٠ وعلى الرغم مما ساقه النحاس من تحذيرات للسفير البريطانى من أن حكومته « سوف تقدم على ما يجب فعله » وذلك اشارة الى احتمال الغاء المعاهدة ، بيد أن ذلك لم يجد نفعا فى اثناء الحكومة البريطانية عن موقفها(١٥٧) ٠

والحقيقة أن موقف الحكومة الوفدية بدا غاية فى التحرج والضعف ، فمن جهة بدا فسادها واضحا وطغت خلافاتها على السطح فاستقال وزير الشئون الاجتماعية وأقيل وزير المالية ، ومن جهة أخرى راحت المعارضة تشدد هجومها على الحكومة ، وأصدرت بيانا اتهمتها فيه بالسير بخطى

---

(١٥٦) محمد صفوت مصطفى : مصر المعاصرة وقيام الجمهورية العربية المتحدة ص ١٦٣ ، عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ٠

(١٥٧) Fo : 371/80383 : Stevenson to Fo, Oct. 19, 1950, Tel. No : 178

حثيثة نحو الديكتاتورية(١٥٨) • فضلا عن ذلك فان الملك ما فتىء يصرح فى مجالسه الخاصة بعزمه على اقالة الوزارة(١٥٩) •

على كل حال فقد أظهرت الحكومة الوفدية ترددها في مسألة الغاء المعاهدة وظهر ذلك من خلال موقفها المتناقض ، فيما أفضى به فؤاد سراج الدين للقائم بأعمال السفير البريطانى عن اعتزام النحاس الغاء المعاهدة ، الا أنهم - أى الوفديين - كارهين للانزلاق فى مثل هذا المنحدر ، لما سوف يترتب على تلك الخطوة من وصول علاقاتهم بالانجليز الى طريق مسدود(١٦٠) وبعبارة أخرى كان الوفد يلمح للجانب البريطانى أنه وان أقدم على تلك الخطوة فحسبه أنه فى موقف « اذعان الكاره » •

فى ظل تلك الظروف الحرجة لم تكن هناك بارقة أمل فى نجاح مفاوضات صلاح الدين - ستيفنسون ، والتى انتهت بالفشل ، وراح وزير الخارجية المصرية يكشف أمام البرلمان فى ٦ أغسطس ١٩٥١ عن تعنت الانجليز فى الجلاء عن مصر ، ورغبتهم فى الانفراد بحكم السودان لأطول فترة ممكنة(١٦١) • وبذا تبددت آمال الحكومة الوفدية التى علقتها على المفاوضات، ولم يكن أمامها سوى بديل واحد هو الغاء المعاهدة بأمل انقاذ نفوذها المتداعى فى الحكم وكسب تأييد البلاد على نحو يمكنها من اطالة أمدها فى الحكم • وهنا يطرح سؤال نفسه وهو هل كان القصر على علم مسبق بنوايا الحكومة النحاسية لالغاء المعاهدة أم أنه فوجىء بالالغاء ؟

---

(١٥٨) Mansfield, P : Opcit : P : 295

(١٥٩) كمال الدين رفعت : مذكرات ، اعداد مصطفى طيبة ص ٦٩ ، انظر أيضا : ابراهيم عامر : ثورة مصر القومية ص ١٩٥ •

(١٦٠) Fo : 371/90130 : Andrews to Fo, April, 4, 1951, Tel. No : 255

(١٦١) حسن يوسف : مذكرات ص ٢٢٦ •

وطبقا لما أورده صلاح الشاهد في مذكراته أن عبد اللطيف طلعت كبير الأمناء بالقصر الملكي قد تلقى أمرا من الملك أثناء وجوده بالخارج ، للاتصال برئيس الوزراء لعدم اتخاذ اجراءات الغاء المعاهدة قبل عودته من الخارج ، تنسيقا للاتجاهات بينه وبين الانجليز وللحد من اتجاهات الوفد نحو الغاء المعاهدة(١٦٢) • وهذا بدوره يؤكد علم الملك بنوايا الوفد نحو الالغاء • الا أن صلاح الشاهد راح يناقض نفسه في موضع آخر من مذكراته فيشير الى أن ثمة محاولات من قبل دوائر القصر على يد الياس أندراوس لمحاولة معرفة نية الوزارة عن اعتزامها الغاء المعاهدة وكان فؤاد سراج الدين قد أخبره بأنه لا اتجاه اطلاقا للالغاء ، وأن أندراوس بادر بابلاغ السفير البريطاني الذى أبلغ بدوره حكومته فورا ، الا أنه لم تمر سوى ثلاثة أيام حتى قامت الحكومة بالغاء المعاهدة كيما تفوت على القصر والسفارة اقامة أى عقبات أو عراقيل تحول دون الالغاء(١٦٣) • وعلى هذا النحو يتضح تناقض روايتى صلاح الشاهد وعجزه عن تقديم اجابة محددة للتساؤل المطروح •

وعندى أن الملك فاروق كان على علم مسبق بنوايا الحكومة فى هذا الصدد ، لاعتبارات موضوعية ينبغى الاشارة اليها ، منها أولا : أن الوفد لم يكن ليبأغت القصر بهذا الالغاء ، فى وقت كانت سياسته نحو القصر مبناها التقارب منه بل وممالاته • ومنها ثانيا : أن الحكومة قد استمدت هنا ضمانات وجودها فى الحكم من رضاء القصر أساسا وليس اعتمادا على رصيدها الجماهيرى كما كان ديدنها فى السابق • ولم يكن غائبا عنها أن

---

(١٦٢) صلاح الشاهد : ذكرياتى بين عهدين ص ١٦٥ - ١٦٦ ويتفق مع ما أورده صلاح الشاهد فى روايته الأولى عبد الفتاح حسن - وزير الشئون الاجتماعية فى وزارة الوفد الأخيرة - فى مذكراته « ذكريات سياسية » ص ٥٥ وما بعدها •

(١٦٣) صلاح الشاهد : نفس المصدر ص ٨٥ •

الغاء المعاهدة دون مشاورة الملك قد يؤرخ نهاية لبقائها فى الحكم ومنها أخيرا أن الغاء المعاهدة كان سيفضى بالوزارة الى صدام محتوم مع الجانب البريطانى، كان يتعين على الوفـد أن يخوضه وهو آمن من مناورات القصر على أقل تقدير، وكان السبيل الى ذلك اشراك القصر فى مسـئولية الالغاء من جهة ولقطع الطريق عليه لكى لا يستثمر تلك الخطوة لتحسين علاقاته مع الانجليز على حساب الوفد .

أما عن موقف القصر فيمكن القول بأن ثمة اتفاقا ضمنيا قام بينه من جانب والانجليز من جانب آخر لمقاومة اتجاه الوفـد لالغاء المعاهدة والدلائل على ذلك كثيرة منها ما كان من حرص الملك على أن يظهر اتفقه مع وجهة نظر بريطـانيا ، وأن قطع العلاقات مع بريطـانيا والغاء المعاهدة سوف يكون أمرا مخزيا(١٦٤) . ومنها أيضا ما كان من ابتعاد الملك عن البلاد فى تلك الفترة لكى ينأى بنفسه أمام الجانب البريطـانى عن شـبهة المشـاركة فى القرار(١٦٥) . ومنها أخيرا ما كان من قيامه بالضغط بشكل غير مباشر على الجـانب المصرى فى المفاوضـات التى جرت وكـانت السـودان عقبتهـا الرئيسية(١٦٦) .

أما الجانب البريطـانى فلم يكن منبت الصلة بنوايا الحـكومة الوفدية فتشير الوثائق البريطـانية الى مقابلة جرت بين السفير الأمريكى فى مصر ووزير الخارجية المصرى والذى قرر أنه ما لم يتلق ردا مرضيا من بريطـانيا

---

(١٦٤) Fo : 371/90131 : Stevenson to Fo, April 8, 1951, Tel. No : 266

(١٦٥) Fo : 371/90133 : Same to Same, Jun. 20, 1951, Tel. No : 72

(١٦٦) Fo : 371/90135 : Same to Same, Aug. 2, 1951, Tel. No : 235

فانه يعتزم نصح حكومته بقطع العلاقات معها والغاء المعاهدة ، واذا لم يلق اقتراحه هذا قبولا لدى الوزارة ورئيسها فانه سوف يستقيل(١٦٨) ٠

على كل حال فقد اجتمع البرلمان بمجلسيه مساء ٨ أكتوبر وألقى رئيس الوزراء بيانا أعلن فيه قطع المفاوضات بعد أن تبين عدم جدواها ، والغاء معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٩ يناير و١٠ يولية ١٨٩٩ بشأن السودان ، وقدم للبرلمان مراسيم بمشروعات القوانين المتضمنة لهذا الالغاء بالاضافة الى مرسوم بمشروع قانون بتعديل الدستور يجعل لقب الملك « ملك مصر والسودان » بعد أن كان « ملك مصر » كما شرعت الحكومة فى الغاء جميع الاعفاءات المالية الممنوحة للسلطات العسكرية البريطانية(١٦٩) وفى ١٥ أكتوبر وافق البرلمان على القانون رقم ١٧٥ لسنة ١٩٥١ بالغاء المعاهدة وأحكام اتفاقيتى السودان ٠ وفى اليوم التالى صدر القانون رقم ١٧٦ بتعديل لقب الملك ليكون « ملك مصر والسودان » وأبلغت الخارجية المصرية ممثلى الدول الأجنبية بذلك(١٧٠) ٠

أما عن ردود الفعل البريطانية لالغاء المعاهدة ، فقد اتخذت مفهوما عمليا عندما أصدرت السفارة البريطانية فى القاهرة مساء ٨ أكتوبر بيانا أعلنت فيه أن الغاء الحكومة المصرية للمعاهدة من جانبها عمل غير قانونى

---

(١٦٨) Fo : 371/90123 : Same to Same, May 3, 1951, Tel. No : 337

(١٦٩) عبد الرحمن الرافعى : مقدمات ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ص ١٧ - ١٨ ، ص ٤١ ٠

(١٧٠) النضية المصرية (١٨٨٢ - ١٩٥٤) ص ٦٩ ٠ ومما يجدر ذكره أن النحاس قد أورد فى بيانه سوابق بعض الدول بالغاء المعاهدات من جانب واحد ٠ وقرر أن المعاهدة قد أبرمت فى ظل الاحتلال البريطانى ، ولم تكن الادارة المصرية مطلقة الاختيار واستشهد على ذلك بما قاله مستر بيفن فى مجلس الأمن عند طرح النزاع الروسى - الايرانى بقوله « أن حكومته ليؤسفها أى اتفاق يبدو وكأنه أنتزع من الحكومة الايرانية قسر على حين انتزع الاتحاد السوفيتى جزءا من ايران ٠ أنظر : راشد البراوى : المصدر السابق ص ٢٠٨ ٠

يخالف أحكام المعاهدة ، وأن الحكومة البريطانية تعتبرها سارية المفعول وتعتزم التمسك بحقوقها بمقتضاها(١٧١) • وينبغى الاشارة الى أن الغاء المعاهدة لم يترتب عليه قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، كل ما هناك أن مصر سحبت عبد الفتاح عمرو سفيرها فى لندن كنوع من الاحتجاج وليس على سبيل قطع العلاقات ، وقد عينه الملك مستشارا خاصا له(١٧٢) •

وفى محاولة من بريطانيا لاحتواء الأزمة ، تقدمت بالاشتراك مع فرنسا وأمريكا وتركيا بمشروع ينص على انشاء قيادة متحالفة للدفاع عن الشرق الأوسط ، على أن تشترك مصر فى هذه القيادة المتحالفة على قدم المساواة ، عندئذ توافق انجلترا على سحب قواتها التى لا تخصص للقيادة المتحالفة ، على أن تقدم مصر فى أراضيها التسهيلات الاستراتيجية والدفاعية ، وتكون مصر مقرا لتلك القيادة • والواقع أنه لم يكن حتى ذلك الوقت ثمة دافع للساسة المصريين للاستجابة لهذا المشروع بالشكل الذى سبق أن أغراهم بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ ، ومن ثم رفضت مصر المشروع ، وأعلنت أنه لم يعد هناك ثمة مسوغ قانونى لوضع القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس(١٧٣) •

ولا ريب فى أن موقف القصر من الغاء المعاهدة كانت تحكمه عدة عوامل متناقضة يتعين الاشارة اليها ، فمنها أولا : أنه لم يكن بمقدوره أن يظهر اعتراضه على الغاء المعاهدة لئلا يستهدف لعداء الجماهير ونقمتها ، خاصة وأن المعاهدة فى مجال التطبيق العملى لم تحقق استقلال البلاد الفعلى • ومنها أيضا ادراكه أن الالغاء سوف يهيىء له ظروفا أفضل للتخلص

(١٧١) عبد الرحمن الرافعى : المصدر السابق ص ١٨ •

(١٧٢) صلاح الشاهد : المصدر السابق ص ٢٩ •

(١٣) احمد عبد الرحيم مصطفى : مشكلة قناة السويس (١٨٥٤ ـ ١٩٥٨) ص ٩٩ ـ ١٠١ •

من حكومة الوفد بعد أن تدهورت سمعتها بدرجة كافية فضلا عن فساد علاقتها بالجانب البريطاني ومنها أخيرا أن أية هزيمة تلحق بالوجود البريطاني سوف ينسحب أثرها بالضرورة على القصر باعتبارهما ركيزتين أساسيتين للكيان السياسي القائم وقتذاك ، ومن ثم فان انهيار أحدهما كان حتما سيودي بالآخر • الا أنه يمكن القول بأن النتائج التي ترتبت على الغاء المعاهدة ، كانت في التحليل الأخير تخدم موقف القصر بشكل أساسي •

وخلاصة القول فأن الجانب البريطاني ، في اطار معاهدة ١٩٣٦ ، قد سعى الى محاولة احتواء القصر والابقاء عليه تحت هيمنته والوقوف في وجه محاولات الوفد للاستيلاء عليه واضعافه لما سوف يترتب على ذلك من تعارض مع قواعد السياسة البريطانية ومقتضياتها في استمرار حالة التوازن بين القصر والوفد • بيد أنه من الناحية العملية كان من المتعذر على الجانب البريطاني - في اطار المعاهدة أن يضع سياسته هذه موضع التنفيذ من خلال الوسائل الدبلوماسية أو المحافظة على مصالحه في غيبة النصائح الملزمة • وكان من الواضح أيضا أن السياسة البريطانية قد خاب تقديرها للمتغييرات التي طرأت على طرفي الصراع - ونعني بهما القصر والوفد - في الوقت الذي نجح القصر في أن يضم أحزاب الأقلية والجماعات الأيديولوجية الى الحلف الملكي والذي غدا مؤيدا من قطاع جماهيري كبير ، كان الوفد - كحزب شعبي - قد بدأ يتراجع ثقله السياسي كأثر لحل القضية المصرية بأبرام المعاهدة فضلا عن تلك الانسلاخات التي تعرض لها وأثرت على بنيته السياسية • وبعبارة أخرى فان واقع السياسة المصرية كان مختلفا تماما عن تقديرات السياسة البريطانية ومن ثم فيمكن القول بفشلها في مواجهة القصر باتجاهاته السياسية منذ تولى فاروق الحكم ، والذي سار في طريقه لا يلوي على شيء في سبيل الانفراد بالسلطة تماما • وكان من

الطبيعى والأمر هكذا أن يقع الصدام بين القصر والانجليز ، وخطورة الأمر هنا لم يكن فى اختلال ميزان القوى لصالح القصر ، بل فى أن جوهر الصدام كان متصلا بتوجهات القصر المحورية وصلاته بتلك القوى ، فضلا عن تشيعه لفكرة تجنيب مصر دخول الحرب العالمية الثانية ، مما كان يشكل تهديدا خطيرا ومباشرا على الوجود البريطانى فى مصر وسلامته ، ومن ثم كان التدخل البريطانى فى مواجهة القصر فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

ولا ريب فى أن هذا التدخل وان كان يمثل فى جانب منه انعكاسا لفشل السياسة البريطانية بصدد التعامل مع القوى السياسية الأخرى فى البلاد الا أنه على الجانب الآخر أظهر أيضا ضعف تلك القوى وتخاذلها أمام اغراءات السلطة ٠ فقد كان حريا بها أن تتناسى خلافاتها ازاء الانذار البريطانى وأن تمتنع عن تولى مقاليد الحكم فى ظل الانذار ، الا أننا رأينا كيف استغلت الأحزاب السياسية تلك الفرصة التى سوغها الانذار ، فدارت مناوراتها بهدف مشاركة الوفد فى الحكم غير عابئة بما أصاب البلاد من امتهان حقيقى لحقوقها وسيادتها ، وصار شكل الوزارة التى سوف تلى الحكم هو محور الخلاف الرئيسى ، دون أن يكون الهدف تصويب الأوضاع السياسية المتردية فى مواجهة الانذار البريطانى ٠

أما القصر فقد اتبع سياسة قصيرة النظر خاطئة بكل مسلماتها ، فبدأ عاجزا عن استيعاب التغيرات السياسية والاجتماعية التى سادت البلاد فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، فعاد الى سيرته الأولى فحكم البلاد حكما أوتوقراطيا فى ظل حياد بريطانى مبناه عدم التدخل فى شئون البلاد ٠ ومع التسليم بأن الغاء معاهدة ١٩٣٦ كان بكل المعايير مناورة وفدية ، الا أنه ينبغى الاشارة الى أن هذا الالغاء قد أقترن باذكاء الشعور الوطنى مما ظهر فى تصاعد حركة الكفاح المسلح فى منطقة القناة ، وهى ظروف جد مناسبة

كان بمقدور القصر الاستفادة منها في استعادة رصيده الشعبي وتوطيد دعائم حكمه على أسس ديموقراطية ، الا أنه راح — ودون وعي سياسي — يحاول تعضيد مسنده في الحكم من خلال التحالف مع الجانب البريطاني والسعي لابرام اتفاقية الدفاع المشترك معه ويقينا فأنه لو قيض للقصر أن ينجح في تلك الخطوة ، لكان من شأنها أن تعيده والبلاد من جديد الى دائرة الوصاية البريطانية ، مما ينهض دليلا آخر على شطط القصر وسوء تقديراته السياسية ٠

الفصل السادس

إنهيار النظام السياسى ونهاية حكم القصر

- الفوضى السياسية وفساد أداة الحكم (حريق القاهرة ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢) .
- تطور علاقة القصر بالجيش .
- دور القصر فى صفقة الأسلحة الفاسدة .
- فساد العلاقة بين القصر والجيش وتزايد نشاط الضباط الأحرار .
- مقدمات الثورة ونهاية حكم القصر .

الفصل السادس

انهيار النظام السياسي ونهاية حكم القصر

تدهورت الأوضاع الداخلية فى البلاد بشكل واضح بنهاية حرب فلسطين وهزيمة الجيش المصرى هناك ، ومما زاد الأمر سوءا أن البلاد ظلت تحت وطأة الأحكام العرفية التى أعلنت فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ عند بدء اشتراك الجيش المصرى فى الحرب • وظهر واضحا أن عودة الوفد الأخيرة للحكم لم تكن تعنى بحال انتصارا للديموقراطية فى مواجهة أوتوقراطية القصر أو كبح جماحه على العكس فمن الناحية العملية أسهمت سياسة الحكومة النحاسية الى حد كبير فى توطيد دعائم حكم القصر لقاء استمرارها فى السلطة •

وتبدو المفارقة كبيرة بين سياسة الوفد – فى الحكم – عند تولى فاروق سلطاته الدستورية ، وسياسته أثناء وزارته الأخيرة ، ففى الحالة الأولى سعى الى محاولة الاستيلاء على القصر ، وفى الثانية صرف جهده فى محاولاته للتقارب معه • وبطبيعة الحال كان هذا التقارب محسوبا على مصلحة البلاد الحقيقية • ولم يكن غائبا عن تقدير الوفد أن تقاربه مع القصر سوف يمكنه أيضا من اضعاف شوكة خصومه من أحزاب الأقلية التى كانت تدور فى فلك القصر • الا أنه سرعان ما خابت تقديراته ، اذ أن القصر وان سمح بعودة الوفد الا أنه لم ينس ما بينهما من خصومة • ثم ان أحزاب الأقلية لم يكن ارتباطها بالقصر تعبيرا عن ولاء حقيقى له بأى درجة ، بقدر ما كان باعثه الرغبة فى الوصول الى السلطة من خلاله ، ومن ثم فهى لم تدخر جهدا

فى الهجوم على الوفد وتقاربه مع القصر بغية افساد العلاقة بينهما ، بل أن هجومها قد امتد الى القصر ذاته أحيانا ٠

على الجانب الآخر غلب التفاهم على علاقة القصر بالجانب البريطانى رغم تراجع دوره المؤثر فى السياسة المصرية ، ولقد رأينا كيف أصاب الحرج تلك العلاقة كأثر لالغاء الحكومة النحاسية الأخيرة لمعاهدة التحالف مع بريطانيا ، فى وقت كان القصر يسعى فيه لاغراء بريطانيا على ابرام اتفاقية للدفاع المشترك مع مصر مما كان يعكس جانبا آخر من التناقضات القائمة وقتذاك على الساحة ٠ يضاف الى ذلك فان الجماعات الأيديولوجية على اختلاف نزعاتها قد تراجع تأثيرها بشكل ملموس كأثر لاجراءات القمع والاضطهاد التى نالت منها فى ظل الأحكام العرفية مما ألجأ فريقا منها الى العمل السرى لتصفية الخصوم وكان ذلك بدوره فاتحة لعهد جديد من الاغتيالات السياسية والفوضى ٠ فى تلك الظروف السيئة التى كانت تمر بها البلاد غدا القصر - رغم ضعفه وفساده - هو القوة الأكثر تأثيرا على الساحة المصرية ٠

وكان من المقدر أن الجيش هو أكثر مؤسسات النظام ولاء للقصر وتبعية له ، ومن ثم فان كافة القوى السياسية - بما فيها القصر - بدا شاغلها الرئيسى متمثلا فى تلك الصراعات على السلطة ، دون أن تتحسب للجيش كمؤسسة عسكرية ، والمخاطر المتوقعة من وراء احتمالات تحركه ٠ ولا مراء أن ثمة تغيرات حيوية قد طرأت على الجيش - بعد معاهدة ١٩٣٦ - كان أهمها ما اتصل بالبعدين الاجتماعى والفكرى بداخله اذ أفضت تلك التغيرات الى اقترابه من واقع السياسة المصرية ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وبدأ الشعور الوطنى يتزايد داخل الجيش فى اطار الولاء التقليدى للقصر والعداء للانجليز ، مما ظهرت انعكاساته واضحة على النحو الحادث فى ٤ فبراير

سنة ١٩٤٢ · ألا ان الجيش ما لبث أن بدأ يخرج عن ولائه للقصر بل ويتحول للعداء له ، ذلك التحول يمكن تفسيره فى ضـــوء مقدمات حرب فلسطين ونتائجها · ثم أن ما ظهر بعد ذلك من مخازى القصر وعبثه بمقاليد السلطة فى البلاد كان باعثا آخر على تأصيل ذلك التيار العدائى داخل الجيش · وفى ظل تلك الظروف نشـأ تنظيم الضـباط الأحرار داخل الجيش وكان تعبيرا عن اختمار الفكر السياسى الثورى الواعى داخـــل تلك المؤسسة ، وكان واضحا منذ البداية أن العـداء للقصر هو الاطار الرئيسى الذى تحرك فيه تنظيم الضـباط الأحرار دون أن يمتـد ذلك العـداء الى القوى السـياسية الأخرى باستثناء الوجود البريطـانى · ولسوف نرى كيف سعى تنظيـم الضـباط الأحرار بطابعه السرى الى محاولة اقامة جسور التفاهم مع القوى السياسية الأخرى على اختلاف نزعاتها وفى وقت اشـتد فيه صراعه ضـد القصر باعتباره رأس الفســاد · بيد أنه تمخض عن كل ذلك حقيقة هامة تمثلت فى قناعة تنظيم الضـباط الأحرار بعجز أى من القوى السـياسية القائمة عن التصدى لاصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية المتردية وبات من المتعين على تنظيم الضـباط الأحرار أن يقتعد لنفسه صدارة الجيش فى حركته ضد النظام القائم وعلى رأسه القصر طلبا للتغيير والاصلاح المنشود للبـــلاد ·

الفوضى السياسية وفساد أداة الحـكم (حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢) :

لم يحظ حادث فى تاريخ مصر الحديث بقدر من الغموض والابهام بقدر ما حظى به حادث حريق القـاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ، وقبل محاولة سبر أغواره وصولا للدوافع الحقيقية والقوى المحركة للأحداث يتعين أن نلقى الضوء على الأوضاع السياسية فى البلاد قبيل وقوعه · فالقصر كان قد وصل الى منحدر خطير من التفكك خاصة بعد أن تكشفت للبلاد مفاسد الملك

ومباذله ، فضلا عن تدهور شعبيته اثر مأساة حرب فلسطين وتورطه فى قضية الأسلحة الفاسدة ، وغـدا حكمه عملا فى أيدى عناصر غـير مسئولة من الحاشية مما أدى الى تزايد السخط الشعبى عليه · ثم أن الصدام مع تنظيم الضـباط الأحرار قد ساعد على تكوين رأى علم مناوىء للقصر بين صفوف الجيش وخطورة الأمر هنا لم تكن فيما ظهر واضحا من دلائل على بدء خروج الجيش عن طاعته للعرش والولاء له ، وانما كانت فى تحوله الى رافـد أصيل من روافـد مجرى النضال الوطنى ليصبح أداة خطر وتهديد للعرش ذاته بعد أن كان ركنا أساسيا فى بنية نظامه ·

أما حـكومة الوفـد فقد كان من الواضح انها تسير فى حلقة مفرغة دون أن تكون لها ثمة أهداف استراتيجية محددة تتوجه اليها ، فهى قامت بالغاء المعاهدة « من أجل مصر » على حد تعبير رئيسها وراحت تدعم حركة النضال فى منطقة القناة فى مواجهة الوجود الاحتلالى بهدف تعضيد مسندها فى الحـكم ودعم شعبيتها · ومن جانب آخر عمدت الى ممالأة القصر وتبنى رغباته على نحو أثر بالسلب حتما على شعبيتها وصبغ حـكمها بالتناقض فى وقت كان القصر نفسه يوطد علاقته بالانجليز · أما الأحزاب السياسية الأخرى فقد راحت تتبارى فى كشف مساوىء الحـكم الوفدى يراودها فى ذلك أمل الوصول للسلطة .

يضاف الى ذلك فلقد نشطت حركة الكفاح المساح فى منطقة القنـاة ضد الانجليز بشكل ملحوظ حيث شاركت فيها فصائل الاخوان وعناصر من مصر الفتاة ـ كما مر بنا ـ بتأييد الحـكومة والضـباط الأحرار الذين أمدوا الحركة بالأسلحة والذخائر · ولقد كانت الحركة من بواعث اضطراب الجانب البريطـانى وقلقه ، فضلا عن أن المقاطعة التى دعت اليها حـكومة الوفـد قد أسفرت عن ترك العمال المصريين وعددهم ٨١٠٧٣ لوظائفهم بالمعسكرات

البريطـانية مما أصابها بالشلل(١) • وبدأ الجانب البريطـانى يسعى الى حسم الموقف ، فمن خلال وسـاطة نورى السـعيد ونجيب الراوى ، أوحى الانجليز للحـكومة الوفدية برغبتهم فى الجلاء بغية تهدئة الموقف ، وانطلت الخديعة بالفعل على الحـكومة ، اذ فاجأها الانجليز بمذبحة الاسـماعيلية فى ٢٥ ينـاير سنة ١٩٥٢ وفق خطـة مرسـومة استهدفت القضاء على حركة الفدائيين واخماد فاعلية البوليس المصرى(٢) •

فى وسـط تلك الظروف السياسية المضطربة احترقت القـاهرة يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ • ومن تتبع تفصيلات الحادث يتبين واضحا أنه قد تم الاعداد له وتنفيذه وفق خطة محـكمة(٣) • وبدأ السـؤال المطروح هو من الذى أحرق القـاهرة • وهل كان للقصر ثمة دور فى الحادث ؟

كان الحزب الاشتراكى « مصر الفتاة » أول القوى التى جرى اتهامها بتدبير الحادث وتنفيذه ، وراح دعاة هذا الاتجاه يدللون على ذلك بدلائل عدة منها أن جريدة الحزب قد دأبت منذ ١٨ أكتوبر ١٩٥١ على نشر بيانات بأسماء بعض الشركات والتجار الذين يتعاملون مع الانجليز ودعت الى تحذيرهم • ويلاحـظ أن الحريق قد شمل تلك الأماكن التى أوردت الجريدة بيانها • ومن تلك الدلائل أيضا أن زعيم الحزب ، أحمد حسين خاض حملة ضارية

---

(١) انظر محمد احمد انيس : حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ ـ مكتبة مدبولى ـ القاهرة ١٩٨٢ الفصل الأول (أيام قبل الحريق) •

(٢) المصدر السابق ص ٣٠ •

(٣) لمزيد من التفاصيل عن وقائع حريق القاهرة وآثاره المـادية أنظر محمد احمد انيس المصدر السابق ص ٢٩ وما بعدها . طارق البشرى : تطور الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ ـ ١٩٥٢) ص ٥٣٠ ـ ٥٣٨ ، جمال الشرقاوى : سـؤال للتاريخ من الذى أحرق القـاهرة فى ١٩٥٢ ص ٦٨ وما بعدها ، مرافعة احمد حسين فى قضية التحريض رقم ٤٣ لسنة ١٩٥٢ ص ٨ وما بعدها • انظر كذلك أحمد مرتضى المراغى : مذكرات : مجلة أكتوبر العدد ٤٨٣ ـ الأحد ١٩٨٦/١/٢٦ •

على الوفـد والقصر والمصالح الأجنبية ، محـذرا من أن الثورة قـادمة اذا ما استمرت الحالة على ما هي عليه • ثم ما كان من أمر تحركات رئيس الحزب وعدد من زعمائه بشكل مريب في شوارع القاهرة أثناء الحريق حيث هتفت لهم الجماهير(٤) • يضاف الى ذلك ما أشار اليه تقرير لجنة التحقيق البريطانية في الحادث من أن ثمة مفاوضات محددة قد جرت بين عبد الفتاح حسن الوزير الوفدى بتفويض من فؤاد سراج الدين ـ مع أحمد حسين في اليوم السابق للحريق وأن « عربات جيب » تابعة لأحمـد حسين قد توالى ظهـورها يوم الحـادث في أماكن الحريق ، وأن تلك العـربات قد احتلت مواقع الهجـوم وشاركت في اشعال الحريق(٥) •

كل تلك الاعتبارات كان من شأنها أن تدفع بمصر الفتاة وزعيمها الى دائرة الاتهام بالتورط في الحادث ، مما قيض للقصر فرصة ذهبية لالصاق التهمة بالحزب توطئة للقضاء عليه • وينهض دليلا على نوايا القصر هذه ، مما أشار اليه مرتضى المراغي ـ وزير الداخلية في وزارة على ماهر الثالثة ـ

---

(٤) محمد أحمد أنيس : المصدر السابق ص ٤٠ ، جمال الشرقاوى : حريق القاهرة ، قرار اتهام جديد ص ١٤١ وما بعدها ، أنظر كذلك حسن يوسف : مذكرات ص ٣١٧ ،
Jankawshi, Ibid : P : 104

(٥) ومما يجدر ذكره أن السفير البريطاني قد شكل لجنة للتحقيق في الحادث من سبعة من أعضاء السفارة البريطانية ، وضعت تقريرا مفصلا عن الحادث وأطرافه ويقع التقرير الذى أعدته اللجنة في ٥٥ صفحة من حجم الفولسكاب ، اعتمدت فيه على شهود العيان ، وقد استعان الباحث بهذا التقرير في البحث • أنظر :
Fo : 371/96873 : Stevenson to Eden, Feb. 29, 1952
Tel. No : 48 Report on the Egyptian roiting of 26th, January P : 33

ويرى الباحث بخطأ تقدير اللجنة فيما ذهبت اليه من تحريض الوفد لمصر الفتاة على الحادث ، الا أنه يمكن القول بان تلك المفاوضات التى جرت بين الطرفين كانت بصدد الدعم الذى كانت مصر الفتاة تتلقاه من الوفد لاشتراكها في النضال المسلح بمنطقة القناة ، خاصة وان نتائج الحريق كان من شأنها أن تجعل الوفد وحكومته الاكثر غرما لا غنما دون سائر القوى الأخرى •

من أن اللواء محمد ابراهيم امام رئيس جهاز المباحث قدم اليه تقريرا اتهم فيه الحزب الاشتراكى ورئيسه باحراق القاهرة ، وأيد التقرير برسمين ذكر أنه تم العثور عليهما فى مقر الحزب ويخصان مناطق الحريق • الا أن تحقيقات النائب العام قد كشفت زيفهما(٦) • وعلى الرغم من ذلك فقد تم القبض على أحمد حسين ونائبه رغم عدم وجود أدلة جادة لادانتهما(٧) •

ورغم أن دعاوى الحزب الاشتراكى ومواقفه السياسية المعلنة ، قد جعلت الاتهام معلقا فوق رأسه ، الا أن دوره فى الحقيقة كان يقف عند حد المشاركة فى الحادث ـ بغير وعى سياسى ـ دون أن يمتد الى تدبيره • ومما يؤيد ذلك أن تنظيم الحزب وعدد من كوادره وأعضائه ، لم تكن لتمكنه من القيام بتدبير الحادث وتنفيذه ، خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار أن عناصر منه ـ وقت الحادث ـ كانت تشارك فى الكفاح المسلح بالقناة • وكل ما هنالك أن الحزب ـ كما كان دائما ـ جماعة للصخب السياسى استغلت ظروف الفوضى التى أحدثها الحريق فشاركت فيه بشكل سافر •

كذلك لا يمكن اتهام الضباط الأحرار ، ذلك أن ماضيهم الثورى وخطهم الوطنى الواعى كان يباعد بينهم وبين امكانية التدبير للحادث ، بل ولقد ظهر بينهم اتجاه للقيام باغتيال الملك والتخلص منه كرد على حريق القاهرة ، اذ اعتبروها مؤامرة حاك القصر خيوطها ونفذتها عناصر موالية له(٨)• أكثر من ذلك فقد كانت نتائج الحادث معروفة مقدما واحتمالات ضررها على تنظيمهم كانت تفوق حتما نفعها • ولقد صدرت بالفعل الأوامر

---

(٦) أحمد مرتضى المراغى : نفس المرجع السابق •

(٧) Fo : 371/196875 : No : 153 : Stevenson to Eden April 15, 1952

(٨) جمال الشرقاوى : حريق القاهرة ـ قرار اتهام جديد ص ٣٥٢ ـ ٣٥٤ •

لجميع الضباط الأحرار بالقاهرة أثناء الحريق ، بمقاومة أعمـال التخريب باعتبار أن القصر والاستعمار وأعوانهما سوف يتمكنون من ضرب الحركة الوطنية(٩) ٠

وفيما يتصل بالاخوان المسلمين فلقد انتهزت عنـاصر منهم خاصة من أعضاء الجهاز الخاص فرصة أحداث الشغب أثناء الحريق فشاركوا فيه ، بل أن القـاهرة والاسكندرية قد عرفتا قبيل الحريق حوادث متناثرة من الشغب والهجوم على بعض المحال العامة ودور اللهو - وعلى الرغم من أنه ليس هناك ثمة دليل محدد لادانة الاخوان بتدبير الحادث الا أنه يمكن القول بأن مسألة الفساد الخلقي كانت باعثا لاستفزاز النوازع الأخلاقية والدينية لدى هذه العناصر ، وأنها قد وجدت في حريق القـاهرة مجالا لضرب مظاهر هذا الفساد باعتباره جانبا من عقيدة الجهاد لديهم(١٠) بيد أنه ينبغي الاشارة الى سعي الهضيبي - المرشد العام للاخوان - الى محاولة استعادة السيطرة على تلك العناصر(١١) ٠ والواقع أن قيادة الاخوان قد ارتبطت وقتذاك بعلاقات طيبة مع حكومة الوفـد ، ولا ريب في أن النتائج المتوقعة من وراء الحادث لم تكن لتتفق واتجاهات الاخوان لتكريس الوجود الوجدي في الحـكم ٠

أما عن العناصر الشيوعية ، فقد ظهر واضحا أن كلا من دوائر القصر والجانب البريطـاني قد سعى لالصاق تهمة الاشتراك في أحداث الحريق بها ٠ فمن ذلك أشار حسن يوسف - وكيل الديوان الملـكي وقتذاك - في مذكراته الى أن وزير بولونيا المفوض بالقـاهرة كان على صلات بهذه العناصر، وقام بايواء أحد المتهمين في أحداث الحريق مما دعا الخارجية المصرية الى طلب

---

(٩) أنور السادات : قصة الثورة كاملة ص ٧٧ ٠

(١٠) طارق البشري : الحركة السياسية في مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) ص ٥٣٠ ٠

(١١) Fo : 371/196872 : Chencery to Fo, Feb. 18, 1952, No : 1012

سحب الوزير البولونى المفوض ، فغادر مصر بالفعل فى ١٢ ابريل ١٩٥٢ ، ولم يكن قد أمضى بها سوى سبعة شهور(١٢) · يضاف الى ذلك فلقد أبلغ فاروق السفير البريطانى بأنه توافرت لدى الحكومة المصرية دلائل قوية على نشاط المفوضية السوفيتية فى أحداث الحريق وصلاتها بالعديد من العناصر الشيوعية التى اشتركت فى الحريق(١٣) ·

أما الوثائق البريطانية فقد أشارت الى أن رجال المفوضية اليوغوسلافية فى مصر قد أشرفوا على تدريب العديد من العناصر الشيوعية ، وقد جرى القبض على ٢٠٠ منهم فى أحداث الحريق(١٤) · يضاف الى ذلك ما تبين للجنة التحقيق البريطانية أن تلك العناصر قد لعبت دورا أساسيا أثناء الحادث(١٥) ·

وواقع الحال أن ما ذهبت اليه دوائر القصر أو الوثائق البريطانية فى هذا الصدد لا يخلو من أوجه النقد · فعلى الرغم من تسليمنا بأن البيان الذى أصدرته الحركة الوطنية للتحرر الوطنى « حدتو » فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ والذى أدانت فيه حادث الحريق وألقت تبعاته على المستعمرين لا يقوم بدوره دليلا على تبرئة ساحتها من تهمة التورط فى الحادث· ولا يتأتى الوصول للحقيقة الا من استعراض الظروف والشواغل الحقيقية لحدتو ، والتى جاءت متزامنة مع الحادث · فمن الثابت أن الحركة الشيوعية فى مصر قد تعرضت لضربات

---

(١٢) حسن يوسف : مذكرات ص ٣٢٥ ·

(١٣) Fo : 371/96873 : Stevenson to Fo, Feb. 13, 1952, Tel. No : 259

(١٤) Ibid : Chancery to Fo, Feb. 18, 1952, Tel. No : 1012

(١٥) Fo : 371/196873 : Stevenson to Eden Feb. 15, 1952, Tel. No : 48; report on the Egyptian rioting, Feb. 26, Jan. 34

فى تلك الحقبة على يد الحكومات المتعاقبة من عهد وزارة صدقى سنة١٩٤٦، قد أثرت ولا ريب عليها ، فضلا عما كانت تعانيه الحركة ذاتها من انقسامات داخلية حادة • وعلى الرغم من ذلك فلقد نجحت «حدتو» فى الاعداد والتحضير لعقد المؤتمر التأسيسى للاتحاد العام للعمال وتحدد يوم ٢٧ يناير لسنة١٩٥٢ لانعقاده وكانت تعلق على نجاحه آمالا كبارا ، ولم تدخر وسعا لتهيئة أسباب النجاح للمؤتمر ، فتقرر تحديد ثلاثة أماكن بديلة لاجتماعه ، فتحدد مكان لاجتماع ممثلى نقابات الوجه البحرى وآخر لممثلى الوجه القبلى وثالث بالقاهرة • واذا لم يتم تدخل رجال الأمن لفض المؤتمر تجمع المندوبون جميعا فى مكان واحد ، والا فان كل قسم سيحاول مواصلة الاجتماع على حدة • وحدث أن طلبت مصلحة العمل بناء على طلب الحكومة تأجيل المؤتمر ليوم واحد الأمر الذى رفضته حدتو(١٦) •

وكان المأمول من وراء نجاح هذا المؤتمر تأسيس الاتحاد العام للعمال لكى يكون ركيزة لحدتو فى الانفتاح على الحركة النقابية عربيا وعالميا • على هذا النحو بدا واضحا أن التدبير للحريق أو الاشتراك فيه لم يكن يتفق بأى شكل مع اتجاهات الحركة الشيوعية وقتذاك • فالتورط فى الحادث لم يكن يعنى سوى تعريض الحركة لمزيد من المخاطر ، فضلا عن أنه سوف ينحرف بها عن اتجاهها الأصيل نحو اعادة توحيد صفوفها • يضاف الى ذلك فان تزامن توقيت حادث حريق القاهرة وانعقاد المؤتمر التأسيسى للاتحاد العام للعمال — على نحو ما مر بنا — كانت كلها دلائل تنفى عن الحركة الشيوعية فى مصر تهمة الاشتراك فى الحادث خلافا لما ذهبت اليه دوائر القصر والسفارة البريطانية على السواء •

---

(١٦) رفعت السعيد : منظمات اليسار المصرى (١٩٥٠ — ١٩٥٧) ص ٥٩ — ٧٠ •

كذلك لا يمكن اتهام الوفد بالمشاركة فى الحريق أو الاعداد له ، فالنتائج المتوقعة من وراء ذلك لم تكن تتفق واتجاهاته فى تكريس وجوده فى الحكم · ولقد نشر فؤاد سراج الدين مطولا عن الحادث بجريدة المصرى عرض فيه لتفصيلاته ، ليس بغرض تبرئة ساحة الوفد فحسب ، بل وألمح فى ثناياه الى تواطؤ القصر مع قيادة الجيش بصدد القضاء على عوامل الفتنة بغرض احراج الوفد واسقاط حكمه(١٧) ·

وعلى الرغم من أن بعض المصادر قد ذهبت الى حد اتهام الوفد ذاته بالتخاذل فى مواجهة الموقف والقاء تبعاته عليه(١٨) · الا أن ذلك الاتجاه لا يخلو بدوره من موضع للنقد، ففريق من دعاته كانوا — ولا ريب — تحركهم نوازع حزبية عمادها العداء للوفد ، ومما يؤيد فساد التدليل فى هذا الاتجاه أيضا أن النتائج المترتبة على الحادث كان من شأنها أن تلحق بالغ الضرر بالحكم الوفدى ، وهو ما لم يكن غائبا بحال عن تقدير الزعامة الوفدية · ومن ثم فيمكن القول بتبرئة ساحة الوفد من التورط فى الحادث أو المساهمة فيه ، على العكس فان طبائع الأمور كانت تقتضى من الحكومة الوفدية التصدى لعناصر الاضطراب والفتنة وهذا ما حدث بالفعل ·

وفيما يتعلق بالقصر ، فعلى الرغم من أنه ليس هناك ما يثبت وجود اتفاق بينه وبين الجانب البريطانى ، الا أنه — أى القصر — لم يكن منبت الصلة بالحادث والدلائل على ذلك كثيرة ، ذلك أن المأدبة الملكية التى أقيمت

---

(١٧) جريدة المصرى : ١٠/٢/١٩٥٢ (نص بيان فؤاد سراج الدين فى حادث حريق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢) ·

(١٨) حزب الأحرار الدستوريين : الحكم الوفدى فى عامين (يناير سنة ١٩٥٠ — يناير سنة ١٩٥٢) ص ١٣٠ — ١٤١ ·

انظر كذلك عبد الرحمن الرافعى ، مقدمات ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ص ١١٩ وما بعدها

انظر كذلك : Flower, the story of Modern Egypt : 176

ظهر يوم الحادث قد جرى تحديد موعدها قبل ٢٤ ساعة أو أقل من ارسال الدعوة اليها ، وعلى غير المألوف تم ابلاغ الضباط بها تليفونيا • ولقد شملت الدعوة كبار وصغار ضباط حامية القاهرة رغم أن العادة قد جرت فى القصر الملكى على أن تكون الدعوة قاصرة على كبار الضباط • ثم أن عدم توجيه الدعوة الى مصطفى نصرت وزير الحربية وفؤاد سراج الدين وزير الداخلية وهما الوزيران المسئولان عن المحتفى بهم ، كان كافيا للفت نظر الضباط الى عدم رضاء الملك عن الحكومة القائمة ، بل وايحاءا بعدم التعاون معها(١٩) •

كما وأنه ليس من قبيل المصادفة أيضا أن يقيم القصر تلك المأدبة الملكية فى نفس توقيت الحادث ليجتمع فيها هذا الحشد من الضباط وذلك على الرغم من أن مذبحة الاسماعيلية كانت قد حدثت فى اليوم السابق ـ أى فى ٢٥ يناير ـ ثم أن الاضطرابات والمظاهرات التى اندلعت صاخبة فى القاهرة صبيحة يوم الحريق كانت تحمل نذر الفوضى والاضطراب •

ولقد أظهر تقرير لجنة التحقيق البريطانية أنه أثناء قيام عناصر الشغب باحراق المنشآت ، كان رجال البوليس يقفون « ضاحكين » دون أن يحركوا ساكنا ، فضلا عما توافر للجنة من أدلة كاملة عن تراخى البوليس بشكل تام وعجزه عن أن يكون أداة لحفظ النظام(٢٠) • ومن تلك الدلائل أيضا تعمد القصر وقيادة الجيش اسباغ الحماية على بعض عناصر الشغب ، فعندما قام الضابط محمد عبدالخالق ومعه عدد من جنود السوارى بالاشتراك

---

(١٩) أحمد المراغى : مذكرات مجلة أكتوبر ـ العدد ٤٨٤ يوم ١٩٨٦/٢/٢ •

(٢٠) Fo : 371/196873 : Stevenson to Eden, Feb. 29, 1952, Tel. No : 48. Report on the Egyptian Rioting of 26th, Jan. 1952 P. P : 9-14

علنا فى المظاهرات التى قامت صباح السبت يوم ٢٦ يناير ، ولذا فقد تقررت محاكمة هذا الضابط فتدخل الفريق حيدر وطلب تسليم العسكريين لمحاكمتهم بمعرفة سلطات الجيش • وبديهى أن هذا الضابط وجنوده لم يكونوا ليجرؤوا على التظاهر دون أن يكون لديهم ضوء أخضر يسمح بذلك ، اشارة الى موافقة القصر(٢١) • ومن هذه الدلائل أيضا ما كان من قيام حافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى بالاتصال بمرتضى المراغى - وزير الداخلية فى وزارة على ماهر الثالثة - لينقل اليه رغبة الملك فى اغلاق ملف حريق القاهرة ليسدل الستار على تلك المأساة(٢٢) •

ومن هذه الدلائل أخيرا ما كان من قيام الملك بتعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان وعبد الفتاح عمرو مستشارا للملك ، وكلاهما وثيق الصلة بالجانب البريطانى • ولقد قصد من وراء هذا التعيين اقامة صلات ودية معه ، اذ تمت تلك التعيينات بناء على نصيحة دوائر لندن ، وأفضت الى صدام بين القصر والوفد ، وظهر من ورائها أن احتمال اقالة حكومته قد غدا أمرا وشيك الوقوع • على ذلك يتضح جليا أن دور القصر فى الحادث قد تحدد من خلال سلسلة من الاجراءات مهدت فى جانب منها تهيئة المناخ للحادث واستهدفت فى جانب آخر توطيد الصلات بالجانب البريطانى من خلال تعيين عناصر بالقصر تحظى بثقته •

وقبل أن نعرض لابعاد الدور البريطانى فى الحادث ، فينبغى الاشارة الى اعتبارات موضوعية هامة يتعين وضعها فى الحسبان • فمن هذه

---

(٢١) ومما يجدر ذكره أن السلطانه (ملك) زوجة السلطان حسين كامل ، وكانت موضع ثقة فاروق واحترامه ، قد اتصلت به لكى تبلغه بانزعاجها من تطورات الموقف فرد عليها بأنه يوافقها على ذلك ولكن لا بد من ايصال البلد الى أخطر منزلق حتى يمكن اصلاحه بعد ذلك • انظر مذكرات المراغى : مجلة أكتوبر - العدد ٤٨٦ يوم ١٩٨٦/٢/١٦ •

(٢٢) المرجع السابق : نفس المكان •

الاعتبارات أولا : تحرج الوجود البريطاني فى مصر اذ أن الغاء الحكومة الوفدية للمعاهدة قد وصمه بأنه خارج الشرعية • ثم أن تزايد نشاط الكفاح المسلح في القناة ومقاطعة العمال المصريين للعمل لدى القوات البريطانية - بتأييد من الحكومة الوفدية - قد زاد من تحرج أوضاعه • وبعبارة أخرى فقد غدا الوجود الوفدى فى الحكم عقبة كؤود أمام السياسة البريطانية ، لم يكن من الميسور ازالتها بالوسائل التقليدية • يتأيد ذلك بأنه ما أن أتاح الحادث للقصر فرصة تغيير حكومة الوفد ، حتى بدا الجانب البريطاني حريصا على معرفة البديل • فعندما أبلغ حافظ عفيفى السفير البريطاني بشكل سرى للغاية برغبة الملك فى تغيير الحكومة ، حتى راح السفير يلح فى طلب مقابلة الملك لمعرفة نواياه الا أن رئيس الديوان أبلغه بأن من المفضل أن تتم مثل تلك المقابلة بعد التغيير(٢٣) • مما يعطى الانطباع بأن الجانب البريطانى لم يكن أقل من القصر طلبا للتغيير •

ومن هذه الاعتبارات ثانيا : أن دوائر السفارة البريطانية كانت على علم تام بتفاصيل ما كان يدور بداخل القصر مهما بلغت سريته عن طريق رجالها فيه مثل حافظ عفيفى وعبد الفتاح عمرو ومن اليهما من خلصائها ، ومن ثم فان توقيت الوليمة الملكية والمدعوين اليها أمور لم تكن لتخفى عن رجال السفارة البريطانية • ومن هذه الاعتبارات ثالثا : أن السفير البريطاني قد طلب من رئيس الوزراء قبيل الحادث منح الرعايا البريطانية الذين يرغبون فى مغادرة البلاد تسهيلات مالية ، كما قام الجنرال أرسكين بتحذير أصدقائه من أن ثمة مخاطر وشيكة الوقوع بمصر(٢٤) •

---

(٢٣) Fo : 371/96870 : Stevenson to Fo, Jan. 27, 1952, Tel. No : 183

(٢٤) أرشيف الأهرام : ملف بعنوان : « حوادث حريق القاهرة » مقال للدكتور محمد أحمد أنيس : حريق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ • جريدة الجمهورية ١٩٧٠/١/٢٦ •

ومن هذه الاعتبارات أخيرا أن جهاز المخابرات البريطانية ـ كما جرت العادة كان يعمل بشكل مستقل تماما عن السفارة البريطانية في مصر ومما يؤيد ذلك أن كافة الوثائق البريطانية في هذه الفترة ـ موضوع الدراسة ـ بل وفي الفترات السابقة قد جاءت خلوا من أية تقارير للمخابرات البريطانية في مصر ، ولم تتناول هذه الوثائق نشاطها من قريب أو بعيد ، رغم أن أعضاء السفارة البريطانية كانوا بمثابة مصدر أساسي يمد جهاز المخابرات البريطانية في مصر بالمعلومات ، والذى كان نشاطه أو عملياته ذات سرية مطلقة ، وبطبيعة الحال كانت بمنأى عن علم دوائر السفارة البريطانية • ثم أن لجنة التحقيق البريطانية للحادث قد انصرفت في تقريرها الى محاولة معرفة العناصر التي شاركت في الحادث وتحليل دوافعها الذاتية ، بدون أن يمتد بحثها الى كشف العناصر التي خططت له ووسائلها في ذلك • وهذا بدوره وان لم يكن دليل ادانة للمخابرات البريطانية ، فهو لا يبرىء بحال ساحتها من التخطيط والتدبير للحادث •

أما عن الدور الذى لعبته المخابرات البريطانية في الحادث ، فلقد تبين أنها قد أقامت معسكرا خاصا في منطقة القناة في (كسفريت) ، جمعت فيه عددا من المغامرين المحترفين كان يجرى تدريبهم فيه وكونوا منهم مجموعات مدربة على أعمال النسف والتخريب ، كما كانوا يلقنون مناهج سياسية خاصة في لغات ولهجات البلاد التي كانت تدخل في دائرة عملهم(٢٥) •

كما كانت هناك جمعية « اخوان الحرية » وكانت ترأسها انجليزية تدعى « فريا ستارك » كانت تعمل بتوجيه من المخابرات البريطانية لتنفيذ

---

(٢٥) كمال رفعت : مذكرات ص ١٦٩ •

مخططاتها • وكانت هذه الجمعية وراء حريق كنيسة السويس يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٥٢ • ورغم صدور قرار من مجلس الوزراء فى ١١ يناير بحلها الا أن نشاطها السرى قد استمر وكانت وراء حريق القاهرة أيضا(٢٦) •

ثم أن الحادث ذاته قد تم وفق خطة محكمة من حيث اختيار التوقيت والمكان وطرق التنفيذ ، على نحو يؤكد دور المخابرات البريطانية فيه ، فلقد شمل التدمير نحو ٦١٠ منشأة جرى احراقها فى غضون ساعات ثلاث وسارت الخطة على اشعال الحرائق فى أماكن عدة وفى توقيت واحد على نحو يجعل من المتعذر معه السيطرة على تلك الحرائق ومكافحتها(٢٧) • ثم أن مواد الاشعال المستخدمة في الحادث وهى « البودرة الحارقة » لم يكن من الميسور الحصول عليها بالنسبة للعامة ، فاستخدامها كان قاصرا على النواحى الحربية • يضاف الى ذلك ما كان من قيام المخابرات البريطانية ـ بعد ذلك ـ بتدبير حريق طهران عام ١٩٥٣ لاسقاط حكم مصدق(٢٨) • كل تلك العوامل لا تدع مجالا للشك فى الدور الذى لعبته المخابرات البريطانية فى الحادث ومسئوليتها عنه •

أما عن أطراف الحادث فيمكن القول بأن الحزب الاشتراكى (مصر الفتاة) والاخوان المسلمين والقصر والسفارة البريطانية ، كل تلك العناصر قد حركتها دوافعها الذاتية المتباينة ، وجرى استغلالها بصورة متفاوتة من

---

(٢٦) عبد الفتاح حسن : ذكريات سياسية ص ٩٧ • أنظر كذلك جمال الشرقاوى : حريق القاهرة ص ٤٢٧ وما بعدها •

(٢٧) ومما يجدر ذكره أن الحرائق قد شملت ٣٠٠ محل ، ١٠٧ مكتب أعمال ، ١٣ فندقا ، ٤٠ دار سينما ، ١٦ ناديا ، ٣٣ مطعما وصالة رقص ، ٨ محلات لبيع السيارات ، ٩٢ بار وبنك واحد • أنظر مذكرات مرضى المراغى : مجلة أكتوبر ـ العدد ٤٨٣ ـ الأحد ١٩٨٦/١/٢٦ • أنظر كذلك محمد أحمد أنيس : حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢ ص ٥٣ ـ ٥٤ •

(٢٨) أرشيف الأهرام : ملف بعنوان « حوادث حريق القاهرة » مقال للدكتور محمد أحمد أنيس : حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ جريدة الجمهورية ١٩٧٠/١/٢٦ •

جانب المخابرات البريطانية للاشتراك فى التمهيد للحادث وتنفيذه ٠

والواقع أن النتائج السياسية للحادث قد فاقت كثيرا نتائجه المادية ، فلقد كان بمثابة انتصار للقصر على خصومه ، فهو من جهة تخلص من الحكم الوفدى باقصاء الوزارة النحاسية ،كما تخلص من أحمد حسين وحزبه الاشتراكى من خلال محاولة الصاق مسئولية الحادث بهما ، وغدا للملك وحاشيته القدح المعلى عمليا فى حكم البلاد ٠ أما الجانب البريطانى فقد كان الحادث فرصة سانحة له فى اخماد حركة الكفاح المسلح فى منطقة القناة ومن وراءها - أى الحكومة الوفدية - وكان الحادث على الاجمال تكريسا للوجود الاحتلالى فى البلاد ٠

ولا ريب أن حادث حريق القاهرة كان في التحليل الأخير مثل حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، بمثابة ادانة أخرى للكيان السياسى القائم بكل قواه ومؤسساته ودليل عجزه عن حكم البلاد وقصوره فى تحقيق غايتها من مطالب الاصلاح السياسى والاجتماعى بل وانعكاسا لحالة الفوضى التى ترددت فيها البلاد ٠ ولسوف نرى أن مرحلة ما بعد الحريق كانت تؤرخ عملا بداية لاحتضار هذا الكيان وتداعى أرجائه ٠

تطور علاقة القصر بالجيش : -

بعد أن وطد فؤاد دعائم حكم القصر مستغلا فى ذلك الظروف التى واكبت اصدار تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ راح يسعى حثيثا لاحكام قبضته على الجيش باعتباره الأداة الأساسية لتأمين العرش وسلامته ، رغم أنه لم يكن قد طرأ على أوضاع الجيش المصرى ثمة تغييرات ، كان من شأنها اغراء القصر على السعى فى هذا المضمار ٠ فلقد استمرت بريطانيا فى سياستها الرامية الى الابقاء على الجيش المصرى ضعيفا عديم التأثير ، وتأيد

هذا الاتجاه من الجانب البريطانى فيما تضمنته التحفظات الأربعة الواردة فى التصريح من تولى بريطانيا مسئولية الدفاع عن مصر ضد كل اعتداء أو تداخل أجنبى بالذات أو بالواسطة مما كان يعنى تقليص الدور الطبيعى للجيش المصرى ٠

وبطبيعة الحال فان أية محاولة من جانب القصر لتبنى فكرة تقوية الجيش المصرى وتحديث أسلحته ، كانت تحمل معنى التعارض مع اتجاهات السياسة البريطانية ، فى وقت لم يكن فيه بمقدور القصر تعكير صفو علاقته بالجانب البريطانى ، ومن ثم سعى فؤاد للاحتفاظ بمظاهر الهيمنة على الجيش ، دون أن يكون فى ذلك مساس بجوهر السياسة البريطانية نحو الجيش ٠

كان دستور ١٩٢٣ هو المجال الحيوى لسياسة القصر نحو الجيش ، ومن خلال عمليات التعديل التى جرت على مشروع الدستور من عناصر معروفة بولائها للقصر ، صدر الدستور على نحو اتفق تماما واتجاهات القصر ، اذ اختص الملك بانشاء ومنح الرتب العسكرية (م ٤١) ، وباعتباره القائد الأعلى للجيش فقد احتفظ لنفسه بحق تعيين الضباط وعزلهم (م٤٦) ٠ وبذا فقد أصبح للملك الحق المطلق فى عزل الضباط وتعيينهم ، دون أن يخضع هذا الحق لقانون يحدد أوضاعه ، مما كان يعنى استلابا لحق البرلمان الشرعى فى هذا الصدد(٢٩) ٠

يضاف الى ذلك فان طبيعة التكوين الطبقى للجيش قد أسهمت فى

---

(٢٩) الحكومة المصرية : دستور الدولة المصرية الصادر فى ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ ، أنظر كذلك عبد العظيم رمضان : الجيش المصرى فى السياسة (١٨٨٢ — ١٩٣٦) ص ١٤٦ — ١٥٣ ٠

توثيق صلاته بالقصر ، فقد كان الالتحاق بسلك الضباط حتى ذلك الوقت قاصرا على أبناء الطبقة الارستقراطيـــة المحيطـة بالقصر أو أبناء ضبـاط معروفين ، بل أن بعضا من أعضاء الأسرة المالكة قد التحقوا بالخدمة بالجيش كضباط مثل الأمير سليمان داوود الذى كان ضابطا برتبة البكباشى بسلاح الفرسان ٠ وبعبارة أخرى فان الضباط بأصولهم الاجتماعية كانوا فى موقع بعيد عن مرجل الثورة(٣٠) ولقد اتخذ الولاء للقصر مفهوما عمليا – فى عهد فؤاد – عندما طلبت السلطات البريطانية اجلاء القـــوات المصرية عن السودان اثر حادث مصرع السردار ٠ الا أن القوات المصرية هناك رفضت تنفيذ تعليمات نائب الحاكم العام فى السودان بالانسحاب ، واشتبكت فى قتال مع القوات البريطانية ، حتى ارسل الملك فؤاد ياوره البكباشى أمين هيمن على متن طائرة خاصة حاملا أوامره للقوات المصرية بالانسحاب والعودة الى مصر فأذعنت لذلك(٣١) ٠

ولا ريب فى أن ولاء الجيش للقصر على هذا النحو ، قد باعد بينه وبين القوى الوطنية ، بل ووضعه فى صف العداء لها ٠ ثم أن ضعف الجيش المصرى – كأثر لسياسة الاحتلال البريطانى – لم يكن ليغرى تلك القوى على محاولة جذبه الى صفوفها أملا فى أن تستخدمه فى صراعها ضد القصر أو الوجود الاحتلالى على السواء ٠ ورغم ذلك فلا يمكن اغفال الدور الذى لعبته القوى الوطنية فى تبنى قضية اصلاح الجيش المصرى ، على نحو أدى الى اصطدامها من مواقعها بالسلطة مع الجانب البريطانى فيما عرف بأزمة الجيش فى عهد وزارة ثروت الثانية(٣٢) ٠

---

(٣٠) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ج ١ ص ٧٤ ٠
(٣١) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ١ ص ٢٠٤ ٠
(٣٢) المصدر السابق ص ٢٧١ وما بعدها ٠

ومما يدل على اهتمام القوى الوطنية أيضا بمسألة الجيش ، أنهـا احتلت موقعا متميزا فى كافة المفاوضات التى دارت مع الجانب البريطـانى بدءا من مفاوضات سعد – ملنر فى يونية سنة ١٩٢٠(٣٣) • الأن تلـك الجهود لم تؤد الى النتائج المرجوة منها ، يضاف الى ذلك فان القوى الوطنية قد جرفها تيار الصراع السياسى ضد القصر والانجليز ، وانصرفت بشكـل مؤقت عن الاهتمام بمسألة الجيش المصرى •

الا أنه بابرام معاهدة ١٩٣٦ دخلت القوى الوطنية كطرف ثالث الى جانب القصر والوجود البريطانى • أما عن البواعث التى حدت بالقـوى الوطنية الى تغيير موقفها السابق فيمكن تفسيرهـا فى ضـوء المتغيرات السياسية التى شهدتها البلاد فى مرحلة ما بعد المعاهدة • ففيما يتصـل بالجانب البريطانى قد بدأ ظاهريا أنه وبمقتضى المعاهدة قد تخففت قبضته على الجيش • فلقد حددت المعاهدة مدة عشرين عاما لبقاء القوات البريطانية فى مصر واقترن ذلك بقدرة الجيش المصرى على حماية القناة فى الوقت نفسه عمد الجانب البريطانى الى تنفيذ سياسته فى الجيش من خـلال البعثـة العسكرية التى زاد عددها بعد المعاهدة الى ٩٣ عضوا برئاسة اللواء كرونويل وكان يساعده العقيد هكسلى والنقيب بيرتون(٣٤) • كان هذا مما دعا بعض الصحف المصرية لوصف البعثة بأنها « جيش داخل الجيش » وأنه برحيل سبنكس الذى انتهت مدة خدمته وحلت البعثة محله ، قد خلف وراءه مائة سبنكس صغير(٣٥) •

---

(٣٣) عبد العظيم رمضان : الجيش فى السياسة (١٨٨٢ – ١٩٣٦) ص ١٤٠ وما بعدها •

(٣٤) Fo : 407/221 : No : 43 : Lampson to Eden, Jan. 26, 1937, Tel. No : 115

(٣٥) Fo : 407/222 : Enc. in No : 72 April 21, 1938

ولقد كشفت مناقشات مجلس النواب عن تلك الآثار السيئة التى خلفها وجود البعثة البريطانية فى الجيش ، اذ طالب بعض النواب بالغائها والتخلص منها ، باعتبارها كانت عاملا أساسيا فى تخلف الجيش وتقهقره. فالمعاهدة رسمت لهذه البعثة أن تتقدم بالجيش فى مدى عشرين عاما ، ولم تحقق برنامج السنوات الخمس الذى تقدمت به البعثة أية نتائج ملموسة ، وبعد فشل هذا البرنامج أعدت البعثة مذكرة بمشروع السنوات السبع على غرار المشروع السابق وكان مآله الى زوايا الاهمال .

أعدت البعثة مذكرة أخيرة ذهبت فيها الى أنه لا داعى لوجود جيش مصرى كبير أصلا ، فايطاليا محطمة وفرنسا وروسيا لا خطر منهما وأنه يتعين توجيه نفقات الجيش الى مجال التعليم . فضلا عن ذلك فان البعثة قد أضاعت على مصر فرصا نادرة اذ كان بامكانها استيراد كميات كبيرة من الأسلحة بأثمان رخيصة وأن تردها فى أى وقت ، لأن قانون الاعارة والتأجير كان ساريا واستفادت منه كل الأمم(٣٦) .

ومهما كان من أمر محاولات الجانب البريطانى لاضعاف الجيش المصرى ، فان الوزارة النحاسية الثالثة سعت من جانبها الى بناء ركيزة فى الجيش فى محاولة لبث نفوذها داخل صفوفه ، يحركها فى ذلك اعتباران ، أولهما غياب فؤاد عن الساحة على نحو بدا معه القصر مهيض الجناح مما كان يعنى أنه أصبح بمقدورها منازعته سلطانه على الجيش . وثانيهما أن ما تنازل عنه الجانب البريطانى من نفوذه داخل الجيش - بمقتضى المعاهدة - يجب أن يكون لحساب الوفد باعتباره رمز الحركة الوطنية ، وليس لحساب القصر .

---

(٣٦) مضابط مجلس النواب : دور الانعقاد العادى الثانى : الجلسة الثانية ١٩٤٥/١/٥٢ ص ٣٦٨ وما بعدها .

وكان من الواضح أن الفكرة قد تأصلت جذورها لدى الحكومة النحاسية فعمدت بالفعل الى ادخال سلسلة من الاصلاحات داخل الجيش منها أولا تعيين اللواء محمود شكرى رئيسا لاركان الجيش ، فقام بانشاء مدرسة للضباط العظام ومدرسة أركان حرب وسلاح الصيانة الملكى وآلاى مدفعية ساحلية جديد ، وكان من الطبيعى أن يستحوذ الرجل على اعجاب غالبية الضباط ، مما أثار القيادة البريطانية فسعت لدى القصر والذى رأى فى استمراره فى منصبه تكريسا للنفوذ الوفدى بالجيش ، فأقاله الملك فى نهاية أغسطس ١٩٣٩(٣٧) .

ومن هذه الاصلاحات أيضا أن تقدمت الوزارة بمشروع قانون لانشاء مجلس الدفاع الأعلى وهيئة أركان حرب بالجيش . وقد نصت المادة الثانية منه على أن يؤلف المجلس من رئيس الوزراء - رئيسا - ووزير الحربية والبحرية نائبا له بالاضافة الى وزراء الأشغال والمالية والمواصلات والوكيل الدائم لوزارة الحربية ورئيس هيئة أركان حرب الجيش .

وحددت المادة الثالثة اختصاص المجلس بتنظيم شئون الدفاع عن البلاد ووضع سياستها ، كما نصت المادة الرابعة على أن تؤلف هيئة أركان حرب الجيش من رئيس الاركان وأركان حرب ادارة الجيش وأركان حرب ادارة تموين الجيش وكاتم أسرار حربية وأركان حرب العمليات الحربية ، على أن يكون تعيين رئيس الهيئة بمرسوم ملكى ويكون تعيين أعضائها بقرار من وزير الحربية والبحرية ، وتمت الموافقة على مشروع القانون(٣٨) . ومن هذه

---

(٣٧) ومما يجدر ذكره أن منصب رئيس الأركان يماثل منصب المفتش العام للجيش الذى كان يشغله الجنرال سبنكس ، كما أنه حتى تعيين محمود شكرى فى المنصب لم تكن هيئة أركان حرب الجيش قد أنشئت بعد ، اذ أنشئت فى أوائل يولية سنة ١٩٣٧ . أنظر حمدى لطفى : ثوار يوليو - الوجه الآخر - كتاب الهلال - يولية ١٩٧٧ - العدد ٣١٩ ص ٣٦ .

(٣٨) مضابط مجلس النواب : دور الانعقاد الثانى - الجلسة الرابعة والأربعين ١٧ يونية سنة ١٩٣٧ .

الاصلاحات أخيرا أن توسعت الحكومة بمقتضى المعاهدة فى القبول بالكلية الحربية ، ففتحت أبوابها لابناء الطبقة المتوسطة والتى كانت بحكم أصولها الاجتماعية تنتمى لقاعدة شعبية عريضة(٣٩) ٠

كان من أثر خروج الجيش عن عزلته الاجتماعية ، ان خرج أيضا عن عزلته السياسية على نحو يمكن معه القول ان التغيرات التى تعرض لهـا الجيش ـ كمؤسسة عسكرية ، فى مرحلة ما بعد المعاهدة ، قد أرخت عودا لنبت الاتجاهات الوطنية بين الصفوف ٠

على هذا النحو استهدفت الحكومة النحاسية من وراء تلك الاصلاحات خلق رأى عام مؤيد لها فى الجيش ، فضلا عن محاصرة النفوذ الملكى بين صفوفه للقضاء على هيمنة العرش عليه أو تقايص نفوذه على أقل تقدير ، بيد أن القصر لم يكن ليتركها تنفرد بالأمر كله ، فكانت اقالة فاروق للحكومة النحاسية فى أواخر عام ١٩٣٧ تقويضا لمحاولات الوفد وابعادا لنفوذه عن الجيش ، فلقد كان الملك يشعر بأنه طالما استمرت قبضته محكمة على الجيش ، فانه يظل يلعب بالورقة الرابحة فى مواجهة الوفد والأحزاب السياسيـة الأخرى(٤٠) ٠

وبالفعل بدأ القصر يستخدم الجيش كأداة من أدوات الصراع ضـد الوفد ٠ ولعب الجيش دورا هاما سافرا فى تزييف الانتخابات التى أجرتها حكومة محمد محمود الثانية فى ابريل سنة ١٩٣٨ بعد حـل البرلمـان الوفدى ٠ اذ وزعت وحدات الجيش على الاقاليم ووضعتها تحت تصرف رجال

---

(٣٩) Vatikiotis, P.J. the Modern History Of Egypt, 373.

(٤٠) أحمد حمروش : ثورة يوليو ، ج١ ، ص ٨٧ ، جمال حماد : ٢٢ يوليو أطول يوم فى تاريخ مصر : ص ١٠١ أنظر كذلك : Vatikiotis : P.J : O.P. cit : 41-42

الادارة كيما يستعينوا بها وقت الحاجة ، كمـــا حدث في سمنود مسقط راس مصطفى النحاس(٤١) ٠

من جانب آخر بدت الفرصة مواتية للقصر للتأكيد على علاقته الخاصة بالجيش عندما أثيرت أزمة « كادر الضباط » في يناير سنة ١٩٣٩ عندما اعتزمت حكومة محمد محمود تطبيق كادر الموظفين على ضباط الجيش ، مما أدى الى استقالة حسن صبرى وزير الحربية ورجل القصر من منصبه لمعارضته للكادر الجديد والذى استهدف تخفيض رواتب الضباط وكان يـرى بألا يطبق عليهم هذا الكادر ، وأن يوضع لهم كادر خاص تراعى فيـه ظروفهم وأحوالهم المعيشية وما هم معرضون له من أخطار ، وجـــاء في أسباب استقالته « أني وقد احتفظت للجيش بتقاليده واستقلاله وأبيت أن يتدخل الغير فى شئونه ، حيل بينى وبين الاتصال بصاحب الجلالة القائد الأعلى للقوات الحربية والبحرية ٠ مما يجعل استمرارى فى الاضطلاع بأعباء منصبى مستحيلا(٤٢) ٠

تم تعيين حسين سرى وزيرا للحربية فى ١٧ يناير ١٩٣٩ بدلا من حسن صبرى ، وبدأ السخط ينتشر بين صفوف الضباط على الحكومة وراح القصر يستثمر الموقف لصالحه ، فأعلنت دوائر القصر أن الملك لن يوافق على الكادر الجديد للضباط مما دعا الحكومة الى التراجع عن موقفها السابق فأعلنت أن

---

(٤١) وحدث أن قام بعض أفراد الجيش بفتح الكوبرى لتعطيل انتقال الناخبين ، ويروى اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية فيما بعد أن العمـدة قام بدعوة الضبـاط من رتبة البكباشى فاعلى الى مأدبة عشاء ليلة الانتخابات لتأييد على المنزلاوى المرشح المنافس للنحاس وفى اليوم التالى عندما ظهر التدخل سافرا أبلغ المرشحون النيابة التى قامت باستجواب الضباط ، ولم يتردد صـغار الضبـاط فى القول بأنه حدث التدخل فعلا لمصلحة المرشحين المنافسين للوفد ، الا أن التحقيق لم ينته الى قرار ٠ أحمد حمروش : المصدر الســابق : ص ٨٦ ـ ٨٧ ٠

(٤٢) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ٦٣ ٠

الموضوع لا يزال قيد البحث ورغم ذلك فقد توجهت مجموعة من الضباط لمقابلة الملك فى صلاة الجمعة بالأزهر ، حيث كان يؤم المصلين ومنهم الأمراء العرب المشتركون فى مؤتمر فلسطين ، ولدى مغادرته المسجد هتف الضباط الأحرار « يحيا الخليفة » وذهب عدد كبير منهم الى قصر عابـــدين وقيدوا أسماءهم هناك ! (٤٣) ٠

آثار تطور الأزمة على هذا النحو مخاوف الجانب البريطانى فأبدى رئيس البعثة العسكرية خشيته من أن يفلت زمام الأمر ما لم يتم تداركه ٠ فى الوقت نفسه راح على ماهر يؤكد للامبسون ان الملك قد اعتزم على أن يحتفظ بسيطرته على الجيش ضد أى تغييرات ، اشارة الى مسألة كـــادر الضباط(٤٤) ٠ ومن جهة أخرى فقد ظهر انقسام دوائر القصر ذاتها بصدد المسألة الى فريقين ، أولهما يتزعمه البندارى ـ وكيل الديوان الملكى ـ والذى كان يرى بخطورة تشجيع الجيش فى موقفه هذا ، ويرى تعضيد الوزارة فى تلك المسألة بوجه خاص ٠ أما الفريق الثانى فكان يتزعمه على ماهر ـ رئيس الديوان الملكى ـ ويضم بعض العناصر غير المسئولة بالقصر ، وهذه كانت تلعب دورها مباشرة بغرض المحافظة على ولاء الجيش للملك(٤٥) ٠ الا أنه بدت الغلبة بالفعل للاتجاه الأخير ووقف الملك الى جانب مطالب الجيش وتقرر ألا يطبق الكادر الجديد عليه ، على أن يوضع له كادر خاص وتظـل معاملتهم على النظم الخاصة بهم مع تحسينها(٤٦) ٠

---

(٤٣) Fo : 407/223 : No : 39 Lampson to Halifax, Jan. 25, 1939, Tel. No : 24 saving

(٤٤) Ibid : No : 40 : Same to Same, Feb. 6, 1938, Tel. 109

(٤٥) Ibid : No : 40 Same to Same, Feb. 6, 1939, No : 109

(٤٦) حسن يوسف : مذكرات ص ٢١٤ ٠

عند هذا الحد يتعين الاشارة الى الدلالات التى أظهرها موقف القصر من الأزمة ٠ فمنها أولا أن علاقته بحكومة محمد محمود الثانية قد ساءت الى حد بعيد ، مما يفسر موقفه المناوىء لها ابان الأزمة ، ومنها ثانيا : ان انقسام دوائر القصر بين مؤيد ومعارض بصدد الازمة كان فى الواقع انعكاسا للخلافات التى دارت بداخله بين البندارى وعلى ماهر على نحو ما مر بنا ٠ ومنها أخيرا أن قيام الملك بحسم الأزمة بتأييده لمطالب الجيش ، جاء متسقا مع سياسته الأصيلة فى المحافظة على تأييد الجيش وولائه والابقاء على تبعيته المباشرة للتاج ٠

والواقع أن تأييد الضباط للقصر لم يكن منبت الصلة بموقفهم من الجانب البريطانى ذلك أن شعور العداء المتزايد بينهم للوجود الاحتلالى كان محسوبا لصالح علاقتهم بالقصر ٠ فلقد كان حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ بمثابة اختبار قوة حقيقى للعلاقة بين القصر والجيش الذى كان تأييده للملك قد بلغ ذراه ٠ فلقد نتج عن الحادث رجع شديد فى أوساط الضباط ، وتعددت مظاهر الاحتجاج من جانبهم ، مما كان يحمل معنى التعاطف والتأييد للملك ٠ فمن جهة رفع محمد نجيب استقالته للملك احتجاجا على الحادث فأعادها مع ياوره عبد الله النجومى الذى أبلغ محمد نجيب بأن الملك منع الحرس الملكى من مقاومة الانجليز ولذا فهو لن يسمح بهذه الاستقالة(٤٧) ٠

ومن ناحية أخرى أرسل أحد الضباط وهو القائمقام أحمد صادق ــ قائد الجيش المصرى فى فلسطين فيما بعد ــ احتجاجا على الحادث الى وزير الدفاع ، كما طلب الضابط كامل الرحمانى احالته الى الاستيداع وكتب

---

(٤٧) محمد نجيب : كنت رئيسا لمصر ص ٦١ ٠

للملك بذلك ، وبطبيعة الحال راح الملك يستثمر الموقف لصالحه فطلب احالة الضابطين الى المحاكمة العسكرية حتى يفضحان أثناء المحاكمة - الوفد ووزير الدفاع الوفدى بين الضباط • فطن النحاس وحمدى سيف النصر وزير الدفاع الى نوايا الملك فتمسكا بفصل الضابطين واعتقالهما دون محاكمة ، خاصة وأن مكرم عبيد - وكان قد جرى فصله من الوفد قد تطوع للدفاع عنهما بلا مقابل(٤٨) •

ومن جهة ثالثة قام الضابطان أنور السادات وحسن عزت بتنظيم حركة اغتيالات ضد القوات البريطانية فى مصر ، فقاما باغتيال البكباشى هـ• ستيوارت وعدد من الجنود البريطانية فى مصر(٤٩) • بالاضافة الى ذلك فقد اجتمع الضباط بناديهم فى الزمالك وأسفرت مناقشاتهم عن التوجه الى قصر عابدين واثبات أسمائهم فى سجل التشريفات تسجيلا لولائهم وتعبيرا عن مساندتهم للملك ويشير عبد اللطيف البغدادى فى مذكراته الى أنه اقترح انشاء خلايا سرية بين الضباط تكون مهمتها قتل كل سياسى ينحرف أو يخون البلاد ، الا أن الاقتراح لم يصادف قبولا خاصة لدى كبار الضباط ، فقام البغدادى يرافقه عبد الحميد الدغيدى بمقابلة أحمد حسنين لاستيضاح حقيقة موقف النحاس من الأزمة حتى يقوما بقتله اذا ما ثبتت خيانته للبلاد ، الا أن أحمد حسنين قام بتهدئتهما طالبا منهما ترك الأمر للملك لكى يتصرف بحكمته موضحا لهم أن الانجليز كانوا يهدفون الى عزل الملك الذى أفسد عليهم خطتهم(٥٠) •

---

(٤٨) محسن محمد : التاريخ السرى لمصر ص ٣٢٩ - ٣١٠ •
(٤٩) حسن عزت : اسرار معركة الحرية ص ٧٣ وما بعدها •
(٥٠) عبد اللطيف البغدادى : مذكرات ج ١ : ص ٢٠ - ٢١ ، أنظر كذلك أنور السادات صفحات مجهولة ص ١٤٥ - ١٤٩ •

كان من الواضح أن يد القصر لم تكن ببعيدة عن تحريك الضباط واثارة مشاعرهم ، وتشير الوثائق البريطانية الى أنه أثناء اجتماعهم بناديهم وصلت اليهم عدة مكالمات هاتفية من القصر لابلاغهم بامتنان الملك لمشاعرهم نحوه ومطالبتهم بالهدوء والعودة الى ثكناتهم(٥١) • وراح الملك يستغل الحادث فى توثيق صلاته بالضباط فكان يجتمع بهم فى ناديهم كل عام دون أن يصطحب معه أحدا من رجال الحاشية المدنية بالقصر فى تلك الزيارة(٥٢) • فضلا عن حضوره العديد من صلوات الجمع مع الضباط • بمسجد المانطة ، الأمر الذى فهمته الدوائر البريطانية ، بأنها محاولة من القصر لاستغلال تلك المناسبات لاعطاء الانطباع عن ولاء الجيش واخلاصه للملك(٥٣) •

وحدث أثناء زيارة النواب البرلمانيين لوحدات الجيش أن قرر أحدهم وهو النائب كريم ثابت — أحد رجال الملك ومستشاره فيما بعد — أن مرتبات الجيش لازالت منخفضة ويتعين اعادة النظر فيها(٥٤) • وجاءت الفرصة بالفعل للقصر أثناء وزارة أحمد ماهر اذ أعلن وزير الدفاع أنه بناء على رغبة الملك فقد قررت الحكومة تحسين كادر الضباط واعتماد النفقات اللازمة لزيادة رواتبهم(٥٥) •

ولعل تحليل نتائج الأزمة فى اطار علاقة القصر بالجيش يوضح بجلاء

---

(٥١) Fo : 371/31567 : No : 548 Lampson to Fo, Feb. 10, 1942

(٥٢) محمد أحمد أنيس : ٤ فبراير فى تاريخ مصر السياسى ص ٤٢ •

(٥٣) Fo : 371/45930 : No : 114 : Weekly political and Economic Report Feb. 9, 1945

(٥٤) Fo : 371/35530 No : 16 : Weekly political and Economic Report, Mar, 18, 1943

(٥٥) Fo : 371/45930 : No : 115, Weekly Political Economic Report, Feb. 15, 1945

أن القصر قد نجح الى حد كبير فى اثارة كوامن السخط والغضب فى صفوف الضباط ، اذ ظهر بمظهر المناوىء للوجود البريطانى ، فضلا عن أن محاولاته لكسب ولائهم قد أثمرت مما ظهر أثره فى توثيق العلاقة بين الطرفين . كذلك فان مساوىء الملك لم تكن قد وضحت بعد وهذا ما جعل الضبـاط ينظرون للاهانة التى لحقت به -باعتباره القائد الأعلى - وكأنها موجهـة للجيش بنفس القدر . على الجانب الآخر فان موقف الوفد من الأزمة كان باعثا على جفاء الضباط له وابتعادهم عنه مما أدى الى القضاء على كل أمل فى كسب أى رصيد من التأييد داخل صفوف الجيش . يضاف الى ذلك فان تزايد سخط الضباط على التدخل البريطانى ضد القصر كان له أثر لا يمكن التقليل من شأنه فى توجيه عناصر منهم وجهة محورية .

فقبل حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، لم تكن فى الجيش ثمة اتجاهات سياسية محددة يمكن رصدها أو تحليلها(٥٦) الا أنه كان من الواضح أن محاولات الضباط التى جرت للاتصال بالمحور ، كانت بمثابة رد فعـل تلقائى ضد التدخل البريطانى فى الحادث ، فضلا عن أن تأثرهم بمعلمهم وقائدهم عزيز المصرى قد أسهم الى حد كبير فى هذا الاتجاه . ولقد جـرت أولى تلك المحاولات من جانب الضباط بهدف امداد المحور بالمعلومات عن القوات البريطانية فقام الطيار أحمد سعودى أبو على فى ٢٩ يونية سنة ١٩٤٢ بمحاولة الهروب بطائرة « جلاديتور » بريطانية الصنع ومعه حقيبة بها كافة المعلومات التى أمكن الحصول عليها ، واتجـه الى مرسى مطروح وكانت تحت سيطرة القوات الالمانية بيد أن محاولته بـاءت بالفشل اذ اسقطت وسائل الدفاع الجوى الالمانى طائرته فقام أحد الطيارين واسمه

(٥٦) Vatiiotiks, P. J : The Egyptian Army in Politics, P : 50

رضوان وكان على علم سابق بالخطة بالبحث عن طائرة سعودى فما كان منه الا أن لجأ بطائرته الى الألمان • تلا ذلك محاولة أنور السادات وحسن عزت للاتصال بالجاسوسين الألمانيين هانز وابلر(٥٧) • يضاف الى ذلك ما كان من محاولات عزيز المصرى نفسه المتكـررة للهروب(٥٨) • بيد أن تلـك المحاولات التى جرت داخل الجيش لم تأت بنتائج ايجابية ذلك أنها قـد جرت بشكل عشوائى ودون احكام أو تخطيط جيد ، ودون أن يكون بينها تنسيق مما قضى عليها جميعا بالفشل •

وهنا يثور التساؤل عما اذا كان القصر على علم بصلات الضبـاط الاحرار بالمحور ، فى الوقت الذى كان فيه الملك قد شرع فى بناء جسـور التفاهم والثقة معه ؟ • والواقع أنه رغم التوافق الزمنى للمحـاولات التى جرت من جانب القصر والضباط للاتصال بالمحور الا أنه ليس هناك ما يؤكد وجود اتفاق ضمنى أو تنسيق بين الطرفين بصدد هذه الصلات ، وكـل ما هنالك أنها جاءت انعكاسا للعداء المشترك للجانب البريطانى • وصفوة القول فلقد انتهج القصر نحو الجيش سياسة مبناها المحافظة على ولائـه والاستئثار بالنفوذ الحقيقى عليه • ولقد نجحت هذه السياسة فى تحقيـق مراميها الى حد بعيد • فضلا عن ذلك فلقد نجح القصر فى الاحتفاظ بالجيش ركيزة لحكمه بعيدا عن النفوذ الحزبى وتأثيراته ، وكان ذلك ابعادا له أيضا عن السياسة المصرية حتى أن رد الفعل الحادث فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ لم

---

(٥٧) ومما يجدر ذكره أن حادثتى الهروب بالطائرات قد أثارت انتباه البعثة البريطانية التى تشرف على السلاح الجوى ، الى محاولات الضباط للاتصال بالمحور ، فقامت بسحب موزع الكهرباء « الماجنيتو » من الطائرات ، والتى تم ربطها بالسلاسل فى أعمدة حظائر الطائرات وفرضت القيود على وقود الطائرات ، فلم تكن تزود بالوقود الا بما يكفيها للطيران لمدة ساعة فوق المنطقة المحيطة بالقاهرة • أنظر مذكرات البغدادى : ج ١ ص ٢٢ ــ ٢٣ •

(٥٨) عبد الرحمن برج : عزيز المصرى والحركة الوطنية المصرية ص ٨٢ وما بعدها •

يكن يعنى توغلا للجيش فى السياسة بقدر ما كان محسوبا لصالح علاقته بالقصر ، ولقد استمر هذا التأييد واضحا حتى جاءت مأساة حرب فلسطين كيما تؤرخ بداية لتفكك العلاقة بينهما ، بل وأضحى الجيش صاحب الولاء لعرش هو مصدر تهديده الحقيقى ٠

دور القصر فى صفقة الأسلحة الفاسدة :

رأينا كيف استهدف الوجود البريطانى فى الجيش المصرى ، الابقاء عليه ضعيفا عديم التأثير ووقف حجر عثرة أمام محاولات النهوض به ٠ على نحو ظهرت معه واضحة آثار تلك السياسة خاصة فيما اتصل بمسألة التسليح ٠ ولقد حاولت الحكومات المتعاقبة شراء الأسلحة من بريطانيا بل ودفعت أثمانها مقدما ، الا أنها ماطلت فى التسليم بدعوى أن دور مصر فى الاستلام لم يحن بعد(٥٩) ٠ ورغم ذلك فقد جرت بالفعل محاولات أخرى فى عهد وزارة محمد محمود الثانية ، استهدفت النهوض بالجيش وتحديث تسليحه وعتاده ، فأعدت مشروعا ينفذ على سنوات خمس بنفقات قدرها ٤٨ مليون جنيها ، كان من ضمن أهدافه تدعيم السلاح الجوى ليبلغ عدد طائراته ٣٨٠ طائرة عدا ٤٧ طائرة للتعليم بالاضافة الى تزويد وحدات السلاح البحرى بأربعة قاذفات طوربيد وأربعة كاسحات ألغام وانشاء مصنع للذخيرة وآخر للأسلحة الصغيرة(٦٠) ٠ الا أن تنفيذ هذه الخطة لم

---

(٥٩) حتى عام ١٩٣٦ كان تسليح المدفعية بالجيش المصرى عبارة عن ٢٤ مدفع كروب ألمانية الصنع غير صالحة للاستخدام ، بينما كان تسليح جنود المشاة من البندقية والسونكى ، ولم يكن سلاح السوارى أقل تخلفا عن سابقيه اذ كان يتكون من المزاريق والسيوف ٠ انظر هيئة البحوث العسكرية نشرة التاريخ العسكرى ـ العدد السابع ـ دور الجيش المصرى فى السياسة (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢) ص ٧٧ ٠

(٦٠) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ج ٢ ص ٣٧ ـ ٣٨ ٠

يستكمل ، بسبب اعتمادها أساسا على بريطانيا كمصدر للأسلحة ثم أنه بقيام الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ ، انصرفت بريطانيا تماما عن أى تفكير في امداد مصر بأى أسلحة ، اذ كانت هى نفسها بحاجة الى كل قطعة سلاح ٠

وفى عهد وزارة النقراشى الثانية تجددت المساعى نحو اصلاح الجيش ، فاقترح أحد أعضاء مجلس الشيوخ ادراج مبلغ ٣ مليون جنيها لانشاء نواة الاسطول الا أن لجنة الدفاع بالمجلس رأت حفظ الاقتراح حيث أن وزارة الدفاع كانت بصدد تنفيذ المشروع بالفعل(٦١) ٠ ومن جهة أخرى طالب بعض الشيوخ بتخصيص نسبة ١٥٪ من ميزانية الدولة بشكل ثابت للجيش ، مع ضرورة الاسراع فى انشاء مصنع للذخيرة وآخر للسيارات وثالث لهياكل الطائرات(٦٢) ٠

ولقد بدت تلك المحاولات جد متواضعة ولم تأت بنتائج ملموسة ، كأثر لذلك فقد استمر نظام تسليح الجيش المصرى متخلفا عن الجيوش الحديثة الأخرى ٠ فمن الناحية العملية لم تكن تنقصه الاسلحة الحديثة فحسب ، بل وينقصه التدريب عليها أيضا وهذا بدوره كان يحتاج الى وقت ليس بقصير ٠ وعندما جرى الاعداد لاشتراك الجيش المصرى فى القتال بفلسطين بدت حاجته ملحة للامداد بالأسلحة والذخائر التى تمكنه من القتال هناك فقامت لجنة الاحتياجات بالجيش بالتعاقد على صفقات ثلاث لتوريد الأسلحة له خلال عامى ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ وهى الأسلحة المعيبة التى كان فى استيرادها ما يستوجب المساءلة ٠

---

(٦١) مضابط مجلس الشيوخ : دور الانعقاد الثانى والعشرين ، الجلسة الخامسة والاربعون يوم ١٩٤٧/٦/١٠ ص ١٠٢٩ ٠

(٦٢) المصدر السابق : دور الانعقاد الثالث والعشرين ، الجلسة الحادية والعشرين ٠

كانت أولى هذه الصفقات التى تعاقدت عليها اللجنة مع احـــدى الشركات البلجيكية وتضمنت مدافع من عيار ١٠٥ مم وذخيرتها ، بالاضافة الى بنادق من عيار ٣٠٣ر من طراز « لى انفيلد » وذخيرتها • وقد تبين عند ورود تلك المدافع عدم صلاحيتها للقتال بما كانت تشكله من مخاطر عـلى مستخدميها من الجنود ، لوجود عيوب فنية بها ، فضلا عن رداءة ذخيرتهـا وارتفاع أثمانها ، أما البنادق فقد تبين أنه تم تصنيعها عام ١٩١٦ ، وأنها لم تعد تستخدم فى القتال ، كما أن ذخيرتها كانت غير صالحة للاستخدام لوجود عيوب فنية بها أيضا ، أدت الى انفجارها من الخلف كما تصيب الجنود •

أما الصفقة الثانية فكانت من القنابل اليدوية الايطاليه وكان قيمتها ثلاثة أرباع مليون جنيها ، وهذه بدورها لم تكن أفضل حالا من سابقتها اذ تبين أن نسبة صلاحيتها لم تصل الى أكثر من ٦٠٪ ، وفيما يتعلق بالصفقة الثالثة فقد كانت عبارة عن ذخيرة المدافع عيار ٧٥ مم الخاصة بالدبابات ، وهذه قد جرى استيرادها من ايطاليا أيضا بعد أن رفضت بريطانيا تزويد مصر بها ، وكانت بها عيوب فنية ظاهرة أدت الى انفجارها داخل المدافـع الخاصة بالدبابات لدى استخدامها • وقد تبين أن المصنع الذى تعاقدت معه اللجنة لم يكن ســوى شركة « للمخلفات » أنتجت هذه الذخيرة بالمخـــالفة للنماذج الأصلية وثبتت اضرارها ومخاطرها على أطقم الدبابات (٦٣) • الا أنه ينبغى الأشارة الى ان تلك الأسلحة الفاسدة قد تلقى الجيش جزءا منها أثناء قتاله فى فلسطين ، والآخر تم توريده الى مصر بعد انسحاب الجيش من

---

(٦٣) محمد نجيب : كنت رئيسا لمصر ص ٧٢ ، أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يولية ج ١ ص ١٤٤ ـ انظر كذلك : عبد الوهاب بكر : الجيش المصرى وحرب فلسطين (١٩٤٨ ـ ١٩٥٢) ص ٢١٤ ـ ٢١٨ •

ساحة القتال . وبعبارة أخرى فان تلك الأسلحة وان لم تكن الأداة الرئيسية لهزيمة الجيش المصرى هناك ، الا أنها أسهمت فى تلك الهزيمة .

وفيمـــا يتعلق بالظروف التى أدت الى اثارة تلك القضـــية ، فلقد اكتشف محمود محمد محمود - رئيس ديوان المحاسبة - أثنـاء مراجعـة الديوان لمستندات الحرب ، ما أحاط بالصفقات من الريبة والشكوك ، كمـا تبين له ايضا أن مستشفى المواساة التى يرأسها الدكتور أحمد النقيب قد صرفت الى كريم ثابت خمسة آلاف جنيه بغير مبرر معروف أو مستندات واورد رئيس الديوان ملاحظاته على هاتين المخالفتين فى التقرير الذى يقدمه الديوان - طبقا لقانون انشائه - الى مجلس النواب ليراقب الحساب الختامى للحكومة ، وكان قد طلب من محمد محمود حذفهما من التقرير ، الا أنه رَفض وقدم استقالته (٦٤) . وفى ٢٣ ابريل سنة ١٩٥٠ صدر مرسوم بقبول الاستقالة وتم تعيين الدكتور أحمد ابراهيم رئيسا لديوان المحاسبة بـدلا منه (٦٥) .

تقدم مصطفى مرعى - أحد أعضاء مجلس الشيوخ - بسؤال عن أسباب استقالة رئيس ديوان المحاسبة ، وأوضح بأنه على بينة من أن للاستقالة دوافع خطيرة ، وان شخصا معينا قد تسلم مبالغ ليست من حقه - اشارة الى كريم ثابت - وطلب رئيس الديوان من الوزارة أن ترد عليه ، وتكررت مطالباته فى هذا الشأن ثم طلب تحويل سؤاله الى استجواب أشار فيه الى أن احدى الصحفيات أجرت حديثا مع رئيس الديوان المستقيل حول أسباب

---

(٦٤) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) ص ٣١٥ .

(٦٥) مضابط مجلس الشيوخ : دور الانعقاد الخامس والعشرين : الجلسة السادسة عشر ١٩٥٠/٤/٢٤ ص ٨٥١ .

استقالته ، كان من المقرر نشره فى جريدة المصرى الا ان قوة تدخلت لمنع نشر هذا الحديث · وانتقل الاستجواب الى المخالفات المالية التى شـــابت نفقات حملة فلسطين حيث كان قد تم تشكيل لجنة «احتياجات الجيش»فى ١٣ مايو سنة ١٩٤٨ بقرار من وزير الحربية ، وخولها سلطة ابرام الصفقات اللازمة لسد احتياجات الجيش من الأسلحة والذخائر ، وأن هناك موردين من ذوى السمعة السيئة اشتركوا فى امداد الجيش مثل المورد المصرى « رودى أبو رجيله » وكان قد اتفق مع اللجنة على توريد خمسين ألف طلقة مضادة للدبابات أمريكية الصنع ثمن الواحدة منها ٩ آلاف ليرة ايطالى وذلك فى شهرى فبراير ومارس ١٩٤٩ ، وأنه قد جاء بتقرير المفتش الرسمى الموفد من قبل وزارة الحربية لفحص الطلقات موضوع العقد ، أن جزءا من المواد المستخدمة فى صنع هذه الطلقات كان من ذخائر مخلفات الجيوش الأمريكية غير صالحة للاستخدام ، كما تبين أن ثمن الطلقات الجديدة من انجلترا أقل من جنيهين بينما فى عقد رودى أبو رجيله (٩٠٠٠ ليرة ايطاليه) ، بما يوازى أربعة جنيهات ونصف ، وأن جهاز المحاسبات قد أشار الى تلك المخلفات وعدم اطمئنانه وضرورة الرجوع الى مجلس الدولة للاستئناس برأيه فى سلامة الاجراءات (٦٦) ·

وينبغى الاشارة الى أن تقديم الاستجواب كـان حافزا لتحرك بعض العناصر من الضباط لكشف مواضع الخلل والقصـــور فى الاجراءات التى شابت توريد تلك الأسلحة للجيش · فتقدم أحد الضباط وهو البكباشى عبد المنعم أمين ، وعرض على مصطفى مرعى أن يمده بما عنده من بيانات — بعد أن كان قدم الاستجواب بالفعل — الا أن الأخير أبدى تشككه فى اتصال

---

(٦٦) المصدر السابق : الجلسة الثانية والعشرين ١٩٦٠/٥/٢٩ ص ١١٦٧ وما بعدها ·

الضابط به وقرر له أنه قد جرى تهديده بالقتل ، وأنه لايعرف ما اذا كان - أى عبد المنعم أمين - عميلا مدسوسا عليه ؟

فضلا عن ذلك فقد اتصل بمصطفى مرعى كل من حسن ابراهيم ، ومحمد شوكت ، ومصطفى مرتجى وهم من ضباط الطيران ، وقرروا له أنهم على استعداد لتنفيذ ما يستقر رأيهم عليه حتى ولو أدى الأمر الى قتل الملك ، مما أثار مخاوف مصطفى مرعى وآثر أن يتحفظ معهم كما تحفظ مع عبد المنعم أمين (٦٧) . ولاريب فى أن هذا الاتجاه من جانب الضباط انما كان باعثه عوامل السخط والتذمر التى بدت واضحة فى صفوف الجيش كاثر لفساد أوضاعه الداخلية وقيادته وتخاذلها فى مواجهة القصر .

أما فى داخل البرلمان فلقد انبرى فؤاد سراج الدين - وزير الداخلية الوفدى - يدافع عن موقف الحكومة وعمن هم وراء الصفقات من القصر ورجاله وآزره فى ذلك وزير الحربية ، رغم أن تلك المخالفات التى تضمنها الاستجواب قد وقعت فى عهد الوزارات السابقة (٦٨) . واستدار فؤاد سراج الدين يهدد المجلس ويتوعدهويشير الى مقعد رئيس المجلس قائلا : لقد اعترض وقاطع من قاطع وصفق من صفق ولكن شيئا واحدا أحسست به وانا فى مقعدى ، هو أن هذا الكرسى قد اهتز اهتزازا عنيفا (٦٩) .

وبتأييد من القصر راحت الوزارة تقتص من المجلس فاستصدرت فى

---

(٦٧) وكان عبد المنعم أمين - وهو من عناصر الضباط الأحرار - قد جرى اختياره والبكباشى محفوظ ندا كخبيرين لمرافقة لجنة الاحتياجات والتىأهملت آراءهما فيما يتعلق بصفقات الأسلحة . أنظر : أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يولية ج ١ ص ١٤٤ .

(٦٨) مضابط مجلس الشيوخ : دور الانعقاد الخامس والعشرين : الجلسة الثالثةوالعشرين ١٩٥٠/٥/٣٠ ص ١٢٠٢ .

(٦٩) حزب الأحرار الدستوريين : الحكم الوفدى فى عامين (يناير سنة ١٩٥٠ - يناير سنة ١٩٥٢) ص ٤٠ ـ ٤٣ .

١٧ يونيه ١٩٥٠ ثلاثة مراسيم ملكية أولها يقضى بزوال عضوية المجلس عن جميع الأعضاء الذين جرى تعيينهم عند التجديد النصفى سنة ١٩٤١ فى عهد وزارة حسين سرى وأعيدوا للعضوية بالمرسوم الصادر فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٤ وعن كل من حل بدلا منهم بسبب الوفاة أو الأستقالة مما أفضى الى اخراج عدد كبير من أقطاب المعارضة منهم ابراهيم عبد الهادى ، ومصطفى مرعى . كما قضى المرسوم الثانى بتعيين أعضاء جدد بالمجلس عددهم ٢٩ شيخا منهم ١٩ من الوفد . أما المرسوم الثالث فقد أسقط رئاسة المجلس عن الدكتور هيكل لكى يعين على زكى العرابى بدلا منه (٧٠) .

وبدت الوزارة سادرة فى التنكيل بالمعارضة فما أن حل موعد التجديد النصفى للمجلس فى ابريل ومايو سنة ١٩٥١ حتى أسقطت بوسائلها الادارية كل عضو مستقل أو معارض لها فى الانتخابات واخرجتهم من مرسوم التعيينات ، ومن ثم توافرت لها الأغلبية المطلقة داخل المجلس(٧١) . وعلى الرغم من أن اتجاها قد ظهر داخل المجلس بتشكيل لجنة للتحقيق فى وقائع الصفقات الا أن الأتجاه وبضغط من القصر والحكومة لم يقيض له الا ستمرار (٧٢) .

كان من الواضح أن الأمر كله قد جرى بتنسيق كامل بين القصر والوزارة ، كما اعترف رئس الديوان الملكى بالنيابة (٧٣) . ورغم ذلك فيمكن القول بأن محاولات الحكومة والقصر لاخماد المعارضة داخل المجلس لم تقض

---

(٧٠) مضابط مجلس الشيوخ : دور الانعقاد الخامس والعشرين : الجلسة السابعة والعشرين فى ١٩٥٠/٦/١٧ ص ١٤٢٦ - ١٤٢٧ .

(٧١) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ١ ص ٣٢٥ .

(٧٢) مضابط مجلس الشيوخ : دور الانعقاد الخامس والعشرين : الجلسة الرابعةوالعشرين فى ١٩٥٠/٦/٥ ص ٢٤٦ .

(٧٣) حسن يوسف : مذكرات ص ٢٤٦ - ٢٤٨ .

على أسباب الأزمة . فلقد انبرت صحف المعارضـــة تستثير الرأى العـام وتكشف له أبعـــاد الأزمة ، فراح احسـان عبد القدوس ـ رئيس تحرير روز الوسف ـ يطالب باجراء التحقيقات اللازمة مع المســئولين عن تلك الصـــفقات ، وساعده على ذلك أن اتصل به عدد من الضباط وامـــدوه بالمستندات وصور العقود التى كانت توقع بين تجار ووسطاء الأسلحه وبعض زوجات كبار الضباط من المتصلين بالملك ، وألمحت الصحيفة بالاتهام الى الملك نفسه (٧٤) .

ومهما يكن من أمر فقد بدا موقف القصر والحكومة بالغ الحرج ، وازاء تزايد سخط الرأى العام ، قامت وزارة الحربية بابلاغ النائب العام للتحقيق فى ظروف الصفقة ومخالفاتها . وباشرت النيابة العامة التحقيقات بالفعل فى صيف ١٩٥٠ ، وأسفرت عن وجود قرائن قوية على تورط بعض رجال الحاشية فى صفقات الأسلحة الفاسدة . كما تبين أن الضباط من أصفياء الملك قد تم اختيارهم ليكونوا وسطاء الصفقة . ومن جهة اتهم الأمير عباس حليم - ابن عم الملك - بتقاضى رشاوى وعمولات وصلت الى ٤٠٠ ألف دولار - كما تبين أن ادمون جهلان - مستشار الملك - كان وكيلا لشركة الأسلحة الوطنية فى بلجيكا وهى الشركة التى قـامت بتوريد الأســـلحة للجيش المصرى . وظهر من مراجعة كشوف الحساب المستخرجة من البنك الأهـــلى والبنك المصرى ، وكذا من مراجعة هذه الكشـــوف فى البنك البلجيكى أن المستورد الحقيقى كان الملك فاروق ، وأنه قد تحايل فاستورد باســـم ادمون جهلان ، الذى اعترف بذلك فى محاضر التحقيق ، كما أن الملك قـــد تلقى رشوة من بلجيكا بعد أن تمت هذه الصفقة وكانت قيمتها ثلاثة ملايين

---

(٧٤) روز اليوسف : العدد ١١٣٤ يوم ١٩٥٠/٦/٦ والأعداد الخمسة التالية .

جنيها وكانت تحتوى على ٩٦ مدفعا ، وفى يوم ١٦ ابريل سنة ١٩٤٩ تم فتح حساب فى البنك البلجيكى بمبلغ ٢٠٠ الف جنيه قيمة الرشوة ٠

أما الأسلحة المستوردة من ايطاليا فلقد لعب أنطون بوللى الدور الرئيسى فيها اذ أراد الملك تحويل أرصدته فى ايطاليا الى سويسرا ، الا أن الحكومة الايطالية اعتذرت لضخامة المبلغ ، فأوعز رجال الحاشية للجنة الاحتياجات التى كان يرأسها اللواء « المسيرى » بأن تقوم باستيراد الأسلحة من ايطاليا على أن تجرى مقاصة تقوم الحكومة المصرية بمقتضاها بسداد قيمة هذه الأسلحة للملك بدلا من أمواله الموجودة بايطاليا(٧٥) ٠

على أية حال فقد طلب النائب العام التصريح بتفتيش منازل خمسة من رجال القصر وتم الاتصال بالملك وكان يصطاف بالخارج فوافق على مطالب النائب العام وتم ابلاغ وزير العدل بذلك ، وقامت النيابة بالتحفظ على خزينة ادمون جهلان بقصر عابدين وكان بصحبة الملك بالخارج ، وأرسلت فى استدعائه بعد أن تعهد النحاس للملك باعادته الى أوروبا فور انتهاء النيابة من اجراءاتها ٠ ولضمان تنفيذ الاتفاق أوفد مع جهلان الأميرالاى أحمد كامل قائد البوليس الملكى ، كما اتصل النحاس بوزير الداخلية فى هذا الشأن أيضا ٠ ولدى وصول جهلان الى القاهرة فى ٢٦ سبتمبر فوجىء بأمر النائب العام بالقبض عليه ، الا أنه تمكن من الهروب واحتمى بمكتب الشئون الخصوصية بقصر عابدين(٧٦) ٠

---

(٧٥) عبد الرحمن الرافعى : مقدمات ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ص ٢٠٢ ، محمد نجيب : كنت رئيسا لمصر ص ٩٠ ، طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) ص ٣١٨ ، أنظر كذلك : محمد فرج ، اليوزباشى ، ٢٦ يولية سنة ١٩٥٢ نهاية الطاغية ص ٢٣ - ٢٥ ٠

(٧٦) حسن يوسف : مذكرات ص ٢٨٦ - ٢٨٧ ٠

من جهة أخرى دلت ملابسات مجيء جهـــلان وعودته على أنه جاء الى مصر موفدا من الملك ليـــأخذ بعض الأوراق الدالة عـلى تورط فاروق فى الصفقة ، والذى راح يتدخل بشكل ســـافر فى اجراءات التحقيق - رغم وجوده بالخارج - لصالح شركائه وصنائعه ، فأوفد محمد نجيب سالم ناظر الخاصة الملكية أثناء تفتيش خزانة ادمون جهلان بالقصر ، وتسلم منها أوراقا بحجة أنها تخص الملك ومنها كشوف الحسابات التى تكشف عن اشتراكه فى الصفقة(٧٧) ٠

على الجانب الآخر ظهر واضحا تستر الحكومة على حاشية القصر ، فيما كان من عودة جهلان الى أوروبا دون أن يقبض عليه ، وهذا بدوره قد أغرى المعارضة على الهجوم على الحكومة الوفدية لتخاذلها أمام القصر ورجاله ، فنشر مكرم عبيد مقالا ينطوى على التعريض بموقف الحكومة بعنوان « هل وزير الحربية جاهل ٠٠ أم جهلان » ، نعى فيه على الحكومة الوفدية ممالأتها للقصر ومحاولة اعاقة سير التحقيقات(٧٨) ٠

ولقد أظهرت التحقيقات تورط بعض قيادات الجيش ، مما دعا النائب العام الى طلب تنحية حيدر باشا واقالة عثمان المهدى رئيس هيئة الأركان واحالة ١٢ ضابطا من الجيش وقائد البحرية الى المعـاش ٠ الا أن التحقيق لم يستمر فى مجراه ، اذ اقترب الملك من دائرة الاتهام ، وكان أمام النائب العام اما أن يتهمه ويحقق معـــه أو ينهى التحقيق ، ولخشيته من أن يتهم بالعيب فى الذات الملكية فضلا عن الضغوط التى باشرها القصر والحكومة

---

(٧٧) عبد الرحمن الرافعى : مقدمات ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ص ٢٠٢ ٠

(٧٨) أحمد بهاء الدين : فاروق ملـكا ص ١٠٤ ، ومن دلائل تستر الحكومة على الملك أنها قدمت الى مجلس النواب مشروع القانون الخاص بتنظيم نشر أخبار القصر الملكى والأسرة الملكية ، قضى بعقوبة الحبس والغرامة على كل من ينشر فى الصحف أخبارا عن الشئون الخاصة بأعضاء الأسرة المالكة دون اذن من الديوان الملكى ٠ أرشيف الأهرام فى ١٩٥٠/٨/١ ٠

على السواء ، فقد تم حفظ التحقيق(٧٩) ٠

وبتنسيق بين القصر والحكومة الوفدية جرى اتخاذ سلسلة من الاجراءات لمحو الآثار التى خلفها تفجير تلك القضية ، ففى ٢٨ مارس سنة ١٩٥١ صدر قرار بحفظ التحقيق بالنسبة لأفراد الحاشية وفى اليوم التالى أنعم عليهم بأوسمة ونياشين تكريما لهم ٠ وفى يوم ٣١ مارس نشرت الصحف تصريحا للنحاس يعتذر فيه للملك عما حدث من تحقيقات فى قضية الأسلحة مع بعض أفراد الحاشية كما أعيد حيدر وعثمان المهدى الى منصبيهما ٠ ومن جهة أخرى عمد القصر الى الاقتصاص من النائب العام نفسه ، وساعدته الوزارة فى ذلك امعانا فى ممالأته ، فصدر قرار مجلس الوزراء فى ٢٣ ابريل سنة ١٩٥١ بتعيين عبد الرحيم غنيم نائبا عاما بدلا من محمود عزمى الذى نقل رئيسا لقضايا الحكومة ، مما دعاه الى طلب احالته للمعاش وسرعان ما أجيب الى طلبه(٨٠) ٠

بالاضافة الى ذلك فقد قام القصر بترتيب نسف مخازن الذخيرة بالقلعة حيث كانت توجد كميات من الأسلحة الفاسدة ، وذلك بواسطة قنبلة زمنية

---

(٧٩) ولقد تزايدت مخاوف الملك بالفعل عما يمكن أن تسفر عنه نتائج تلك التحقيقات حتى أنه قبل وصوله الى ميناء الاسكندرية عائدا من رحلته بالخارج ، أرسل يستفسر عما اذا كان من الجائز ان تتخذ النيابة العامة ضده « شخصيا » اجراء عند نزوله الى أرض الميناء ، فاجيب على استفساره بعدم جواز ذلك دستوريا ، ولكن هذه الحصانة الدستورية قاصرة على شخصه ، ولا تمتد لأحد سواء من حاشيته أو مرافقيه ٠ أنظر عبد الفتاح حسن : ذكريات سياسية ص ٢٣ ٠

(٨٠) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج ٣ ص ٣٠١ ٠ ويؤكد حسن يوسف وكيل الديوان الملكى وقتذاك ، أن لجنة الاحتياجات قد عمدت الى شراء السلاح من السوق السوداء دون أى اعتبار لصلاحيته وذلك نتيجة الحظر الذى فرضته أمريكا وانجلترا على بيعه لمصر واسرائيل ، كما يعترف فى مذكراته بأن الوسطاء والعملاء استغلوا الموقف ليحصلوا على العمولة والثراء أنظر حسن يوسف : المصدر السابق ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ٠

لمحو آثار الواقعة امعانا فى اخفاء دلائلها(٨١) .

عند هذا الحد ينبغى أن نتناول بالتحليل البواعث السياسية للأزمة والاعتبارات التى أثرت على حركة أطرافها . فالاستجواب الذى تقدمت به المعارضة وأدى الى تفجير الأزمة كان فى الواقع اختبارا لقوة العلاقة بين القصر وحكومة الوفد ، وهو وان بدا فى ظاهره مستهدفا احراج الحكومة ، الا أنه من الناحية العملية كان موجها للملك وحاشيته ، وينهض دليلا على ذلك أن كافة الوقائع التى تضمنها الاستجواب انما جرت قبل تولى الوفد الحكم عام ١٩٥٠ . وقد أدارت المعارضة دفة الخلاف بمهارة سياسية تحتسب لها ، جعلت الحكومة تقع فى مأزق الاختيار الصعب ، فكان عليها أن تستفيد من ظروف تفجير الأزمة وتغل يدها عن الدفاع عن الملك وحاشيته فينتهى بذلك الوفاق مع القصر . أو تعمد للدفاع عن الملك ورجاله وتكشف بذلك عن عجزها فى مواجهة القصر وتسترها على فضائحه ، مما يكشفها أما مالرأى العام ويسىء اليها ويؤثر حتما بالسلب على مكانتها الجماهيرية ، وهو النهج الذى سارت عليه الحكومة الوفدية بالفعل . وبطبيعة الحال كان عليها أن تتحمل تبعات موقفها مقابل الاحتفاظ بعلاقاتها الودية مع القصر . أضف الى ذلك فان التناقض بدا واضحا فى موقف الحكومة الوفدية بدفاعها عن وقائع جرت أصلا فى عهد حكومة السعديين والأحرار وهما حزبا المعارضة واللذان ظهرا بمظهر من يحاسب الملك والحكومة الوفدية على تلك الوقائع .

ولا ريب أن اثارة القضية على هذا النحو قد كشف جليا عن مفاسد

---

(٨١) مرتضى المراغى : مذكرات ، شاهد على حكم فاروق وسنوات ما قبل الثورة ، مجلة أكتوبر ، العدد ٤٩٢ يوم ١٩٨٦/٣/٣٠ .

الملك وحاشيته أمام الرأى العام فى البلاد ، وباءت جهود الحكومة بالفشل بصدد محاولة التستر على فساد النظام وانحرافه · أما فى الجيش فكانت الآثار أكثر حدة بحكم معاناة رجاله ليس من نتائج صفقة الأسلحة فحسب ، بل ومن انحرافات كبار الضباط أيضا · وفى الجيش كان رد الفعل المباشر متمثلا فى صدور المنشور الأول للضباط الأحرار فى أكتوبر سنة ١٩٥٠ بعنوان « نداء وتحذير » ومما جاء فيه أن الضباط جزء لا يتجزأ من الشعب ، واذا كان الشعب يحكم حكما ماكيا مستبدا ، فان الجيش هو الآخر يخضع لنفس الظروف منذ سيق الى مجزرة فلسطين ، دون رأى ودون استعداد وفرضت عليه الخطط الفاسدة والأسلحة الفاسدة(٨٢) ·

وخلاصة القول فان الآثار الحقيقية للأزمة انما كانت تكمن أساسا فى أنها ساعدت على تهيئة الرأى العام فى البلاد ، بما أظهرته من فساد حكم القصر ، وما لحق بالبلاد من أضرار على نحو يمكن معه القول بأن البلاد أضحت مهيأة لحركة تغيير حقيقى كان منشور الضباط أول رموزها ·

فساد العلاقة بين القصر والجيش وتزايد نشاط الضباط الأحرار :

تدهور الموقف الداخلى فى البلاد بشكل واضح منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فمن جهة فشلت جولات المفاوضات المصرية - البريطانية « مفاوضات صدقى - بيفن » وغاضت آمال حكومة النقراشى أيضا بفشلها فى عرض القضية المصرية على مجلس الأمن وأعقب ذلك موجة من الفوضى والارهاب السياسى عمت البلاد · وفى محاولة للخروج من دائرة الأزمة الداخلية كان قرار الاشتراك فى حرب فلسطين اذ وافقت حكومة النقراشى بعد تردد على

---

(٨٢) محمد نجيب : كنت رئيسا لمصر ص ٩٢

قرار الملك فى الاشتراك فى الحـــرب أملا فى أن يحرز الجيش المصرى من الانتصارات فى ساحة القتال ، مما يعين النظام القائم على استعادة مقاليد السلطة فضلا عن هيبته ٠

ودون اغراق فى التفاصيل فلقد كانت حرب فلســـطين وما تمخض عنها من نتائج ، ذات وقع شديد بين صفوف الجيش ، لم تستطع الأحزاب السياسية بتقايديتها أن تستوعبه ، فراح كل فريق منها يحاول استغلال الموقف لصالحه ، حتى الجانب البريطانى نفسه راح يسير على نفس النهج مما يتضح من تعليق وزير خارجية بريطانيا على مذكرة القسم المصرى بوزارته بقوله « اذا لعبنا بأوراقنا بعناية فسوف تكون النتيجة أن مصر سوف تعود للاقتراب نحونا من جديد »(٨٣) ٠

على كل حال فقد كانت الفكرة السائدة لدى الرأى العـام حتى ذلك الوقت مؤداها أن الجيش كمؤسسة عسكرية موالية للملك تنحصر مهمتهـا الأساسية فى حماية نظام كان القصر على قمته ، ولا ريب أن استقرار تلك الفكرة على المســـتوى الشعبى والرسمى ، كان عاملا حيويا لتـأمين حركة الضباط الوليدة ، حال دون كشفها ولو الى حين ٠

وفيما يتصل بفكرة تنظيم الضباط الأحرار فرغم أنها كانت موجودة بالفعل خلال الحرب العالمية الثانية ، الا أنها لم تدخل عملا فى طور التكوين الا فى أثناء حرب فلسطين ٠ وبدأت فى التنظيم فى سبتمبر سـنة ١٩٤٩ حيث كون الضباط الأحرار هيأتهم التاسيسية(٨٤) ، بهدف انقاذ البلاد من

(٨٣) Fo : 371/69193 : Memorandum of Egyptian Department, July 31, 1948.

(٨٤) كانت الهيئة التاسيسية للضبـاط الأحرار تضم البكباشى جمـال عبد النـاصر ، الصاغ عبد الحكيم عامر ، الصاغ كمال الدين حسين ، الصاغ صلاح سالم ، قائد الأسراب حسن ابراهيم ، قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى ، الصاغ خالد محيى الدين ، البكباشى زكريا محيى الدين ، البكباشى أنور السادات ، البكباشى حسين الشافعى ٠

الانهيار والتردى الذى وصلت اليه . وفى يناير سنة ١٩٥٠ تم انتخاب **جمال عبد الناصر** رئيسا للهيئة التأسيسية بالاجماع ، كما أعيد انتخابه للمرة الثانية فى يناير سنة ١٩٥١ وللمرة الثالثة فى يناير سنة ١٩٥٢ . ولقد اتفق الضباط الأحرار على اختيار محمد نجيب لكى يكون قائدا للحركة يوم تنفيذها وبقى هذا الاختيار سرا بينهم لم يفضوا به اليه ، الا قبيل انتخابات نادى الضباط التى جرت فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٥١(٨٥) .

الا أنه ينبغى الاشارة الى أن الضباط الأحرار سبق لهم دعوة عزيز المصرى ليرأس حركتهم ولكنه اعتذر متعللا بكبر سنه وحالته الصحية مفضلا البقاء أبا روحيا لهم(٨٦) . على هذا فيمكن القول بأن تشكيل الضباط الأحرار بخطه السياسى الواعى بدأ بنشاط **جمال عبد الناصر** عام ١٩٤٩ . أما الاتجاه الذى أشار اليه أنور السادات فى كتاب صفحات مجهولة - عن تجمع بعضهم فى منقباد عام ١٩٣٨ ، فلم يكن تشكيلا بالمعنى المفهوم بقدر ما كان تيارا بين صغار الضباط عبر عن قلقهم بالنسبة لأوضاع بلادهم .

بدأ الضباط نشاطهم بطبع المنشورات السرية بتوقيع « الضباط الأحرار » وجرى توزيعها على الضباط والمدنيين على السواء . ورغم الطابع السرى للحركة فان الاتصالات قد جرت بين أعضاء التنظيم والقوى السياسية القائمة وقتذاك ، وكان الملاحظ أنها كانت تتم على مستوى

---

(٨٥) لمزيد من التفاصيل عن نشأة تنظيم الضباط الأحرار ، أنظر محمد أحمد أنيس ثورة ٢٣ يولية واصولها الاجتماعية ص ١٩٢ - ١٩٣ ، عبد الرحمن الرافعى : مقدمات ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ص ١٠٤ - ١٠٥ ، جمال حماد : المصدر السابق ص ١٠٣ وما بعدها ، أنور السادات : صفحات مجهولة ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ٢٢ ، أنظر كذلك :

Vatikiotis, P.J : The Egyptian Aramy in Politics, P.P. 43-44.

(٨٦) Hurani, A, Editted by : Middle Eastern Affairs, P : 159

شخصى وليست باسم التنظيم الذى كان لا يزال طابعه سريا ونشاطه بعيدا عن العلانية • من ذلك فقد اتصل النقيب مصطفى كامل صدقى - من رجال الحرس الحديدى - بجمال عبد الناصر وقام باعطائه بيانات عن جماعة وطنية سرية كونها فى صفوف الجش بتـأييد سرى من الملك وعرض عليـــه ضم جماعته الى الضباط الأحرار الا أن جمال عبد الناصر أقنعه بعدم رغبته فى الانضمام الى أية جماعة سرية ، وصرف بذلك نظر القصر عن تنظيم الضباط الأحرار(٨٧) •

واحجام تنظيم الضباط الأحرار عن التعاون مع القصر على هذا النحو يمكن تفسيره فى ضوء اعتبارات عدة منها أن مثل هذا التعاون سوف يفضى حتما الى كشف التنظيم على نحو يمكن القصر من القضاء عليه واعتقال زعمائه أو رصد نشاطه على أقل تقدير • ومن ذلك أيضا أنه لم يكن من الميســور مسايرة القصر والتعاون معه حتى من قبيل الخداع لمـا قد يترتب على ذلك من مخاطر غير محسوبة النتائج • ثم أن القصر كان من النـــاحية العملية القوة السياسية الأكثر تهديدا لنشاط التنظيم ولبقائه واستمراره • فضلا عن أن التعاون معه - بغض النظر عن الأسباب والنتائج - كان من شأنه أن يشين صفحة التنظيم الثورية •

أما عن صلات التنظيم بالقوى السياسية الأخرى ، فقد كان الأمر جد مختلف • فلقد بادر الضباط الأحرار بالاتصال بالوفد قبـل الثورة بزمن طويل - على حد تعبير أنور السادات - وكانوا قد وضعوا خطتهم على أساس

---

(٨٧) جورج فوشيه : جمـال عبد النـاصر وصحبه ج ١ ص ٢٣٤ • ولقد أكد أنور السادات فى كتابه صفحات مجهولة حدوث هذا الاتصال : انظر المرجع المذكور ص ١٧٩ ، ص ١٩٣ •

فرض الوفد على فاروق(٨٨) ٠ ولقد جرى هذا الاتصال بالفعل فى عهد الوزارة النحاسية الأخيرة ، وكان الاتجاه أن يتم التمهيد لذلك عن طريق اليوزباشى جمال القاضى ابن شقيق عبد اللطيف باشا محمود الوزير الوفدى والذى أبدى استعداده لأن يقدمه الى فؤاد سراج الدين ، وكان من المقرر أن يشترك فى ذلك أيضا رشاد مهنا لصلة قرابته بفؤاد سراج الدين ، الا أنه اعتذر عن ذلك وانتهى الأمر بتدبير مقابلة فؤاد سراج الدين مع جمال القاضى وشقيقه فاروق وأحمد أنور واتضح من المقابلة أن الشكوك قد راودت فؤاد سراج الدين والذى حاول أن يسبر أغوار حركة الضباط ومعرفة قائدهم وكان يهدف من وراء ذلك اقناع الملك بأنه اذا ما أصبح وزيرا للحربية أمكنه السيطرة على الجيش ٠ على كل حال لم تنته المقابلة الى صيغة محددة للتفاهم بين الضباط الأحرار والوفد(٨٩) ٠

أما عن صلات الضباط الأحرار بالاخوان فيمكن القول بأن أشد الدعوات نجاحا فى اجتذاب التنظيم كانت دعوة الاخوان ٠ فالجماعة بتنظيمها الهرمى الذى كان يقف المرشد العام على قمته وبتشكيلاتها شبه العسكرية ، كانت أمرا يتسق مع مألوف النظام العسكرى لهؤلاء الضباط ، فضلا عن أن الفاعلية المميزة لنشاط الاخوان وحركتهم عن سائر القوى السياسية الأخرى كان باعثا آخر لجذب الضباط اليهم ٠ وبالفعل انضم اليهم عدد كبير من الضباط الذين كونوا اللجنة التأسيسية فيما بعد ، ولقد توثقت صلات جمال عبد الناصر بشكل خاص بالاخوان الى الحد الذى دعا ابراهيم عبد الهادى رئيس الوزراء الى استدعائه الى مكتبه فى ٢٥ مايو سنة ١٩٤٩ ،

---

(٨٨) أنور السادات : صفحات مجهولة ص ١٦ ٠

(٨٩) لمزيد من التفاصيل عن مقابلة فؤاد سراج الدين انظر ، أنور السادات : أسرار الثورة المصرية ص ٢٣٦ وما بعدها ٠

بعد عودته من حرب فلسطين كيما يحذره من تلك الصلات(٩٠) ·

على الرغم من ذلك التحذير فقد استمرت الصلات قائمة بين الضباط الأحرار والاخوان رغم ما كان من رفض الضباط ما اقترحه حسن البنا من اندماجهم في تنظيم الاخوان ، ذلك أنهم لم يكونوا ليريدوا الارتبـــاط بأى حزب سياسى أو يصبغوا حركتهم بلون سياسى معين(٩١) · ولقد اتخذ هذا الاتجاه مفهوما واضحا فيما ظهر من اصرار جمال عبد الناصر وأعضاء اللجنة التأسيسية ، على عدم الخضوع لوصاية أو توجيه من خارج التنظيم ، ممـا كان سببا في اسقاط عضوية البكباشي عبد المنعم عبد الرؤوف أحد أعضاء التنظيم وذلك قبل قيام ثورة الجيش بثلاثة شهور ، وذلك لالتزامه وارتباطه بجماعة الاخوان ، الا أنه ينبغي الاشارة الى أن هذا الاجراء لم يكن ليعطى انعكاسا حقيقيا لعلاقة الاخوان بالتنظيم ، ذلك أنه برحيل حسن البنا بدت قيادة الاخوان أكثر مرونة قبل تنظيم الضباط الأحرار ، بتجنب الدعـــوة للاندماج أو محاولة فرض الوصاية عليه ، ومن ثم فقد استمرت العـلاقة طيبة بين الطرفين حتى أنه قبيل قيام الثورة مباشرة ، جرت اتصالات مكثفة بدأت يوم ١٨ يولية سنة ١٩٥٢ بين جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين عبد الحكيم عامر من جانب وبين بعض قيـادات الاخوان مثل عبد القـــادر حلمى وحسن العشماوى وصالح أبو رقيق من جانب آخر حيث تم ابلاغهم بموعد الحركة(٩٢) ·

---

(٩٠) ومما يجدر ذكره أن الضـباط الذين كانوا على صلات بالاخوان بخلاف جمــال عبد الناصر هم : عبد الحكيم عامر ، كمال الدين حسين ، عبد اللطيف البغدادى ، حسن ابراهيم ، خالد محيى الدين ، صلاح سالم بالاضافة الى عبد المنعم عبد الرؤوف · انظر جمال حماد : المصدر السابق ص ٢٤ ·

(٩١) Vatikiotis, P.J : Egypt since the Revolution : P : 89

(٩٢) جمال حماد : المصدر السابق ص ٢٦ ، ٦٧ وما بعدها ·

أما عن الصلات بالتنظيمات الشيوعية بمصر ، فينبغي الاشارة الى أن ذلك الاتجاه كان موجودا بالفعل لدى بعض الضباط الأحرار قبل تشكيل تنظيمهم . فقد كان خالد محيى الدين على صلة بالحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى « حدتو » بعد أن كان قد انضم الى منظمة أسكرا عام ١٩٤٧ واستمرت صلاته بحدتو حتى بعد انضمامه الى تنظيم الضباط الأحرار . وينبغى الاشارة الى أنه كان فى حدتو قسم للجيش ، وهو القسم الذى نجا سليما من الارهاب الذى تعرضت له الجماعة بعد اغتيال النقراشى ، ويرجع ذلك الى شدة الاهتمام بتدابير الأمن ، باعتباره السلاح الوحيد الذى يحمى قسم الجيش فى وقت كانت فيه معظم قيادات « حدتو » قد جرى اعتقالها . وكان المسئول السياسى لقسم الجيش هو أحمد حمروش وكان أحمد فؤاد - وكيل النيابة وقتذاك هو مسئوله الثقافى - يضاف الى ذلك فان منشورات الضباط الأحرار كانت تتم طباعتها وتوزيعها بمعرفة « حدتو » وكان يتولى كتابتها خالد محيى الدين وأحمد حمروش وجمال القاضى(٩٣) .

ويلقى مايلز كوبلاند فى كتابه « لعبة الأمم » الضوء على الصلات التى قامت بين تنظيم الضباط الأحرار والسفارة الأمريكية ، قبل القيام بحركتهم وتبدو المفارقة كبيرة فى أن الدور الأمريكى قد استهدف أساسا التدخل فى شئون البلاد من خلال الملك ، الا أنه انتهى الى تأييد حركة الضباط الأحرار . فلقد جاء الى مصر كيرميت روزفلت وهو أحد ضباط المخابرات المركزية تحت ستار العمل فى السفارة الأمريكية فى أوائل عام ١٩٥٢ ، بغرض تنظيم ثورة سلمية فى مصر تحت قيادة الملك فاروق نفسه لتصفية النظام القديم كله ، مطوقا بذلك محاولات الثورة المتكررة ضده . وكانت

---

(٩٣) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ، الجزء الأول ص ١٣٧ وما بعدها . انظر كذلك : رفعت السعيد : تاريخ المنظمات اليسارية المصرية (١٩٤٠ - ١٩٥٠) ص ٢٤٥ .

الصلات قائمة بالفعل بين فاروق وكيرميت روزفلت ، بل وتمتد الى حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ اذ وقف روزفلت الى جانب فاروق على هذا فقد قوبلت عودته الثانية الى مصر بترحاب شديد من جانب فاروق . وازاء فشل روزفلت فى اجراء الثورة السلمية ، كأثر لفشل محاولات وزارة الهلالى الأولى للاصلاح ، رغم التعضيد الأمريكى لها ، على نحو اقتنع معه روزفلت تماما بأن الجيش وحده هو القادر على مواجهة الموقف المتدهور ، وعلى اقامة حكم يستطيع الغرب أن يقيم معه علاقة ود وتفاهم(٩٤) .

وبالفعل جرت الاجتماعات بين كيرميت روزفلت وبعض ضباط التنظيم فى مارس ١٩٥٢ بموافقة جمال عبد الناصر . ويوضح التقرير الذى قدمه روزفلت الى وزير خارجيته بعد عودته من مصر وقبل شهرين من قيام حركة الضباط ، التقدير الأمريكى للحركة وقيمتها فيما أشار اليه بأنه « لم يعد هناك أمل فى ابعاد الجيش عن القيام بانقلاب قريب واثنائه عن عزمه على استلام السلطة .. »(٩٥) .

والواقع أن تلك الاتصالات التى جرت لم تصل الى مرحلة التنسيق بين تنظيم الضباط الأحرار والمسئولين بالسفارة الأمريكية ، الا أنه كان من أبرز انعكاساتها المباشرة ما طلبه جمال عبد الناصر من خالد محيى الدين من عدم استخدام عبارة « الاستعمار الأنجلو أمريكى » فى منشورات الضباط والاكتفاء بذكر الاستعمار البريطانى(٩٦) . وكان ذلك بدوره يعكس معنى « للتفاهم » بين الطرفين فحسب ، دون أن يصل الى حد التمهيد للحركة

---

(٩٤) مايلز كوبلاند : لعبة الأمم ، ترجمة مروان خير - الطبعة الأولى - بيروت ١٩٧٠ ص ٨٤ - ٨٦ .

(٩٥) المصدر السابق ، نص التقرير ص ٩٢ - ٩٦ .

(٩٦) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ج٢ ص ١٥ .

أو السيطرة عليها من الجانب الأمريكى ، على نحو ما أراد كوبلاند الايحاء به(٩٧) ٠

على هذا لم يكن تنظيم الضباط الأحرار بمنأى عن التيارات السياسية والأيديولوجية التى كانت تموج بها الساحة وقتذاك ٠ فرغم أنه قد حمل بين جوانحه اتجاهات اليمين واليسار ، الا أن اجتماع تلك الأضداد لم يكن ليفت من عضده ، اذ كانت كراهية الملك هى القطب الثابت للتنظيم ٠ ورغم حرص قيادة التنظيم على ألا يكون لها لون حزبى أو تخضع لوصاية أى من القوى السياسية الا أن عددا من الأعضاء قد استمروا على صلاتهم القديمة بالقوى التى كانوا ينتمون اليها ٠ ومن ثم فان التنظيم قد وقع فى تناقض حاد ، فهو من ناحية راح يحاول الاتصال بالوفد ويقيم جسور التفاهم مع الاخوان ويبقى على صلاته بالقوى الشيوعية فى الوقت الذى كان يحاول فيه الخروج من دائرة وصاية هذه القوى عليه ، وهذا بلا ريب كان خطأ محسوبا على تنظيم الضباط الأحرار ، فالأمر الذى لا مراء فيه أن كل هذه القوى قد راحت تخطط فى محاولة للهيمنة على التنظيم بشكل أو بآخر أملا فى أن تستفيد منه لصالح قضيتها ٠

فاذا كان الضباط الأحرار قد غلوا يدهم عن الالتقاء بالقصر ـ كما رأينا ـ ونجحوا فى ذلك ، الا أن محاولتهم للالتقاء مع الوفد ـ كما يعترف أنور السادات ـ قد تمخض عنها محاولة الحزب الشعبى استغلالهم لصالحه ، وراح زعماؤه ـ بعد قيام الثورة ـ يدللون بفضلهم عليها وأن هجومهم على الملك قد هيأ السبل لقيامها وراحوا يشيعون بأنهم أسياد الموقف شاعت

---

(٩٧) مايلز كوبلاند : المصدر السابق ص ٨٧ ٠

الثورة أم لم تنشأ(٩٨) ، حتى صلاتهم بالاخوان قد أفضت الى رغبتهم فى فرض وصايتهم على التنظيم ولعل تحسن العلاقة بينهم لم يكن راجعا الا الى اعتدال سياسة الاخوان فى مواجهتهم • ولم تكن الآمال التى علقتها «حدتو» على التنظيم لتختلف فى كثير عن أطماع القوى السياسية الأخرى •

على كل حال فقد جاءت انتخابات مجلس ادارة نادى الضباط لتؤرخ بدء اعلان الصراع بين الضباط والملك • فقد كان من المقرر اجتماع الجمعية العمومية للنادى يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، الا أن الملك أصدر أوامره بتأجيل الاجتماع لكى يعد خطته ، وانعقدت الجمعية العمومية فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٥١ وبالفعل سعى القصر الى محاولة فرض صنيعته اللواء حسين سرى عامر قائد سلاح الحدود مرشحا لرئاسة النادى فى مواجهة اللواء محمد نجيب مرشح تنظيم الضباط الأحرار(٩٩) •

وكان أن اعترضت الجمعية العمومية على ترشيح حسين سرى باعتباره من سلاح الحدود وهو سلاح غير مستقل لأنه يضم ضباط من مختلف الأسلحة ، فاستغل الضباط من أعضاء التنظيم الموقف وراحوا يعملون بمهارة لانجاح مرشحيهم والدعوة الى انتخابهم • وبالفعل أجريت الانتخابات

---

(٩٨) أنور السادات : صفحات مجهولة ص ١٨ وما بعدها •

(٩٩) وكان حسين سرى عامر وكيلا لسلاح الحدود أثناء تولى محمد نجيب قيادته • ولقد ارتبط اسم حسين سرى عامر بوقائع تهريب المخدرات وبيع الأراضى بوسائل غير مشروعة كما اتهم فى عديد من جرائم الرشوة والتزوير • وقد أظهرت لجنة التحقيق فى الانحرافات والمخالفات التى ارتكبت داخل سلاح الحدود ووصلت الى ٦٠٠ جريمة نسبت أغلبها الى حسين سرى • ورفع محمد نجيب تقريرا بذلك الى اسماعيل شيرين — صهر الملك فاروق — تمهيدا لرفعه للملك الذى أمر بترقية حسين سرى عامر استثنائيا وتعيينه مديرا للحدود بدلا من محمد نجيب ، وكان ذلك راجعا للصلات الوثيقة التى ربطت حسين سرى بالملك وحاشيته • يضاف الى ذلك ما كان من اتهام الضباط الأحرار له فى منشوراتهم باغتيال اليوزباشى عبد القادر طه وطالبوا بمحاكمته • أنظر محمد نجيب : كنت رئيسا لمصر ص ٨٧ — ٨٨ ، أنظر كذلك جورج فوشيه : المصدر السابق ص ٢٧٩ •

فى ٣١ ديسمبر حضرها ٥٠٠ ضابط ٠ وظهر اتجاه من العناصر المؤيدة للقصر بتعديل لائحة النادى بغرض الزج بالعناصر الموالية للملك فى مجلس ادارة النادى ، الا أن غالبية الضباط وقفوا باصرار ضد محاولة التعديل وانتهى الأمر الى تقرير ابعاد ممثلى سلاح الحدود من التمثيل بمجلس الادارة(١٠٠) ٠

أسفرت انتخابات نادى الضباط عن فوز محمد نجيب برئاسة مجلس الادارة - الذى ضم خمسة من الضباط الأحرار - هم : زكريا محيى الدين ، حمدى عبيد ، جمال حماد ، حسن ابراهيم أمين شاكر بينما سقط فيها الضباط المعروفون بأنهم صنائع القصر(١٠١) ٠ ومن جانب آخر جرت فى يوم ٧ يناير محاولة اغتيال حسين سرى عامر نفسه ، والذى اتهم مصطفى كمال صدقى وضابط آخر هو محمود ابراهيم فهمى بتدبيرها ، بينما كان القائمون بتنفيذ المحاولة هم جمال عبد الناصر وثلاثة من زملائه من أعضاء تنظيم الضباط الأحرار(١٠٢) ٠

بدا واضحا أن انتخابات نادى الضباط كانت بمثابة اختبار حقيقى لقوة تنظيم الضباط الأحرار فى مواجهة القصر ، ولعل محاولة اغتيال حسين سرى عامر كانت بدورها محاولة من جانبهم لاشعار الملك بقوتهم(١٠٣) ٠ الا أن القصر راح يحاول حسم هذا الصراع ، فاستدعى الفريق حيدر اللواء محمد نجيب والقائمقام رشاد مهنا وأبلغهما برغبة الملك فى ضم حسين

---

(١٠٠) الأهرام فى ١٩٥٢/١/١ ٠

(١٠١) جمال حماد : المصدر السابق ص ١٥٥ - ١٥٦ ٠

(١٠٢) البلاغ : ١٩٥٢/١/٨ أما الضباط الثلاثة الذين شاركوا فى المحاولة هم : حسن ابراهيم وحسن التهامى وكمال رفعت ٠ أنظر محمد نجيب : كنت رئيسا لمصر ص ٩٦ - ٩٧ ٠

(١٠٣) Vatikiotis : P.J : The Egyptian Army in Politics : P : 64

سرى عامر الى مجلس ادارة النادى الا أن نجيب أقنعه بعدم امكان ذلك(١٠٤) . كاثر لهذا أصدر الملك فى ١٥ يوليه ١٩٥٢ أمرا بحل مجلس ادارة النادى وتعيين مجلس مؤقت برئاسة اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة وشقيق محمد نجيب — وسحب الاعتمادات المخصصة لمبنى النادى الجديد بالزمالك ، مما أدى الى تزايد سخط الضباط على الملك(١٠٥) .

ومن ناحية أخرى راح القصر يشدد حصاره على تنظيم الضباط الأحرار من خلال التركيز على رصد نشاط وتحركات محمد نجيب باعتباره واجهة التنظيم المعلنة ، فخضع لرقابة محكمة من البوليس السياسى . ويشير نجيب فى مذكراته الى أنه قد فوجىء بزيارة اللواء أحمد فؤاد صادق له بمكتبه وأبلغه بأنه أثناء وجوده بمنزل يوسف رشاد — قائد الحرس الحديدى — علم بأنه سوف يقبض عليه — أى محمد نجيب — لاتهامه بتزعم حركة ثورية داخل الجيش الا أن فؤاد صادق نفى ليوسف رشاد بشكل قاطع احتمالات ذلك ، الا أن الأخير أخبره ثانية بأن المسألة خطيرة لأنها تتعلق بحياة الملك(١٠٦) .

بدا من الواضح أن تلك المناورة من جانب القصر قد استهدفت اثارة مخاوف نجيب وارهابه بشكل أساسى ، الا أنها من جانب آخر كانت باعثا للضباط الأحرار كيما يتخذوا أسباب الحيطة والحذر ، خاصة وأن نشاطهم قد بدأ فى التوسع فشكلوا لجانا قيادية بالقاهرة والعريش حيث تتجمع القوات الرئيسية للجيش(١٠٧) . على هذا النحو كان الصراع التحتى بين

---

(١٠٤) صلاح الشاهد : ذكرياتى بين عهدين ص ٢١٨ .
(١٠٥) محمد نجيب : كنت رئيسا لمصر ص ١٠١ .
(١٠٦) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ٣٥ .
(١٠٧) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يولية ج٢ ص ٩

القصر والضباط قد بلغ حدته وبات كل طرف يتهيأ للقضاء على الآخر . وبسبيل تهدئة الموقف بدت مساعي حسين سرى أثناء وزارته الخامسة لاصلاح ذات البين ، فقابل الدكتور محمد هاشم وزير الداخلية محمد نجيب وعرض عليه منصب وزير الحربية كوسيلة لازالة أسباب التذمر بيد أن محمد نجيب رفض هذا العرض(١٠٨) . وكان حسين سرى قد أبلغ الملك - من خلال حافظ عفيفى - أنه سوف يقدم استقالته ما لم يوافق على تعيين محمد نجيب وزيرا للحربية الأمر الذى رفضه فاروق بشدة خشية أن يكون نجيب هو « عرابى رقم ٢ »(١٠٩) .

على هذا النحو فشلت الجهود التى بذلها سرى لاصلاح العلاقة بين الطرفين ، وقدم استقالته فى ٣٠ يوليه سنة ١٩٥٢ . والحقيقة أن موقف العناد والتشدد من جانب القصر ازاء سرى يمكن تفسير بأن الملك كان لا يزال على اعتقاده بولاء الجيش له ، وأنه بمقدوره السيطرة على عوامل التذمر والسخط فيه واخمادها ، وأنه طالما قد أحكم قبضته على قيادات الجيش فان ذلك وحده كاف لكبح أى اتجاهات سياسية بداخله(١١٠) . ولا ريب فى أن عدم ادراك الملك للحجم الحقيقى لتنظيم الضباط الأحرار ونشاطه كان باعثا آخر على استهانته بالأمر .

أما عن رفض محمد نجيب لمنصب وزير الحربية فجاء - فى رأى الباحث - متسقا وسلامة التقدير ، اذ لن يكون بمقدوره فى هذا المنصب اجراء أية اصلاحات للقضاء على سخط الضباط وتذمرهم طالما استمر

---

(١٠٨) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ٣٦ .

(١٠٩) جورج فوشيه : المصدر السابق ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، انظر كذلك جمال حماد : المصدر السابق ص ١٦٢ .

(١١٠) Vatikiotis, P.J : The Egyptian Army in Politics : P : 62.

الفريق محمد حيدر قائدا عاما للجيش ، وكبار قادتهم على ولائهم المطلق للعرش • ثم أن مطالب الاصلاح التى استهدفها تنظيم الضباط الأحرار لم تكن قاصرة على الجيش فحسب ، وانما امتدت لتشمل الجوانب السياسية والاجتماعية فى البلاد ، والتى كان القصر عملا يتحمل النصيب الأوفى فى فسادها •

مقدمات الثورة ونهاية حكم القصر :

تزايدت الأوضاع الداخليـــة فى البلاد سوءا اثر حريق القـــاهرة واضطربت أداة الحكم فيها وظهر واضحا أن القصر رغم استبداده وانحرافه بالسلطة الا أنه بدا وقد اعتراه التفكك والانحلال ، وبات أمر البلاد معقودا للحاشية والوسطاء من أعوان الملك ، فراحوا يتدخلون فى كافة شئون الحكم والادارة • ولا ينقض من هذا القول محاولات الحكومات المتعاقبة لاصـــلاح أحوال البلاد المتردية ، اذ أنها قد جرت فى اطار الهيمنة الملكية •

فعلى شاكلة أبيه أوغل فاروق وحاشيته فى العبث بحكم البلاد ، وامتد نفوذهم الى كافة المجالات تحركهم فى ذلك بواعث وأطماع شخصية • فمن دلالات هذا التدخل ما كان من حصول شركة « مسعيدة » للطيران على اعانة من الحكومة سنة ١٩٥١ قيمتهـا مائة وثلاثون ألف جنيـــه ، رغم ما ثبت للحكومة من فساد ادارتها • وقد تبين أن الشركة قد أهدت فاروقا جزءا من أسهمها وأنه كان وراء تخصيص تلك الاعانة لها(١١١) • ومن تلك الدلالات ثانيا : ما كان من قيام الملك بترشيح أحمد عبود وكريم ثابت ـ المستشار المـالى للملك ـ لعضوية مجلس ادارة شركة قناة السويس وازاء رفضها

---

(١١١) عبد الرحمن الرافعى : مقدمات ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ ص ١٩٥ •

لترشيح الأخير هددها الملك بعرقلة أعمالهـا وطلب كريم ثابت مبلغ ١٥٠ ألف جنيه من الشركة للتنازل عن ترشيحه ، الا أنها رفضت فقـام الملك بتعيين الياس اندراوس فى وظيفة القوميسير المصرى للشركة ، مما اضطرها للاذعان مكتفية بما كانت تدفعه له من راتب كبير(١١٢) . ومن ذلك أيضـا أن محمود أحمد فرغلى وآخرين كونوا مجموعة شرائية تعـاقدت مـع تجار القطن لشراء نصف مليون قنطار ، وازاء عجز التجـار عن الوفاء بالتعـاقد بدت الحكومة النحاسية متعاطفة معهم فعرض الياس اندراوس على محمـود فرغلى التدخل لدى الملك ، وبعد مساومات دفع فرغلى باشا وزملاؤه رشـوة قيمتها ١٥٠ ألف جنيه للملك و١٠ آلاف جنيه للحاشية ، وتدخـل الملك بالفعل لدى الحكومة فتراجعت عن موقفها المؤيد للتجار وأنقذت فرغلى باشا وزملاءه من الخسارة(١١٣) .

ومما زاد الأمر سوءا أن امتد تدخـل الحاشـية أو « غير المسئولين بالقصر » الى حد محاولة التدخل لدى الملك لتغيير الوزارات ، اذ أشار عليه الياس اندراوس بتغيير الوزارة النحاسية الأخيرة بعد قيامها بالغاء المعاهدة ، وبرر ذلك بعجزها عن الاضطلاع بأعبـاء الحـكم وتدهور الأحـوال المـالية والاقتصادية فى البلاد ، ورشح للملك حافظ عفيفى ليرأس الوزارة الجديدة. وكان الياس اندراوس حانقا على الوزارة لعـدم اطلاعه على نواياها لالغـاء المعاهدة فضلا عن تطلعه لمنصب رئيس مجلس ادارة بنك مصر الذى كان يشغله حافظ عفيفى(١١٤) .

---

(١١٢) صليب سامى : مذكرات ص ٣٣٣ — ٣٣٥ ، انظر كذلك حسن يوسف : مذكرات ص ٢٨٢ — ٢٨٣ .

(١١٣) محمد أحمد فرغلى : مذكرات : عشت حياتى بين هؤلاء ص ١٣٤ — ١٣٦ .

(١١٤) حسن يوسف : مذكرات ص ٣٠٥ — ٣٠٧ .

وبدأ التدخل من جانب الملك وحاشيته يتخذ طابعا ايجابيا ، فبعد اقالة الحكومة النحاسية اثر حريق القاهرة ، تولت وزارة علي ماهر الثالثة الحكم « وهي وزارة تهدئة » على حد تعبير الرافعي(١١٥) . وبالفعل كان على ماهر يمثل البديل المقبول للحكومة النحاسية ، ثم أنه كان السياسى الوحيد على الساحة الذى تمكن من الاحتفاظ بعلاقته طيبة مـــع كافة قوى التأثير السياسى .

ولقد تصور على ماهر أن بمقدوره ترويض الملك وحاشيته ، مستندا في ذلك الى صلاته الوثيقة بدوائر القصر ، بيد أنه سرعان ما تبددت آماله عندما بدأت سلسلة من الأزمات مع القصر كانت أولهـــا عندما طلب منه اليـاس اندراوس تعيين كريم ثابت وزيرا فى وزارته تلبية لرغبـــة الملك الأمر الذى رفضـــه على ماهر(١١٦) . تلا ذلك أن طلب القصر تعيين كامل القاويش فى منصب النائب العام بدلا من عبد الرحيم غنيم . وكان اســـم القاويش قد لمع فى تحقيقات قضـــية مقتل أمين عثمان ، فضلا عن توثق صلاته مع محمد حسن « شماشرجى الملك » الا أن الأزمة قد انتهت بتعيين كامل القاويش وكيلا لوزارة الداخلية . وبصدد التعيينات أيضا طلب الملك تعيين أحمد طلعت حكمدارا للعاصمة ، مما رآه أحمد ماهر استفزازا وتحديا للاخوان ، فى وقت حرص فيـــه على تهدئة خـــواطرهم . فرشح أحمـد عبد الهادى للمنصب الا أنه ما لبث أن تراجع أمام ضغوط القصر فوافق على تعيين أحمد طلعت(١١٧) .

---

(١١٥) عبد الرحمن الرافعى : مقدمات ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ ص ١٣٢ .
(١١٦) حسن يوسف : المصدر السابق ص ٣٣١ .
(١١٧) موسى صبرى : قصة ملك و٤ وزارات ص ٤٢ وما بعدها .

ومن جانب آخر راح على ماهر ينتهج سياسة مبناها الوفاق مع الوفد ، أملا فى تجنب معارضته فى البرلمان على أقل تقدير وادراكا منه بضعف وزارته التى ضمت وزراء كانوا فى غالبيتهم من الموظفين السابقين ممن لا علاقة لهم بالسياسة أو بالأحزاب السياسية . بيد أن هذا الاتجاه من جانب على ماهر لم يكن ليقابل بالرضاء من جانب الملك الذى كان راغبا فى رئيس وزراء يمتلك الشجاعة لتحطيم الوفد(١١٨) . وبدا أن الهلالى هو الرجل المناسب من وجهة نظر القصر ، والذى يمتلك القدرة على التصدى للوفد . وبالفعل فان طريقة اختياره لوزرائه فضلا عن جهوده التى بذلها فى كشف العديد من الفضائح المالية للوفد قد عضدت مكانته لدى الملك(١١٩) .

والحق أن الهلالى تبنى حركة تطهير واسعة فى البلاد ، وشكل عدة لجان قضائية للتحقيق فى الجرائم والمخالفات التى تمس نزاهة الحكم الوفدى ، وصار من المتوقع أن تمتد يد التطهير لتشمل حاشية القصر فضلا عن بعض أعضاء الوزارة النحاسية الأخيرة . كاثر لذلك فقد بدت وزارة الهلالى عرضة لهجوم مزدوج من القصر والوفد فى آن واحد . فنشر الوفد فى ١٥ ابريل نداء للشعب بألا تشغله عمليات التطهير عن مطالبه ، قاصدا بذلك تحويل الأنظار عنها ، ووصف محاولات الهلالى للتطهير بأنها « غير مشروعة » وأنها تمت بايعاز من الجانب البريطانى(١٢٠) .

ومن جهة أخرى راحت العناصر غير المسئولة من حاشية الملك أيضا

---

(١١٨) Fo : 371/96875 : No : 109 : Stevenson to Eden, April 26, 1952

(١١٩) Iibid

(١٢٠) Fo : 371/96876 : No : 1011 : Chancery to African Department, Jun. 24, 1952.

تتحرك فى وجه محاولات وزارة الهلالى فرفع كريم ثابت - المستشار الصحفى للملك - مذكرة اليه يقترح فيها اقالة الوزارة بزعم أن ذلك يتفق وصالح الملك ، على أن يكلف مرتضى المراغى بتشكيل الوزارة أو يكلف حسين سرى بتأليف وزارة محايدة لاجراء الانتخابات ، ولقد وافق الملك بالفعل على مبدأ تغيير الوزارة الا أنه أرجأ التنفيذ الى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٥٢(١٢١).

على الجانب الآخر كانت سياسة الهلالى قد جعلته موضع قبول ورضاء من دوائر السفارة البريطانية ، ذلك أن حركة التطهير التى تبناها كانت فى جانب منها مقدمة للاصلاحات السياسية والاجتماعية ، مما كان موضع اعتبار الجانب البريطانى لما سوف يترتب على ذلك من استقرار الأوضاع الداخلية بعد أن عانت السياسة البريطانية من اضطرابها ، ثم أن التطهير فى الجانب الآخر منه بما كان يكشفه من مساوىء الحكم الوفدى كان موضع التأييد البريطانى أيضا باعتباره وسيلة غير مباشرة للثأر من الحزب الذى ألغى المعاهدة . ومن ثم فان احتمالات تغيير وزارة الهلالى كانت باعثا على قلق السفارة البريطانية ، ولدى مفاتحة القائم بالأعمال البريطانى لحافظ عفيفى فيما تردد بهذا الشأن ، أخبره بأن الأمر لا يخرج عن كونه مؤامرة من جانب الوفد للايهام باقتراب عودته للحكم ، فضلا عن أن تغيير حكومة الهلالى لن يكون فى صالح الحكومة البريطانية أو مصر ذاتها(١٢٢) .

كان من الواضح أن وزارة الهلالى الأولى قد أصبحت محورا للصراع بين جناحى القصر . فالجناح الأول كان يتزعمه حافظ عفيفى رئيس الديوان ووكيله حسن يوسف وهذا الجناح كان مؤيدا لبقاء الوزارة . أما الثانى

---

(١٢١) حسن يوسف : مذكرات ص ٣٢٨ .
(١٢٢) المصدر السابق : نفس المكان .

فكان على رأسه كريم ثابت والياس اندراوس ، وهذا الجنـــاح كان بادى التأثير على الملك بشكل واضح ، مما ظهر أثره واضحا فى استقالة وزارة الهلالى فى ٢٨ يونيه(١٢٣) . وبدا حافظ عفيفى أيضا راغبا فى الاســتقالة من منصبه كرئيس للديوان تضامنا مع الوزارة(١٢٤) .

ومما يعكس تأثير العناصر الغير مســئولة بالقصر على الملك ، أنه قــد جرى من جانبها استغلال الموقف النــاتج عن استقالة الهلالى فى محــاولة الضغط على الملك لتعيين رئيس للوزراء يكون أكثر طواعية عن سلفه . وكان من أثر ذلك أن تجدد الخلاف بين جناحى القصر ، فلقد ســارت المشــاورات لتشكيل الوزارة فى اتجاهين فى آن واحد ففى الوقت الذى كان فيه حافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى يجرى اتصالاته مع بهى الدين بركات لتشكيل الوزارة ، أجرى كريم ثابت والياس اندراوس اتصالاتهمــا بحسين سرى لنفس الغرض وعلى الرغم من أن الملك وافق على ترشيح بهى الدين بركات بالفعل والذى بدأ فى اختيار أعضاء وزارته ، الا أنه عدل عن اختياره وشكل حسين سرى بالفعل وزارته الخامسة فى ٢ يوليه رغم محاولات حافظ عفيفى لاقناع الملك بأن يعهد الى بركات بتشكيل الوزارة بغرض ازالة الأثر السىء

---

(١٢٣) وتشير الوثائق البريطانية الى دوافع استقالة الهلالى بأن الحكومة طالبت أحمد عبود بمبلغ خمسة ملايين من الجنيهات كضريبة دخل وأموال اميرية مستحقة على شركته وكان زكى عبد المتعال وزير المـالية قد تشدد فى المطالبة الى حد وصل الى تقرير تأميم شركة السكر التى يمتلكها عبود .

وكان اتجاه الحكومة لتصفية الفساد ومحاربته من بواعث قلق عبود واصدقائه من الوفد ، وكان السبيل الوحيد أمام عبود هو تغيير الوزارة ، مما دفعه لأن يقدم للقصر مليون جنيـــه كرشوة لاستبدال الهلالى بآخر يكون أكثر قدرة على التعامل معه ، وقد أسر عبود لأحد أصدقائه فى ٢ يونية ، بأن وزارة الهلالى سوف تترك الحكم . كما علم الهلالى نفسه بأمر الرشوة من السفارة الأمريكية . أنظر :

Fo : 371/96876 : Chancery to Fo : July 7, 1952, Tel. No : 1011

(١٢٤) Ibid : Stevenson to Fo : July 1, 1952, Tel. No 988

الناجم عن اقصاء الهلالى(١٢٥) .

والواقع أن اختيـــار أى من سرى أو بركات كان من شـأنه أن يثير مخاوف الجانب البريطانى لما وقر فى اعتقاده من أن ذلك بمثـابة تمهيـد لعودة الوفد للحكم ، ومن ثم فقد آرسلت الخارجية البريطانية تستطلع رأى ستيفنسون فى مفاتحة سرى وبركات ونصحهما بعدم الموافقة على تشـكيل الوزارة(١٢٦) . ولا ريب أن تقديرات الخارجية البريطانيـة قد حادت عن جادة الصواب ، فالملك على نحو ما مر بنا لم يكن ليقبل بحال فكرة عـودة الحـكم الوفدى بعد أن تخاص منه ، وبطبيعة الحال لم يكن ليقدم على خطوة تمهد لعودة الوفد الى الحكم بل ولقد عملت وزارة سرى على ايقاف المزيد من تصاعد الاتجاهات المؤيدة للوفد بل ومقاومتها(١٢٧) .

أما عن تشكيل وزارة حسين سرى الخامسة فقـــد أظهر دلالات هامة ينبغى الاشارة اليها فمنها أولا أنه بدا واضحا أن الملك قد أصـــبح تحت سيطرة جناح كريم ثابت وزملائه وظهر ذلك واضحا ليس فى اختيار سرى لرئاسة الوزارة فحسب ، بل وفى تعيين كريم ثابت وزيرا للدولة فى وزارته مما كان يعنى أن نشاط هذا الجناح قد تعدى حدود أعمال الوساطة والتدخل فى شئون الحكم الى مرحلة المشاركة الفعلية فى صنع القرار ، ومن هـــذه الدلالات أيضا أن القصر قد استبد بأمور البلاد وسار فى طريقه لا يلوى على شيء ، وغدت أى تطورات فى الموقف الداخلى رهنـــا بمـــا يتخذه الملك من اجراءات تمليها عليه مصالحه الشخصية(١٢٨) .

---

(١٢٥) Ibid : From Washington to Fo : July 2, 1952
(١٢٦) Ibid : Fo : to Stevenson, July 1, 1952, Tel. No 1050
(١٢٧) Ibi: Creswell to Fo July 2, 1952, Tel. No. 32.
(١٢٨) Fo. 371/96877. Creswell to Eden, July, 13, 1952 Tel No. : 160

وقد يبدو خلافا للواقع ، أن تولى وزارة حسين سرى الحكم كان بمثابة نصر جديد للقصر وتكريس لحكمه . فالخطر الحقيقى على القصر لم يكن ليأتى من جانب أية وزارة تلى الحكم مهما كان لونها السياسى بقدر ما كان يكمن أساسا فى نشاط تنظيم الضباط الأحرار بعد أن عجزت وزارة حسين سرى عن حسم خلاف الضباط مع القصر أو ترضيتهم كما مر بنا فالقصر لم يكن من الناحية العملية مقدرا لخطورة تنظيم الضباط الأحرار ونشاطه ، وكان فاروق يعتقد أن كل مخاطر الجيش تنحصر فى اثنى عشر ضابطا بطردهم يتم القضاء على تلك المخاطر(١٢٩) .

ورغم أنه ليس هناك ثمة ما يؤكد بأن الملك كان يعرف حقيقة تنظيم الضباط الأحرار بالفعل أو أسماء أعضائه والا بادر الى اعتقالهم ، الا أن ذلك وحده كان باعثا لقلق الضباط مما دعاهم الى التعجيل بموعد حركتهم ليكون يوم ٢٣ يوليه بدلا من ٥ أغسطس ، فضلا عما تردد من احتمالات تعيين اللواء حسين سرى عامر لمنصب وزير الحربية ، كان عاملا آخر لاثارة مخاوفهم(١٣٠) .

بدأ تنظيم الضباط فى التحرك وتركزت خطته فى تطويق جبهتى القصر وقيادة الجيش . فمن جهة كان صلاح سالم - سكرتير الفريق حيدر - يقوم بدوره فى اكتساب ثقته واعطائه المعلومات المضللة عن الضباط الأحرار وتغطية نشاطهم بينما قام أنور السادات بنفس المهمة بالقصر عن طريق الدكتور يوسف رشاد . ويعترف أنور السادات بأن تلك الطريقة قد مكنتهم

---

(١٢٩) Fo : 371/98872 : Stevenson to Fo, Feb. 14, 1952, Tel. No. 367

(١٣٠) جمال حماد : المصدر السابق ص ٤٠ .

من معرفة ما كان يصل للقصر أو قيادة الجيش من معلومات عن التنظيم(١٣١). بالاضافة الى ذلك فقد برزت فكرة الاغتيالات لقادة الأحزاب السياسية ، وتشكلت بالفعل مجموعة تكونت من كمال رفعت وعباس رضوان ومحمد البلتاجى واسماعيل فريد وعبد الحليم عبد العال ، كان عليها أن تنتظر الأوامر من عبد الحكيم عامر الا أن هذا الاتجاه لم يقيض له الاستمرار(١٣٢) .

على كل حال فلقد شهد يوم ٢٢ يوليو تطورات حادة فى الموقف الداخلى اذ قدم حسين سرى استقالته ، ولا شك فى أن فشله فى معالجة الموقف الذى فجرته انتخابات نادى الضباط على نحو ما مر بنا - كان من الأسباب الرئيسية لاستقالته ، وعهد للهلالى فى نفس اليوم بتشكيل وزارده الثانية الا أنه وضع شروطا لقبولها كان أهمها استمرار حركة التطهير التى كان قد بدأها فى عهد وزارته الأولى ، وألا يتدخل أحد من العناصر الغير مسئولة بالقصر فى شئون الحكم(١٣٣) ، مما كان يعنى عود الى محاولة تقليم أظافر مجموعة كريم ثابت واندراوس وكشف مساوئها ، ولم يكن أمام الملك ثمة بديل سوى الاذعان لشروط الهلالى .

بدأ الهلالى الحكم بمحاولة تهدئة الموقف المضطرب ، فراح يحاول احتواء غضب الضباط وسخطهم وترضية الملك فى نفس الوقت ، وبناء على نصيحة حافظ عفيفى تم تعيين اسماعيل شيرين - زوج شقيقة الملك - وزيرا للحربية باعتباره الرجل المناسب الذى يمكنه الاضطلاع بشكاوى الضباط

---

(١٣١) أنور السادات : أسرار الثورة المصرية ص ٢١٥ .

(١٣٢) أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو ج٢ ص ١٦ - ١٧ .

(١٣٣) Fo : 371/96877 : Creswell to Eden, July 22, 1952, Tel. No 1054

الأصاغر وعوامل تذمرهم كما تقرر احالة حسين سرى عامر قائد سلاح الحدود والعدو اللدود للضباط الأحرار وكذا اللواء محمد نجيب الى التقاعد(١٣٤) · بيد أن اتجاهات التهدئة من جانب نجيب الهلالى لم تكن لتوقف عجلة الثورة التى كانت قد بدأت فى الدوران بالفعل ·

كان توقيت الحركة جد مناسب فأعضاء الوزارة الجديدة كانوا بالاسكندرية لأداء اليمين أمام الملك ، يضاف الى ذلك فقد تقرر أن يعقد مؤتمر فى القيادة العامة للجيش بالقاهرة فى العاشرة من مساء يوم ٢٢ يوليو يحضره اللواء حسين فريد ــ رئيس الأركان ــ وقادة الأسلحة(١٣٥) · أما القصر فلم يكن على علم بنوايا الضباط الأحرار يتأيد ذلك أن حافظ عفيفى رئيس الديوان الملكى قد أخبر القائم بأعمال السفير البريطانى فى مساء يوم ٢٢ يوليو باعتزامه قضاء أجازته السنوية بانجلترا(١٣٦) · وبعبارة أخرى كانت الظروف الداخلية مواتية لبدء تحرك تنظيم الضباط الأحرار ·

وفى ظهر يوم ٢٢ يوليو عقد الضباط الأحرار اجتماعهم الأخير بمنزل خالد محيى الدين ، حيث جرت مناقشة تفصيلات الخطة للاستيلاء على مقر القيادة العامة واعتقال كبار الضباط · وأعطيت الخطة اسما كوديا هو « نصر » وتحددت الساعة الثانية عشر مساء توقيتا لبدء العملية ، وبالفعل جرى اعتقال اللواء حسين فريد وكبار الضباط بالقاهرة(١٣٧) · وحاول

---

(١٣٤) Ibid :

(١٣٥) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ٤

(١٣٦) Fo : 371/96876 Creswell to Eden, July 22, 1952, Tel. No : 1509.

(١٣٧) لمزيد من التفصيلات عن حركة الضباط الأحرار ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، انظر محمد نجيب : المصدر السابق ص٤ وما بعدها ، أحمد حمروش : قصة ثورة ٢٣ يوليو =

الهلالى ، وكان مجتمعا بوزارته بالاسكندرية فى يوم ٢٣ يوليو ، التفاهم مع زعماء الحركة فابلغه محمد نجيب بمطالب ثلاثة محددة هى تكليف على ماهر بتشكيل الوزارة وتعيينه - أى محمد نجيب - قائدا عاما للقوات المسلحة ، وطرد محمد حسن وحلمى حسين وانطوان بوللى من حاشية الملك • ولم تكن تلك المطالب سوى محاولة من جانب الحركة لعجم عود الملك(١٣٨) •

عند هذا الحد يتعين الاشارة الى أن الوجـــود البريطانى لم يكن أقل تهديدا لحركة الضباط من القصر ، وعلى ضـــوء احتمالات تدخل القـوات البريطانية وتحريكها من منطقة القناة الى القاهرة • فمن ثم راح الضـــباط الأحرار يتحركون لتأمين الحركة فى اتجاهين • أولهما : محاولة الحصـول على تأييد السفارة الامريكية • وثانيهما : تحذير الجانب البريطانى من مغبة التدخل والتلويح له باستخدام القوة •

وفيما يتعلق بالاتجـاه الأول فقـد قام على صبرى بالاتصـال بالسفير الامريكى جيفرسون كافرى كيما يوضح له بواعث الحركة وأهدافها لضمان التأييد والمساندة من جانبه(١٣٩) • وبطبيعة الحـال فان الجـانب الامريكى كان متوقعا لقيام الحركة وحتميتها نتيجة للاتصالات التى جرت فى مارس

= ج٢ ص ٢٢ وما بعدها ، جمال حماد : المصدر السابق ص ٢٢١ وما بعدها ، وانظر كذلك حسين عزت : أسرار معركة الحرية ص ١١٢ وما بعدها ومن الطريف أن سر الحركة قد تسرب الى علم الملك قبل موعدها بثلاث ساعات عن طريق العقيد طيار صالح محمود صالح وهو شقيق الملازم أول حسن محمود صالح أحد ضباط المدفعية والذى اشتركت وحدته فى الحركة وكان الطيار المذكور محالا للاستيداع فسارع للاتصال بضابط الحرس الملكى المنوب فى قصر القبـة وأبلغه عن اعتزام بعض ضـــباط الجيش القيام بانقـلاب وطلب منه سرعة ابلاغ المسـئولين بالاسكندرية وعلى رأسهم الملك لتدارك الأمر ، تراوده فى ذلك أحلام الترقى ، الا أن آماله ما لبثت أن تبددت صباح يوم ٢٣ يوليو عندما أذيع البيان الأول للثورة حيث تم القبض عليه بعد ذلك • انظر جمال حماد : المصدر السابق ص ١٩٨ •

(١٣٨) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ٤٤ •

(١٣٩) Flower, R. The Story of Modern the Egypt, P. 182.

سنة ١٩٥٢ بين الطرفين على النحو السابق الاشارة اليه · ولقد وجد الجانب الامريكى فى الحركة بعض ما يحقق له أهدافه بالمنطقة ·

اما عن الاتجاه الثانى ، فلقد بعث قادة الحركة عن طريق أحد أعضاء السفارة الامريكية برسالة للسفير البريطانى مؤداها أن الجيش سوف يبدى مقاومة منظمة لأى تدخل بريطـــانى وأن الحركة لن تتعرض للسياســة الخارجية حيث أنهــا قامت أساسًا للقضاء على الفساد الداخلى فى البــلاد · ولقد أسفر هذا الاتجاه عن نتيجة ايجابية هامة تمثلت فيما أشار به القائم بالأعمـــــال البريطانى على حـــكومته بضرورة التروى اذا ما طلب القصر التدخل(١٤٠) فضـــلا عن ذلك فان تدخـــل السفير الامريكى بنفوذه لدى السفارة البريطانية قد أدى الى اقناعها بأن الأمر ليس سوى مسألة داخلية لا تستوجب تدخلا(١٤١) ·

وكان من الواضح أن فاروق يعلق آمالا على الجــانب البريطانى الا أن موقف الأخير كان بطبيعة الحال من عوامل سخط فاروق خاصـــة وأنه بدا مهيض الجناح باستجابته لمطالب الضباط الثائرين(١٤٢) · بل ان الجــانب البريطانى راح يبادر باظهار حسن النوايا فى مواجهة الحركة فأرسل القائم بأعمال السفير رسالة عاجلة الى أحــد أعضاء السفارة البريطانية بالقــاهرة وطلب منه أن يصطحب معه مساعد الملحق الحربى ويقابلا محمد نجيب لكى يوضحا له وجهة النظر البريطانية من أنها ترحب دائما بأى تحرك فى مصر

---

(١٤٠) Fo : 371/96877 : Creswell to Eden, July 23, 1952, Tel. No 1060.

(١٤١) Flower, R., Loc Cit.

(١٤٢) Fo : 371/96877 : Creswell to Fo, July 23, 1952, Tel. No 1072.

يقوم على محاربة الفساد وتحسين مستوى المعيشة للشعب المصرى كأفضل سلاح لمحاربة الشيوعية ، مع مراعاة الحصول على الضمانات الكافية بأن الجيش سوف يحمى أرواح الأجانب وممتلكاتهم(١٤٣) .

على هذا النحو تحدد الموقف البريطانى في مواجهة حركة الضباط ، وكانت الخطوة التالية هى توضيح اتجاهات السياسة البريطانية للملك ، حتى يمكن تقدير حساباته دون أن يعقد الآمال على تأييد بريطانى له ، خاصة وأن فاروق قرر للسفير الامريكى ، والذى كان على اتصال دائم به ـ أنه ما من سبيل يحميه سوى التدخل الأجنبى فما كان من القائم بأعمال السفير البريطانى الا أن أبلغ الملك من خلال السفير الامريكى بأن بلاده ترى بأن الأمر لا يعدو سوى أن يكون مسألة داخلية وأن الحكومة البريطانية لا ترغب فى الزج بقواتها فى مثل تلك المسائل ومن ثم فقد تراجع الجانب البريطانى عن تأييد الملك فى مواجهة حركة الضباط الأحرار(١٤٤) .

والحقيقة أن هذا التحرك من جانب الضباط الأحرار كان عملا من أعمال المهارة السياسية التى تحتسب لهم فى بدء حركتهم ، فقد ساعد الى حد كبير على نجاح المرحلة الأولى منها كما ساعد من جانب آخر على اخفاء نواياهم المقبلة ، وهذا بدوره قد انعكس على أوضاع قوى التأثير السياسى فى مصر عشية يوم ٢٣ يوليو فالقصر بدا عاجزاً عن مواجهة الموقف الجديد بتحدياته ، وظهر أثر ذلك فيما كان من استجابته المباشرة لمطالب الضباط الأحرار التى أبلغها محمد نجيب للهلالى على نحو ما مر بنا حيث عهد الى على ماهر بتشكيل الوزارة الجديدة لتخلف وزارة الهلالى ، وصدر مرسوم بترقية

---

(١٤٣) Ibid : Same to Same July 23, 1952, Tel. No. 1072 A

(١٤٤) Ibid : Same to Same July 23, 1952, Tel. No : 1067.

محمد نجيب الى رتبة الفريق وتعيينه قائدا عاما للجيش ، فضلا عن ابعاد فريق من حاشية الملك .

بيد أن هذا الاذعان من جانب القصر ، كان باعثا على اعتقاد الضباط الأحرار بأن الملك قد غدا مهيض الجناح دون سند حقيقى يؤازره . أما عن الجانب البريطانى فانه - وبتأثير أمريكى - أحجم عن التدخل بأى صورة وصرف جهده الى اتخاذ الترتيبات العسكرية فى منطقة القناة بهدف تأمين وجود قواته هناك ، وكذا تأمين المرور فى القناة(١٤٥) ولم يكن غائبا عن تقدير الجانب البريطانى أن تدخله سوف يفسر بأنه انحياز لجانب القصر ، وبطبيعة الحال لم يكن ليدافع عن قضية حليف ظاهر الفساد قد بدت نذر هزيمته . يتأيد ذلك الاتجاه من الجانب البريطانى بأنه عندما أرسل فاروق مبعوثا للسفارة فى اليوم التالى قابل كروسويل القائم بأعمال السفير حيث ساله المبعوث عن امكانية مساعدة الملك فرد عليه بالنفى(١٤٦) .

أما الجانب الامريكى فقد كان من الواضح أنه يبحث لنفسه عن دور مؤثر وفعال على الساحة المصرية بهدف منافسة الوجود البريطانى ، ولا ريب فى أن قيام حركة الضباط كانت فرصة سانحة للقيام بهذا الدور فلقد لعبت السفارة الامريكية فى هذه المرحلة دور الوساطة بين الضباط الأحرار من جانب وبين السفارة البريطانية والقصر من جانب آخر وبغض النظر عن النوايا فلا ريب فى أن تلك المساعى قد أسهمت فى تأمين الحركة عند قيامها . أما القوى الأخرى بما فيها الأحزاب السياسية ، فلا نكاد نرصد لها أى تحرك على الساحة ازاء تطورات الأحداث يوم ٢٣ يوليو ، اذ

---

(١٤٥) **Fo : 371/96877 : Creswell to Eden, July 23, 1952, Tel. No. 1060.**

(١٤٦) مرتضى المراغى : مذكرات مجلة أكتوبر - العدد ٥٠٣ يوم ١٩٨٦/٦/١٥ .

آثرت الانتظار مترقبة ما سوف تسفر عنه الأحـداث باستثناء الاخـوان المسلمين ، فقد كانوا القـوة الوحيدة التى قام الضباط الأحرار بالتنسيق معها قبل الحركة وكانوا على علم بكل تفصيلاتها على النحو السابق الاشارة اليه • ومن ثم كانت أوضاع القوى السياسية فى مصر عشية ٢٣ يوليـو مشجعة للضباط الأحرار كيما يتخذوا خطوتهم التالية وهى عزل الملك •

وينبغى الاشارة الى أن الفكرة لم تـكن واردة ضمن مخطط الحـركة ، يتأيد ذلك فيما أشار اليه محمد نجيب بمذكراته من أنه عقد اجتماع ليلة ٢٣ — ٢٤ يوليو تقرر فيه عزل الملك ، بعد الاطمئنان لولاء القوات الموجودة بالاسكندرية للحركة حيث جرى فى هذا الاجتمـاع اتخاذ كافة الترتيبات لوضع الفكرة موضع التنفيذ(١٤٧) • وبعبارة أخرى فقـد استهدفت الحركة فى بدايتها « تقليم أظافر » الملك وارغامه على الخضوع لمطالب الجيش دون أن يصل الأمر الى حـد التفكير فى عزله ، ثم أن الملك ذاته كان قد وقر فى اعتقاده بأن الأمر قد انتهى باستجابته لمطالب الضباط الأحرار التى أشرنا اليها(١٤٨) •

ودون اغراق فى التفاصيل قدم محمد نجيب لعلى ماهر صباح يوم ٢٦ يوليه انذار الجيش للملك بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد قبل السـاعة السادسة من نفس اليوم • وهنا عاد الدور الامريكى للظهور مرة أخرى • فالى جانب محاولات على ماهر لاقنـاع الملك بقبول طلبـات الجيش ، راح السفير الامريكى يسدى له النصح بذلك أيضـا ووعده بضمان حمـايته

---

(١٤٧) محمد نجيب : كلمتى للتاريخ ص ٤٦ •

(١٤٨) محمد احمد أنيس : ثورة ٢٣ يولية واصولها التاريخية ص ٢٠٠ •

وأسرته حتى يغادروا مصر(١٤٩) . وبطبيعة الحال لم يكن أمام فاروق سوى التنازل عن العرش لولى عهده أحمد فؤاد ، وأعلن مجلس الوصاية ليباشر السلطات الدستورية وغادر فاروق وأسرته البلاد مساء يوم ٢٦ يوليه سنة ١٩٥٢ ، ليؤرخ بذلك مغيب حكم القصر ، ويطوى آخر صفحات تاريخ حكم أسرة محمد على .

---

(١٤٩) صلاح الشاهد : المصدر السابق ص ٢٣٣ .

الخاتمة

حصاد دور القصر في السياسة المصرية

ذلكم هو الدور الذى لعبه القصر فى السياسة المصرية واسهم به فى صياغة تاريخ الحركة السياسية المصرية فى تلك الفترة ·

فلقد تمكن القصر من الاستفادة من تلك التناقضات التى شابت العلاقة بين خصومه ـ الوفد والانجليز ـ وذلك لصالح قضيته فى الحكم · ففى ظل تراجع التأثير البريطانى ظاهريا ، اثر ابرام معاهدة ١٩٣٦ ، تصور الوفد أن بمقدوره الاستيلاء على القصر ، وبينما كان يسعى الى محاولة الاستيلاء على القصر اثر غياب فؤاد عن الساحة ـ لكى ما يجنب نفسه مغبة الصدام معه ، كانت السياسة البريطانية تسعى الى مقاومة نزعات الوفد هذه مستهدفة فى ذلك الابقاء على القصر قويا تحت سيطرتها ، كيما يمكنها استخدامه كأداة لتقليم أظافر الوفد ذاته ، فى الوقت الذى كان فيه القصر يعد نفسه كيما يصبح قوة سياسية محسوبة الجانب يمكنها منازعة الوجود البريطانى نفوذه والتصدى لمحاولات الوفد للافتئات على حقوق العرش والحد من سلطاته ·

ولقد قيض للقصر أن تكتمل له أسباب القوة فى مستهل حكم فاروق فى اطار التغيرات التى طرأت على أوضاع القوى السياسية غشية ابرام المعاهدة ، فمن ناحية سعت القوى الموالية للقصر وفى مقدمتها الأزهر لاضفاء الطابع الدينى على حكم القصر ونجحت فى ذلك الى حد كبير ، ومما ساعد القصر فى منحاه هذا ما كان من توجهاته الاسلامية · ولقد بدت آثار تلك المساعى واضحة فيما تهيأ له من رصيد شعبى طيب ، ويمكن القول

بأنه في اطار توجهات القصر الاسلامية ، تأكدت مكانته السياسية على الساحة فى مواجهة علمانية القوى الوطنية وفى مقدمتها الوفد بشكل أساسي ، وانعكس أثر ذلك على الصراع بين الطرفين وظهرت أولى بوادر نجاحه فى اقصاء الوفد عن الحكم دون أن تكون هناك ردود فعل شعبية حادة على نحو ما كنا نلمسه دائما بصدد الصراع بين الطرفين ٠

ونجاح القصر فى اقصاء الوفد عن الحكم فى نهاية ١٩٣٧ ، كان يعنى من جانب آخر دخول القصر فى مرحلة من « الاستقرار السياسى » امتدت نحو سنوات خمس وكان من أبرز سماتها ما تمثل فى استقلال القصر بسلطة صنع القرار السياسى ، اذ انفرد بالحكم من خلال وزارات الائتلاف اللاوفدى ولا يحد من هذا القول ما كان من لمحات لاصدام شابت علاقة القصر بالوزارة - كمؤسسة سياسية - فى تلك الفترة ، اذ أنها جرت فى التحليل الأخير فى اطار الهيمنة الملكية على الوزارة ولا يحد من هذا القول أيضا ذلك التدخل البريطانى لاسقاط وزارة على ماهر ١٩٤٠ اذ ما لبثت دبلوماسية القصر أن نجحت فى اعادة الوزارة - كمؤسسة سياسية - الى دائرة نفوذها مرة أخرى ٠

ومن أبرز سمات هذه المرحلة أيضا بروز توجهات القصر العربية تراوده فى ذلك الآمال نحو زعامة عربية فى الخارج ، وتتوطد بها مكانته السياسية فى الداخل ٠ واذا كانت توجهات القصر هذه موجهة فى جانب منها لتأكيد مكانته السياسية فى الداخل وفى مواجهة الوفد بشكل أساسى ، فان تعاطف القصر مع قوى المحور كان بدوره موجها بالضرورة ضد النفوذ البريطانى فى مصر ، وكانت حركة القصر فى هذا المضمار تصدر عن رغبة أساسية فى منازعة الوجود الاحتلالى نفوذه فى البلاد ، لكى ما تكتمل له - أى للقصر - مقومات السلطة الفعلية فى البلاد ٠

واذا كانت سياسة القصر قد نجحت فى مواجهــة الوفد ، فانها فى مواجهة الجانب البريطانى قد أظهرت تناقضا حادا كان من أثره ، أن وصلت العلاقة بينهما الى منعطف خطير على نحو عادت معه بريطانيا الى استخدام وسائل القهر السياسى فى مواجهة القصر ، وبات أمر عزل فاروق عن العرش يفرض نفسه بصورة أكثر الحاحا فى تقديرات الجـانب البريطانى • ومن الخطأ التصور بأن التدخل البريطانى بكافة صوره ضد القصر ، كان يعكس تجاوبا مع الحركة الوطنية أو محسوبا لصالح الوفد بأى قدر • فالتدخـل هنا كان تعبيرا عن اتجاهات السياسة البريطانية ومراميها ، والرغبــة فى عدم المساس بالمصالح البريطانية فى البلاد • وتتأيد تلك الحقيقة من متابعة الظروف السياسية التى أحاطت بنقاط الانقــلاب فى العـلاقة بين القصر والسفارة البريطانية •

ولقد سعى القصر الى استلاب مقاليد السلطة فى البـلاد ، وبدأ ظاهر الاستهانة بالدستور والحكم النيابى وانحرف عن النموذج النيــابى السليم الذى يفترض أن الملك يملك ولا يحكم وهــو فى ذلك لم يتخلص من سمته التقليدية كمؤسسة للاستبداد • ترتب على ذلك أن القصر وان استمر يلعب دوره فى الســياسة المصرية ، الا انه ــ كمؤسسة سياسية ــ كان عمــلا منفصلا عن القواعد الجماهيرية وهى التى كانت عملا من أهم مقومات حركته السياسية منذ اعتــلاء فاروق العرش • وزاد الفتق عـلى الراتق ما كان من انتقال سلطة القرار الســياسى بالقصر الى أيدى عنــاصر غير مسئولة من الحاشية ، استغلت اثرتها وتأثيرها عــلى فاروق فراحت تتلاعب بمقدرات البلاد السياسية وتتدخل فى شئون الحكم والادارة من وراء ملك ضعيف ، تحركهــا فى ذلك الأهواء والمنافع الخاصة ، مما كان يعـد دالة على تصدع

الكيان السياسى للقصر وتفككه على نحو أصبح يمثل معه بؤرة للفساد والارهاب في البلاد ٠

ولقد نجح القصر فى مرحلة ما بعد الحرب فى أن يصبح أكثر القوى السياسية تأثيرا ، ففى ظل تراجع التدخل البريطانى ، تمكن من تقليم أظافر الوفد بل وتطويعه تحت اغراءات السلطة ٠ من ناحية أخرى بدا التناقض واضحا فى مسيرة القصر السياسية بين الرغبة فى الاحتفاظ بمقاليد السلطة بشكل مطلق وبين عجزه عملا عن السيطرة عليها والتوجه بالحكم وجهة تتحقق بها مصلحة البلاد ، وكان من نتيجة ذلك أن زادت الأوضاع الداخلية فى البلاد سوءا ، وأظهرت قوى النظام القائم عجزها وفشلها عن التصدى لمطالب الاصلاح الداخلى وتمثل ردا لفعل الناتج عن كل تلك التناقضات فى تحرك الجيش فى محاولة للاصلاح اقتضت أولى خطواتها تقويض الكيان السياسى القائم وقتذاك بكل قواه ومؤسساته لتؤرخ نهاية لدور القصر فى السياسة المصرية ٠

ملاحق البحث

- مجموعة محاضر بروايات شهود العيان من افراد الحرس الملكي والياوران عن وقائع يوم ٤ فبراير سنه ١٩٤٢ وحصار القوات البريطانية لقصر عابدين.

ديوان كبير الياوران

أتشرف بأن أرفع الى عتبات مولاى حضرة صاحب الجلالـه الملك المعظم المعلومات التى جمعت من كل من كان له شأن من رجال الحاشيـــه العسكريـــه الملكيـــــه الملكيـــــه فى حادث يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ . وقد أرسلت صورة منها الى ديوان جـــلالة الملك وحفظت صورة أخرى بمكتبى .

قصر عابدين العامر فى ١٠/٢/١٩٤٢ "

ديوان كبير الياوران

مـــذكـــــره

أتشرف بأن أرفع الى عتبات مولاى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم أسماء ضباط الحرس الملكى الذين أظهروا روحا معنويـــه عاليـــه فى تكناتهم يوم حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وعاونوا قائدهم معاونـــة جـــديـــه فى تهدئة الحال

لم يكن أحد من هؤلاء الضباط فى القصر العامر وقت الحادث بل كانوا جميعا بثكنات الحرس تحت الأوامر وهؤلاء الضباط هم الذين رغب مولاى ـ أعزه الله ـ فى معرفة اسمائهم فأتشرف برفعها للنظر السامى أذا تعطف مولاى بالأنعام عليهم بنوط الجداره الذهبى أو الفضى كل حسب رتبتـــــه

القائم مقـــام	أحمد ســـالم بك
البكباشى	توفيق مجاهد رضوان أفندى
الصاغ	أحمد أحمد أبو النصـــر أفندى
"	حسن حسن الألفى أفندى
اليوزباشى	عبد العليم منصور مهران أفندى
"	أحمد فريد أبو شادى أفندى
"	يوسف عبد اللـــه العجرودى أفندى
"	أحمد عبد العزيز مصطفى أفندى
"	سعد الدين متولى أفندى
الملازم الأول	سعد الدين مصطفى خليل أفندى
"	يحيى الحريـــــه أمام على أفندى
"	سعد الدين مصطفى الشوربجى أفندى

قصر عابدين العامر فى ١٠/٢/١٩٤٢

ديوان كبير الياوران

الضبـــــاط

(١) القائم مقام احمد سالم بك	(٧) اليوزباشى يوسف عبد الله العجرودى افندى
(٢) البكباشـى توفيق مجاهـد رضوان افندى	(٨) اليوزباشى احمد عبد العزيز مصطفى افندى
(٣) الصاغ احمد احمد ابو النصر افندى	(٩) اليوزباشى سعد الدين متولى افنـدى
(٤) الصاغ حسن حسن الالفى افنـدى	(١٠) الملازم الاول سعد الدين مصطفى خليل افندى
(٥) اليوزباشى عبد العليم منصور مهران افندى	(١١) الملازم الاول يحيى الحريه الم على افندى
(٦) اليوزباشى احمد فريد ابو شادى افندى	(١٢) الملازم الاول سعد الدين الشوربجى افندى

الصف ضباط والعســـاكـر

جاويش محمـد سليمان الحـاوى	وكيل اومباشى ابراهيم عليـــان
جاويش عبد الوهاب عبد العال	وكيل اومباشى سيد احمد سليمان
جاويش المتولى العيوطـى	عسكرى عبد الرحـيم محمـدين
جاويش الشربينى ابو المعاطى	عسكرى محمد ابراهيم خلاف
اومباشـى عيد متولى راجــح	عسكرى محمد ابراهيم الرفاعى رقى الى اومباشــى
وكيل امين عبد الرحمن معروف	اومباشى حسن عثمـان الســالمى من بوليس القصـور الملكيـة رقى الى جاويش

اتشــرف بأن ارفــع الى عتبــات مولاى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم اسمـاء ضـباط وصـف وعساكر الحرس الملكى وبوليس القصـور الملكيـة المذكورين بعاليـه وهـم الذين رغب مولاى ــ اعـزه الله ــ معرفـة اسمـائهـم بمناسبـة حادث يوم ٤ فـبراير سنـة ١٩٤٢ (بعد تشريف مولاى ــ حفظه الله ــ ثكنـات الحرس المـلكى)

قصـر عابدين العـــامر فى ٩ فبراير سنة ١٩٤٢

ديوان كبير الياوران

تقرير الأميرالاى عبد اللـه النجومى بك ياور جلالة الملك

الساعه ٢٠٠٥ حضر الصاغ محمد كامل أفندى والملازم الأول حسين حسنى كفافى لمكتب الياوران وقالا أن سيارات كثيره من الجيش الانجليزى مصطفه وتعمل مناوره . خرجت توا لباب المعيه وراقبت الحاله حتى وصلت باب التشريفات وعندها سمعت " Guns Out " وسمعت حمالات المدافع وبعدها الجنود نزلت واصطفت بسلاحها مركبة السونكيات . وحضر الى أحد عساكر المرور وقال " هل سمعت حضرتك أن القصر العامر محاصر الآن ؟

دخلت فورا الى مكتب كبير الياوران لأطلاعه فلم أجده . فذهبت الى الطابق العلوى نحو مكتب جلالة الملك وتقابلت مع سعادة عمر باشا وقد أمرنى بشيء أبلغه لشعراوى بك أركان حرب الحاشيه فقلت لعمر باشا " هل تعلم بأن القصر العامر محاصر تماما وأنه أنقطع من الأتصال بالخارج ؟ "

ذهبت وأبلغت شعراوى بك ما أمرنى به عمر باشا ثم ذهبت الى السلاملك ووجدت عثمان بك المهدى أمام الباب وكانت الجنود الانجليزيه تقترب من الباب ثم همت بأقتحامه وكان بالقرب منا ضابط بريطانى برتبة "ميجر" يقول كلاما لم اتبينه ولما كانت الجنود على وشك الدخول قال له عثمان بك المهدى " أن الجنود لا تدخل القصر " فنظر باستغراب فقلت له بالانجليزيه .. " No soldier is to enter the Palace " ويظهر أنه عاد لرشده بعد ذلك فأشار بيديه الاثنين وقال لجنوده " Out with you " فرجعت الجنود وعندها ظهرت عربتا ركوب ، ونصب مدفعان من طراز "برن" بجوار الباب أفواههما نحو باب السلاملك ثم أربعة بنادق من طراز تومى " Tommy - Guns " وجميعها مستعده ورهن الأشاره

عدت مرة أخرى الى باب المعيه وخرجت لأتفقد مرة أخرى فوجدت طابور الجيش قد طوق القصر تماما وعلى بعد نحو عشرة أمتار من الحائط . عدت ثانيه وصعدت للطابق العلوى وجدت شلة من ٦ ضباط أنجليز على رأس سلم السلاملك من الفرع الغربى

نزلت الى مكتب الياوران وطلبت أركان حرب الحرس البكباشى توفيق مجاهد رضوان أفندى وأمرته بأن يجهز المدافع الرشاشه مصوبة على الجنود الانجليز وأذا أطلقوا مدافعهم فعليه أن يضربهم من خلفهم وقلت له أن هذا الأمر من الأميرالاى عبد اللـه النجومى الياور

ديوان كبير الياوران

تقـــريـــــر

القائم مقـــام عثمان المهدى بك يــــاور جـــلالة الملك

فى نحو الساعه ٢٠٠٥ يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ سمعت وأنا بالمكتب حركة سيارات غير عاديه فخرجت لأستطلع الخبر فأذا بالصاغ محمد كامل أفندى يخبرنى بأن جنودا بريطانيين قادمين بلوريات فتوجهت مسرعا لباب التشريفات فوجدت الجنود تنزل من اللوريات فى مواجهـة القصـر وتنزل رشاشات وتركب السونكيات فعدت مسرعا للمكتب فوجدت عبد الله النجومى بك يجرى مسرعا على سلم الديوان العالى ليخبر كبير الياوران فتوجهت فى الحال الى باب السلاملك فوجدت سيارات السفير ومن معـه لا زالت واقفـــه على الباب ووجدت بعض الضباط البريطانيين على سلم السلاملك يصعدون وينزلون بحالة غير عاديـــه ٠ وفى هذه الأثنـاء تحركت السيارات من أمام باب السلاملك ورأيت حركة بحوش القصـــر ودخول عربـــه تأكدت بعد دخولها الحوش أنها دبابـــة× وتبعها عربتان مدرعتان ودخل كذلك جنود مشاه واتجهت نحو باب السلاملك وهذه القوه تقدر بنحو ٧٠ جنديا فوقفت بالباب بينما كان عبد الله بك النجومى فى المدخل وأراد الجنود اقتحام باب السلاملك فمنعتهم وأفهمت ضابطا برتبـــة ميجـــر أن هذا ممنوع ويستحسن أن يبقوا بالخارج فأصدر أمره الى جنوده بالبقاء خارج الباب وفى الوقت نفســـه وقف قائد البوليس خارج الباب خلف حارس القصـــر ثم عاد لى الميجر السابق ذكره وطلب منى فتح باب السور المجاور لمكتب الأمنـــاء حالا فأفهمتـــه أن هذا من اختصاص قائد البوليس فاتجـــه نحوه وقد رأيت فى هذا الوقت أن الجنود نصبت رشاشين برن ووقف أربعة جنود حاملين بندقيـــه من طراز " تومى " وفى حركة استعداد متجهين نحو باب الســلاملك وبعد فترة أراد أحد الضباط البريطانيين اعتقد أنه من المراسلين الحربيين يحمل آلة التصوير ومشعل الدخول للسلاملك فمنعتـــه بلطف فعاد من حيث أتى ولم أره بعد ذلك واستمريت أراقب الحالـــه فى داخل السلاملك وخارجـــه حتى خرج السفير وانصرفت القوه

....

× الحقيقه أن دبابتين دخلتا الحوش من الباب الكبير بعد كسره (تقرير قائد البوليس)

....

ديوان كبير الياوران

تقـــريـــــر

القائم مقـــام محمـــد مصطفى الشعراوى بك ياور جـــلالة الملك

....

حوالى الساعه التاسعـــه وعشر دقائق من مســاء يوم الأربعـــاء ٤ فبراير ١٩٤٢ أبلغنى بمكتب الياوران حضرة الصاغ محمد أفندى كامل من بوليس السراى أن دبابـــه بريطانيـــه من القوات التى حضرت بعـــد وصول السفير البريطانى لسراى عابدين العامره بفترة قصيره قد دفعت باب سور السراى الكبير فكسرت أقفاله ودخلت بحوش السراى الخارجى وتبعها فى الدخول سيارتين ونحو خمسين أو ثمانين جنديا بريطانيـــا كاملى التسليح فبادرت فى الحال بالطلوع للسلاملك لتبليغ حضرة صاحب السعاده كبير الياوران الذى كان واقفا بقرب مكتب حضرة صاحب الجلاله الملك ومعـــه الميجر برتون (Burton) أحد أعضـاء البعثـه الأنجليزيـــه بالجيش المصرى فأمرنى سعادتـــه بالوقوف مع الميجر المذكور حتى يستطيع روايتى من شباك السلاملك ولما تحقق سعادتـــه صدق ما أبلغ عاد فى الحال ووقفنا أمام المكتب الخاص حتى انتهـاء المقابله

وفى فترة استطلاع سعادتـــه ما تبلغ له ابتدرنى الميجر قائلا أتعشم أن تزول أسباب الخلاف الحالى . فأجبتـــه وهل هناك ما يستدعى كل ذلك لقد مكثت بين ظهرانينا حوالى الخمس سنوات فهل تراءى لكم من الأسباب ما يبرر سلوككم هذا . أننا أصدقاءكم ولم تبدر منا أية بادره من شأنها عرقلة أعمالكم . فأجابنى أن كل هذا من أعمال رجال السياســـه وأنه يرجو أن تزول هذه الزوبعـــه بخير .

وفى هذه الأثنـــاء سمعنا ضحكا صادرا من المكتب الخاص فقال أنها علامة حسنـــه وأتعشم أن يكون كل شىء حسنـــا . وهنـــا عاد حضرة صاحب السعاده كبير الياوران فتنحيت جانبا قريبا من المكتب الخاص أذ شعرت أن الموقف يتطلب وجودى هناك الى أن انتهت المقابله تحت صحبـــة حضرة صاحب السعاده كبير الياوران

ديوان كبير الياوران

تقـــريـــــر

حضـــرة الصاغ محمـــد توفيق زاهـــر أفندى ياورجلالة الملك

فى الساعـــــه ٢١٠٠ يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ عند ما علم أن القوات البريطانيـــه تحاصر القصر أمرت من صاحب العــزه أركان حرب الحاشيـــه العسكريـــه الملكيـــه بالتوجـــه الى حديقـــة القصر الشرقيـــه وقد توجهت وتفقدت القوات الموجوده هناك وقد لاحظت أثناء ذلك ظهور أنوار شديده تضئ الشارع وتبينت فيها قدوم دبابات وعربات بها جنود بريطانيون وعند ذلك أمرت بقفل الباب وقد راقبت الحالـه من أسفله فتبين أن الجنود قد نقلوا صناديق جبه خانـــه ومدافع وضعوها خلف الباب مباشرة وجلسوا عليها الى أن صدرت الأوامر بأنصرافهم

ديوان كبير الياوران

تقـــرير

حضــرة اليوزباشى " بحرى " عز الدين عاطف أفندى ياور جـــلالة المــــلك

فى الساعة ٢١٠٠ يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ أثناء وجودى مع باقى الياوران بالمكتب سمعنا صوت عربات غير عادية بميدان عابدين فى الوقت الذى تبلغ لنا بأن حملة بريطانية كبيرة قـد وصلت اليه وقد كلفنى الشعراوى بك استطلاع الأمر بسرعة وايجاز وكنت قد تسلحـت بالطبنجة فتوجهت الى باب التشريفات الذى كان لايزال مفتوحا وخرجت الى الميـــدان فوجدت الجنود البريطانيين قد نزلوا من صف من اللوريات الكبيرة التى وقفت موازية لســـور القصر العامر كل عربة خلف الأخرى مباشرة وعلى بعد يقدر بحوالى خمسين مترا من السور المذكور أما المشاة البريطانيون فقد اصطفوا طابورا والمواجهة للقصر بدون أى فواصــــل بين الجندى والآخر وكانوا مسلحين بالبنادق والسونكى والخوذات ثم أمروا بالتقـــدم والاقتراب حتى لم يفصلهم من السور سوى الرصيف ورأيت بوابات السور قد قفلت ولاحظـت أن العساكر قد أتمت حصار القصر من جهة الميدان تماما واكتفيت بهذه المعلومات مؤقتـا وتوجهت لتبليغها لشعراوى بك ثم صعدنا سويا للطابق العلوى من السلم المجاور لمكتـب الياوران ومنه الى مكتب حضرة صاحب الجلالة الملك حيث كان السفير البريطانى يتشــرف بالمقابلة وبصحبته قائد القوات البريطانية فى مصر وتوجه شعراوى بك لتبليغ عمر باشا فتحـــى خلاصة الحوادث وكان سعادته واقفا خارج المكتب الملكى أما أنا فبقيت بأعلى سلم التشريفات لأراقب أربعة ضباط بريطانيين وقفوا هناك منتشرين وهم بخلاف الملحق الجوى بالسفـــارة البريطانية (ورتبته قائد سرب) وياور قائد القوات البريطانية فى مصر (الصاغ برتــــون) اللذان وقفا أمام المكتب الملكى وحضر اسماعيل تيمور بك وأشار عليهم بالدخول فى احـــدى الصالونات فدعيتهم لذلك الا أنهم فضلوا البقاء فى مكانهم ولقد لاحظت على اثنين منهـم أنهم كانوا فى حالة نفسية غير عادية ولو أنهم حاولوا التظاهر بخلاف ذلك .

وبعد ذلك وقفت مع أقدم ضابط من الأربعة وكان برتبة صاغ وتناولنا الحديث فعلمت أنه كان يخدم فى عدن منذ أثنى عشر عاما وأنه مكث هناك ست سنوات كان قد تعلم فى خلالهـا اللغة العربية الا أنه نساها الآن كما علمت أن للجنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر ياوران اثنان أحدهم برتبة يوزباشى وكان ضمن الأربعة الذين كنت أراقبهم أما باقى الاربعة فكانوا من أركانحرب الجنرال المذكور ولقد لاحظت أنهم لم يحملوا طبنجات ظاهرة .

وبعد ذلك تناولت حديث مع الصاغ برتون هذا خلاصته :

أنا — Do'nt you think you have gone too far ?

هو — I think we have.

أنا — One would think there was something really important.

فهز رأســه بما يفهم منـه الموافقـــه ثم قال :

هو — These demonstrations which shouted for Rommel are only hooligans.

أنا — Do you expect Egypt to be 100% pro-British ?

هو — Certainly not

أنا — Are people in England 100 % for the war?

هو — No. On the contrary at the beginning they were 70% against.

أنا — Then why do you expect everybody to be anti-German? After all they do not represent public opinion. In fact, in one case , I heard that the man who shouted for Rommel was roughhandled by the crowd.

وعقب ذلك خرج السفير البريطانى من الحضرة العلية وكانت بادية عليه حالة نفسيـــة لم أشهدها عليه أبدا من قبل فـقد كان عبوس الوجه وخيل الىّ أنه مبتل عرقا ولم يفه بكلمة لأحد بخلاف عادته وتبعه قائد القوات البريطانية فى مصر الذى ابتسم وحيانى فبادلتـــه التحيـــة .

هم السفير والجنرال والضباط بالانصراف وبقى عمر باشا وشعراوى بك أمام المكتب الملكى وكلفنى شعراوى بك بأن أتبعهم للباب وبوصولنا أمام باب السلاملك وجدت عبد الله النجومى بك وعثمان المهدى بك هناك ولقد اصطف أمام الباب المذكور فى محاذاة الأعمدة مشـــاة بريطانيين بعضهم مسلح بمدافع Tommy ووقف خلفهم فى حوش السلاملك حوالى أربعـــة صفوف من المشاه كل عسكرى خلف الآخر والمواجهة الى باب السلاملك وتقدر القوة بفصيلتين وكانوا بقيادة اثنين من الضباط ولقد لاح خلف المشاه فى الظلام أشباح دبابات بريطانيـــة

دخلت سيارة صالون بريطانية أمام باب السلاملك وظهر عندئذ ضابط بحرى بريطانـــى برتبة بكباشى ولقد عجبت من وجوده هناك وبعد تبادل الأوامر استقلها بعض الضبـــاط ضمنهم الضابط البحرى وانحرفت ثم تبعها عربة السفير ثم تبعها سيارتان استقلها باقـــى الضباط البريطانيون الأركان حرب الذين كانوا بالطابق العلوى .

وبعد انصراف العربات توجهت الى الحارس المصرى أمام باب السلاملك اذ لاحظـت أنه مجرد من السلاح فأخبرنى أن الانجليز أخذوا سلاحه فتوجهت الى الضابط البريطانى قائد القوة التى كانت داخل حوش السلاملك وطلبت منه اعادة سلاح الحارس اليه فأمر بذلك

وأعيدت البندقية والسونكي الى الحارس ولما سألته هل كل شيء تمام أجاب بأن جفير السونكي لايزال معهم فطلبت من الضابط البريطاني اعادته فتوجه بنفسه وأحضره (ولقد لاحظت أن سلاح الحارس كان قد وضع على الأرض فى منتصف الطوابير التى كانت داخل الحوش) ثم أخبرنى الحارس بأن مشطين من الجبخانه أخذتا منه فطلبت من الضابط اعادتهما وفعلا بعد ثوانى حضر صف ضابط من مؤخرة الطابور وأعاد الجبخانه ثم تأكدت أن باقى الحرس لديه أسلحته قبل أن ينصرف الضابط البريطانى وقوته .

فى هذه اللحظة حضر الى الصاغ محمد كامل من بوليس جلالة الملك وأخبرنى أن البريطانيين قد قبضوا على الملازم أول أحمد فتحى رجب خارج سور القصر فطلبت منه أن يدلنى اليه وبوصولنا هناك وجدته واقفا على الرصيف أمام سور القصر وقد وقف على حراسته حارس بريطانى مدجج بالبندقية والسونكي فخاطبنى الحارس البريطانى قائلا :

" He is under arrest ".

ولما سألته السبب قال :

" These are my orders ' sir . "

فسألته من أعطاه هذا الأمر وأين هو فقال أن ضابطه أعطاه الأمر ويعتقد أنه موجود فى هذه الناحية مشيرا الى باب التشريفات فمشيت بضع خطوات فالتقيت بضابط بريطانى وسألته عن سبب القبض على فتحى أفندى خصوصا وأنه أحد ضباط بوليس جلالة الملك فقال أنه لايعلم شيء فسألته أن يرافقنى لتحرى الموضوع فتوجه الى الحارس البريطانى وسأله عن السبب فرد عليه الحارس نفس الرد الذى قاله لى فسأله الضابط البريطانى عن اسم صاحب الأمر وفى هذه اللحظة حضر ضابط بريطانى آخر (يلوح لى أنه هو الذى أعطى أمر القبض) وقال أن فتحى أفندى كان يسير بجوار السور ولذا قبض عليه فقلت عجبا ولماذا لاتقبض علىّ أنا أيضا وعندئذ قال :

" Alright ' Sentry . Let him go ."

وانصرفنا وتوجهت الى مكتب كبير الياوران لمقابلة شعراوى بك واطلاعه على ماحدث وأن القوات البريطانية بدأت تنصرف

بعد قليل نزلت مع شعراوى بك الى مكتبنا حيث تبلغ الينا أن المشاه البريطانيين خارج القصر ثابتين فى مراكزهم فطلب الى شعراوى بك تحرى الأمر فتوجهت الى خارج باب التشريفات حيث تقابلت مع ثلاثة ضباط بريطانيين واثنين صف ضباط كانوا يقومون بالطواف على الجنود المشاه المصطفين أمام القصر بالميدان فتبادلنا الحديث ومنه فهمت أنه لم يصلهم الأمر بعد بالانصراف (والظاهر أن قيادتهم منفصلة عن قيادة القوة التى كانت داخل حوش السلاملك) فعدت وأبلغت الأمر لشعراوى بك ثم عمر باشا فتحى .

عدت للمكتب وبعد برهة وجيزة تبلغ الى من التشريفات بأن رفعة شريف باشا صبـــرى موجود خارج القصر وأن البريطانيين يمنعونه من الدخول فتوجهت مسرعا الى خارج باب التشريفات فوجدت أن المشاه البريطانيين يمنعون الدخول الى القصر والخروج منه ورأيت رفعة شريف باشا يسير بمحاذاة صف المشاه البريطانيين وعلى الجانب الآخر منه ويتبعـــه حافظ رمضان باشا وشخص آخر والحمد لله تمكنت من اختراق الصف واتصلت برفعة شريف باشا وسألته أن يستريح قليلا ريثما اتصل بالضباط البريطانيين وتوجهت الى أقرب ضابط وسألته كيف يمنع من هو من العائلة المالكة من دخول القصر فقال أنه يأسف ولكن الأوامر لديه تمنع أى دخول وخروج الى ومن القصر فسألته أن يرشدنى الى قائده وبعد البحث عثرنا أخيـــرا عليه وكانوا ينادونه " The Colonel " وبعد أن فسرت الموضوع قال

" Alright . The Exercise is ended . "

وعليه سمح لرفعة شريف باشا وكثيرا من الزعماء الذين كانوا قد تجمعوا بالقرب منـــه للدخول الى القصر .

وبدأت المشاه البريطانيين خارج القصر فى التجمع وركوب اللوريات وكانت الساعة حوالى ٢٢٣٠ فعدت للمكتب وأبلغت هذا لشعراوى بك

تحريرا بقصر عابدين العامر فى ٧ فبراير ١٩٤٢

ديوان كبير الياوران

تقرير

الاميرالاى احمد صادق بك قائد بوليس القصور الملكية

فى الساعة ٥٠٠ ر ٨ مساء يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ حضر سعادة السفير البريطانى السير مايلز لامبسون للتشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بقصر عابدين العامر وكان معه الجنرال ستون وستة من الضباط البريطانيين بملابسهم العسكرية فى سيارتين عاديتين وكان بجوار السيارة الاولى وبها سعادة السفير موتوسيكل بالجانب الايمن وآخر بالجانب الايسر ودخلتا من الباب الاول بالسور الحديدى المجاور لباب التشريفات وهو المعتاد دخوله منه ثم وقفت السيارتين امام باب السلاملك وانتظرتا به واما الموتوسيكلين فوقفا خارج السور ٠

وحوالى الساعة ٥ ر ٩ مساء وصلت القوات البريطانية عن طريق شارع السلطان حسين وانعرج قسم منها الى ميدان عابدين الى ان وصلت لتقاطع شارع حسن الاكبر واستمر القسم الآخر الى شارع باب باريز وسار به حتى وصل لتقاطع شارع حسن الاكبر وعلمنا ان قسما آخر وصل عن طريق ميدان باب الخلق فشارع سامى باشا البارودى فحسن الاكبر حيث اتصل بباقى القوات وبذلك تم حصار القصر العامر من جميع جهاته وكذا حصار مبانى قشلاق الحرس المشاة الملكى من بعض جهاته وكانت تلك القوات من المشاة والمدافع الرشاشة فى سيارات لورى وبعض الدبابات كانت محملة فى سيارات كبيرة وكذا سيارات مصفحة وقد وقفت السيارات جميعها خلف بعضها بدون فراغ فى وسط الميدان والشوارع المحيطة بالقصر ولما تم ذلك نزلت الجنود من السيارات وكذا الدبابات وتقدمت الجنود بالسلاح حتى التصقت باسوار القصر ولما شعرنا بهذه الحركة من اولها اخطرنا حضرة صاحب السعادة كبير الياوران ثم اسرعنا بغلق جميع الابواب الخارجية والداخلية غلقا محكما وجمعنا قوة عساكر البوليس والضباط بطبنجاتهم وعززنا بهم جميع ابواب القصر ٠ ثم طلب احد البريطانيين من البوليس المعين على باب السور الحديد الكبير الاوسط بالميدان فتحه فرفض فهدده بضرب النار ان لم يفتح فاصر على عدم فتح الباب ووقتئذ وصل حضرة الملازم اول احمد فتحى رجب افندى الى ذلك الباب من الخارج بالميدان فوجد بعض الجنود يحاولون كسر الباب الصغير فطلب احد الضباط البريطانيين منه فتح الباب فافهمه بانه لا يمكنه فتحه وعندئذ امر الضابط البريطانى بعض عساكره بوضعه تحت الحراسة فاحاطوا به بالبنادق مركبا عليها السونكيات وظل تحت حراستهم حتى صدر الامر بسحب القوات فتركوه بعد التفاهم معهم ٠ وفى اثناء ذلك تقدمت دبابتان خلف بعضها ودفعت الاولى الباب الكبير بمقدمها ففتح ووصلتا للحوش ووقفتا بين الباب المذكور وباب الحرملك الخارجى وكان بعض من العساكر البريطانيين قد كسروا قفلى البابين الصغيرين المخصصين لعساكر الحرس الخيالة ووصلوا الى الحوش ويقرب عددهم من المائة

بعده

ديوان كبير الياوران

وتقدم البعض نحو باب السلاملك برئاسة صاغ ويوزباشى وملازم وارادوا الدخول من ذلك الباب فاعترضتهم وافهمتهم بان مثل هذا العمل غير لائق وطلبت منهم اعادة الجنود خارج السور فرفضوا ووقفت الجنود شاكية السلاح والمدافع الرشاشة امام الباب ثم تقدم اليوزباشى من حضرة الملازم اول حسين حسنى كفافى افندى الذى كان واقفا امام باب السلاملك واراد سحبه من ذراعه فجذبه منه فاصدر امره الى عساكره فاحاط به اربعة من الجنود احدهم ببندقية سريعة الطلقات وآخر بطبنجة واثنان بالبنادق مركبا عليها السونكى وطلبوا منه عدم التحرك ثم تقدم اربعة عساكر آخرين من الاومباشى حسن عثمان الذى كان بجوار باب السلاملك وارادوا انتزاع طبنجته فرفض تسليمها اليهم واستعملوا القوة بايديهم فنتج عن ذلك التواء شديد بابهام يده اليمنى ولم يتمكنوا من اخذ الطبنجة منه وعندئذ حضر الصاغ الانجليزى وبعد ان تفاهمت معه امر بترك الضابط حسين حسنى كفافى افندى والاومباشى حسن عثمان .

وقد علمنا ان الجنود البريطانيين يحاولون كسر باب الخاصة فارسلنا اليهم حضرة الصاغ محمد كامل افندى الى الباب المذكور فوجدهم يدقون الباب من الخارج بشدة ولما لم يتمكنوا من بغيتهم بتلك الوسيلة تركوه .

وخلال تلك المدة كانوا يمنعون الخروج من القصر والدخول اليه وبعد خروج السفير البريطانى ومن معه من الضباط انسحبت جميع القوات من داخل الحوش ثم انضمت للقوات الخارجية وانتظرت ما يقرب من نصف ساعة وبعد ذلك انصرفت نهائيا .

وفى الصباح عثر العسكرى محمد بيومى عمر من المعينين بشارع حسن الاكبر بملابس ملكية على طلقة بندقية ومشط خالى من الجبه خانه بالشارع المذكور بجوار سور القصر .

وكذا عثر المدعو سند الفراش على طلقة بندقية بجوار المنتزه امام باب المعية وقد قدمنا الطلقتين والمشط لحضرة صاحب السعادة كبير الياوران .

ديوان كبير الياوران

اقوال ضباط وعساكر بوليس القصور الملكية

فى ٧/٢/١٩٤٢ الساعة ٩ صباحا

بمعرفتى انا الصاغ محمد كامل ببوليس جلالة الملك بقصر عابدين العامر اثبت الآتى

بناء على تكليفى من قبل حضرة صاحب العزه قائد بوليس جلالة الملك باخذ اقوال جميع من حصلت معهم حوادث فى مساء يوم ٤/٢/١٩٤٢ قد سألنا حضرة الضابط احمد افندى فتحى رجب قال ٠ ـ

انا الملازم اول احمد فتحى رجب ببوليس جلالة الملك اقول ٠

بعد حضور سعادة السفير البريطانى فى مساء يوم ٤/٢/١٩٤٢ وحوالى الساعة ٩ر٥ مساء شعرنا بحضور القوات البريطانية آتية من جهة شارع السلطان حسين ورايتها تواصل سيرها فى الميدان نحو شارع ابراهيم باشا وكانت مكونة من عدة سيارات كبيرة محملة بالجنود وبعضها محمل بالدبابات واخرى مصفحة ولما وصلت مقدمتها الى تقاطع شارع حسن الاكبر وابراهيم باشا وقفت جميعها خلف بعضها ونزل منها الجنود واحاطوا بالقصر وفى اثناء ذلك ابلغت حضرة صاحب العزه القائد فامرنى باعادة المرور على الابواب وكانت قد اغلقت للتشديد على المعينين عليها بعدم فتح الابواب مطلقا فرجعت مسرعا نحو الباب الحديد الاوسط وكانت القوات البريطانية قد انتظمت متراصة على طول السور وعندما وصلت للباب المذكور شاهدت بعضا من الجنود داخل الخوخة المعدة لوقوف عساكر السوارى يحاولون كسر قفل وجنزير باب الخوخة المذكورة وعندئذ طلب منى احدهم مفتاح الباب فقلت له انه ليس معى ولا يصح له كسره وتحركت للرجوع نحو باب التشريفات حيث انى كنت من الخارج فما كان من احد الضباط ان امر الجنود بوضعى تحت الحراسة فالتف حولى بعض الجنود ببنادقهم مركبا عليها السونكيات مصوبة نحوى وقال احدهم بانى اذا حاولت التحرك سنطلق عليك النار وبقيت على تلك الحالة حتى صدرت الاوامر بانصراف القوات وحضر حضرة الضابط حسين افندى كفافى حيث شاهدته يسير بداخل السور فناديت عليه وابلغته بانى موضوع تحت الحراسة فذهب وعاد مع حضرة الصاغ محمد افندى كامل وحضرة اليوزباشى عز الدين افندى عاطف الذى تفاهم مع بعض الضباط البريطانيين وامر احدهم الجنود فتركونى وكنت اثناء وقوفى تحت الحراسة بجوار السور من الخارج شاهدت دبابتين اقتحمتا الباب الكبير الاوسط ودخلتا منه الى الحوش كما دخل بعض الجنود وانتشروا بالحوش وامام باب السلاملك ثم شاهدت خروج السفير ومن معه من الضباط بالسيارتين العاديتين وبعد ذلك انصرفت جميع القوات وهذا ما حصل ٠ تمت اقواله واصر عليها وامضى ٠

ملازم اول احمد فتحى رجب

ديوان كبير الياوران

سألنا الاوباشى احمد سعيد قال : ـ

انا الاوباشى نمرة ٦١ احمد سعيد حسن من قوة بوليس جلالة الملك اقول :

انا كنت معينا بالنقطة نمرة ٤ على الباب الحديد الكبير الاوسط فى يوم ١٩٤٢/٢/٤ من الساعة ٣٠ ر ٥ مساء وحوالى الساعة ٥٠ ر ٨ مساء دخل سعادة السفير البريطانى بسيارتين من الباب الحديد الاول المجاور لباب التشريفات وكان معه موتوسيكلين انتظرا خارج باب السور الحديد ونحو الساعة ٥ ر ٩ مساء شاهدت سيارات كبيرة وكثيرة حضرت خلف بعضها من جهة شارع السلطان حسين وسارت بالميدان الى ان وصل مقدمها بتقاطع شارعى حسن الاكبر وابراهيم باشا ثم وقفت السيارات خلف بعضها وكانت بها جنود بريطانيين ودبابات وسيارات مصفحة فاسرعت لغلق الباب بالمفتاح والترباس وكانت ابواب الخوختين مقفلة بالقفل والجنزير وذلك كالاوامر التى صدرت لى ثم وقفت بداخل الباب وقد حضر لى بعض العساكر لتعزيز الباب ثم رايت القوات البريطانية نزلت من السيارات ووصلت الى السور والى الباب متراصة وبعد ذلك وصلت دبابتين خلف بعضهما ووقفتا على بعد خمسة امتار تقريبا ثم نادى على احد الواقفين امام الباب وكان يتكلم باللغة العربية وقال لى "افتح الباب" فانا قلت له علشان ايه فقال افتح فقلت له انا لا يمكنى فتح الباب الا بامر رئيسى فقال ان لم تفتح الباب فسنضربك بالنار فقلت له انا لا افتح الباب واثناء ذلك دخل بعضهم فى مكان الخوختين وصاروا يكسرون فى القفل والجنزير بالبابين الصغيرين وعندئذ ارسلت احد العساكر الذين معى لتبليغ رؤسائى عن ذلك وفى نفس اللحظة تقدمت الدبابتين وخبطت الاولى الباب الكبير الاوسط بمقدمها فلم يفتح ثم رجعت للخلف قليلا وعادت الكرة مرة ثانية ففتح الباب وذلك بالتواء الترباس وخروج لسان الكيلون من مكانه وكسرت بعض القطع البرونز الموضوعة كحلية بالباب وكذا زجاج الفانوس الموضوع باعلى الباب ثم دخلت الدبابتين الى الحوش ووقفتا بين الباب المذكور وباب الحرملك فى وسط الحوش وفى ذلك الوقت تمكن الجنود من كسر القفلين والجنزيرين بباب الخوختين ودخل منهما بعض العساكر بالبنادق والمدافع الرشاشة وكانوا حوالى مائة فارسلت فى الحال احد العساكر وبلغ حضرة صاحب العزه القائد ثم انتشروا داخل الحوش وباب السلاملك وفى نفس الوقت التف حولى بعض الجنود وارادوا اخذ الطبنجة منى فرفضت وظلوا واقفين حولى وكذا وقف بعض الجنود امام الباب لمنع احدا منا من الاقتراب اليه او محاولة غلقه وظلوا بهذه الصفة الى ان خرج سعادة السفير البريطانى ثم انصرفت القوات من الحوش وكذا الدبابتين ثم بعد ذلك تجمعوا بالميدان الخارجى وانصرفوا وهذا ما حصل امامى .

تمت اقواله واصر عليها وامضى .

احمد سعيد حسن

ديوان كبير الياوران

سألنا الأونباشى حسن عثمان قال

أنا الأونباشى نمرة ٧١ حسن عثمان السالمى من قوة بوليس جلالة الملك أقول

أنا كنت معينا على الباب الحديد المجاور لباب التشريفات فى يوم ٤/ ٢/ ١٩٤٢ وحوالى الساعة ٨٫٥٠ مساء حضرت سيارتين ركوب عاديتين بهما سعادة السفير البريطانى وبعض ضباط بريطانيين بملابسهم العسكرية ودخلنا الى باب السلاملك وكان بجوار السيارة الأولى موتوسيكلين أحدهما بالجنب الأيمن والآخر بالجنب الأيسر وانتظرا خارج الباب ولم يدخلا وفى نحو الساعة ٩٫٥ مساء رأيت سيارات كبيرة من سيارات الجيش البريطانى حضرت من جهة شارع السلطان حسين وواصلت السير خلف بعضها الى أن وصلت لتقاطع شارعى حسن الأكبر بأبراهيم باشا ثم وقفت جميعها وبها عساكر انجليز ودبابات وسيارات مصفحة وكنت أغلقت الباب ووقفت خلفه من الداخل وشاهدت العساكر الانجليز نزلوا من السيارات ثم تقدموا نحو السور متراصين على طول السور الحديدى وفى تلك اللحظة حضر الىّ أحد الضباط الأنجليز من الذين كانوا بالسيارتين مع السفير البريطانى وعسكريين معه وطلبوا منى فتح الباب ولانى كنت تلقيت الأوامر أثناء مرور حضرة الضابط أحمد أفندى فتحى بعدم فتح الباب مطلقا رفضت بتاتا فمسكوا فىّ فقلت لهم بأن المفتاح ليس معى وأثناء شاهدت العساكر البريطانيين تكاثرت بداخل الحوش ووقفوا أمام باب السلاملك حضر نحوى والثلاثة الأنجليز السالف ذكرهم بعض من الانجليز الذين انتشروا بالحوش فأفهمهم الضابط الذى كان طلب منى فتح الباب بأن المفتاح معى وكانوا سحبونى للقرب من باب السلاملك وحينئذ تكاثر على بعض العساكر يريدون أخذ طبنجتى فأنا لم أمكنهم من ذلك فمسك اثنين منهم ذراعى ويدى اليمنى وجذبونى بشدة فحصل بأبهام يدى اليمنى التواء شديد وكنت أثناء ذلك استغيث فحضر لى حضرة الضابط حسين أفندى كنانى وتكلم معهم فلم يتركونى فابلغ حضرته حضرة صاحب العزة القائد حيث كان عزته واقفا أمام باب السلاملك وشاهدت العساكر احتاطوا بحضرة الضابط حسين أفندى كنانى ورفعوا عليه البنادق بالسونكيات ثم بعد ذلك تكلم سعادة البك القائد مع الضابط الأنجليزى الذى أمر بتركى فتركونى وكذا رأيتهم يتركون حضرة الضابط حسين أفندى كنانى وبعد ذلك دخلت الى داخل القصر حيث أرسلتنى حضرتك للاجزاخانة لأسعافى وهذا ماحصل .

تمت أقواله وأصر عليها وختم .

سألنا حضرة الضابط حسين أفندى كنانى قال

أنا الملازم أول حسين حسنى كنانى ببوليس جلالة الملك أقول

حوالى الساعة ٩٫٥ مساء يوم ٤/ ٢/ ١٩٤٢ شاهدت قافلة بريطانية من السيارات المحملة بالجنود وأخرى مصفحة ولوريات تحمل دبابات آتية من جهة شارع السلطان حسين وسارت بميدان

عابدين حتى وصل مقدمها الى تقاطع شارع حسن الأكبر وابراهيم باشا ثم وقفت خلف بعضها فأسرعت بأخطار حضرة صاحب العزة القائد وحضرات الياوران بمكتبهم وتوجهت مع حضرة صاحب العزة القائد الى باب السلاملك حيث علمنا بدخول دبابتين وبعض الجنود الى الحوش من الباب الكبير الأوسط بالسور الحديد فوجدنا الجنود آتيين نحو باب السلاملك بسلاحهم بالبنادق المركب عليها السونكيات والبنادق السريعة الطلقات والبعض بالطبنجات فى أيديهم وأرادوا الدخول من باب السلاملك فاعترضهم حضرة صاحب العزة القائد وكان الجنود محاطين بعزته بالسلاح وبعد أن تفاهم عزته مع الصاغ رئيسهم عادوا الى أول السلم ولكنهم رفضوا العودة للخارج وعندئذ سمعت صوت استغاثة الأنباشى حسن عثمان وكان بالقرب منا فأسرعت اليه فوجدته محاطا بالعساكر يريدون انتزاع طبنجته بالقوة بأيديهم وتفاهمت معهم ليتركوه فرفضوا ولما أسرعت بأبلاغ حضرة صاحب العزة القائد أمسك بذراعى يوزباشى أنجليزى وأراد سحبى الى الحوش فجذبت ذراعى منه فأصدر أمرا للجنود فتقدم أربعة أحدهم ببندقية سريعة الطلقات مصوبة الى وجهى وآخر بطبنجة فى جنبى الأيسر واثنين بالبنادق مركب عليها السونكى فى ظهرى وقال لى اليوزباشى لاتتحرك من مكانك لأن لديه أوامر بذلك فوقفت حتى أن حضر الصاغ الانجليزى وأمر جنوده بأخلاء سبيلى والأنباشى حسن عثمان فتركونا ثم نزل سعادة السفير البريطانى وخرج مع من حضر معه من الضباط وبعد ذلك حضرت أنت وأبلغت حضرة صاحب العزة القائد بعدم وجود حضرة الضابط أحمد أفندى فتحى وترجح بأنه موضوع تحت الحراسة وأرسلنى حضرة صاحب العزة القائد للبحث عن مكان وجوده فاتجهت نحو السور من أوله ووجدت حضرته محاطا بالجنود بالسلاح خارج السور ما بين الباب الكبير والباب المجاور للتشريفات ولما شاهدنى حضرته نادى على وأخبرنى بأنه موضوع تحت الحراسة فأسرعت بأبلاغ حضرة صاحب العزة القائد بمكانه فارسل معى حضرتك وحضرة اليوزباشى عز الدين افندى عاطف حيث تركوه بعد التفاهم مع رئيس القوة وبعد ذلك انسحبت القوة الداخلية والدبابتين الى الخارج وانضمت لقوة الميدان حيث انصرفت بعد تجمعها وهذا ماحصل ٠

تمت أقواله واصر عليها وأمضى ٠

م ٠ أول حسين حسنى كتانى

سالنا الجاويش ابراهيم الشربتلى قال

أنا الجاويش نمرة ٢١ ابراهيم الشربتلى من قوة بوليس جلالة الملك اقول

اثناء انتشار الجنود البريطانيين بالحوش أمرنى حضرة صاحب العزة القائد بان اتوجه الى باب الحرملك واتاكد من وجود العساكر خلف الباب الذى كان مغلقا ومنع اذا حاول احد الدخول منه من عدمه فتوجهت الى هناك ولكن عندما سرت مسافة خمسين مترا تقريبا قابلنى ستة من الجنود البريطانيين رافعين البنادق والسونكيات والتفوا حولى وارجعونى الى الخلف الى ان وصلت بالقرب من باب السلاملك فمسكوا بى وارادوا اخذ الطبنجة منى فلم [illegible] من ذلك [illegible] بسعادة البك القائد وشاهدت عزته يتكلم مع صاغ انجليزى وبعدها تركونى بعد ان امرهم الصاغ بتركى وهذا ما حصل ٠ تمت اقواله واصر عليها وختم

[illegible] فى تاريخه وساعته ٠ صاغ محمد كامل

ديوان كبير الياوران

فى الساعة ٥٠ر ٨ مساء يوم ٤/ ٢/ ١٩٤٢ دخل سعادة السفير البريطانى من الباب الحديدى المجاور للتشريفات بسيارتين عاديتين ومعه الجنرال ستون وستة من الضباط البريطانيين بملابسهم الرسمية العسكرية ونزلوا امام باب السلاملك حيث انتظرت السيارتين امام الباب وكان يرافقه موتوسيكلين بقيا بالخارج واثناء وجودى امام باب المعية فى الساعة ٥ر ٩ مساء رأيت سيارات كثيرة محملة بالجنود البريطانيين وسيارات مصفحة واخرى محملة بالدبابات آتية من جهة شارع السلطان حسين وواصلت السير حتى تقاطع شارعى ابراهيم باشا بحسن الاكبير ثم وقفت خلف بعضها بدون اى فاصل وفى وسط ميدان عابدين فاسرعت بارسال من يبلغ حضرة صاحب العزه القائد الذى امرنى بغلق جميع الابواب الخارجية والداخلية وتقويتها بالعساكر وعدم فتح اى باب او عمل اى شئ بدون امر مع ضبط النفس واسرعت بتنفيذ جميع ذلك فى الحال واثناء ذلك كانت الجنود الانجليزية قد نزلوا من السيارات وتقدموا منتشرين الواحد بجوار الآخر باسلحتهم المختلفة حتى التصقوا باسوار القصر من جميع جهاته حيث علمت بذلك عند مرورى لتعزيز النقط والتنبيه على العساكر بما امرت به ولما عدت الى باب السلاملك الداخلى وجدت حضرة صاحب العزه القائد والجنود البريطانيين امام باب السلاملك ومنتشرين بالحوش وبوسطه دبابتين وعندئذ اسرع نحوى احد عساكر البوليس من الداخل واخبرنى بان الجنود البريطانيون يحاولون كسر باب الخاصة فابلغت حضرة صاحب العزه القائد وامرنى بالتوجه اليه حالا فاسرعت نحوه فوجدت الباب مغلقا وخلفه عساكر البوليس والجنود البريطانيين يدقون الباب بشدة من الخارج ثم كفوا عن ذلك بعد قليل ولم يحصل بالباب شئ ولم يدخل منه احد ثم مررت بجميع النقط والابواب الاخرى فوجدتها سليمة ولم يحصل بها شيئا ولكنى لم اجد حضرة الضابط احمد افندى فتحى رجب بداخل القصر فعدت لباب السلاملك وفى طريقى اليه قابلنى الاومباشى حسن عثمان رافعا يده اليمنى بيده اليسرى وابلغنى بما حصل له ووجدت بابهام يده اليمنى التواء شديد فارسلته للاجزاخانة لاسعافه ولما وصلت لباب السلاملك حيث كان به حضرة صاحب العزه القائد وحضرة الضابط حسين افندى كفافى علمت بما حصل فى تلك الجهة ثم نزل سعادة السفير البريطانى وخرج ومن معه من الضباط وقد صدرت الاوامر بانصراف القوات فابلغت حضرة صاحب العزه القائد قبل انسحاب القوة من الداخل بعدم وجود حضرة الضابط احمد افندى فتحى بالداخل ورجحت ان يكون موضوعا تحت الحراسة كما حدث للآخرين فكلف عزته حضرة الضابط حسين افندى كفافى بالبحث وقد عاد بعد قليل حيث وجده تحت الحراسة خارج السور ما بين الباب الحديدى الكبير والباب المجاور للتشريفات فتوجهت مع حضرة اليوزباشى عز الدين افندى عاطف نحوه وطلب حضرته من الجاويش الذى كان يرأس العساكر المحيطة به باخلاء سبيله فرفض فاحضر اليوزباشى الذى كان مع القوة من الداخل حيث امر بتركه ثم

بعده

الـسـيـة القـوة والدبابتين من داخل الحوش وانضمت الى باقى القوات بالميدان وانصرفت بعد ان تجمعت .

صـالح محمـد كامـل

انا العسكرى فرج محمـد يوسف من البوليس المخصوص بقصـر عابدين العامر اقرر الآتى .

يوم امس الموافق ٤ فبراير الجارى بينما كنت معينا بالنقطـة نمرة ١ بشارع سيدى حسن الاكبر المجاور لقـصـر عابدين العامر لاحظت فى حوالى الساعة ٤٥ ر ٨ مساء قدوم سيارات لورى كثيرة العدد وبهـا جنود بريطانيون من جهـة ميدان عابدين الى شارع ابراهيم باشـا ومنه اتجهت لشارع حسن الاكبر وكانت خلف بعضهـا وعندمـا وصل اولهـا لتقاطع شـارع حسن الاكبر بشارع جـامع عابدين وقفت عن السير ونزل منهـا الجنود الانجليز ببنادقهم ووقفوا بجوار سور القصـر الملكى بهيئة كردون على طـول السور الكائن بشارع حسن الاكبر فاسرعت الى المكتب بالقشلاق وابلغت فورا بذلك ثم عدت الى نقطتى بنفس الشارع فى مقابل الباب نمـرة ١٧ وبقيت واقفـا حتى انصـرف هؤلاء الجنود بسياراتهم فى الساعة ٥٥ ر ٩ مساء تقريبـا وقد اتجهوا عند انصرافهم الى شارع العنافيرى الواقع خلف قشلاق الحرس الملكى وهـذا قولى .

تمت اقـواله وامضـى .

فـرج محمـد يوسـف

انا العسكرى محمود محمـد مكاوى من البوليس المخصوص بقصـر عابدين العامر اقرر الآتى .

حوالى الساعـة ٤٥ ر ٨ مساء امس الموافق ٤ الجارى كنت معينا بالنقطـة نمرة ٣ بشارع السلطان حسين (العدولى سابقـا) بالقرب من باب الخاصـة لاحظت قدوم سيارات لورى كـبيرة تابعة للجيش البريطانى كانت قادمـة بكثرة من جهة وزارة الداخليـة الى شارع الشيخ ريحـان فميدان عابدين وكانت خلف بعضهـا الى ان وصل اولهـا لقرب الباشحرس فتوقفت عن السير واطفأت نورهـا الامامى وجعلت مقدمتهـا فى نفس اتجـاه السيرالى لجهة قصـر عابدين ثم ابتـدأ بعض جنودهـا فى النزول فاسرعت بابلاغ الاومباشى السيد احمـد سلامه المعين على باب المعية وقام هو باخطار مكتب البوليس بذلك واسرعت انا من داخل القصـر الملكى الى مكتبنـا بالقشلاق للتبليغ عن ذلك ثم عـدت الى باب المعيـة وبقيت بجـواره الى ان انصرفت القوات البريطانية فى حوالى الساعـة ١٠ مسـاء تقريبـا وهـذا قولى .

تمت اقوالـه وامضـى .

محمـود محمـد مكاوى

انا العسكرى محمـد بيومى عسر من البوليس المخصوص بقصـر عابدين العـامر اقرر الآتى .

استلمت الخدمة فى الساعـة ١ افرنكى صباح اليوم بالنقطـة نمرة ١ بشارع سيدى حسن الاكبر وحوالى الساعـة ٦ صباحـا عندمـا اشرقت الشمس واثناء مرورى بجوار السـور عثرت بجوار حافـة الرصيف المجاور لسور القصـر على طلقـة جبه خانة للبندقية وبجوارها مشط

ديوان كبير الياوران

جيبه خـالى من الطلقات حيث كانت ملقـاه على الأرض ويظهـر انهـا سقطت
فى الليـل من احـد الجنود الانجـليز الذين كانوا واقفين حول السـور وقد قدمتهـا
للمكتب عنـد عودتى من الداورية فى الساعـة ٧ صباحـا وهـذا قـولى ٠
تمت اقـواله وامضـى ٠

محمـد بيـومى عمـر

ديوان كبير الياوران

تقـــريـــر

الأميرالاى عبد الحميد بك كامل قائد عام حرس جـــلالة الملك

حضرة صاحب السعاده كبير ياوران جـلالة الملك

أتشرف بأفاده سعادتكم أنه حوالى الساعه ٢١٠٠ من يوم الأربعـــاء الموافق ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ حضرت قوات بريطانيـــه ٠ ووقتما كان السفير البريطانى فى الطابق العلوى من السراى جهزت الرشاشات فى محلاتها داخل السراى وراء الأبواب وأعطيت التعليمات اللازمه للحرس المشاه الملكى تليفونيا بالأستعداد ثم توجهت لجهة السلاملك فوجدت العساكر البريطانيين واقفين بجوار الحراس ويريدون اقتحام المدخل للصالـه بالقوه ومعهم ضباطهم

وقفنا جميعا من ضباط البوليس وعساكرهم وعملنا سدا منيعا لعدم دخولهم وكنا نتفاهم مع ضباطهم بالحسنى بقولنا لهم (أن هذا حرم الملك ونحن حراســه ولا يمكن أن نمكنكم من الدخول) فكانوا لا يعيرون كلامنا ويتغاضون عنـــه بشكل مزرى

ومن ضمن ما نظرت ، نظرت أحد الأشخاص لابسا لبس الضباط الأسكتلنديين ولكن ليس على كتفه نجوم ومعلق كره فى رقبتـــه ومعه فانوس بيده للمغنيسيوم المعد لأخذ الصور ليلا فكان حاضرا لأخذ صور لا نعلم ما هى ٠

وكان أحد الضباط الذين طلعوا بصحبة السفير واقفا على سلم السلاملك عند المفترق ٠ وبعد أن انسحبت القوات المدرعـــه والمشاه توجهت لباب التشريفات ووجدت ضابطين بريطانيين واقفين يتحدثان مع أحد ضباط البوليس (الملازم الأول حسين حسنى كنانى أفندى) ومشوا وفهمت من الضابط بعد ذلك أنهما سألاه الآتى ٠٠٠

" هل السير مايلز لامبسون خرج من السراى " فقال لهما "نعم " فقالا له "هل أخذ الملك معه " فقال "لا "

هـــذا ما سمعتـــه وشاهدتـــه بنفسى ٠ وأنه تبلغ الى الآتى من أركان حرب الحرس ٠

١ ـ أن قوة الحرس الملكى الموجوده بالقشلاق جاهزه لتنفيذ أى أمر يصدر لها

٢ ـ تواجدت قوة من الدبابات والسيارات المصفحه وسيارات النقل الخاصـه بالجنود بميدان عابدين وأنزلت مدافعها ونصبتها متجهة الى القصر العامر والى القشـــلاق

٣ ـ أنه كان يستنتج من حركات القوه سابقة استطلاعها للميدان وعلمها بما كانت تنفذه

٤ ـ أن تواجد القوة الأنجليزيـــــه لم يكن قاصرا على ميدان عابدين بل تعداه الى حصار القصـــر والقشلاق من سائر نواحيـــــــه

٥ ـ أن أحدى الدبابات نطحت الباب الكبير لسور القصر ففتحتـــه وتمكن بعض الجنود من الدخول الى حوش القصر وتمكنوا بكثرتهم من أخذ سونكى وخزنة بندقيـــه وذخيرة حارس السلاملك كما تمكنوا من نزع بندقيـــه أحد أفراد هذه النقطـــه حين توجه لنجدة زميله هذا وقد أعيدت هذه الأشياء الى أصحابها

ديوان كبير الياوران

٦ ـ أن بعض أفراد القوه حاولوا نزع ســلاح وذخيرة حارس باب المعيــه فلم يمكنهم من ذلك وأقواله مرفقــه طيــــه

٧ ـ أن ضابط الباشحرس بلغ أنه شاهد صاحب السعاده اللوا رسل باشا حكمدار بوليس القاهره وآخرين بالملابس الملكيــــه وقوفا عند الركن الشرقى للقشلاق وذلك قبل حضور القوه البريطانيـــه وأن سعادتـــه كان يأمر بمنع من يريد الاتصال بين مبنى الباشحرس والقشلاق أثنـــاء وجود هذه القوه بالميدان

وتفضلوا سعادتكم بقبول فائق الاحترام ،،

عابدين فى ٧/٢/١٩٤٢

عبد الحميد كامل أميرالاى

ياور قائد عموم حرس جــلالة الملك

ديوان كبير الياوران

اقـــــوال

نمرة ٢٥٠٠١١ عسكرى ابراهيم السيد احمد عطيه من السرية الثالثة من الحرس المشاه الملكى

فى يوم الاربعاء الموافق ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ كنت ضمن افراد النقطة نمرة ٤ بالسلاملك وفى الساعة ٢١٠٠ كنت نايم لانى كنت خالى فصحانى الانباشى وقال لى فيه كبسه فانا قمت فى الحال واخذت بندقيتى وجريت علشان اقف فى نقطتى وكان داخل عساكر كتير جدا فى حوش القصر العامر فانا افتكرتهم من عساكر الحرس فلما قربت منهم لم اشعر الا وقد احتاطوا بى ومسكونى من الخلف ومن الامام وارادوا اخذ البندقية فانا مسكتها بشدة فصوبوا السونكى الى صدرى ووضع احدهم الطبنجة على صدرى وتقدم ثلاثة منهم واخذوا فى لوى يدى وانا ماسك على البندقية حتى فلتت من يدى بعد لويها وفضلوا ماسكنى وعاملين علىّ وضع احترس حتى انتهوا من عملهم. وهذه اقوالى .

يوزباشى

اركان حرب الحرس المشاة الملكى

ديوان كبير الياوران

تقـــريـــــر

القائم مقـــــام أحمـــد سالم بك قائد الحرس المشـــــاه الملكى

....

حضرة صاحب العــــزه ياور وقائد عموم حرس جـــلالة الملك

حوالى الساعه ٢١٠٥ أمس بينما كنت نازلا من الميس أخبرنى حضرة اليوزباشى أحمد أفندى عبد العزيز مصطفى أركان حرب الحرس المشاه الملكى أن قوة من الجيش البريطانى من أسلحة الدبابات والمدفعيــــه والمشاه وصلت الى ميدان عابدين أمام القصر العامر ففى الحال أمرت حضرتـــه بأن تكون جميع قوة الحرس تامة الاستعداد ومنتظرة أوامر واتجهت نحو سور القشلاق القبلى وأخذت فى استطلاع القوات البريطانيـــــه فوجدت الميدان غاصـــا بها وكانت تتوزع فى هدوء تام ويمكن تقدير هذه القوه بما يزيد عن ١٠٠ عربـــه ما بين دبابـــه وعربـــة مصفحـــه وعربـــة لنقل الجنود وكان يوجد أمام سور القشلاق خط منتشر من المشاه على بعد حوالى عشرين يارده ومعهم رشاشات متجهة للقشلاق ووضع مدفع أمام البوابـــه وعلى بعد ٢٠ يارده منها ويحتمل أن يكون من نوع الهاوتزر عيار ٦ بوصـــه

عقب الانتهاء من الاستطلاع أصدرت الأوامر التى تتفق مع الموقف وأعقبتها بمرورى على القوة وتأكدت من الملم جميع الرتب بواجباتهم المختلفـــه ولاحظت أن الجميع على روح معنويـــه عاليـــه وعلى فهم تام بواجباتهم وجاهزين لأى عمل سريع أذا ما صدرت الأوامر بذلك

وقد وجدت جميع الضباط فى حالة عصبيـــه حماسيـــه من تأثير الموقف حتى أنى لاحظت أن بعضهم كان يبكى وخصوصا حضرة الملازم أول يحيى أفندى أمام على الذى رأيتـــه يجهش بالبكاء واستمريت متنقلا بين الأفراد مبينا لهم الموقف موضحا لهم واجباتهم المختلفـــه حتى حوالى الساعه ٢١٥٠ أذ ابتدأت القوات البريطانيــــه فى التجمع للانسحاب ثم أخلى الميدان وبعدها حضر حضرة صاحب السعاده كبير الياوران للقشلاق وصار تنفيذ ما أصدره من الأوامر وأنى أخص بالذكر حضرات الضباط الآتيين بعد الذين ساعدونى مساعدة قيمـــة فى هذا الظرف وهم ...

حضرة البكباشى توفيق مجاهد رضوان أفندى

حضرة الصاغ أحمد أحمد أبو النصر أفندى

" حسن أفندى حسن الألفى

حضرة اليوزباشى بديع أفندى الصدر

" عبد الحليم منصور مهران أفندى

" أحمد فريد أبو شادى أفندى

" يوسف عبد اللـه العجرودى أفندى

" أحمد عبد العزيز مصطفى أركان حرب الحرس المشاه الملكى

"

ديوان كبير الياوران

حضرة الملازم الأول سعد الدين أفندى مصطفى خليل

" يحيى أفندى أمام على

" سعد الدين أفندى مصطفى الشوربجى

وقد أظهر المذكورون بعد من الصف والعساكر روحا عاليـــــه وهم ....

رقم ٢٥٠٦٩٤	شاويش	محمد فريد سليمان الحاوى	
٢٥٠٤٩٦	"	عبد الوهاب عبد العال	
٢٥٠١٧٥	"	المتولى رمضان العيوطى	
٢٥٠١٦٥	"	الشربينى أبو المعاطى	
٢٥٠٤٧٢	أنباشى	عيد متولى راجح	
٢٥٠٣١٣	وكيل أمين	عبد الرحمن معروف شافعى	
٢٥٠٠٣٢	وكيل انباشى	أبراهيم عليان محمـــد	
٢٥٠٣٠٨	"	سيد أحمد سليمان عبد النبى	
٢٥٠٣٨١	عسكرى	عبد الرحيم محمدين	
٢٥٠٧٠١	"	محمد محمد أبراهيم خلاف	

وتفضلوا بقبول فائق الأحترام ،،

عابدين فى ٥/٢/١٩٤٢ أحمد ســـالم قائم مقـــام

قائد الحرس المشــاه الملكى

ملحوظـــه

تقدر القوه جميعها التى كانت محاصرة القصر العامر بلـواء (٣ أورط) كامل Brigade

المعدات من عربات مصفحــه ود بابات وعربات نقل وخلافــه

ديوان كبير الياوران

تقـــريـــــر

ضابط باشحرس قصـــر عابدين العـــــامـــــر

حضرة المحترم أركان حرب الحرس المشاة الملكى

أتشرف بأفادة حضرتكم بالآتى ....

فى الساعه ٨٥٥ من مساء أمس كنت جالسا فى حجرة الباشحرس فسمعت صوت عربات ميكانيكيـــــه كثيره فى الخارج فقمت لأتبينها فوجدت صفا من العربات اللورى والبيكاب متجهة الى الناحيـــة البحريــــه وواقفـه من باب الخاصـــه الى تقاطع شارع أبراهيم باشا بشارع حسن الأكبر فتقدمت منها وعرفت أنها من عربات الجيش البريطانى ولكننى ظننت لأول وهلة أنها واقفـــه بسبب المرور وأنها ستستأنف سيرها ولكن وجدت فى الحال أبواب العربات فتحت ونزل منها جنود يلبسون الخوذ والكبابيـد والبل ومسلحون بالبنادق . وكان واقفا معى أومباشى السهره خلف الله محمود عبد اللـــه من السريـــه الثالثـــه . فعدت مسرعا الى غرفة الباشحرس ورفعت سماعة التليفون للأتصال بحضرة أركان حرب ولكنى وقفت على التليفون بضع دقائق ولم اتمكن من الأتصال بحضرتـــه فعولت على أن أرسل أحدا من العساكر الى القشـــلاق ولكنى لما خرجت وجدت كردونا من العساكر الهنود يحاصرون السراى والباشحرس وهنا رأيت أنه أذا أساء العسكرى الذى سأرسله التصرف فى اختراق الكردون فقد يسبب احتكاكا ووجدت أن العساكر الهنود ما زالوا فى حالة تنظيم أنفسهم وأنه يمكن المرور بسرعـه الى القشـــلاق مستعينا بالظلام لأخذ التعليمات اللازمـــه بنفسى شخصيا والعوده قبل انتظامهم وفعلا مررت من بينهم فلم يميزنى أحد ثم عبرت شارع أبراهيم باشا ، وعلى الرصيف المقابل وجدت بضعة أشخاص يبلغ عددهم سته يلبسون الملابس الملكيـــه والطربوش وتبينت من بينهم حكمدار القاهره رسل باشا وكان يلبس معطفا أسود ويمسك بيده عصا رفيعـــه فتركتهم ومضيت سريعا الى القشـــلاق وبلغت صاحب العزه قائد الحرس وأخذت من عزتـــه التعليمات اللازمـــه وعدت فى الحال وأثناء عودتى كان ما يزال رسل باشا ومن معه واقفون على الرصيف ولكنى عولت على الا ألفت نظرهم الى . وعندما اقتربت من كردون الجنود الهنود اخترقتـــه دون أن يعترضنى أحد لأن الرؤيـــه كانت متعذره وكانوا يظنونى واحدا منهم . وقد وزعت الذخيره على الأفراد وأعددت الرشاشات وانتظرت صدور أوامر جديده . هذا لعلم حضرتكم . وتفضلوا بقبول فائق الأحترام ،،

١٩٤٢/٢/٥

ملازم أول

صالح حسن حسنى

ضابط الحرس يوم ١٩٤٢/٢/٤

ديوان كبير الياوران

أقـــوال

نمرة ٢٥٠٧٠٠ عسكرى محمد محمد ابراهيم الرفاعى من السرية الثالثة من الحرس المشاه الملكى

أنا كنت معين حارس النقطة نمرة (٤) بالسلاملك يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وفى الساعة ٢٠٥٠ بحيث لقيت عساكر انجليز كثير داخلين فى حوش القصر العامر فلما قربوا منى عملت وضع احترس فلم أشعر الا وقد أمسكونى من الخلف وارادوا نزع البندقية من يدى فلم أمكنهم من ذلك . ومرت يدى على البندقية فنزع أحد الجنود السونكى من بندقيتى ونزع آخر خزنة البندقية فلم يجد بها ذخيرة ففتشونى وأخذوا الذخيرة من الكفة وفضلوا مكتفيننى بأيديهم من الخلف لغاية الساعة ٢٢٠٠ وحاوطنى بالسناكى فى صدرى وصوبوا فى صدرى مدفعين من النوع الرشاش (تومى) (زى البرن) ولكنهم صغيرين وبعد ذلك سابونى وانصرفوا فبلغت حضرة الياور النوبتجى بأنهم أخذوا منى الذخيرة فأحضرها لى منهم .

أخذت الأقوال المذكورة آنفا بمعرفتى .

يوزباشى
اركان حرب الحرس المشاه الملكى
امضاء (أحمد عبد العزيز)

عابدين فى ٧/ ٢/ ١٩٤٢

أقـــوال

نمرة ٢٦٦٠٦٧ عسكرى عبد الوهاب على الغنيمى من السرية الرابعة من الحرس المشاه الملكى

فى يوم الأربعاء الموافق ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ كنت حارس النقطة نمرة (٧) باب المعيشة وحوالى الساعة ٢١٢٠ وصلت عربيات لورى ونزل منها عساكر انجليز ووقفوا صفين وطلع على أربعة منهم ولما قربوا منى عملت عليهم وضع احترس قلفوا من الخلف فأنا وضعت ظهرى على الحائط واستمريت فى وضع استعد • فتقدموا ومسكوا البندقية فأنا تشتها للخلف فجرحت يد واحد منهم فانصرفوا عنى وكان عسكرى البوليس قال لى خشرجوه فأنا قلت له (ماعنديش أوامر) فقفل البوابة واستمر العساكر الانجليز واقفين أمامى مدة ثم انصرفوا وهذه أقوالى •

أخذت الأقوال المذكورة آنفا بمعرفتى •

عابدين فى ٧/ ٢/ ١٩٤٢

يوزباشى
أركان حرب الحرس المشاه الملكى
امضاء (أحمد عبد العزيز)

مصادر البحث

اولا : وثائق غير منشورة

ا ـ الأجنبية

مجموعة المراسلات والتقارير المتبادلة بين دار المندوب السامى (السفارة البريطانية) ووزارة الخارجية البريطانية التى تضمها مجلدات تحت عنوان :

Further Correspondence Respecting the Affairs of Egypt and Sudan.

وفيما يلى بيان أرقام وتواريخ المجلدات التى تم استخدام وثائقها فى تلك الفترة :

F.O : 407/217	JULY - DEC. 1934
F.O : 407/219 (I)	JAN. - JUN. 1936
F.O : 407/219 (II)	JULY - DEC. 1936
F.O : 407/221 (I)	JAN. - JUN. 1937
F.O : 407/221 (II)	JULY - DEC. 1937
F.O : 407/222 (I)	JAN. - JUN. 1938
F.O : 407/222 (II	JULY - DEC. 1938
F.O : 407/223 (I)	JAN. - JUN. 1939
F.O : 407/223 (II)	JULY - DEC. 1939
F.O : 407/224	JAN. - DEC. 1940

F.O : 407/225	JAN. - DEC. 1941
F.O : 371/31266	JAN. - DEC. 1942
F.O : 371/53282	JAN. - JUN. 1946
F.O : 371/53301	JULY - DEC. 1946
F.O : 371/62960	JAN. - JUN. 1947
F.O : 371/96192	JAN. - DEC. 1948
F.O : 371/73490	JAN. - DEC. 1949
F.O : 371/80367	JAN. - DEC. 1950
F.O : 371/90110	JAN. - DEC. 1951
F.O : 371/96870	JAN. - DEC. 1952

كما تمت الاستعانة أيضا من وثائق وزارة الخارجية البريطانية بكافة التقارير الأسبوعية برقم عن الأعوام ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ ، ١٩٤٥. تحت عنوان :

WEEKLY POLITICAL AND ECONOMIC REPORTS.

ب - العربيـــة

احمد قاسم جودة :

- المكرميات ، خطب وبيانات حضرة صاحب المعالى مكرم عبيد باشا منذ فجر النهضة الى اليوم

ثانيا : وثائق منشورة

احمد حسين :

- مرافعـــات فى قضية التحريض رقم ١٤٣ لســـنة ١٩٥٢ « عسكرية عليا » بجلسة ١٦ أغسطس ١٩٥٢ - الجزء الأول - القاهرة - بدون تاريخ

القضية المصرية :

- « ١٨٨٢ - ١٩٥٤ » - المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩٥٥

الكتاب الأبيض :

- بيانات الحكومة وقرار مجلسى البرلمان بشأن الأسئلة والاستجوابات عما ورد فى العريضة المرفوعة الى حضرة صاحب الجلالة الملك من حضرة النائب المحترم مكرم عبيد باشا وما يتعلق بها من مسائل سبق اثارتها فى مجلسى البرلمان - المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩٤٣

الملف السرى الكامل لحادث ٤ فبراير :

- منشور فى الأهرام فى ست حلقات (٤/٢٧ ، ٥/٤ ، ٥/١١ ، ٥/١٨ ، ٥/١٥ - ١٩٧٣/٦/١)

المملكة المصرية :

- مجموعة الأوامر الملكية (١٩١٧ - ١٩٣٣)
- مجموعة المراسيم والقوانين (١٩١٧ - ١٩٣٣)

بيانات حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء ورئيس وفد مصر أمام مجلس الأمن - المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩٤٧

حزب الأحرار الدستوريين :

- الحكم الوفدى فى عامين (يناير سنة ١٩٥٠ - يناير سنة ١٩٥٢) - القاهرة - بدون تاريخ

راشد البراوى :

- مجموعة الوثائق السياسية » المركز الدولى لمصر وقناة

السويس » - الجزء الأول - القاهرة ١٩٥٢

مجلس الشيوخ :

- القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٣٦ بالموافقة على معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا العظمى ومرفقا به كافة وثائق المفاوضات السابقة من سنة ١٩٢٠ - سنة ١٩٣٢ وتقرير اللورد ملنر وتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ - المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩٣٧

- مجموعة مضابط مجلس الشيوخ (١٩٣٦ - ١٩٥٢)

مجلس النواب :

- مجموعة مضابط مجلس النواب (١٩٣٦ - ١٩٥٢)

مجلس الوزراء :

- تقرير لجنة التحقيق الوزارية فى الوقائع والتصرفات الماسة بنزاهة الحكم فى عهد الوزارة النحاسية الأخيرة - المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩٤٥

مكرم عبيد :

- الكتاب الأسود فى العهد الأسود - القاهرة ١٩٤٣

نشرات الحزب الوطنى :

- الحزب فى عام ١٩٤٦ - تقديم فتحى رضوان - القاهرة١٩٤٦

هيئة البحوث العسكرية :

- نشرة التاريخ العسكرى - العدد السابع - دور الجيش المصرى فى السياسة (١٩٣٦ - ١٩٥٢)

ثالثا : المذكرات الشخصية والتراجم

أ ـ غير المنشورة

احمد حسنين « باشا » :

ـ مجموعة من الأوراق الخاصة والمذكرات وقد عثر عليها الباحث لدى السيد/علي الدين رمضان ابن شقيقة أحمد حسنين

ب ـ المنشورة

احمد حسين :

ـ ايماني ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة الرغائب ـ القاهرة ١٩٣٦

ـ في ظلال المشنقة ـ سلسلة كتب للجميع ـ القاهرة ١٩٥٣

احمد لطفي السيد :

ـ قصة حياتي ـ كتاب الهلال ـ فبراير ١٩٦٢

اسماعيل صدقي :

ـ مذكراتي ـ القاهرة ١٩٥٠

انور السادات :

ـ أسرار الثورة المصرية ، بواعثها الخفية وأسبابها السيكولوجية ـ كتاب الهلال ـ يوليه ١٩٥٧

جمال عبد الناصر :

ـ مذكرات عن حرب ١٩٤٨ ـ منشور بمجلة آخر ساعة ـ خمس حلقات (٩ مارس ـ ٦ ابريل ١٩٥٥)

جلال الحمامصى :

- معركة نزاهة الحـــكم ، ٤ فبراير ١٩٤٢ - يوليه ١٩٥٢ ، القاهرة ١٩٥٧

حسن عزت :

- أسرار معركة الحرية - القاهرة ١٩٥٣

حسن يوسف :

- مذكرات ، القصر ودوره فى السياســة المصرية (١٩٢٢ - ١٩٥٢) القاهرة ١٩٨٢

رفعت السعيد ، الدكتور :

- مصطفى النحاس « السياسى والزعيم المناضـــل » - بـيروت ١٩٧٦

صلاح الشاهد :

- ذكرياتى بين عهدين - الطبعة الثانية - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٦

صليب سامى :

- ذكريات سياسية - مطبعة أمين عبد الرحمن - القاهرة١٩٥٢

عبد الرحمن عزام :

- صفحات من المذكرات السرية « الجزء الأول » جمــع وترتيب جميل عارف - المكتب المصرى الحديث - القاهرة بدون تاريخ

عبد الفتاح حسن :

- ذكريات سياسية - دار الشعب - القاهرة ١٩٧٤

عبد اللطيف البغدادى :

- مذكرات - الجزء الأول - المكتب المصرى الحديث - القاهرة ١٩٧٧

عبد المغنى سعيد :

- أسرار السياسة المصرية - كتاب الحرية «٥» - القاهرة ١٩٨٥

فاطمة اليوسف :

- ذكريات - الكتاب الذهبى - العدد ٦٣ « ابريل » - القاهرة ١٩٥٩

فكرى أباظة :

- مذكرات منشورة بمجلة المصور - أربع حلقات من ١٩٧٨/٤/٢١

كريم ثابت :

- مذكرات كريم ثابت - نشرت تباعا بجريدة الجمهورية (١١ - ٢٩ يونيه ١٩٥٥)

كمال رفعت :

- مذكرات ، حرب التحرير الوطنية بين الغاء معاهدة ١٩٣٦ والغاء اتفاقية ١٩٥٤ - اعداد مصطفى طيبة - دار الكتاب العربى للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٨

محمد احمد فرغلى « باشا » :

- مذكرات « عشت حياتى بين هؤلاء » - الطبعة الثانية- مطابع الأهرام التجارية - القاهرة ١٩٨٤

محمد التابعى :

- من أسرار الساسة والسياسيين ، مصر ما قبل الثورة -
مطابع دار القلم - القاهرة بدون تاريخ

محمد حسين هيكل :

- مذكرات فى السياسة المصرية جـ ١ ، جـ ٢ - مكتبة النهضة
المصرية عامى ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، جـ ٣ دار المعارف ١٩٧٧

محمد زكى عبد القادر :

- أقدام على الطريق - دار الكتاب العربى للطباعة والنشر -
القاهرة ١٩٦٧

محمد على علوبه :

- مبادىء فى السياسة المصرية - دار الكتب المصرية - القاهرة
١٩٤٢
- ذكريات سياسية واجتماعية - المركز العربى للبحث والنشر
- القاهرة ١٩٨٢

محمد محمود خليل :

- مذكرات ، منشورة بجريدة الدستور فى ١٩٤٥/١١/٥

محمود فهمى النقراشى :

- « المذكرات السرية » منشورة بجريدة أخبار اليوم عددى ٥ ،
١٢ نوفمبر ١٩٤٩

محمد نجيب :

- كلمتى للتاريخ - دار الطباعة الحديثة - القاهرة ١٩٨١
- كنت رئيسا لمصر - المكتب المصرى الحديث - القاهرة ١٩٨٤

مرتضى المراغى :

– مذكرات شاهد على حكم فاروق وسنوات ما قبل الثورة ، منشور بمجلة أكتوبر فى ٢٢ حلقة من العــــدد ٤٨٣ (٢٦ يناير سنة ١٩٨٦) – العدد ٥٠٤

رابعا : الدوريات

أخبار اليوم : ١٩٤٩ – ١٩٥٠

آخر ساعة : ١٩٤٤ – ١٩٥٥

الاثنين : ١٩٤٢

الاخوان المسلمين : ١٩٣٦ ، ١٩٣٨ ، ١٩٤٧

الاشتراكية : ١٩٥٠

الأهرام : ١٩٣٧ ، ١٩٤٠ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ، ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ١٩٧٦

البـــلاغ : ١٩٣٧ ، ١٩٤٢

الجمهورية : ١٩٥٦

الدستور : ١٩٤٠ ، ١٩٤٥

السياسة : ١٩٣٧

الصرخة : ١٩٣٣

الطليعة : ١٩٦٥ ١٩٦٦

الـكتلة : ١٩٤٥ ، ١٩٤٨

المصرى : ١٩٣٧ ، ١٩٤٢ ، ١٩٤٤ ، ١٩٥٢

المصور : ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ ، ١٩٧٨

النــذير : ١٩٣٨ ، ١٩٣٩

المـلايين : ١٩٥١

الوفد المصرى : ١٩٤١ ، ١٩٤٥

روزاليوسف : ١٩٣٧ ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ ، ١٩٥٠

مصر الفتاة : ١٩٥١

خامسا : البحوث والدراسات والمؤلفات

ا ـ العربيـــة

ابراهيم عامر :

ـ ثورة مصر القومية ـ دار النديم ـ القاهرة ١٩٥٧

احمد بهاء الدين :

ـ فاروق ملكا ـ القاهرة ١٩٥٢

احمد حمروش :

ـ قصـــة ثورة ٢٣ يوليو ـ جزءان ـ دار المـوقف العربى ـ القاهرة ـ بدون تاريخ

أحمد زكريا الشلق ، الدكتور :

ـ حزب الأحرار الدستوريين (١٩٢٢ ـ ١٩٥٣) ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٢

احمد شفيق « باشا » :

ـ حوليات مصر السياسية ، الجزء الثالث من التمهيد ـ مطبعة شفيق ـ القاهرة ١٩٢٨

احمد عبد الرحيم مصطفى ، الدكتور :

ـ مشكلة قناة السويس (١٨٥٤ ـ ١٩٥٨) ـ معهد الدراسات

والبحوث العربية - القاهرة ١٩٧٦
- العلاقات المصرية البريطانية (١٩٣٦ - ١٩٥٦) معهد الدراسات والبحوث العربية - القاهرة ١٩٦٨
- تطور الفكر السياسى فى مصر الحديثة معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٧٣

احمد وفيق :

- فاروق الأول ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٣٨

ارثر جولد شميث « الابن » :

- الحزب الوطنى (مصطفى كامل - محمد فريد) ترجمة فؤاد دوارة - تقديم وتعليق فتحى رضوان - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٣

أمين سعيد :

- تاريخ مصر السياسى من الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ الى الى انهيار الملكية سنة ١٩٥٢ - مطبعة عيسى البابى - القاهرة ١٩٥٩

أمين عز الدين :

- تاريخ الطبقة العاملة المصرية فى الثلاثينيات (١٩٢٩ - ١٩٣٩) - دار الشعب - القاهرة ١٩٧٢

أنور السادات :

- صفحات مجهولة - دار التحرير للطبع والنشر - القاهرة د٠ت
- قصة الثورة كاملة - كتاب - الهلال - القاهرة ١٩٥٧

جابر رزق :

- الأسرار الحقيقية لاغتيال حسن البنـا - دار الدعوة للطبـع والنشر - القاهرة ١٩٨٤

جلال يحيى ، الدكتور :

- الوفـد المصرى (١٩١٩ - ١٩٥٢) المـكتب الجـامعى - الاسكندرية ١٩٨٤

جمال الشرقاوى :

- سؤال للتـاريخ ، من الذى أحرق القـاهرة فى ١٩٥٢ - الطليعة - السنة ١٢ - العدد ١ - يناير ١٩٧٦

- حريق القاهرة ، قرار اتهام جديد ، دار الثقـافة الجديدة - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٧٦

جمال حماد :

- ٢٢ يوليو أطول يوم فى تاريخ مصر ، كتاب الهلال ، ابريل ١٩٨٣

جمال سليم :

- البوليس السياسى يحكم مصر ، القـاهرة للثقـافة العربية ، ١٩٧٥

- قراءات جـديدة لحـادث ٤ فبراير ، دار الشعب - القـاهرة ١٩٧٥

جورج انطونيوس :

- يقظة العرب ، تعريب على حيدر الركابى - مطبعـة الترقى - دمشق ١٩٤٦

جورج فوشيه :

- جمال عبد الناصر وصحبه ، الجزء الأول - دار المعـارف - القاهرة ١٩٦٠

حافظ محمود :

- أسرار الماضى ١٩٠٧ - ١٩٥٢ ، فى السياسـة والوطنية ، كتاب روزاليوسف - القاهرة ١٩٧٣

حسن مرعى ، الدكتور :

- ثورة شعب - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٢

حسنين كروم :

- عروبة مصر قبل عبد الناصر (٤ فبراير ١٩٤٢ - ٢٣ يوليو ١٩٥٢) جزءان - العربى للنشر - القـاهرة ١٩٨٠ ، دار المستقبل العربى - القاهرة ١٩٨٤ على التوالى

حمدى لطفى :

- ثوار يوليو - الوجه الآخر ، كتاب الهلال - يوليه ١٩٧٧

راشد البراوى ، الدكتور :

- حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر ، مكتبة النهضـة المصرية - القاهرة ١٩٥٢

رفعت السعيد ، الدكتور :

- تاريخ المنظمات اليسـارية المصرية (١٩٤٠ - ١٩٥٠) دار الثقافة الجديدة - القاهرة ١٩٧٦
- أحمد حسين - كلمات ومواقف - العربى للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٧٩

- الصحافة اليسارية فى مصر ، ج ٢ (١٩٥٠ - ١٩٥٢) دار الثقافة الجديدة - القاهرة ١٩٨٠
- منظمات اليسار المصرى (١٩٥٠ - ١٩٥٧) دار الثقافة الجديدة - القاهرة ١٩٨٣

رؤوف عباس ، الدكتور :

- الحركة العمالية فى مصر (١٨٩٩ - ١٩٥٢) القاهرة ١٩٦٧
- الاخوان المسلمين والانجليز (بحث منشور) بمجلة فكر - العدد الثامن - القاهرة - ديسمبر ١٩٨٥

ريتشارد ، ب ، ميتشيل :

- الاخوان المسلمون ، ترجمة عبد السلام رضوان - مكتبة مدبولى - القاهرة ١٩٧٧

زكريا سليمان بيومى ، الدكتور :

- الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية فى الحياة السياسية المصرية (١٩٢٨ - ١٩٤٨) - مكتبة وهبه - القاهرة ١٩٧٩
- التيارات السياسية والاجتماعية بين المجددن والمحافظين - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٩

سميرة بحر ، الدكتورة :

- الأقباط فى الحياة السياسية المصرية - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٨٤

صفية قراعة :

- نمر السياسة المصرية - مكتب الصحافة الدولى - القاهرة ١٩٥٢

سيرانيان :

- مصر ونضالها من أجل الاستقلال (١٩٤٥ - ١٩٥٢) - ترجمة عاطف عبد الهادى - آكاديمية العلوم السوفيتية - معهد الاستشراق - مطبعة الفجر الجديد - القاهرة ١٩٨٤

شحاته عيسى :

- الكتاب الأسود للاستعمار البريطانى فى مصر - سلسلة كتب قومية - العدد ٢٣٥ - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٦

شهدى عطية الشافعى :

- تطور الحركة الوطنية المصرية (١٨٨٢ - ١٩٥٦) الدار المصرية للكتب - القاهرة ١٩٥٧

صالح عيسى السودانى :

- الأسرار السياسية لأبطال الثورة المصرية - القاهرة بدون تاريخ

صلاح العقاد :

- العرب والحرب العالمية الثانية ، معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٦٦
- الفكرة العربية فى مصر ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية (١٩٧٢ - ١٩٧٣) - القاهرة ١٩٧٣

صلاح عيسى :

- محاكمة فؤاد سراج الدين « تحقيق ودراسة » مكتبة مدبولى - القاهرة ١٩٨٣

طارق البشرى :

- عام ١٩٤٦ فى التـاريخ المصرى - مجلة الطليعة - فبراير ١٩٦٥
- تاريخ المعارضة البرلمانية فى مصر - بحث منشور بجريدة الأهرام - عددى ٣٠ ، ٣١ يناير ١٩٧٦
- المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٠
- الحركة السياسية فى مصر (١٩٤٥ - ١٩٥٢) - الطبعـة الثانية - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٣

طاهر الطناحى :

- فاروق الأول ، دار الهلال - القاهرة ١٩٧٦

عاصم الدسوقى ، الدكتور :

- مصر فى الحرب العالمية الثانية ، معهـد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٧٦
- فكرة القومية عنـد الاخوان المسلمين (١٩٢٨ - ١٩٥٤) مطبعة جامعة عين شمس - القاهرة ١٩٧٦

عبد الرحمن الرافعى :

- فى أعقاب الثورة المصرية ، ثلاثة أجزاء الطبعـة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، الجزء الأول عام ١٩٤٧ والثانى عام ١٩٤٩ ، الجزء الثالث عام ١٩٥١
- محمد فريد رمز الاخـلاص والتضحية - مكتبة النهضـة - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٦١

- مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - الطبعة الثـانية - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٤

عبد العظيم رمضان ، الدكتور :

- تطور الحركة الوطنية فى مصر من سـنة ١٩٣٧ - الى سـنة ١٩٤٨ - جزءان - بيروت ١٩٧٣
- الجيش المصرى فى السياسة (١٨٨٢ - ١٩٣٦) الهيئـة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٧
- دراسات فى تاريخ مصر المعـاصر ، المركز العربى للبحث والنشر - القاهرة ١٩٨٠
- الاخوان المسـلمون والتنظيم السرى ، كتاب روزاليوسف - القاهرة ١٩٨٢

عبد المتعال الصعيدى :

- تاريخ الاصلاح فى الأزهر - مطبعة الاعتماد - القاهرة ١٩٥٠

عبد الوهاب بكر ، الدكتور :

- الجيش المصرى وحرب فلسـطين (١٩٤٨ - ١٩٥٢) دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢

عصام محمد سليمان :

- أزمة الحـكم فى مصر (١٩١٩ - ١٩٥٢) مطبعة الفكرة - القاهرة د. ت

عفاف لطفى السيد ، الدكتورة :

- تجربة مصر الليبرالية (١٩٢٢ - ١٩٣٦) المركـز العربى للبحث والنشر - القاهرة ١٩٨١

على الدين هلال ، الدكتور :

- السياسة والحكم فى مصر « العهد البرلمانى » (١٩٢٣ - ١٩٥٢) - مكتبة نهضة الشرق - القاهرة ١٩٧٧

على حامد شلبى ، الدكتور :

- مصر الفتاة ودورها فى السياسة المصرية (١٩٣٣ - ١٩٤١) دار الكتاب الجامعى - القاهرة ١٩٨٢

على عبد الرازق :

- الاسلام وأصول الحكم - القاهرة ١٩٢٥

فؤاد كرم :

- الأجانب فى مصر ، الجنسية المصرية والطوائف الدينية ، مكتبة عبد الله وهبه - القاهرة د. ت

- النظارات والوزارات المصرية - مراجعة واشراف مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر - القاهرة ١٩٦٩

كريم ثابت :

- الملك فؤاد ملك النهضة - القاهرة ١٩٤٧

مارسيل كولومب :

- تطور مصر (١٩٢٤ - ١٩٥٠) ترجمة زهير الشايب الطبعة الأولى - مكتبة سعيد رأفت - القاهرة ١٩٧٢

مايلز كوبلاند :

- لعبة الأمم ، ترجمة مروان خير ، الطبعة الأولى - بيروت ١٩٧٠

مجدى أحمد حسين :

- مصر الفتاة (١٩٣٣ - ١٩٣٨) الجزء الأول - مطبعة مدكور - القاهرة ١٩٨٤

محسن محمد :

- التاريخ السرى لمصر - المكتب المصرى الحديث - القاهرة١٩٧٣

محمد أحمد أنيس ، الدكتور :

- ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأصولها التاريخية - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٩

- صفحات مجهولة من التاريخ المصرى - كتاب روزاليوسف - العدد الثانى - القاهرة ابريل ١٩٧٣

- تطور المجتمع المصرى من الاقطاع الى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - القاهرة ١٩٧٧

- ٤ فبراير ١٩٤٢ فى تاريخ مصر السياسى - مكتبة مدبولى - القاهرة ١٩٨٢

- حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢ - مكتبة مدبولى - القاهرة ١٩٨٢

محمد جمال الدين المسدى ويونان لبيب وعبد العظيم رمضان :

- مصر والحرب العالمية الثانية - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - مؤسسة الأهرام - القاهرة ١٩٧٨

محمد زكى عبد القادر :

- محنة الدستور (١٩٢٣ - ١٩٥٢) الطبعة الثانية - مكتبة مدبولى - القاهرة ١٩٧٣

محمد شوكت التونى :

- أحزاب وزعماء ، مطبعة الدار المصرية - القاهرة ١٩٨٠

محمد صبيح :

- من العلمين الى سجن الأجانب (صفحات من الحرب العالمية الثانية) الكتاب الأول - سلسلة كتاب الشهر - دار القاهرة للطباعة د. ت

- فى طريق الحرية (صفحات من الحرب العالمية الثانية) - الكتاب الثانى - سلسلة كتاب الشهر - دار القاهرة للطباعة د. ت

محمد عبد الرحمن برج ، الدكتور :

- عزيز المصرى والحركة الوطنية فى مصر ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - القاهرة ١٩٨٠

محمد فرج « يوزباشى » :

- ٢٦ يوليو ١٩٥٢ نهاية الطاغية - دار النداء - القاهرة د.ت

محمد فيصل عبد المنعم :

- الى الأمام ياروميل - مؤسسة دار الشعب - القاهرة ١٩٧٦

محمد مصطفى عطا :

- مصر بين ثورتين - سلسلة اخترنا لك - العدد ١٦ - دار المعارف

محمد مصطفى صفوت ، الدكتور :

- انجلترا وقناة السويس (١٨٥٤ - ١٩٥١) - القاهرة ١٩٥٢

- مصر المعاصرة وقيام الجمهورية العربيـــة المتحـدة « التطور السياسى » (١٨٨٢ - ١٩٥٨) - القاهرة ١٩٥٩

محمود حلمى ، الدكتور :

- ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - الكتاب الأول ، مقدمات الثـــورة وأسبابها ، مطبعة الاعتماد - الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٦٦

محمود زايد :

- من أحمد عرابى الى جمـــال عبد النـاصر ، الحركة الوطنية المصرية - بيروت ١٩٧٣

محمود متولى ، الدكتور :

- مصر والحركة الشيوعية خلال الحرب العـــالمية الثانية ، دار الموقف العربى - القاهرة ١٩٧٩

مركز الوثائق والبحوث التاريخية بالأهرام :

- ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ - القاهرة ١٩٦٩

موسى صبرى :

- قصة ملك وأربع وزارات سلسلة كتاب اليوم ، العدد ٧١ أكتوبر ١٩٧٣

نصر الدين عبد الحميد نصر :

- مصر وحركة الجامعة الاسلامية (١٨٨٢ - ١٨١٤٠) - الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٤

هيوج ماكليف :

- الملف السرى للملك فاروق (ترجمة أحمد فوزى) دار الهلال - القاهرة ١٩٧٧

وحيد الدالى :

- أسرار الجامعة العربية - مكتبة روزاليوسف - القاهرة١٩٨٢

يونان لبيب رزق ، الدكتور :

- أصحاب القمصان الملونة فى مصر (١٩٣٢ - ١٩٣٧) المجلة التاريخية ، المجلد ٢١
- تاريخ الوزارات المصرية (١٨٧٨ - ١٩٥٣) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام - القاهرة ١٩٧٥
- الأحزاب المصرية قبل عام ١٩٥٢ - القاهرة ١٩٧٧
- مائة عام من عمر الوزارة المصرية (١٨٧٨ - ١٩٧٨) بحث منشور بجريدة الأهرام فى ١٩٧٨/٨/٤
- الوفد والكتاب الأسود - مؤسسة الأهرام - القاهرة ١٩٨٤
- الأحزاب السياسية فى مصر (١٩٠٧ - ١٩٨٤) كتاب الهلال - ديسمبر ١٩٨٤

ب - الأجنبيــــة

— CIANO, COUNT GALEAZZO : CIANOS DIARIES (1933 - 1943), NEW YORK 1946.

— EVANS, TREFOR (edited by), LORD KILLEARN DIARIES (1934 - 1946), LONDON 1972.

— FLOWER, R. THE STORY OF MODERN EGYPT (NAPOLEON TO NASSER), LONDON 1976.

— HOLT, P. M. (edited) POLITICAL AND SOCIAL CHANGES IN MODERN EGYPT, (LONDON 1968).

— HURANI, A, (edited by) MIDDLE EASTERN AFFAIRS, LONDON 1965

— JANKOWSHI, P. J. EGYPT YONG REBELS (U.S.A. 1975).

— KIRK, G : THE MIDDLE EAST (1945 - 1950) LONDON 1954.

: A SHORT HISTORY OF MIDDLE EAST, LONDON 1961.

— LUGOL, JEAN : EGYPT AND WORLD WAR II, CAIRO 1945.

— MANSFIELD, P : THE BRITISH IN EGYPT (U.S.A. 1971).

— MARLOWE, J : ANGLO EGYPTIAN RELATIONS (1800 - 1953), LONDON 1954.

: FOUR ASPECTS OF EGYPT — LONDON 1960.

NUTTING, A : THE ARABS — LONDON 1964.

VATIKIOTIS P.J : THE MODERN HISTORY OF EGYPT (LONDON 1944)

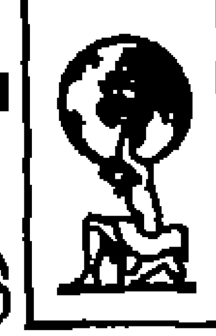
: EGYPTIAN ARMY in POLITICS (LONDON 1961).

: EGYPT SINCE REVOLUTION (LONDON 1968).

المحتـــويات

الصفحة

مطبعة اطلس



imprimerie atlas

LE CAIRE: 11-13 RUE SOUK EL TEWFIKIEH, R.C.100731, TEL: 747797

القاهرة : ١١-١٣ شارع سوق التوفيقية س. ت ١٠٠٧٣١ ت ٧٤٧٧٩٧

رقم الايداع ١٦٩٨/١٩٨٨

الترقيم الدولى ٣ - ٠٧١ - ١٣٣ - ٩٧٧